



تاريخ صيدا الاجتماعي

١٨٤٠ - ١٩١٤

الدكتور طه بدل ماجد المجزوب

المكتبة العصرية - بيروت - صيدا

تَلَخُّصُ صَيِّدِ الدَّالِ الْجَمْعِي

١٨٤٠ - ١٩١٤

تأليف
الكتور طلال ماجد المجزوب

تقديم
الكتور نقولا زياره

ملاحظات
الكتبة العصرية - بيروت - صيدا



PDF مكتبة نرجس

www.narjes-library.blogspot.com

الافتتاح

الى التي «يسرّت» لي انجاز هذه الدراسة،
بتفهمها الشجاع، وعونها الصادق
الى رفيقة دربي وشريكة عمري «يسرى».

طلال

جميع الحقوق محفوظة

١٤٠٢ هـ - ١٩٨٣ م

تقديم

ان الاهتمام بكتابة التاريخ الاجتماعي والاقتصادي للعرب امر حديث العهد بين مؤرخينا . ذلك بأن اتجاه أكثر الجيل الأول، وحتى الثاني، منهم كان نحو التاريخ السياسي - بلاطا وملوكا وحكاما . ولعل أحد الأسباب التي حملت هؤلاء القوم على مثل هذا النهج كان وفرة المادة في مصادر التاريخ العربي لمثل هذه البحوث والدراسات .

على انه قد ظهرت، خلال الثلاثين سنة الماضية، دراسات قيمة تناولت المجال الاقتصادي الاجتماعي بالدرس الجاد . وليس من اليسر، ولا من اللازم، أن نعرضها هنا، اذ ليس هذا المكان مناسباً لذلك . لكن الباحث الشاب اليوم، الذي يريد أن يقوم بمثل هذه البحوث، سيجد أن الطريق قد شُقَّ، وان لم يكن قد عُبِدَ، له .

والحق انه من مدعاة سروري أن يتجاوب عدد من الطلاب الذين يعملون معي فينصرف بعضهم إلى هذه النواحي التي ذكرت . وأود أن أشير إلى أربع دراسات هي: الحياة الاقتصادية في المغرب الأقصى بين سقوط المرابطين وقيام الموحدين؛ والعامة في بغداد في القرنين الثالث والرابع للهجرة؛ والتكون الاقتصادي والاجتماعي للحجاز في القرن الأول للهجرة؛ ومجتمع المالك البرجية في مصر .

وهذه الملاحظة تنقلني الى الذي أردته من هذا التقديم . ذلك ان الدكتور طلال المجدوب كان واحداً من أولئك الذين شغفهم البحث في التاريخ الاجتماعي، وهو صيداوي لذلك ارتأى أن يكون هذا الشغف وقفاً على مدينته . وكانت نتيجة الشغف بالموضوع اجمالاً والحب للمدينة أن اندفع طلال نحو غايته بحماسة الحب وجدية المسؤول ودقة الباحث . ومن ثم

فإنني لست أحسب أن العمل الجيد (تاريخ صيدا الاجتماعي ١٨٤٠ - ١٩١٤) الذي يضعه أمام القارئ الآن شيء غريب. إنه نتيجة طبيعية لهذه الحلال والحصال التي تمتع بها طلال. أقول هذا وأنا أكاد أرى عيوننا مزورة تؤمى لتقول أن المعلم يمدح تلميذه، وهذا أمر طبيعي. ومع ذلك فأنا أقولها: عمل طلال المجدوب عمل جيد؛ وأنا أتنظر لطلال مستقبلا باهراً كمؤرخ. وأنا واثق من أنه سيحقق ذلك لنفسه وللذين يعملون معه في المستقبل. ولتنعم صيدا لأنها وجدت من أبنائها من يكمل سلسلة الأعمال التي وضعت حول تاريخها، وسيتمها بشكل يرضي البحث العلمي والشعور الوطني (ولو أنه محلي).

هذا هو الكتاب الذي أقدمه إلى القارئ، وأنا سعيد بذلك كل السعادة.

الجامعة الأميركية

نقولا زيادة

بيروت ٨ نيسان ١٩٨٢

تتناول هذه الدراسة تاريخ صيدا الاجتماعي في الفترة من سنة ١٨٤٠ الى سنة ١٩١٤، وقد اقبلت على النهوض بها بشغف لازمه حذر، اما الشغف فباعثه رغبتي في كشف فترة مهمة من تاريخ صيدا الحديث، واما الحذر فبسببه خشيتي من ندرة المصادر الاصلية وصعوبة الوصول اليها. وكانت غربي الطويلة عن مدينتي صيدا دافعاً قوياً لي لتبش وثائقها والتعرف إلى تاريخها.

كما كان الدافع الآخر لاختيار هذا الموضوع، الى جانب لذة البحث العلمي الخالص، ان هذه الفترة لم تلق اهتمام الباحثين والمؤرخين، رغم ما حفلت به من احداث، وما شهدته من تحولات في كافة نواحي الحياة في صيدا وفي غيرها من بلاد الشام، اذ لم يتعدَّ من أرخ لهذه الفترة الاثنين، وهما احمد عارف الزين ومنير خوري، وكلاهما عالجهما ضمن سرده لتاريخ صيدا منذ اقدم العصور. بالرغم من ان كتاب الزين تميّز ببعض المعلومات المفيدة عن فترة اواخر العهد العثماني التي عاصرها بنفسه.

ولذا كان لا بد من دراسة هذه الفترة باعتماد الوثائق أساساً، وهو ما سعت الى القيام به خلال سبع سنوات وثيق، مطوّفا ما بين صيدا وبيروت وجون وبرجا، ولندن واسطنبول وباريس ودمشق.

فقد اعتمدت على التقارير القنصلية الامريكية والبريطانية، وعلى سجلات المحكمة الشرعية، والبلدية، والاقواف والدائرة العقارية، ومطرائية الروم الكاثوليك وجميعها في صيدا، وعلى ارشيف دير الخلص في جون، وارشيف بهيج الخطيب في برجا، بالاضافة الى المعلومات المستخلصة من الصحف والمجلات الصادرة في تلك الفترة، في صيدا وبيروت ودمشق والقاهرة، ومن الحوليات الرسمية التي كانت تصدرها الدولة العثمانية، وولايتا دمشق

وبيروت، حيث تضمنت معلومات رسمية مهمة. والمخطوطات في مكتبة الجامعة الاميركية، والمراجع في مكتبات جامعة بيروت العربية والمجلس الثقافي البريطاني وكلية اللاهوت للشرق الادنى «NEAR EAST SCHOOL OF THEOLOGY» والمكتبة الظاهرية في دمشق، ومكتبة طوب قايي في اسطنبول.

كان من الطبيعي ان تبدأ الدراسة بتوطئة عن موقع صيدا الجغرافي وأثره في توجيه اقتصادها، ثم انتقلت في الفصل الاول للحديث عن الادارة والقضاء.

وفي الفصل الثاني تكلمت عن الجيش والأمن، وتناولت في الفصل الثالث الارض والزراعة.

وذكرت في الفصل الرابع انواع الضرائب والرسوم، وطرق جبايتها، والقوانين التي نظمتها، وافردت الفصل الخامس للنظام المالي.

وخصصت الفصل السادس للتجارة والصناعة والحرف في صيدا، فتحدثت عن التجار وانواع الاسواق والبضائع التي تعرض فيها، وطرق البيع، وانواع المكايل والمقاييس والاوزان، ولوائح الاسعار، وانواع الحرف وتقاليدها، وشيوخها، والقوانين التي نظمت ذلك.

وفي الفصل السابع تتبعت طرق المواصلات البرية والبحرية، منذ ان كانت طرق قوافل ودروبا ترابية، حتى بدء استعمال العربات ثم السيارات. والطرق البحرية منذ ان كانت ترسو في ميناء صيدا الزوارق والمراكب الشراعية، حتى قدوم البواخر الحديثة.

أما الفصل الثامن فقد تكلمت فيه عن عمران صيدا فذكرت اسماء الحارات والاحياء، والشوارع والطرقات، ووصفت البيوت وطرز البناء.

وجعلت عنوان الفصل التاسع التعليم والثقافة في صيدا، فتتبعت مراحل تطور التعليم منذ عهد الكتاتيب الى قيام المدارس الحديثة، وعلى صعيد الثقافة تحدثت عن الصحف والمجلات، والمطابع، والجمعيات الادبية والعلمية التي قامت في المدينة آنذاك.

وفي الفصل العاشر تكلمت عن السكان في صيدا، فبينت تطورهم العددي، وتوزيعهم الطائفي، وذكرت العائلات التي شكلت سكان صيدا في تلك الفترة، وألحقت الى اصول بعضها ودلالات اسمائها.

ووصفت، في الفصل الحادي عشر، الحياة الاجتماعية وتطورها من حيث العادات العائلية، والازياء الشائعة، والاثاث المنزلي، ووسائل الترفيه والتسلية.

واللحقت في نهاية الكتاب جدولاً بالسنين الهجرية وما يقابلها بالميلادية، وكشوقاً بحكام صيدا والولايات المجاورة، وبعض ذوي المناصب الرئيسية فيها، بالإضافة الى لوائح بالشخصيات غير الرسمية من رجال دين، مسلمين وغير مسلمين، ورؤساء بلدية وغيرهم.

كما ضمّ الكتاب رسوماً وخرائط لصيدا، تبين مراحل تطورها خلال تلك الفترة، بالإضافة الى صور عن الوثائق المختلفة في الملاحق، تقدم مزيداً من الايضاح للمعلومات الواردة ضمن فصول الكتاب. وهذه الدراسة في الاساس اطروحة نلت بها درجة الدكتوراه (PH. D.) في التاريخ.

وختاماً اتقدم بخالص الشكر والتقدير للاستاذ المشرف الدكتور نقولا زيادة لما حباني به، خلال تلك السنوات السبع، من النصح الخالص، والارشادات العلمية السديدة، وكذلك الاب الدكتور جان موريس فييه الذي قدم لي ملاحظات قيمة وعونا صادقا، والرحوم الدكتور انطوان عبد النور والدكتور أسامة عانوتي اللذين تحسّبا عناء مطالعة هذه الدراسة.

كما اتوجه بالشكر والعرفان بالجميل لكل من أسدى إليّ يد العون، واهص بالذكر المسؤولين في المحكمة الشرعية والاقواف والدائرة العقارية، والبلدية في صيدا ممثلة برئيسها المهندس أحمد الكلش وبمجلسها الموقر، وكذلك المشرفين على مكاتب الجامعة الاميركية وجامعة بيروت العربية والمكتبة الظاهرية ومكتبة طوب كابي، ومكتب السجلات العامة PUBLIC record office في لندن، والمؤسسة الاسلامية للثقافة والتعليم العالي في صيدا، والآباء المحترمين في دير الخالص ومطرانية الروم الكاثوليك، والسيد رفيق الناشف لانجازة خطوط

الخرائط، والسيد شريف الانصاري لتعهد مؤسسته طباعتها، واولئك الذين
أجريت معهم مقابلات شخصية، وكل من كان له سهم في انجاز هذه الدراسة،
من فاتي ذكره.

طلال مجذوب- صيدا

ان صيدا الحاضرة هي وريثة صيدون الفينيقية، وهي واقعة على ساحل البحر المتوسط على خط عرض ٣٤ - ٣٣ شمالاً، وخط طول ٢٢ - ٣٥ شرقاً على مسافة ٤٥ كيلو متراً الى الجنوب الغربي من بيروت، و ٤٠ كيلو متراً الى الشمال من صور.

وهي واقعة وسط سهل ساحلي خصب التربة، غزير المياه، يتراوح عرضه بين كيلو مترين الى ثلاثة كيلومترات، ويمتد ما بين البحر وسفوح جبال لبنان الغربية. وهو غني بأشجار الفاكهة، خصوصاً البرتقال والليمون والاكيدنيا والموز، كما عرف في العصور الوسطى بزراعة قصب السكر والتخيل ايضاً^(١).

تطل على صيدا خمس تلال تشكل قرى مأهولة بسكانها، وهي البرامية في الشمال، والهلالية ومار الياس والميّة وميّة في الشرق، ومغدوشة في الجنوب الشرقي.

ويحد سهل صيدا من الشمال نهر الأوّلي الذي يصب في البحر عند رأس رملي^(٢)، كما يحده من الجنوب نهر سينيق، وهو نهر قليل المياه، قصير المجرى ينبع من التلال شرقيها، وبينما يسقي نهراً الزهراني وسينيق ونبع البراك الجزء

(١) عبد العزيز سالم: دراسة في تاريخ مدينة صيدا في العصر الاسلامي، بيروت، ١٩٧١، ص ١٠،

(٢) ينبع من الباروك، وفي الطريق تصب فيه مياه نبع جزين، وطوله ٥٣ كيلومتراً، وكان قديماً يعرف بنهر بوستريوس BOSTRINUS، كما عرف في العصور الوسطى بنهر الفراديس، اما لانه يسقي جنائن صيدا، او لأنه يخترق وادي الفراديس فوق دير القمر. كما ذكر الرحالة النابلسي انه يدعى «النهر البارد» وكان اسمه قبلاً النهر الاول (الاولي) راجع عبد الغني النابلسي: التحفة النابلسية في الرحلة الطرابلسية، تحقيق هريوت بوسه، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٧١، ص ٢٤.

الجنوبي من سهل صيدا، فان الجزء الشمالي منه. يرويه نهر الاولى بالاضافة الى نبع « السبع أعين » الذي ظل غزير المياه حتى مطلع هذا القرن.^(١)

كما يجترق صيدا جدولان صغيران ينبعان من تلة مار الياس شرقها، وبينما تشح مياهها صيفاً، او تكاد، تغزر شتاء، الشمالي منها يدعى « القملة »، والجنوبي « البرغوت »، ويسهان في ارواء سهلها^(٢).

وتشكل صيدا مثلثا كبيرا، رأسه اللسان البحري، وقاعدته سفوح التلال شرقها، وضلعاه نهر الاولى وسينيق، وعلى مسافة قصيرة من الساحل تقوم جزيرة صخرية تدعى « الزيرة »^(٣)، وفيها منارة لهداية السفن.

لا يتطابق موقع صيدا الحالي، مع موقع صيدون الفينيقية تماما، اذ ان هذه كانت تمتد نحو الشرق اكثر^(٤)، بينما انحصرت صيدا، خلال الفترة التي

(١) وصف النابلسي نبع « السبع اعين » اثناء زيارته له، حوالي سنة ١٧٠٠، انه يقع في مكان كثيف الشجر، غزير المياه، مطلق على البحر، قال فيه شعرا:

على السبعة الأعين نزلنا بروض جني
على البحر في مجلس بسبه قرة الأعين

راجع النابلسي، المصدر السابق، ص ٢٣.

كما اخبرني احد افراد عائلة السبع اعين، نفلاً عن جده، ان مياهه ظلت غزيرة حتى مطلع هذا القرن.

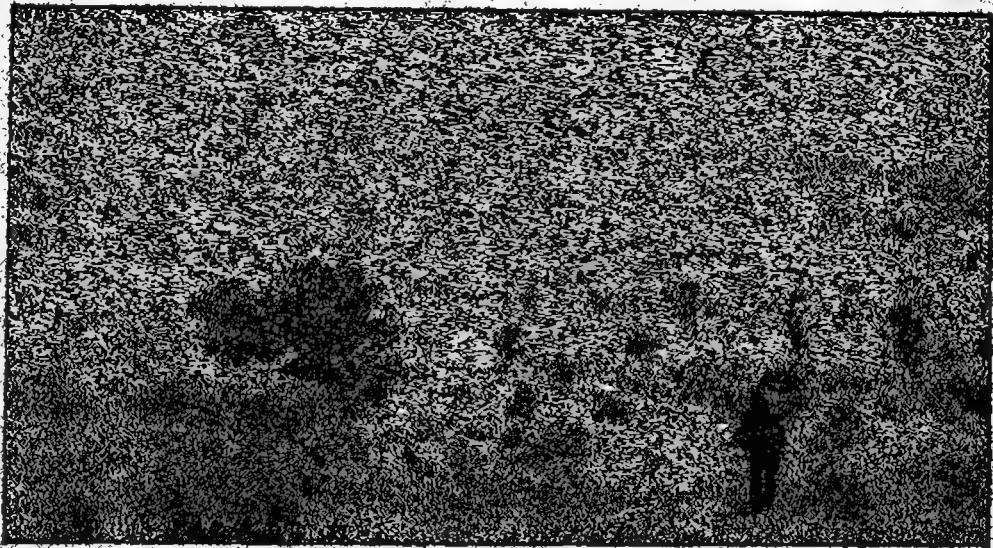
(٢) يتداول الصيداويون، رواية تنسب اسم القملة الى الفرنسية Comme Lait يعني مثل حليب، والبرغوت الى لفظة « par goutte » بمعنى بالنقطه، ويرجعونها الى سنة ١٨٦٠ عند مرور القوات الفرنسية بصيدا عند نزولها في هذه البلاد اثر احداث تلك السنة، ولا اؤكد هذه الرواية، لكنني اشير الى انني لم اعثر على تسمية لهذين المجرئين قبل سنة ١٨٦٠، بل كانت ترد الاشارة الى احدهما احيانا بأنه « مجرى الماء الشتوي » لتحديد مواقع بعض المقارنات، وقد يكون جريان ماء القملة، حالياً، في أرض كلسية، وركود مياه البرغوت، في فصل الصيف، في حفرة هنا واخرى هناك قرب مصبه، مما يؤكد صحة التسمية المطاة لها. هذا وكان اسم البرغوت قديما اردوبيا « ARDUPIA ».

(٣) تحريف لكلمة الجزيرة.

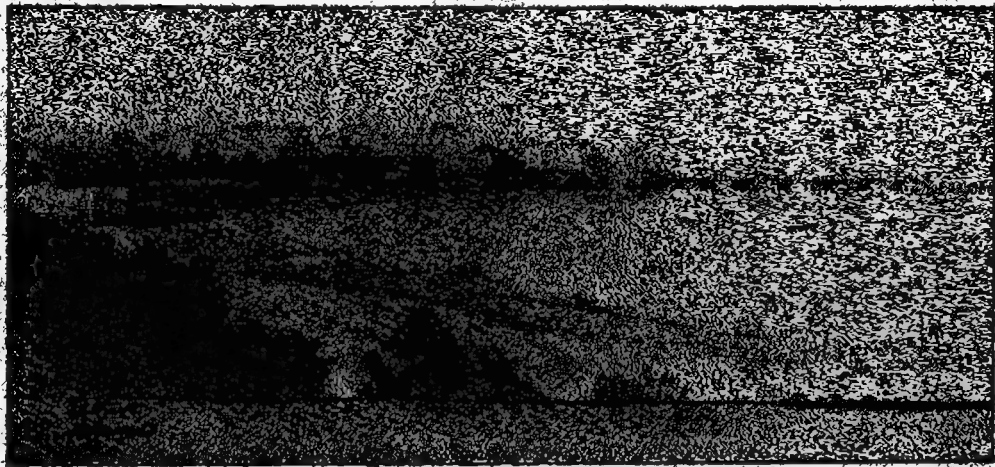
(٤) معظم الآثار الفينيقية التي تم اكتشافها في منطقة صيدا، وجدت في القبايع والمهالية شرقي =

تحتها ، ضمن السور حتى أواسط القرن التاسع عشر ، ثم أخذت بالانتشار نحو الشمال والشرق عبر البساتين التي تغطي سهلها (١).

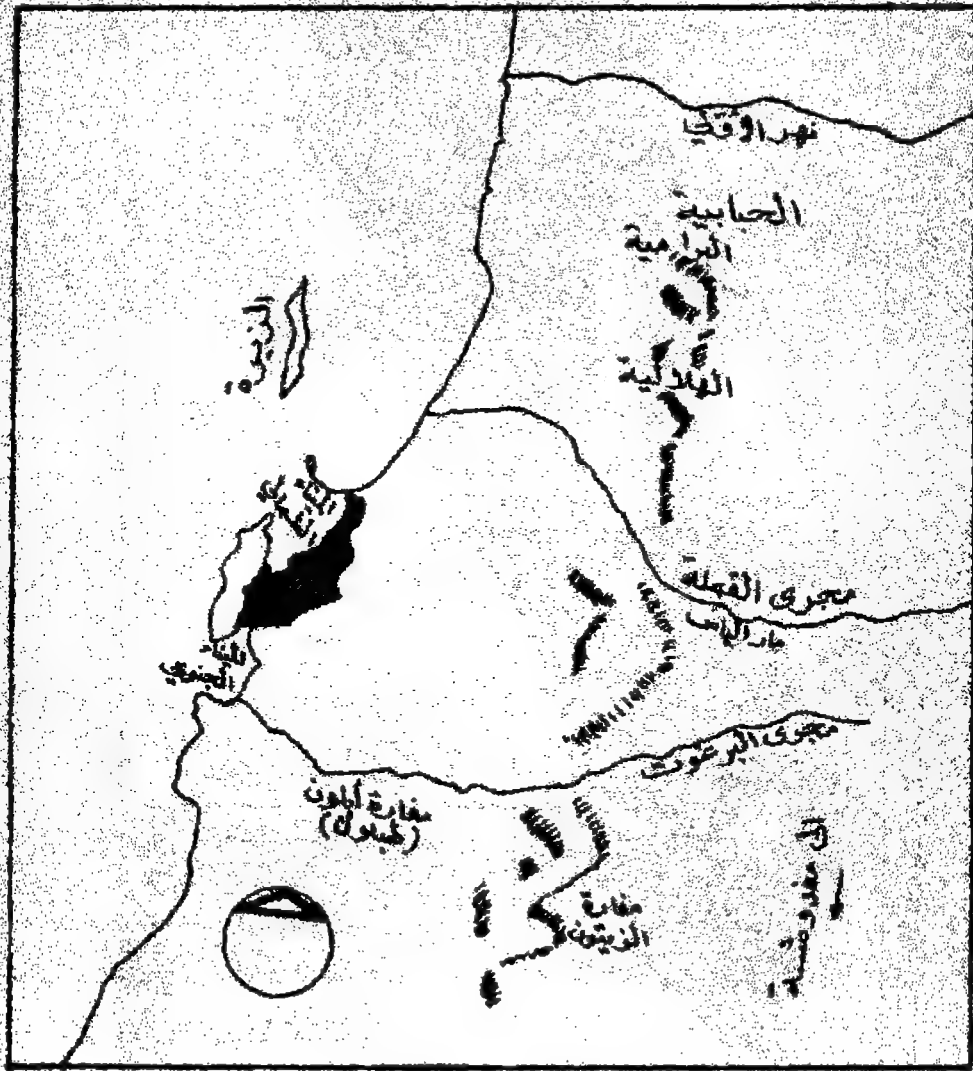
صيدا ، مما يؤكد امتداد المدينة الفينيقية نحو الشرق ، وقد كانت تتألف آنذاك من قسم داخلي «صيدون نادر» وآخر ساحلي «صيدون تم». (١) اتسعت صيدا المحاذرة بحيث امتد عمرانها إلى التلال المجاورة ، وأثقل بها مشكلًا صيدا الكبرى.



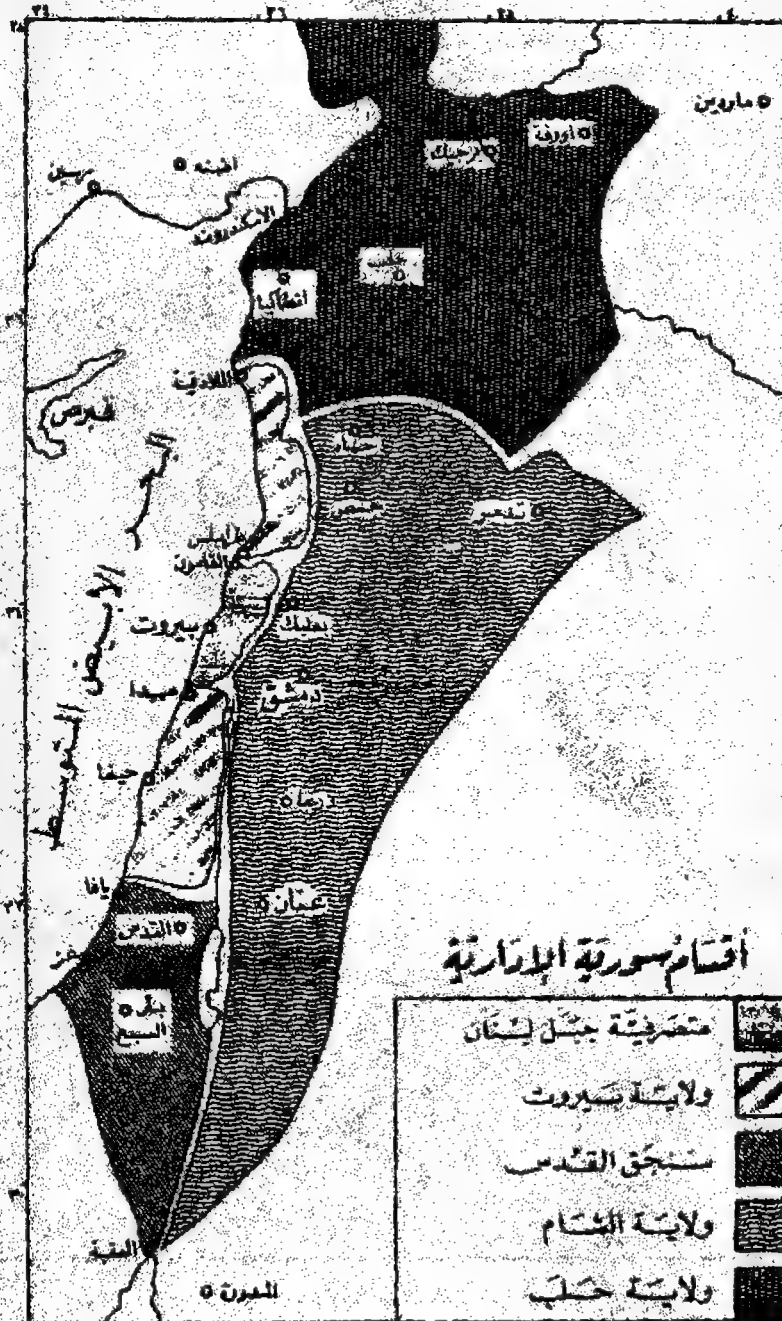
منظر صيدا من القلعة البرية، القرن العشرين
(مجموعة جان سامي)



شاطئ صيدا وقلعتها البحرية سنة ١٩٠٢
(مجموعة الدكتور عبدالسلام محذوب)



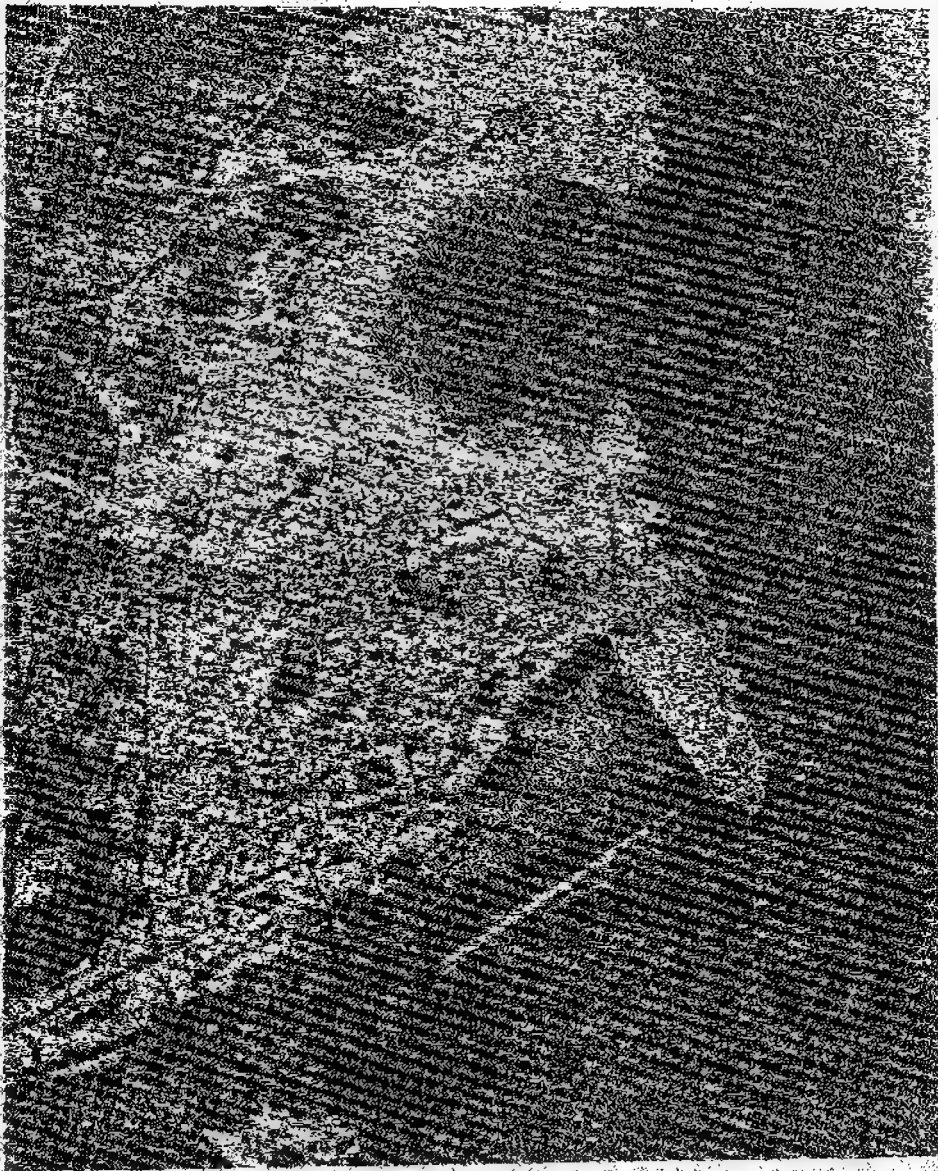
خريطة موقع مدينة سيدا ونواحيها - خريطة رقم (١)



خريطة رقم (٢)

الفترة التاريخية	لواء البلقاء	لواء بيروت (بدره حبل)	لواء دمشق (لواء كشم)	لواء حماة	لواء اللاذقية	لواء القنس
١٨٤٠						
١٨٦٤						
١٨٦٦						
١٨٧٢						
١٨٨٨						
١٩١٤ (دعوى سايه قلم حركي)						

خريطة بيانية بالتقسيمات الادارية لصيدا في الفترة
من ١٨٤٠ - ١٩١٤ بالاستناد الى معلومات حوليات الدولة العثمانية
وولايتي سوريا وبيروت خريطة رقم (٣)



صورة جوية لصيدا في ١٩٣٦/٩/٧ تبين موقع المدينة القديمة وميناءها وجزءا من صيدا الحديثة.

الادارة والقضاء

أولاً - الإدارة:

أ - صيدا والتقنيات الادارية:

لعل من المستحسن الحديث بإيجاز عن تطور التقنيات الادارية في الدولة العثمانية، قبل سنة ١٨٤٠، لارتباط الوضع الاداري بها، في الفترة التي نببحثها، ولتكون الصورة اوضح في ذهن القارىء.

فعند فتح العثمانيين لبلاد الشام، في عهد السلطان سليم الاول (١٥١٢ - ١٥٢٠) أبقوها مقسمة الى ست نيابات كما كانت في عهد المماليك^(١). وفي القرن السادس عشر جعلت ثلاث ولايات^(٢) وفي عهد السلطان مراد الثالث (١٥٧٤ - ١٥٩٥) دُعيت الولايات بالولايات او الباشويات، وهذه بدورها قسمت الى سناجق^(٣).

كان يحكم الايالة وال برتبة وزير او باشا، حائز على ذيلين او ثلاثة^(٤)،

(١) هي نيابات الشام، حلب، طرابلس، حماه، صدد، الكرك.. وسييت كذلك لأن حاكمها كان نائباً عن السلطان، بينما دعي حاكم الوحدة الادارية الاصغر الكاشف.

(٢) هي ولايات دمشق وحلب وطرابلس.

(٣) نقولاً زيادة: ابعاد التاريخ اللبناي الحديث، القاهرة، ١٩٧٢، ص ٣١. ومفرد سناجق «سناجق» بالتركية بمعنى العَلَم، لان صاحب هذا المنصب كان يركز علماً في محل اقامته بصفته ممثلاً للسلطان، ثم صارت اللفظة تعني المنطقة التي يحكمها.

(٤) تدعى بالتركية «توغ» وتعني خصلات شعر الحصان، حيث كان يقص جزء من ذيله ليثبت على رأس الرمح الذي يحمل الراية، علامة الانعام على صاحبها بالقيادة او بالرياسة. فيفرز الرمح امام خيمته وبه الأذنان التي تحدد رتبته، ويمود هذا التقليد الى الأتراك القدامى، في سهول آسيا الوسطى، عندما كان مصير الرجل مرتبطاً بصهوة حصانه، ولا أَرَجَح بأنها فارسية =

بينما عهد بشؤون السنجق الى حاكم حل رتبة باشا او بك، وحاز على ذيل او اثنين، ودعي «بك السنجق»^(١)، ومنذ القرن السابع عشر عرف «بالتصرف»، وعندما قسمت المتصرفيات الى وحدات ادارية اصغر دعيّت بالاقضية.^(٢) كما قسمت الاقضية فيما بعد، الى وحدات ادارية صغرى دعيّت بالنواحي، وبينما حكم القضاء «قائمقام»، حكم الناحية «مدير ناحية»^(٣).

بعد القضاء على الامير فخر الدين المعني الثاني لاح للباب العالي أن يمنح منطقة صيدا أهمية ادارية اكبر، لمراقبة العصابات الاقطاعية المسلحة في جبل لبنان وجنوبه «للحد»، كما يبدو، من ازدياد نفوذ ولاية دمشق، فأنشأ ايالة صيدا سنة ١٦٦٠ وذلك بضم اجزاء من ايلاتي دمشق وطرابلس اليها، واتخذت صيدا مركزا لها، وظلت كذلك حتى حوّل احمد باشا الجزار المركز الى عكا حوالي سنة ١٧٧٧ او بعدها^(٤). وقد شملت ايالة صيدا سناجق صيدا وببيروت وعكا، وامتدت من نهر الكلب شمالا الى جبل الكرمل جنوبا، وشملت في الداخل جبل عامل وبلاد صفد والجليل ومناطق من جبل لبنان.

وكانت ايالة صيدا تتسع او تنقلص حسب قوة واليها او ضعفه، فكان آخر ولايتها قبل مجيء حملة ابراهيم باشا الى بلاد الشام، عبد الله باشا الخزندار يوقع باللقب التالي «سيد عبد الله والي صيدا وطرابلس ومتصرف لوا غزة والرملة والقدس والخليل ونابلس وجنين» اشارة الى امتداد حكمه اليها^(٥).

وعند استيلاء المصريين على بلاد الشام، الفوا التقسيمات الادارية السابقة، وجعلوها وحدة ادارية واحدة، وعينوا، في كانون الأول ١٨٣١ متسلمين على المدن الساحلية كصيدا وصور وعكا وببيروت، بينما ظل الامير بشير الشهابي

= الاصل، كما اشار بعض المصادر، لأن «توك» بالفارسية، تعني خصلات الشعر على جبهة الحصان، و«توغ» في التركية الحديثة تعني يبرق الاشارة.

(١) ساطع المصري: البلاد العربية والدولة العثمانية، ط ٣، بيروت، ١٩٦٥، ص ٣٠.

(٢) اطلق على المنطقة الادارية التي خضعت لأحكام القاضي اصطلاح القضاء.

(٣) ساطع المصري: المرجع السابق، ص ٢٤٠.

(٤) نقولا زيادة: المرجع السابق، ص ٣١.

(٥) سليمان ابو عز الدين: ابراهيم باشا في سورية، بيروت، ١٩٢٩، ص ١٣١.

الثاني متمتعاً بسلطته في جبل لبنان، وقد تعاقب على صيدا، في فترة الحكم المصري، المتسلمون رضوان بك طوقان، فالحاج احمد آغا، فمحمد عارف آغا، ثم عارف افندي.

ويسبب استمرار الاضطرابات والحاجة الى ضبط الامور، عيّن المصريون في تشرين الثاني سنة ١٨٣٢ محمد شريف باشا حاكماً على بلاد الشام كلها باسم « حاكم دار ايات بر الشام »^(١)، كما اعادوا تشكيل ايالة صيدا، بعد ان فصلت عنها عكا، وعيّن عليها سليمان باشا الفرنساوي حاكماً، وقد اتخذ من الدار التي كانت ملكاً للامير فخر الدين، في صيدا، مقراً له، بعد ان استأجرها من ناظر الوقف عليها^(٢). كما ظل على كل مدينة « متسلم » يعاونه « مباشر » هو، في واقع الأمر، نوع من مدير المال^(٣)، وتبدولنا اهمية دمشق من قيمة راتب حاكمها الذي بلغ مئة ألف قرش سنوياً، بينما تساوى حاكماً صيدا ويبروت في ان راتب كل منهما كان ثلاثين ألف قرش سنوياً ايضاً^(٤). وظل الوضع الاداري السابق على حاله حتى خروج المصريين من البلاد.

وبعد عودة العثمانيين الى بلاد الشام من جديد، اعيدت التشكيلات الادارية السابقة التي كانت سائدة قبل قدوم المصريين، وجرى تغيير اداري بسيط، تمثل في نقل مركز ايالة صيدا الى يبروت سنة ١٨٤٢ في عهد واليها « سليم باشا »^(٥) وذلك بسبب ازدياد الاهمية التجارية والاجتماعية لمدينة

(١) اسد رستم: الاصول العربية لتاريخ سوريا في عهد محمد علي باشا مجلد ٣ + ٤، الجامعة الاميركية في بيروت، ص ٢٣٦. وقد ذكر سليمان ابو عز الدين، في المرجع السابق، الصفحة نفسها، ان لقبه كان « حاكم دار عربستان ».

(٢) استأجرها من الشيخ محمد طنطش الناظر على وقف كوجك باشا في صيدا، وكانت ملاصقة للجامع العمري الكبير، بايجار قدره اربعون قرشاً أسدياً في السنة، وتم العقد في غرة دي القعدة سنة ١٢٥٢هـ. (١٨٣٦) راجع: اسد رستم، المرجع السابق ص ٥٠ - ٥٣.

(٣) نقولاً زيادة، المرجع السابق، ص ٧٤.

(٤) Public Record Office (وسأشير اليه فيما بعد بعبارة مكتب السجلات العامة) ف. و ٣٨٠/٧٨.

تقرير John Bowring عن سوريا تموز ١٨٣٩، ص ٣٩.

(٥) كمال الصليبي: تاريخ لبنان الحديث، ط٣ بيروت، ١٩٧٢، ص ٢٥٤.

بيروت^(١)، وتضاؤل شأن صيدا.

وظل نفوذ ولاية ايالة صيدا، في هذه الفترة، قويا، فمثلا في سنة ١٨٤٣ كان اسعد باشا، والي صيدا، يشرف على شؤون منطقة جبل لبنان، ويرجع الى رأيه ومشورته قائمقام النصارى الامير حيدر ابي اللع، وقائمقام الدرور احمد ارسلان في كافة الامور الهامة التي تخص مناطقهم^(٢). وفي سنة ١٨٤٧ ازدادت اهمية ايالة صيدا واتسعت بعد ان دجبت بها ايالة طرابلس بعد الغائها^(٣). وبذلك صارت بلاد الشام، في بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر، تتألف من اياتي دمشق وصيدا^(٤)، ويبدو ان ايالة صيدا كانت اكثر اهمية، اذ أنها في سنة ١٨٦١ مثلا كانت تتألف من مئة قضاء، بينما لم تتجاوز اقصية ايالة دمشق تسعة وعشرين قضاء^(٥)، وكانت قد اضيفت الى ايالة صيدا في آذار من هذه السنة، مقاطعة بلاد بشاره وتبنين، وحومين وسهل معركة، وقانا، ومرجعيون وبلاد الشقيف وجباع واقليم الشومر، وصور^(٦).

وبعد صدور قانون الولايات في ٨ تشرين ثاني سنة ١٨٦٤، جرت تعديلات ادارية في الولايات العثمانية المختلفة، فألغيت ايالة صيدا، وبرزت ولاية شامية كبيرة هي ولاية سوريا التي تألفت من ثمانية سناجق كان سنجق بيروت احدها^(٧)، وقد تشكل من اربعة اقصية هي قضاء بيروت - قضاء صيدا -

(١) امد رسم: لبنان في عهد المتصرفية، بيروت، ١٩٧٣، ص ٨٩.

(٢) كمال الصليبي، المرجع السابق، ص ٩٧.

(٣) فلاديمير لوتسكي: تاريخ الاقطار العربية الحديث - ترجمه عن الروسية عفيفه البستاني - موسكو - ١٩٧٥ - ص ١٥٢.

(٤) محمد كرد علي - خطط الشام - ج ٥ - دمشق - ١٩٢٦ - ص ٨٧ + ٨٨.

(٥) سائنامه (حوليه) ولاية سوريا لسنة ١٢٧٨ هـ (١٨٦١).

(٦) Dispatches of The United States Consuls In Beirut from 1836 - 1906 (وساثير اليها فيها بعد تحت اسم القنصلية الاميركية) ت/٣٦٧ - ج ٤ تقرير سري عن تجارة صيدا واوضاعها ملحق برسالة القنصل الاميركي العام في بيروت لحكومته، رقم ٤، بيروت في ٣١ كانون اول ١٨٦٣.

(٧) والسناجق الباقية هي سنجق الشام - سنجق طرابلس - سنجق اللاذقية - سنجق عكا - سنجق حاه - سنجق البلقاء - سنجق حوران.

قضاء صور - قضاء مرجعيون، وفي السنة ١٨٦٨ كان قضاء صيدا يتألف من ٤٨ قرية^(١).

لم تكن التقسيمات الادارية منسجمة مع التضاريس الجغرافية، فكان تداخلها سببا في حدوث المشاكل والمنازعات، سواء بين السكان، او بين سلطات متصرفية جبل لبنان من جهة، وسلطات ولاية سوريا ثم ولاية بيروت بعد انشائها، من جهة اخرى.

قرية عبرا - المجاورة لصيدا - كان ربعا يتبع سلطات صيدا، وثلاثة ارباعها تتبع متصرفية جبل لبنان، وعلى هذه النسبة كانت تؤدي الضرائب المختلفة^(٢)، كما كان لسلطات صيدا اراضي اميرية في اقليم التفاح المجاور رغم انه يتبع، رسميا، متصرفية جبل لبنان، وكذلك الحال في قرية برقي التي كان فيها بيت واحد يتبع صيدا، بينما بقية بيوتها تخضع لادارة حكومة جبل لبنان^(٣)، وقرية مغدوشة المجاورة لصيدا، كان المكلفون من أهلها يؤدون نصف ما عليهم لحكومة جبل لبنان، ونصفه الآخر لسلطات قضاء صيدا، لأن اراضي مغدوشة كانت مقسمة بين الطرفين^(٤).

يبدو ان الصيداويين، لم يرتاحوا للتشكيلات الادارية الجديدة، التي جعلت مدينتهم تصبح مركز قضاء يتبع متصرفية بيروت، التي تتبع بدورها ولاية سوريا، لذلك تقدموا بعريضة الى السلطات، يطلبون فيها الانضمام الى متصرفية جبل لبنان، حتى يستفيدوا من الامتيازات الضريبية وغيرها التي اخذ يتمتع بها سكان الجبل، وكان وراء العريضة ثلاثة من شخصيات المدينة من عائلات الأسير والزين والبرزري، كما قدم عرائض مماثلة اهالي حاصبيا

(١) ظهرت امانة صيدا من جديد سنة ١٨٦٦ ولكنها الغيت في السنة التالية.

(٢) ارشيف دير الخالص.

(٣) الخوري قسطنطين الباشا الخلصي: جريدة توزيع مال خراج لبنان الاميري في عهد الامير بشير الشهابي، المشرق، مجلد ٣٣، عدد ٣ تموز - ايلول ١٩٣٣، ص ٣٣٢.

(٤) جرجي تامر: الهدية الوطنية في نظامات لبنان والآثار الدستورية، مطبعة متصرفية جبل لبنان، ١٣٢٥ هـ. (١٩٠٩)، ص ٣٠٩.

وراشيا،^(١) ولم تستجب السلطات لتلك العرائض، وبذلك بقيت صيدا ضمن ولاية سوريا.

ظلت صيدا، خلال هذه الفترة، قضاءً من الصنف الاول يتبع متصرفية بيروت ويضم قصبة صيدا نفسها، وثلاث نواح هي جباع والشومر والشقيف التي صارت تضم مئة وثمانية وعشرين قرية^(٢).

في سنة ١٨٧٨ قدمت معظم مدن الساحل عرائض الى السلطات تطلب، مرة ثانية، ان تنفصل عن ولاية سوريا، لا بسببه التحاقها بها من صعوبات اقتصادية، لبعد مركز الولاية (دمشق) عن الساحل، وقد اتهمت السلطات رائف افندي بتصرف بيروت بأنه كان وراء تلك العرائض، لكن الواقع ان مصالح السكان أملت عليهم تلك المطالب^(٣).

في أوائل سنة ١٨٨٨ صدر فرمان السلطاني بإنشاء ولاية بيروت^(٤)، وذلك استجابة لمطالب السكان الملحة، ولازدياد أهمية بيروت وبعض مدن الساحل من الناحية الاقتصادية والعمرانية. وقد صارت بلاد الشام منقسمة بذلك الى ولايات دمشق وبيروت وحلب، ومتصرفي جبل لبنان والقدس.

وقد تألفت ولاية بيروت من خمسة ألوية^(٥)، كان لواء بيروت أكثرها تقدماً وازدحاماً بالسكان، رغم انه كان أصغرها مساحة،^(٦) وقد تألف هذا اللواء من ثلاثة اقصية، هي قضاء صيدا وقضاء صور وقضاء مرجعيون، ضمت جميعها ٢٩١ مدينة وقرية.

(١) مكتب السجلات العامة - ف. و ٨٦٦/١٩٥ رسالة سرية من القنصل البريطاني العام في بيروت Rogers الى حكومته ٢٩ كانون اول ١٨٦٧.

(٢) حولية ولاية سورية لسنة ١٣٠١ هـ. (١٨٨٣) دفعة ١٦ ص ٢١٦.

(٣) ثمرات الفنون العدد ١٤٦، في ١٤ شباط ١٨٧٨.

(٤) صدر فرمان في ١٣ ربيع الآخر سنة ١٣٠٥ هـ. (كانون الثاني ١٨٨٨)، ونشرت نص فرمان تعيين اول والي عليها جريدة ثمرات الفنون في عددها رقم ٦٨٣ الصادر في ٩ شباط ١٨٨٨.

(٥) هي ألوية: بيروت وعكا وطرابلس الشام والاذقية والبلقاء.

(٦) عبد الكريم محمود غرايبة: سوريا في القرن التاسع عشر ١٨٤٠-١٨٧٦، القاهرة، ١٩٦٢، ص

وامتد قضاء صيدا بين قضائي جزين (التابع لحكومة جبل لبنان) ومرجعيون، وقضاء صور، وضم ١٢٨ قرية^(١)، وكانت مساحته ٣٥٥ كيلومترا مربعا^(٢).

نتيجة لبعض التعديلات الادارية التي كانت تجري بين فترة واخرى، فقد حدثت تعديلات جزئية بين الأفضية، اذ ضُمَّت لقضاء صيدا بعض القرى، فصار يشمل نواحي الشقيف وجباع والشومر التي تحتوي على ١٣٧ قرية ومزرعة^(٣)، وذلك سنة ١٨٨٩، وفي تلك السنة كان به ٤١٩,٨٨٨ دونا من الاراضي المشجرة وغير المشجرة، وأقيم على ارضه ٩٨٢٦ منزلا ومحلا تجاريا^(٤).

وفي تعديل اجري سنة ١٨٩٣، اصبح قضاء صيدا يتألف من ١٤٩ قرية، تضمها نواحية الثلاث: الشقيف (٤٤ قرية) وجباع (٦٠ قرية) والشومر (٤٥ قرية)^(٥)، وظل هذا التنظيم الاداري ساريا حتى سنة ١٩٠٨، وفي السنة التالية (١٩٠٩)، ألغيت ناحيتا جباع والشومر وارتبطت قراهما المئة والخمس بصيدا مباشرة، بينما بقيت الشقيف تؤلف ناحية تتبع صيدا^(٦). وحتى قيام الحرب العالمية الاولى كان هذا التقسيم الاداري لا يزال ساريا.

ولما كانت صيدا جزءا من الدولة العثمانية، آنذاك، فقد اصابها ما اصاب غيرها من بلاد الشام، من مساوئ الادارة العثمانية، كما انه عندما قامت حركة

(١) فضل الله فارس ابو حلقة: مختصر في الجغرافية، بيروت ١٨٩٠، ص ١٢٨.

(٢) كانت مساحة لواء بيروت ٤٥٣٠ كيلومترا مربعا، اما مساحة الولاية كلها فكانت ٣٠٥٠٠ كيلومترا مربعا، وقد ورد هذا التحديد في كتاب ولاية بيروت لرفيق التميمي ومحمد بهجت، ط ٢، ج ٢، بيروت، ١٩٧٩، ص ٧، وفي تقديري انه الرقم الاكثر صحة، لأن تقديرات المصادر الاخرى تراوحت بين ٤٥٠٠ الى ٨٤٣٠ كيلومترا مربعا. راجع دليل بيروت لعبد الباسط الأنسي المطبوع سنة ١٩١٠ في جزئه الاول صفحة ١٨١ و ١٨٢.

(٣) حولية الدولة العلية العثمانية لسنة ١٣٠٧ (١٨٨٩).

(٤) حولية ولاية بيروت لسنتي ١٣١١ - ١٣١٢ هـ. (١٨٩٣ - ١٨٩٤) ص ٣٩٣.

(٥) حولية الدولة العثمانية لسنة ١٣١١ هـ. (١٨٩٣).

(٦) حولية الدولة العثمانية لسنة ١٣٢٧ هـ. (١٩٠٩).

الاصلاح، التي عرفت بالتنظيمات الخيرية، كان من الطبيعي ان يكون لصيدا منها نصيب. اذ بعد صدور مراسيم الاصلاح المختلفة،^(١) صدر في عهد السلطان عبد الحميد اول دستور في الدولة العثمانية في ٢٢ كانون اول سنة ١٨٧٦، كما صدر قانون للانتخابات، تم بموجبه اجراء اول انتخابات نيابية في تاريخ الدولة العثمانية، وافتتح المجلس النيابي الذي عرف «بمجلس المبعوثان» في اسطنبول في ١٩ آذار ١٨٧٧، وقد تمثلت صيدا في هذا المجلس ضمن مبعوثي

(١) يبدو ان أول محاولات الاصلاح جرت في عهد السلطان سليم الثالث (١٧٨٩-١٨٠٧) لكنها أدت الى خلع، ثم جاء السلطان محمود الثاني (١٨٠٨-١٨٣٩) فمنع سنة ١٨١٢ تجديد الاقطاعات المنحلة، وادخلها تحت سلطة الاوقاف التي كان قد استحدثها، كما قضى على الانكشارية سنة ١٨٢٦ واقام مكانهم جيشا حديثا، ومنع اعطاء الولايات بالالتزام مدى الحياة، وحرم على الولاة ان يكونوا انفسهم ملتزمين.

وبعد عودة العثمانيين الى بلاد الشام سنة ١٨٣٩ اشتدت وتيرة الاصلاح، ولعل ذلك بتأثير المصريين، الذين اقاموا اثناء وجودهم في بلاد الشام، حكما منظما، ترك للناس فيه المشاركة في ادارة امورهم المحلية بانفسهم، فقد اقاموا في كل مدينة في سوريا يتجاوز سكانها المئتين ألفا «ديوان شورة»، كان عدد اعضائه يتراوح بين ١٢-٣٠ حسب السكان، فكان ديوان بيروت مثلا يضم اثني عشر عضوا، ستة منهم مسلمون، وستة آخرون من غير المسلمين.

والاصلاحات العثمانية اعتمدت، بشكل واسع، على اقتباس النظم الاوروبية او استلهامها. ويعتبر خط كلخانة (سُمي كذلك لانه أعلن من قصر كلخانة في اسطنبول، ومعنى كلخانة منزل الورد) الصادر سنة ١٨٣٩، مبدأ حركة التنظيمات وحجر الاساس فيها، حتى ان بعض المؤرخين لقبه بالماغنا كارتا التركية. وقد تضمن تأمين الرعايا على ارواحهم واموالهم، ووعد باصلاح الادارة وبالفاء اصول الالتزام، والقضاء على الرشوة، وفرض جباية الضرائب بواسطة محصلين وليس بالالتزام.

وكان المرسوم الاصلاحى الثاني «خط تنظيمات خيرية» الذي صدر في ١٨ شباط ١٨٥٦، وقد تضمن المساواة بين الطوائف ومنحها حريات دينية واسعة، ولضمان حسن تنفيذه جرى ادخاله في صلب معاهدة باريس. وفي عهد السلطان عبد العزيز صدر «خط التنظيمات الجديدة» في ١٤ كانون الاول ١٨٧٤، وقد ركز على تحديد السلطات التنفيذية والقضائية والفصل بينها. ويبدو ان زيارته الى لندن وفيينا وباريس بدعوة من الامبراطور نابليون الثالث وملك بروسيا، قوّت نزعة الاصلاح لدى هذا السلطان، راجع: أسد رستم: لبنان في عهد

المتصرفية، ص ٨٨ وكذلك STANLEY LANE - POOLE,

TURKEY, Second Edition, Beirut, 1966, P. 352

BERNARD LEWIS: The Emergence of Modern Turkey, oxford university Press,

1961 P. 119

لواء بيروت، حسين بيهم ونقولا النقاش، لكن الفترة الدستورية لم تستمر طويلا، حيث امر السلطان عبد الحميد في ١٤ شباط ١٨٧٨، بتعليق الدستور وحل البرلمان، وطلب من نواب الولايات العودة الى مناطقهم.

لكن ردّة الفعل الشعبي كانت قوية، فقامت حركات وجمعيات سرية بهدف قيام حكم دستوري، تتحقق فيه الحرية والمساواة لكل الطوائف^(١) واخذت المناشير الثورية تظهر على جدران شوارع بعض مدن بلاد الشام كصيدا وبيروت وطرابلس ودمشق وغيرها^(٢).

وقد دعت تلك المناشير لأول مرة الى «وطن سوري»، ونادت «ابناء سوريا» وذكّرتهم «بالنخوة العربية»، لكن ازدياد وطأة الاستبداد الحميدي، جعل الكثيرين من اولئك المعارضين، يتوقفون عن اصدار منشورهم، ويمزقون سجلات اجتماعاتهم السرية، كما اضطر بعضهم الى مغادرة البلاد الى مصر^(٣)، وبشكل عام ظلت جدران شوارع بيروت وصيدا ودمشق وغيرها، تشهد، بين فترة واخرى، مناشير ضد السلطة حتى قيام الدستور سنة ١٩٠٨^(٤).

وبعد قيام ثورة شعبية في اسطنبول أُعيد العمل بالدستور في ٢٤ تموز ١٩٠٨^(٥)، وجرّت انتخابات جديدة لمجلس المبعوثان الجديد، وقد افتتح

(١) اشتركت معظم عناصر السكان في الدولة العثمانية في مناهضة النظام الاستبدادي، فكان لدى الأتراك جمعيات: رابطة الاتفاق الوطني «اتفاق حبيّت» سنة ١٨٦٥، وجمعية تركيا الفتاة «بني عثمانلر» سنة ١٨٦٧. راجع شفيق جحا «حركة الاصلاح في الامبراطورية العثمانية ١٨٥٦ - ١٨٧٦» مجلة الأبحاث، جلد ١٨، ص ٢٤، حزيران ١٩٦٥، ص ١٢٣.

ولدى عرب الشام «الجمعية السورية» في بيروت ١٨٧٥، و «الجمعية القحطانية» سنة ١٩٠٩، و «جمعية العربية الفتاة» سنة ١٩١١ وغيرها. وقد نوّلت هذه الجمعية الأخيرة مع جمعية «العهد» التي تشكلت قبيل الحرب العالمية الاولى. عيّد الدفاع عن حقوق العرب ضد تسلط الاتحاديين الاتراك.

(٢) مكتب السجلات العامة ف. و ١٣٦٨/١٩٥٠ رسالة رقم ١ من الفصل البريطاني العام في بيروت John Dickson للسفير في اسطنبول R. St. John في ٣ كانون الثاني ١٨٨١.

(٣) جورج انطونيوس: نقطة العرب، ط ٥، بيروت، ١٩٧٨، ص ١٥١.

(٤) زين نور الدين زين: نشوء القومية العربية، ط ٣، بيروت، ١٩٦٨، ص ١٦٣.

(٥) اعتبر هذا اليوم عيداً وطنياً قياً بعد، وجرى الاحتفال به كل سنة، وعلى ميلال المثال فان بلدية صيدا انفتحت على الاحتفال به سنة ١٣٣٠ مالية مبلغ ٨٥ قرشاً وخمس بارات، بلدية =

المجلس في ١٧ كانون اول ١٩٠٨، وفي المرحلة الاولى من الانتخابات فاز شبيب الاسعد (٣٥ صوتاً) ورضا الصلح (٣١ صوتاً) وكامل الاسعد (٣١ صوتاً) وجان التويني (٢٣ صوتاً) وسليمان البستاني (٥ اصوات)، عن اقضية صيدا وصور ومرجعيون، وبضم اصوات مندوبي بيروت وعددها ٣٥ صوتاً (٢٣ منها للمسلمين و١٢ للمسيحيين)، كانت النتيجة فوز رضا الصلح (٤٠ صوتاً) وسليمان البستاني (٣٩ صوتاً)، بتمثيل لواء بيروت في المجلس النيابي الجديد.^(١)

لكن ثورة رجعية قامت في اسطنبول في ٣١ آذار ١٩٠٩، بدعوى إلغاء الدستور والعمل بالشريعة الحمديّة، مما ادى الى قيام الجيش بالتحرك من سالونيك للاستيلاء على السلطة في اسطنبول،^(٢) وخلع السلطان عبد الحميد عن العرش، وتنصيب اخيه السلطان محمد رشاد الخامس بدلاً منه.

وبعد قيام حكومة من حزب الائتلاف، عمدت الى وضع مشاريع لاصلاحيات جذرية سريعة، ودعت كافة المناطق الى تشكيل جمعيات تحدد الاصلاحات المطلوبة وتراقب تنفيذها، وبعد لجنة بيروت الاصلاحية، تشكلت لجنة مماثلة في صيدا بمساعي القائّمات فيها. حيث تشكلت جمعية عمومية من جميع الطوائف في صيدا في مركز جمعية المقاصد الخيرية، وانتخبت المفتي رئيساً لها، والمحامي سليمان المصوبع كاتباً، والاعضاء احمد رضا، احمد عارف الزين، الدكتور الياس الزهار، كامل المغربي، نسيم الحلو، المحامي بشارة غمور، توفيق البساط، توما الكيال، حسين الجوهرى، محمد علي حشيشو، سليمان ظاهر، سليم نكري، عبدالله الحر، المحامي نخلة الغفري^(٣).

وبعد سقوط حكومة حزب الائتلاف في ٢٣ كانون الثاني سنة ١٩١٣، وقيام حكومة من حزب الاتحاد والترقي برئاسة محمود شوكت باشا، عمدت هذه الحكومة الى إلغاء الجمعيات الاصلاحية في كافة المناطق، فألغى الوالي

= صيدا. قرار رقم ١٥٩ لسنة ١٣٣٠ مالية، وجريدة البرق العدد ٤٠ في ١٢ حزيران ١٩٠٩، ص ٣٢٢.

(١) الاتحاد العثماني، العدد ٣٦ والعدد ٣٩ في ٩ و ١٠ تشرين الثاني سنة ١٩٠٨.

(٢) كانت القوات الزاحفة بقيادة محمود شوكت باشا وهو ضابط عربي الأصل.

(٣) الاتحاد العثماني، العدد ١٣١٢، في ٢٢ كانون الثاني ١٩١٣.

حازم بك جمعية بيروت في ٨ نيسان ١٩١٣، وفعل مثله القائم بمجموعة صيدا. وقد قامت المظاهرات في صيدا وبيروت وغيرها من المناطق، احتجاجا على إلغاء الجمعيات الإصلاحية فيها، وبيروي سليم سلام في مذكراته ان بيروت اقفلت اسواقها في صباح ١٢ نيسان، عدا بعض باعة الخضار والخبز، وان الوالي حازم بك استعمل مختلف وسائل التهديد والترغيب لمنع الاضراب ولكنه لم ينجح^(١).

وعندما عقد العرب مؤتمرهم الاول في باريس (١٨-٢٣ حزيران ١٩١٣) اعلان مطالبهم من السلطات العثمانية، شاركت فيه وفود من مختلف الاقطار العربية، كما بعثت اليه مدن عديدة بتأييدها، وقد أرسلت صيدا البرقية التالية «ان الشبيبة العربية التي يتجاوز عددها الخمسمائة. في هذا القضاء، بين تجار وصناع وادباء وملاكين تبدي لكم عظيم امتنانها من المشروع الذي اخذتموه على عاتقكم، ليحقق الحق ويزهق الباطل، وهي تشارككم في آرائكم واعمالكم، وتسأل الله ان يكلل مشروعكم بأكاليل الفوز، حتى تحيا هذه البلاد حياة طيبة سعيدة في ظل الهلال العثماني، وفي الختام تقبلوا فائق احتراماتنا»^(٢).

وعند عودة وفد الحركة الإصلاحية البيروتي، المؤلف من ابناء عائلات سلام وبيهم وطبارة من اسطنبول، أرسل الصيداويون اليه برقية تهنئة. وحضر وفد منهم الى بيروت للترحيب بعودته^(٣).

(١) سليم علي سلام: مذكرات مخطوطة، على مايكرو فيلم في الجامعة الاميركية في بيروت، ورقة ٢٦.

(٢) وقع البرقية:

علي الجبيلي، محمد سعيد ابو ظهر، شكري الزهار، احمد عمر الحلاق، عيد البديع الزين، محمود الزين، يوسف ابو ظهر، راشد بكار، مصطفى الجوهري، توفيق المذوب، احمد القطب، سعد الدين عيساوي، ابراهيم شكري، احمد حدي الصلح، مصطفى حسن كشتبان، عيد الفني الزين، عز الدين زنتوت، محي الدين ناعمان. راجع وجيه كوثراني في وثائق المؤتمر العربي الاول ١٩١٣، بيروت، ١٩٨٠، ص ١٦٢.

(٣) الاتحاد العثماني العدد ١٤٩٥ والاصلاح العدد ١٠٠٠، في ١٨ ايلول ١٩١٣.

ب- الجهاز الاداري:

حسب قانون تشكيل الولايات الصادر سنة ١٨٦٤، نظم الجهاز الاداري في الولايات على الشكل التالي:

١ - الوالي وهو اكبر موظف اداري في الولاية ويقع في عاصمتها، ويحيط به كبار الموظفين من المكتوبجي والدفتردار وغيرها.

وقد تحدت اختصاصاته بالاشراف على كافة شؤون ولايته، المدنية والعسكرية، وتسهيل تنفيذ احكام القضاء فيها، وهو ممثل للسلطان شخصيا وللحكومة (الباب العالي) في ولايته، ويترأس مجلس ادارة الولاية ويشرف على قراراته.

وقد اعطى قانون ادارة الولايات العمومية الصادر سنة ١٨٧١^(١) صلاحيات أوسع للوالي، ومنحه حق الاشراف على الدوائر والموظفين في ولايته، وحق عزل الموظفين او تقديمهم للمحاكمة. وكان عليه القيام بجولات تفتيشية لا تتعدى ثلاثة اشهر كل مرة، ويمكنه القيام بالجولات مرتين في السنة، فاذا اضطر للقيام بجولة استثنائية استأذن الباب العالي في ذلك.

وعندما كانت بيروت تتبع ولاية دمشق، صدرت التعليمات الى الوالي، بأن يقيم، ستة اشهر في دمشق وستة اشهر اخرى في بيروت، حتى يتمكن من انجاز اعماله جيدا وكانت تنتقل معه الدوائر الرئيسية في الولاية.^(٢) ومن تلك الزيارات، قيام الوالي في صيف ١٨٧٥ بزيارة صيدا، حيث نزلها ايضا رستم باشا متصرف لبنان، وقد زينت المدينة ابتهاجا، وبعد زيارة استغرقت ثلاثة ايام، عاد الوالي الى بيروت بالباخرة، وابقى متصرف لواء بيروت ليشرف على جمع ضريبة الاعشار^(٣).

(١) نوبل نعمة الله نوفل:

الدستور، ج ١، بيروت ١٣٠١ هـ. (١٨٨٣)، ص ٣٩٧.

(٢) مكتب السجلات العامة ف. و ٨١٦/١٩٥ رسالة رقم ٨٠ من القنصل البريطاني العام في بيروت ROGERS للسفير البريطاني في اسطنبول في ٣١ كانون الاول ١٨٦٧.

(٣) ثمرات الفنون، العدد ٨ في ٨ حزيران ١٨٧٥.

وفي زيارة تفقدية للوالي في سنة ١٩٠١ الى صيدا برآ، أشرف على طريق الشوسه (المهدة والمرصوفة) بين صيدا وبيروت التي كان جارٍ انشاؤها آنذاك، وفي صيدا زار المدارس وفحص أحوال التلاميذ بنفسه، وبعد قضيه يومين رجع الى بيروت^(١).

وكان من مهام الوالي الاشراف على تحصيل الاموال العامة، وتنظيم ميزانية الولاية، ورعاية العلم، وصيانة الطرق، وتحسين الزراعة والتجارة والثروة الحرجية، بالإضافة الى حفظ الامن واجراء العدالة في ولايته، وعند قدوم والٍ جديد، كان يجري استقباله شعبيا ورسميا، أملاً من الناس بأن تكون فترة ولايته افضل من سبقه^(٢)، ولترك لمراسل احدى صحف تلك الفترة يصف زيارة الوالي الى صيدا سنة ١٩٠٩ على ظهر الطراد العثماني «عبد الحميد»، بعد ان أقام رئيس البلدية مصباح البزري مأدبة كبيرة على شرف الوالي في منزله... ذهب وفد من الشبان الى الطراد بالطبول والزمور، وأجروا على ظهره العاب السيف والترس امام عساكره وضباطه البواسل.... وقد تيم الوالي شطر دار الحكومة، حيث زاره فيها الرؤساء الروحانيون ووكلاء قناصل الدول المتحابة، كما زار المركز العسكري ونادى جمعية الاتحاد والترقي ودائرة البلدية، وقبيل الغداء زار هو والقومندان ممتاز بك وضباط الطراد، احد المكاتب (المدارس) الخيرية الاسلامية، فانشرت صدورهم مما سمعوه وشاهدوه من فصاحة الفاظ التلامذة ونجابتهم. وقد اسمعوه بعض خطب بالعربية والتركية، وترتموا ببعض الاناشيد الحماسية الوطنية، ثم خرجوا من المكتب المذكور ملتبين دعوة الحاج محمد بك ابو ظهر.. وتلا بعض أطفال عائلة ابو ظهر خطابين بالتركية، ترحيبا بالوالي وبالقومندان وبالحاضرين، ثم خطب ممتاز بك بالتركية، فنظمي بك اليوزباشي عن لسان جمعية الاتحاد والترقي في صيدا... كما ألقى فليكس فارس خطابا ايضا... وقد لبى الوالي وضباط

(١) لسان الحال، المجلد ٣٨٥٨ في ١٥ تشرين الاول ١٩٠١.

(٢) مكتب السجلات العامة ف. و. ٩٧٦/١٩٥ رسالة برقم ٦٣ من القنصل البريطاني العام في بيروت Jackson ELDRIDGE الى السفير البريطاني في اسطنبول في ٢٣ تشرين الاول

الطراد دعوة الامير نسيب بك جنبلاط لمناولة العشاء...»^(١). وفي سنة ١٩١٣ صدر قانون تنظيم الولايات^(٢)، وقد نظم شؤون الولايات، وحدد واجبات الموظفين بشكل أدق. وقد اعتبرت المادة الاولى من القانون الوالي رئيسا لولايتيه ومرجعا لها. اما المادة الخامسة فقد بينت ان موظفي الادارة المركزية هم النائب (القاضي) والدفتردار والمكتوبجي، وقائد الدرك ومديري المعارف والنافعة والزراعة، والدفتري الخاقاني (الدائرة العقارية)، والبوليس والاقواف والصحة، وعند اللزوم يعين مدير للأمور الاجنبية.

تعاقب على ولاية صيدا منذ سنة ١٨٤٠ حتى الغائها سنة ١٨٦٥، اربعة وثلاثون واليا^(٣)، معظمهم لم يكمل سنة واحدة من حكمه^(٤)، بل انه كان يتعاقب على الولاية في بعض السنوات ثلاثة ولاه او اربعة في اقل من سنة واحدة^(٥)، وعند انشاء ولاية بيروت سنة ١٨٨٨ وحتى الحرب العالمية الاولى، حكم ما يزيد عن عشرين واليا، معظمهم لم يكمل السنتين في منصبه^(٦).

في اواخر القرن التاسع عشر كان الراتب السنوي لوالي دمشق ٢١٠٦ ليرات يضاف اليها علاوة ٥٤٦ ليرة عثمانية، كما كان والي بيروت يتقاضى الراتب نفسه مع علاوة قدرها ٢٦٣ ليرة^(٧).

(١) الاتحاد العثماني، العدد ٢١٢ في ٢ حزيران ١٩٠٩.

(٢) بيروت ولايت غزته سي، العدد ١٢١٩ في جادى الاولى سنة ١٣٣١ هـ (١٩١٢).

(٣) راجع جداول الولاة في االة صيدا وولايقي سوريا وبيروت في الملاحق في نهاية الكتاب.

(٤) عند تعيين رائف باشا واليا، ارسل عائلته بالباخرة الى بيروت ليلحق بهم في باخرة الاسبوع

التالي، فلما جاءت الباخرة في موعدها كانت تحمل واليا جديدا سوريا هو رؤوف باشا، مما

اضطر اهل رائف باشا الى العودة الى اسطنبول، حدث ذلك سنة ١٨٨٥. راجع سليمان البستاني

في عبرة وذكرى او الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده، القاهرة ١٩٠٨، ص ٨٩.

(٥) في سنة ١٨٤٥ تعين واليا على االة صيدا محمد فائق ونوري افندي ووجيه ومحمد كامل باشا.

(٦) لم يبق علي اكرم بك في منصبه كوالي لبيروت اكثر من يوم واحد، ثم عاد الى اسطنبول. راجع

سليم علي سلام: مذكرات، ورقة ٢.

(٧) مكتب السجلات العامة ف. و ٤٨٣٤/٧٨ تقرير سري ملحق برسالة رقم ١٦ من القنصل

البريطاني العام في بيروت Drummond Hay إلى MARQUESS OF SALISBURY ١٠ أيار

١٨٩٧.

وقد ساعد قيام وزارة الداخلية، منذ سنة ١٨٦٠، على تنظيم الشؤون الادارية في الولايات، وارتبط الولاة بوزير الداخلية مباشرة^(١).

٢- وفي اللواء كان المتصرف اكبر موظف اداري فيه، كما كان مسؤولاً عن ادارته في كافة الامور المدنية والعسكرية والقضائية، وتنفيذ تعليمات الوالي، كما كان كبار الموظفين في اللواء هم، النائب والمحاسب ومدير التحريات وقائد طابور الجندرمة (الدرك) ومهندس النافعة، وموظفو الزراعة والاقواف والنفوس والدائرة العقارية^(٢).

وكان معظم المتصرفين من الاتراك، كما هو الحال بالنسبة للولاة ايضا. وفي اواخر القرن التاسع عشر كان الراتب السنوي للمتصرف حسب درجته، فالدرجة الاولى كان ٨٢٢ ليرة عثمانية سنويا، والثانية ٦٥٣ ليرة والثالثة ٥٤٦ ليرة، اما متصرفا حوران والقدس فقد كان معاش الاول السنوي ٩٨٤ ليرة، والثاني ١٦٣٠ ليرة.

٣- وفي القضاء كان الموظف الاداري الاول هو القائقام. وقبل قانون الولايات لسنة ١٨٦٤ كان يدعى «مدير القضاء»، وبموجب قانون تشكيل الولايات لسنة ١٨٧١، تحددت مسؤولياته بدقة وصار من حقه تعيين مدراء النواحي في قضائه.

وطبقا لقانون الولايات الصادر سنة ١٩١٣، عرّفت المادة ٤٩ القائقام بأنه «أكبر مأمور للقوة الاجرائية في القضاء، ومسؤول عن ادارة القضاء العمومية، ووظيفته تنفيذ القوانين والنظامات في داخل القضاء، والقيام بجميع الوظائف التي تحوّلها اياها تلك القوانين واستعمال صلاحيته، ووقاية حقوق الدولة والاهالي، واجراء جميع تعليمات المتصرف والوالي».

وحسب المادة ٥١ كان مسؤولاً عن ضبط الامن في القضاء، وطبقا للمادة ٥٤ كان عليه القيام بجولات تفتيشية داخل القضاء، على الاقل مرة واحدة في السنة، بحيث يلحق الدور على كافة القرى بالترتيب، وخلال الجولة يستمع الى

(١) اسد رستم: لبنان في عهد المتصرفية، ص ٨٨.

(٢) بيروت ولايت غزته سي: العدد ١٢١٩، في ٦ جادى الاولى سنة ١٣٣١ هـ (١٩١٢).

شكاوي الاهالي ويحل قضاياهم العالقة، وينذر الموظفين المهملين، ويعمل على توطيد الأمن ومنع سرقة الحيوانات، وصيانة الطرق، ويرسل في نهاية جولته تقريراً الى المتصرف.

فالقائمقام الجديد احمد شكري، عند مجيئه الى صيدا لتسلم مهامه، ابلغ مستقبله في منزل رئيس البلدية ابراهيم آغا الجوهري، انه سيعمل على توسيع الطرقات، واحضار «بابور» الى صيدا كل اسبوع.^(١)

وكان الصيداويون يستقبلون القائمقام الجديد بمهرجان حافل، فعند مجيء القائمقام محمود بك اليوسف، ذهب بعض الصيداويين الى مقام النبي يونس (عند الجية اليوم) وواكبوه الى تقار جدره وجسر الاولي، وعند مدخل (صيدا) اصطف الجند والدرك بالسلاح لتحيته، وكذلك جوع الاهالي وتلاميذ المدارس الابتدائية الذين قابلوه بالدعاء والانشيد... واستقبل المهنيين في دار الحكومة... ثم تفقد السجن ومحل التوقيف وبدأ مباشرة مهامه...».^(٢)

في حفل استقبال القائمقام الجديد كانت تجري تلاوة فرمان تعيينه، وبعد تقبل تهاى الموظفين وكبار العسكريين في القضاء، واعضاء المجلس البلدي، ووكلاء القناصل المعتمدين في صيدا، بالاضافة الى رجال الدين من مسلمين وغير مسلمين، كان القائمقام يتصرف الى القيام بمهام عمله، وكان بعض هؤلاء القائم مقامين يعمل بهمة واخلاص فيترك اثرأ طيبا لدى السكان، ومن ذكره بالخير سكان صيدا عبد الله الادلبي الذي كان ينتصف للمظلومين،^(٣) كما انجز القائمقامون، احسان بك ورضا الصلح وشاكر بك، اثناء فترة حكمهم، اصلاحات عمرانية واسعة في صيدا، كما ان القائمقام مصطفى حكمت بك اصلح طرقات المدينة، ورمم بعض مساجدها، واصلح المدرسة الخيرية^(٤).

من جهة ثانية فان الدولة لم تقصّر بحق القائمقامين الذين كان يثبت عليهم التعدي على حقوق الناس وظلمهم، او التلاعب بالاموال العامة، او قبول

(١) ثمرات الفنون، العدد ٣٣١ في ١٦ ايار ١٨٨١.

(٢) ثمرات الفنون، العدد ٥٢٥ في ٢٥ اذار ١٨٩٥.

(٣) احمد عارف الزين: تاريخ صيدا، صيدا، ١٩١٣، ص ١٢٦.

(٤) لسان الحال، العدد ١١٤٠ في ٢١ شباط ١٨٨٩.

الرشاوي. فقد كانت تعاقبهم بالنقل او العزل او حتى السجن، اذ لما كثرت شكاوى الصياديين من القائقام ماهر بك، كُفّت الدولة يده، وعيّنت كامل بك قائمقام مدينة مصراطة سابقا قائمقاما لصيدا بالوكالة^(١)، كما انه لما وصلت شكوى السكان الى اسطنبول بأن القائقام جمال بك، قد تلاعب بنتائج الانتخابات، عزلته من منصبه فوراً^(٢).

تولى حكم صيدا منذ الغاء ايالتها سنة ١٨٦٥ حتى سنة ١٩١٤، نحو اربعين قائمقاما. حكم معظمهم اكثر من سنتين، كما ان بعضهم لم يبق في منصبه اكثر من بضعة اشهر،^(٣) كما سنحت الفرصة لبعضهم الآخر ان يتولى قائمقامية صيدا اكثر من مرة^(٤). ومعظم القائقامين كانوا من الاتراك ما عدا اثنين منهم احدهما من بيروت والآخر من صيدا^(٥).

كان القائم مقامون ثلاث فئات، وكان قائمقام صيدا في بداية الامر من الفئة الثانية، ثم اصبح من الاولى، وكان الراتب السنوي للفئة الاولى ٢٧٣ ليرة، والثانية ١٩٢ ليرة، والثالثة ١٣٥ ليرة. اما راتب مدير الناحية فكان يتراوح بين ٥٠ - ٦٠ ليرة سنوياً^(٦).

اما موظفو القضاء الرئيسيون فقد حدّدهم قانون الولايات لسنة ١٩١٣،

(١) الاقبال، العدد ١٠٤ في ٣ تموز ١٩٠٥.

(٢) المفيد، العدد ١٠٦٩ في اول ايلول ١٩١٢.

(٣) في سنة ١٨٨٥ مثلاً تولى قائمقامية صيدا صادق بك وحسن فهمي واحمد نسيب (بالوكالة) ومحمود بك اليوسف.

(٤) مثلاً احمد شكري تولى من ١٨٨١ - ١٨٨٣ ثم ثانية من ١٨٩٥ - ١٨٩٧ ومحمود جمال بك من ١٩٠٥ - ١٩٠٦ وثانية من ١٩١٠ - ١٩١٣. وحسان بك من ١٨٧٨ - ١٨٨٠ ثم ثانية من ١٨٩٢ - ١٨٩٤.

(٥) هما عبد القادر الدنا ورضا الصلح، وعند تعيين رضا الصلح قائمقام اعترض الوالي لأنه من أبناء صيدا. راجع مكتب السجلات العامة ف. و ٢٠٧٥/١٩٥ رسالة سرية برقم ١٢ من DRUMMOND HAY الى السفير باسطنبول، بيروت في ٩ آذار ١٩٠٠. كما تولى ابراهيم آغا الجوهرى مهمة قائمقام بالوكالة عدة مرات.

(٦) مكتب السجلات العامة ف. و ١٨٣٤/٧٨ تقرير سري ملحق برسالة رقم ١٦ من DRUMMOND HAY الى حكومته: بيروت في ١٠ أيار ١٨٩٧.

بالنائب ومدير المال وكاتب التحريات وقائد بلوك الجندرية، وموظفي الأوقاف والنفوس والطابو وقوميسير البوليس.

٤- وكانت الأقضية تتألف من نواح، وكان مسؤولاً عن الناحية «مدير الناحية»، وكان جهازه الإداري يتألف من كاتب ناحية وأمور شرطة، وأمور المال والطابو إذا كان ذلك ضرورياً.

أما القرية فكان «المختار» مسؤولاً عنها، وكان لا يتقاضى راتباً، وكانت مهمته المساعدة على تحصيل الأموال العامة، وتسهيل تنفيذ أحكام القضاء، وإبلاغ مدير الناحية عن الولادات والوفيات في قريته.

ج- المجالس الإدارية:

كان قانون الولايات الصادر سنة ١٨٦٤ قد وضع أصول هذه المجالس الإدارية، ثم فصل اختصاصاتها قانون سنة ١٨٧١، وكرسها نهائياً قانون سنة ١٩١٣.

وحسب المادة ٦٢ والمادة ٦٣ من هذا القانون، كان يوجد في مركز كل ولاية مجلس إدارة، تحت رئاسة الوالي أو معاونه، للنظر في شؤون الولاية،^(١) وفي كل لواء كان يوجد مجلس إدارة برئاسة المتصرف،^(٢) للنظر في أمور اللواء.

أما مجلس إدارة القضاء فقد فصلته المادة ٦٤ من القانون المذكور. ويتألف برئاسة القائم مقام وعضوية:

النائب - مدير المال - كاتب التحريات - المقي - الرؤساء الروحيين ثم الاعضاء المنتخبين. وكان الاعضاء الاولون هم دائمون وتلقبهم مصادر تلك الفترة «بأعضاء طبيعية»، أما المنتخبون فيسمون «بأعضاء منتخبة». وعلى

(١) بيروت ولايت غزته سي - العدد ١٢٢٠ في ٦ نيسان ١٣٢٩ مالية (١٩١٣) وكان اعضاء هذا المجلس هم النائب والدفتردار والمكتوبجي، ومدير المعارف ورئيس مهندسي النافعة (باشمهندس) ومدير الزراعة، والمقي والرؤساء الروحيون، ثم الاعضاء المنتخبون.

(٢) بيروت ولايت غزته سي - العدد نفسه - وكان اعضاء هذا المجلس هم النائب والمهاصب ومدير التحريات ومهندس النافعة (إن وجد)، والمقي والرؤساء الروحيون، ثم الاعضاء المنتخبون.

سبيل المثال فان مجلس ادارة القضاء لسنة ١٨٧٥ كان مشكلاً كما يلي:

الرئيس هو القائمقام. والاعضاء الطبيعيون هم النائب والمفتي ومدير المال وكاتب التحريات. والاعضاء المنتخبون هم: ابراهيم آغا الجوهري، ومحمود آغا المجدوب، وحنا نمور، وحنا لطوف، والكاتب يوسف افندي^(١). وفي سنة ١٨٨٢ مثلاً كان الاعضاء المنتخبين هم: الشيخ علي الحر، ودرويش الامين، وبشاره قنواقي، ويعقوب خياط، والكاتب محمد نصار^(٢).

وطريقة الانتخاب كانت تتم بواسطة لجنة تفريق (فرز) من القائمقام والنائب والمفتي، ومن رؤساء الطوائف غير الاسلامية، ومن كاتب القضاء. وتفرز هذه اللجنة اسماء تسعة مرشحين (ثلاثة امثال العدد المطلوب)، وترسلها الى القرى لتجري مجالسها انتخاب ستة منها (ضعف العدد المطلوب)، وبعد عودة الأوراق الى مركز القضاء، تجتمع لجنة التفريق ثانية وتحصي الأصوات، وتختار اول ثلاثة اسماء تحوز على الاكثية، وبذلك يتم انتخاب اعضاء مجلس الادارة في القضاء.

ففي سنة ١٨٨٣ مثلاً، كان المرشحون الستة الذين فازوا بالأكثية من بين الوجهاء التسعة الذين جرى انتخابهم، هم: الشيخ علي الحر وكامل المغربي وحنا ندره وابراهيم فاضل (وهم اعضاء موظفون) والحاج يوسف المجدوب، وحسين بك الامين (وهما عضوان ملازمان)، وحسب النظام كان يجري تعيين نصفهم (ثلاثة منهم) هم الذين يحرزون الاكثية^(٣).

ومنذ تعديلات سنة ١٨٩٥ صارت مدته سنتين، بحيث يجري تغيير نصف اعضائه كل سنة^(٤). وتزودنا صحف تلك الفترة بمعلومات عمن جرى تعيينهم بدل الاعضاء الذين انتهت مدتهم، ففي سنة ١٨٩٨ عين احمد الحر ونحله الزهار عضوين بالمجلس، وكانت العادة ألا يبدأ العضو مهام عمله، الا بعد ان

(١) سالنامه ولاية سورية لسنة ١٢٩٢، دفعه ٧.

(٢) سالنامه (حولية) ولاية سورية لسنة ١٣٠٠ دفعه ١٥، ص ١٧١.

(٣) ثمرات الفنون، العدد ٤٢٤، في ٤ نيسان ١٨٨٣.

(٤) Hand book of syria (including palestine), Naval staff, intelligence departement, (٤)

1919, (official copy), p. 242.

يقسم يمينا بتأدية واجباته بأمانة^(١). وفي سنة ١٩٠٣ تعيّن حسين بك الدرويش ويوسف الخوري، بدل الذين اتهمت مدتهم^(٢). وفي سنة ١٩٠٦ عين عبد اللطيف ابو ظهر وحنا الغفري عضوين جديدين في مجلس ادارة القضاء^(٣).

وهكذا كان مجلس القضاء يتألف من ثلاثة اعضاء منتخبين، الى جانب الاعضاء الدائمين. وكانت صلاحياته مراقبة المعاملات والحسابات المالية الرسمية، والاشراف على اموال الدولة، والاهتمام بالطرق والاقتصاد، وسائر شؤون القضاء^(٤).

وكان يوجد في كل ولاية «مجلس عمومي» تتمثل فيه جميع اقسية الولاية، بحيث يرسل القضاء عضوا واحدا عن كل اثني عشر الفا وخمسمائة من الذكور من سكانه.

ففي سنة ١٩٠٩ مثلاً، مثل قضاء صيدا في هذا المجلس، فضل بك الحسن ويوسف الجوهري ومخلّة الزهار ويوسف كرم^(٥).

وفي سنة ١٩١٠ كان يمثل لواء بيروت (بما فيه قضاء صيدا) في المجلس، الاعضاء احدى مختار بينهم وكامل بك الاسعد، ومصري قبطني ونقولا يعقوب طراد^(٦).

وفي سنة ١٩١٢ مثل قضاء صيدا في هذا المجلس، كل من الشيخ محي الدين بك عسيران، وفضل بك الحسن^(٧).

اما مجلس ادارة الناحية فقد تألف من مندوبي القرى في الناحية، بحيث لا يكون لكل قرية اكثر من اربعة اعضاء، وكان يجتمع اربع مرات في السنة

(١) لسان الحال: العدد ٢٧٨٨، في ١٨ نيسان ١٨٩٨.

(٢) الاقبال العدد ٢٨ في ٦ نيسان ١٩٠٣.

(٣) الاقبال العدد ١٦٠ في ١٣ آب ١٩٠٦.

(٤) نوفل نعمة الله نوفل، الدستور، ج ١، ص ٤١٥.

(٥) لسان الحال: العدد ٥٩٢٣ في ٢٠ شباط ١٩٠٩.

(٦) لسان الحال: العدد ٦٢١٤ في ٤ كانون الثاني ١٩١٠.

(٧) المفيد: العدد ١٠٤١ في ٣٠ تموز ١٩١٢.

وتشمل اختصاصاته سائر شؤون الناحية ويرئسه مدير الناحية^(١).

أما مجلس اختيارية القرية فكان أعضاؤه من الذكور، ممن تجاوزوا الثامنة عشرة، وكان ما يؤدونه من ضريبة لا يقل عن خمسين قرشا سنويا. وكان عدد الأعضاء يتراوح بين ٣ - ١٢ عضوا حسب عدد السكان.

ويتم انتخاب مختارين لكل قرية إذا كان السكان من طائفة واحدة، أما إذا تعددت الطوائف، فتجتمع كل طائفة على حدة وتنتخب مختارها، ويجب أن يكون المختار فوق الثلاثين، ويؤدي ضريبة سنوية لا تقل عن مئة قرش^(٢). وفي المدن كان لكل حيٍّ أو حارة أو محلة مختارها، كما كان لكل طائفة دينية مختارها، ومن عرف من مختار صيدا في الفترة التي نبهنا:

مختار حيّ السبيل سنة ١٨٦٨ محمد معتوق، أما سنة ١٩٠٩ فكان حفطي المجدوب، مختار محلة الكشك سنة ١٩١٠ علي الدرة.

ومختار محلة الشارع في أوائل القرن العشرين، كان أحمد محمد آغا حمود. ومختار السرايا لسنة ١٩٠٠ كان أديب النوام، ومختار الكنان لسنة ١٩٠١ كان إبراهيم علي السكاكيني. أما مختار الزويتيني لسنة ١٩١٢ فكان سعد الدين شاكر دقنو.

وبينا كان إبراهيم ديوان مختار الطائفة اليهودية في سنة ١٩٠١، فأنا سليم الخوري الصهيوني كان مختار الموارنة.

د - الصيداويون والرتب والألقاب:

كانت الرتب والألقاب في الدولة العثمانية كثيرة، وظلت شائعة حتى نهاية العهد العثماني، رغم صدور قرار بالغائها رسمياً سنة ١٩٠٩. ومن تلك الرتب المدنية كانت الرتبة الأولى من الصنف الأول، والرتبة الثانية متايز، والرتبة الثانية صنف ثاني، ثم الرتبة الثالثة والرابعة. ومن نال بعض تلك الرتب من الصيداويين محمود بك كالكو والحاج حسني بك المجدوب، حيث نالا الرتبة

(١) نوفل نعمة الله نوفل، الدستور، ج١، ص ٤١٥ - ٤١٧.

(٢) المصدر السابق، ص ٤١٧ - ٤١٩.

الثالثة سنة ١٩٠٠،^(١) كما نال محمد بك ابو ظهر الرتبة الثالثة من الصنف الثاني^(٢)، كما حصل الحاج ابراهيم آغا الجوهرى على رتبة متايز مع لقب بك «... وتقاطر الناس لتهنئته».^(٣)

وتم نال رتبة علمية (دينية) من الصيداويين، الحاج محمود المذوب، الذي حاز رتبة «رؤوس تدريس بروسة»،^(٤) وكذلك حصل على الرتبة نفسها كامل المغربي ومحمود حلمي المغربي، وحامد حشيشو، كما حاز الشيخ احمد جلال الدين والحاج محمد رضا الزين على رتبة رؤوس تدريس أدرنه، كما نال محمد أنصار رتبة «مدرس»، بالإضافة الى ان الحاج علي البزري، والشيخ سعد الدين الصلح نالا رتبة كبار المدرسين.^(٥)

اما في المجال العسكري فقد حصل علي باشا جنبلاط على رتبة ميرميران «فأقيمت في منزله في البرامية الزينات والانوار، واقبل اهل صيدا والقرى المجاورة على منزله للتهنئة...»^(٦) كما وصل حامد باشا بن داود عمر آغا الارناؤوط الى رتبة امير لواء في الجيش، ونال احمد باشا الصلح رتبة ميرميران كذلك، كما نال احمد بك الارناؤوط رتبة قائمقام (بالجيش العثماني)، والحاج رشيد القطب رتبة بيكباشي، ومحمد رشيد افندي رتبة يوزباشي.

اما المناصب المهمة التي استطاع بعض الصيداويين احرازها، فقد صار رضا الصلح قائمقاما في صيدا وفي مناطق اخرى، وكذلك تولى احمد باشا الصلح عدة متصرفيات كما كان كامل بك الصلح رئيس محكمة استئناف دمشق، وتولى رشيد خليل اباطة قائمقامية مرجعيون، كما تقلد ولاية الموصل (حسن محرم بك)، ومتصرفية قره حصار (احمد اباطة باشا)، وقائمقامية

(١) ثمرات الفنون، العدد ١٢٩٥ في ٢٠ آب ١٩٠٠.

(٢) ثمرات الفنون، العدد ١٣٥٨ في ٢ كانون الاول ١٩٠١.

(٣) لسان الحال، العدد ٢٩٤٩ في ٢٤ تشرين الاول ١٨٩٨.

(٤) ثمرات الفنون، العدد ٣٩٥ في ٣١ آب ١٨٨٢.

(٥) ثمرات الفنون، العدد ١٣٣٠ في ٣٠ تموز ١٩٠١. اي رتبة ملازمة رؤوس.

(٦) لسان الحال، العدد ٢١٩١ في ١٧ آب ١٨٩٨.

الناصره (محمد سعيد الاسماعيل)، وقائمقام^(١) جنين (محمد فريد بك) ومأمورية معية ولاية سوريا (توفيق البساط) وكان سليم البابا احد معلمي المكتب السلطاني في بيروت.

هـ- التقويم والتوقيت:

كان التقويم الرسمي المستخدم في الدولة العثمانية حتى سنة ١٨٣٩ هو التقويم الهجري القمري المعروف، وعلى المستوى الشعبي كان هذا التقويم هو السائد لدى المسلمين، بينما كان المسيحيون يتبعون التقويم الشمسي الجولياني ثم التقويم الميلادي الغريغوري (وبدأ الموارنة استعماله منذ سنة ١٦٦٠) الذي اخذت تستعمله، فيما بعد، الجاليات الاوروبية ايضا، عدا الانجليز.

وفي ٧ ربيع الثاني سنة ١٢٥٥ (اذار ١٨٣٩) فرضت السلطة تقوياً جديداً عرف بالتقويم الرومي او الشرقي، وهو اشهر غريغورية وسنوات هجرية وتقويم جولياني. ولما جعل شهر آذار (مارت) بداية للسنة في هذا التقويم، فقد كانت تسمى ايضا «بالسنة المارتيّة». واخذت الدوائر الحكومية تسير بمقتضاها، بالاضافة الى ان موازنة الدولة كانت تحسب من بداية شهر آذار، لذلك دعيّت هذه السنة ايضا بالمالية.

لم يترك عامة الشعب حساب ايامهم حسب التقويم الهجري القمري، وكذلك المحاكم الشرعية. كما ان الحكومة لم تهمل هذا التقويم تماماً، ومن هنا نشأت ليس ازدواجية فحسب، بل تقاويم ثلاثة معا هي القمرية والميلادية والمالية، مما سبّب كثيراً من البلبلة، وأحدث فوضى كانت السلطة العثمانية في غنى عنها.

اما التوقيت فكان يحسب بالساعة العربية، وفيه يبدأ اليوم من شروق الشمس الى غروبها، وما بعد الغروب يعتبر قابلاً لليوم التالي، فكان الصباح يبدأ بالساعة الواحدة، والغروب عند الساعة الثانية عشرة، وقد أحدث هذا التوقيت متاعب في حساب الاحداث. ولم يستعمل التوقيت حسب الساعة

(١) حوليات (سالنامات) الدولة العثمانية وولاية سورية في الفترة ١٢٥٨هـ الى ١٣١٠هـ وولاية بيروت من ١٣١١ الى ١٣٣٤هـ. وكذلك احد عارف الزين: تاريخ صيدا، ص ١٧١.

الزواالية بصورة رسمية، الا ابتداء من منتصف ليلة ١٣ آذار سنة ١٩١٢ .
وبوجهها صار اليوم يبدأ من منتصف الليل، وصار كل ما يحدث بعد منتصف
الليل، يحسب بتاريخ اليوم الجديد، بينما كان حسب الساعة العربية، كل
حادث وقع بعد الغروب يحسب بتاريخ اليوم الجديد، ورغم هذا التنظيم
الرسمي للتوقيت فإن الكثيرين من الصيداويين رفضوا قبول التوقيت
بالساعة الزواالية، وظلوا يضبطون ساعاتهم طبقا للساعة العربية^(١).

اما الدوام الرسمي في الدوائر فلم يستقر على نظام دائم، بل كان عرضة
للتغيير والتعديل بين فترة واخرى. ففي سنة ١٨٩٧، مثلا، اصدر والي
بيروت امرا الى موظفي كافة الدوائر بأن يكون دوامهم اليومي ابتداء من
الساعة السادسة كل يوم، عدا يوم الجمعة^(٢). وفي السنة التالية، اصدر الوالي
مرسوما بأن يداوم الموظفون صباح كل يوم الساعة الخامسة حتى الحادية
عشرة، عدا يوم الجمعة الذي هو يوم عطلة رسمية، وطلب من رؤساء الاقلام
في كافة الدوائر ان يعملوا سجلات يومية لضبط دوام الموظفين «... ليعلم منه
الذين لا يحضرون الى مأمورياتهم في الوقت المعين، او يتغيبون عنها بلا معذرة
مشروعة ليحسم من رواتبهم قسط (ذلك) اليوم...»^(٣).

اما في سنة ١٩١٢ فقد جعل دوام الموظفين اليومي على مرحلتين: الاولى
تبدأ الساعة التاسعة صباحا حتى الثانية عشرة ظهرا، ومن الثانية عشرة حتى
الثانية بعد الظهر لتناول الغداء^(٤)، والثانية تبدأ من الساعة الثانية عشرة
حتى الثانية بعد الظهر^(٥). اما في رمضان فقد جعل معدل الدوام اليومي
ثلاث ساعات ونصف^(٦). وفي اواخر هذه السنة (١٩١٢) عدل الدوام، بحيث

(١) لا تزال قلة من الصيداويين حتى اليوم تضبط ساعاتها على التوقيت العربي، سواء كانت من
الساعات التي توضع بالجيب ولها سلسال، على ندرتها، او من أحدث ما أنتجته مصانع سويسرا
واليابان.

(٢) لسان الحال، العدد ٢٦٦٧، في كانون الاول سنة ١٨٩٧.

(٣) لسان الحال، العدد ٢٩٣٧ في ١٠ تشرين الاول سنة ١٨٩٨.

(٤) سبها المنشور (فترة) تنفس.

(٥) بيروت ولايت غزته سي العدد ١٢٤٠ في ١٢ شوال ١٣٣١هـ. الموافق ٣١ أغسطس ١٩٢٩م.

(٦) المصدر السابق، العدد ١٢٣٦ في ٦ رمضان ١٣٣١هـ.

يبدأ الساعة التاسعة صباحاً حتى الثانية عشرة، ومن الواحدة والنصف حتى الرابعة والنصف، وبينهما فترة استراحة تبدأ من الثانية عشرة ظهراً حتى الواحدة والنصف. وأمر الوالي الموظفين ان يتقيدوا بهذا الدوام الجديد، اعتباراً من الاول من تشرين الاول^(١).

ثانياً - القضاء:

كان القضاء العثماني، حتى مطلع القرن التاسع عشر، بسيطاً في اجهزته وأسلوبه، اذ كان يستطيع القاضي ان يستمع للدعوى وان يصدر الحكم فيها في جلسة واحدة، كما ان القضاء كان يطبق احكام الشريعة الاسلامية على المذهب الحنفي اولا يخالفها على الاقل^(٢).

كان على رأس القضاء قاضيان كبيران يشرفان على كافة القضاة في الدولة العثمانية، اولهما قاضي عسكر الروم اليي، وكان مسؤولاً عن القضاة في الولايات العثمانية في اوروبا، وثانيهما قاضي عسكر الأناضول، وكان مسؤولاً عن القضاة في الولايات العثمانية في آسيا وافريقيا. اما الاشراف العام فكان من صلاحية قاضي اسطنبول، الذي لقب فيما بعد بشيخ الاسلام^(٣).

عند مجيء ابراهيم باشا الى بلاد الشام ادخل بعض القوانين الاوروبية الى جانب القضاء الشرعي^(٤)، وبعد عودة العثمانيين الى بلاد الشام، شملت اصلاحاتهم القضاء ايضاً، بحيث لم تأت اواخر القرن التاسع عشر حتى كانت التشكيلات القضائية من قوانين وكوادر قد اكتملت^(٥).

(١) المصدر السابق: العدد ١٢٤٥ في ١٧ ذي القعدة ١٣٣١ و ٥ تشرين الاول ١٣٢٩

(٢) محمد شفيق غربال: منهاج مفصل.. المرجع السابق، ص ١٣٦.

(٣) كان قاضيا الروم اليي والاناضول يعقدان ديواناً لتمييز القضاء اربع مرات في السنة، ومنذ سنة ١٨٥٤ صار يعقد في اول المحرم واول رجب. راجع نوفل نعمة الله نوفل الدستور، ج ١، ص ١٤٢.

(٤) سليمان ابو عز الدين: ابراهيم باشا في سوريا، ص ١٤١.

(٥) صدر نظام توجيهات مناصب القضاء ونواب القضاء سنة ١٨٥٥، ثم قانون العقوبات سنة ١٨٥٨، فنظام مجلس الاحكام المدنية سنة ١٨٦١، فنظام دعاوي التجارة سنة ١٨٦٨ فنانون المحاكم النظامية سنة ١٨٧٢، فنظام تعيين نواب حكام الشرع في سنة ١٨٧٣.

وبهذا، صار القضاء العثماني، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، يشتمل على فرعين رئيسيين لكل منهما صلاحياته وتشكيلاته، هما القضاء الشرعي، والقضاء النظامي.

أ- القضاء الشرعي:

تتل هذا القضاء بالمحاكم الشرعية وكان أبرز رجاله القاضي والنائب والمفتي. وكان يعقد مجلس امتحان مرتين في السنة لقبول القضاء الجدد^(١). وكانت المحاكم الشرعية تنظر في كافة الدعاوي الشخصية والحقوقية والجنائية، فلما قام القضاء النظامي، اقتضت المحاكم الشرعية على النظر بالدعاوي الحقوقية والأحوال الشخصية. أما القضايا الجنائية والتجارية فقد حوّلت إلى المحاكم المختصة.

وكان لغير المسلمين محاكمهم الخاصة للنظر بأحوالهم الشخصية، ورغم صدور قوانين القضاء النظامي فإن المحاكم الشرعية ظلت تنظر بقضايا البيع والشراء المختصة بالأراضي والأموال، وحتى بعد صدور قانون الطابو (سنة ١٨٦١)، فإن كثيراً من المسلمين ظلوا يسجلون حجج املاكهم في المحاكم الشرعية، إضافة إلى سندات الطابو^(٢).

وفي سنة ١٨٥٩ صدر نظام تحصيل الرسوم في المحاكم الشرعية، وقضى بتنظيم ثلاثة سجلات في كل محكمة لتدوين الرسوم المستوفاة، على أن لا يجري عليها شطب أو حك أو إتلاف، وكانت السجلات تضم صفحات مرقمة، ويوضع للمعاملات أرقام متسلسلة، وقد تذيّل بالتاريخ الهجري، وفي الفترة الأخيرة صار يضاف إليها أحياناً التاريخ الرومي، ويسجل على أول صفحة من السجل اسم القاضي الذي جرت الأحكام في عهده، وتاريخ البدء في التدوين على السجل، وتاريخ انتهاء العمل به^(٣).

(١) الدستور، ج ١، ص ١٤٢.

(٢) نظام توجيهات مناصب القضاء الصادر سنة ١٢٧١ (١٨٥٥) الدستور، ج ١، ص ١٤٢.

(٣) مثلاً هذا سجل الوقائع والدعاوي الصادرة بمدة مولانا عبدة العلماء الكرام نائب المدينة حالاً مكرماتلو السيد محمد نشئت افندي الفخيم نشر الله له من الخير ما شاء بمئة وكرمه أمين سنة ١٢٩٠، سجل رقم ٢ سنة ١٨٧٢ المحكمة الشرعية في صيدا.

كانت ابرز الجهود في تنظيم القضاء الشرعي وضبطه العمل الذي قامت به لجنة من كبار الفقهاء العثمانيين برئاسة جودت باشا، في عهد السلطان عبد العزيز. حيث قامت بجمع الاحكام الشرعية وترتيبها وتبويبها، واستغرق ذلك سبع سنوات^(١). ثم اصدرتها في ستة عشر بابا، اشتملت على ١٨٥١ مادة في كافة الاحكام الفقهية، حسب المذهب الحنفي، وقد عرفت باسم «مجلة الاحكام العدلية» واشتهرت فيما بعد باسم «المجلة» فقط. وقد أصبحت المصدر الرئيسي للاحكام الشرعية، واستمر العمل بها حتى سقوط الدولة العثمانية، وظلت سارية المفعول في لبنان حتى سنة ١٩٤٣، وفي سوريا حتى سنة ١٩٤٩^(٢).

اما ابرز رجال القضاء فكانوا القاضي والنائب والمفتي.

١ - القاضي:

كان من الشخصيات المهمة في النظام العثماني، وكان يأتي في المرتبة التالية للوالي، وابرز القضايا التي كانت من اختصاصه ما عرف بالوقوعات الخمس، وهي المناكحات (الزواج)، والطلاق والتولّد (الولادة) والوفاة ونقل مكان (تبديل مكان الإقامة)،

كان القاضي يبقى في منصبه سنة واحدة غالبا، وكان القضاة على المذهب الحنفي، ويتم تعيينهم بموجب قرار رسمي يسمى «مراسلة» يصدر عن دار الفتوى المرتبطة بالمشيخة الاسلامية. ومنذ تأسيس معهد القضاة الشرعيين في اسطنبول سنة ١٨٥٥ صار القضاة يعينون من خريجيه.

وكان يشرف على القضاة، ويدقق في احكامهم، ديوان تمييز اقيم في كل ولاية في عهد السلطان عبد العزيز، لكنه ألغي في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، واصبح «مجلس التدقيقات الشرعية» في دار الفتوى هو المرجع الوحيد لتمييز الاحكام الشرعية.

(١) من غرة المحرم سنة ١٢٨٦ (١٨٦٩) الى ١٦ شعبان (١٨٧٦).

(٢) يوسف الحكيم: سوريا والعهد العثماني بيروت، ١٩٦٦، ص ٣٣.

٣- النائب:

كان حاكم الشرع الذي يقوم بالقضاء في غير مركز الولاية يدعى «النائب»، باعتبار ان القاضي يعينه لينوب عنه في فرض الاحكام الشرعية، لكن صدور نظام تعيين النواب سنة ١٨٥٥ جعل تعيينهم مرتبطاً بامتحان، وقد صنفهم خمس فئات:

الاولى هي الموالي الدورية والمدرسين، وثانيها الذين لم يسبق استخدامهم في الخدمة الشرعية سابقاً، واثبتوا مقدرة لدى امتحانهم، وثالثها ورابعها وخامسها هم الاقل استعداداً على التوالي^(١).

كان النائب على المذهب الحنفي عادة^(٢). وكان عليه أن ينظم سجلات حكمته ويدون على كل منها تاريخ بدء العمل به وتاريخ إنتهائه ويعطي كل دعوى رقماً متسلسلاً، ويدون اسمه في بداية السجل «وبعد فقد شرف في هذه السنة المباركة بالنيابة الشرعية عمدة العلماء العاملين ونخبة الفضلاء المدرسين لطفي زاده مكرمتلو السيد محمد سعدالدين أفندي الخلوقي الحسيني نايباً بمدينة صيدا فاقضى قيد المراسلة في هذا السجل المبارك تحريراً في اليوم السابع من شهر جمادي الآخر سنة ١٢٨٥»^(٣).

كان النائب ينظر في كافة قضايا الأحوال الشخصية من زواج وطلاق، وما يلزمه من عدة ونفقة «بتاريخه حضر المجلس الشرعي الأنور بمدينة صيدا صاحب العرضحال أحمد بن عمر الشامي، الوكيل الشرعي عن شقيقته الحرمة

(١) بموجب هذا النظام حصرت النيابة الشرعية في مقر الولاية بالفئة الاولى، وفي القانقانيات بالثانية، وفي القانقانيات البعيدة بالثالثة، وما دونها بالرابعة والخامسة، وجعلت مدة النائب في القضاء القريب من مركز الولاية ثمانية عشر شهراً، وفي القضاء البعيد سنتين. راجع نظام تعيين النواب الدستور، ج ١، ص ١٤٧.

(٢) بالإضافة إلى النائب الحنفي يمكن أن يعين نواب على المذاهب السنية الأخرى كالشافعية والحنبلية إذا كانت غالبية السكان على ذلك المذهب. ففي سنة ١٣٢٠ هـ طالب بعض الصيداويين بتعيين إمام للشافعية لأداء صلاة الجمعة في جامع البحر، فطلب من رشيد وهي الواعظ في ايوان وقف بني جود القيام بواجب الإمامة بالإضافة إلى وظيفته الأصلية: راجع سجلات المحكمة الشرعية، سجل رقم ٩، نومرو ١٥٧، في ٢٤ ربيع الأول ١٣٢٠ هـ (١٩٠٢).

(٣) المحكمة الشرعية في صيدا سجل رقم ١ بدؤه ٧ جمادي الآخر سنة ١٢٨٥ وإنتهاؤه ٥ ربيع الآخر سنة ١٢٨٦ (١٨٦٩).

خديجة بنت عمر المذكور، المتيوتة وكالته شرعاً بشهادة شعبان بن عبدالله الأرنوط الشهير بأبي ضر، وبكري بن الحاج طه البابا، وادعى الوكيل على الحاضر معه بالمجلس الشرعي، أحمد بن محمد الجويدي، كلاهم (كلاهما) من أهالي صيدا، قائلاً بدعواه عليه إنه كان متزوج (متزوجاً) بموكلته شقيقته خديجة، ومن برهة خمسة أيام طلقها. ولم يدفع مؤخر صداقتها وقدره أربعماية قرش... وهي ناقلة منه... وفرض على نفسه نفقة لمنزلها وسكنائها، في كل يوم خمسة وأربعين فضة عبارة عن كل شهر ثلاثة وثلاثون غرشاً وثلاثون بارة، وابتداء الغرض والتقدير من تاريخ هذه الوثيقة... في الثامن والعشرين من شهر ذي الحجة سنة ١٣٠٠ هـ «شهود الحال» (١).

كما نظر في قضايا الإرث والوصية والهبة وغيرها (٢).
ظلت المحاكم الشرعية تنظر في القضايا الحقوقية حتى بعد إنشاء المحاكم النظامية «حضر الشيخ محمد السقا... وكيل منويل بربارة... وادعى على حنا منياس... إنه استخدم موكله منويل عنده كصبي حلاق، على أن يعلمه الصنعة ويقدم له في كل يوم جمعة بشليكين، وإنه متجند له الآن اجرة أربعة عشر شهراً أي ٦٣٠ قرشاً، كما أن له فراشاً ولحافاً ووسادة حيث كان ينام بالحل... أجاب المدعى عليه، حنا، إنه عمل على تربية هذا الصبي وتعليمه الصنعة منذ أن كان عمره أربع سنوات، حيث هو بلا أب أو أم، وإنه منذ أربعة أشهر عين له كل يوم جمعة بشليكين وإنه كان يدفعها له... كل جمعة بجمعتهما... (وبعد تكليف المدعي الإثبات وعجزه طلب تخليف المدعي عليه اليمين الشرعية) (٣) وكذلك... اشتكى عبد الغني عبدالله الزين على اسكندر جبور اغا فمور مهندس دائرة بلدية صيدا... إنه اشترى منه حنطة بمبلغ ٦٠٠ قرش واعطاه تحويلاً على البلدية عن راتبه لثلاثة أشهر، بسندات كل منها بمئتي قرش صاغ ولم يقبض منها شيئاً... اعترف المهندس بذلك...» (٤).

(١) المحكمة الشرعية في صيدا، سجل رقم ٣ غرة ٧.

(٢) وردت نماذج من هذه القضايا في الفصل العاشر عند بحث قضايا الأحوال الشخصية عند مختلف طوائف السكان.

(٣) المحكمة الشرعية سجل رقم ٢، في ١ مايس ١٣٩١ مالية.

(٤) المحكمة الشرعية سجل رقم ١٥، ص ٢٥، نومرو ٣٦، في ١٧ شوال ١٣٢٠ هـ.

كما نظرت المحاكم الشرعية في القضايا التجارية، على الرغم من إنشاء المحاكم التجارية، ووجود مثل هذه المحكمة في صيدا. ويبدو أن ذلك راجع إلى تعود الناس على المحاكم الشرعية، أو لثقتهم الشديدة بقضاائها، وقد اشتكى عباس عبد الهادي البساط من صيدا، على حنا خليل يونس من البرامية، إنه اشترى منه حماراً أزرق اللون بمبلغ ٤١٥ قرشاً على أنه صاغ سليم من العيوب الشرعية ثم تبين له فيما بعد بأنه مريض حيث لا يقطع عليه الذي مقداره ربع كيلة شعير... وقد ردّ القاضي الدعوى وحكم بصحة البيع^(١).

وعندما اشترك خليل محمد جرادي، وأحمد عثمان اليمين مع ابراهيم حيلي في شراء ليمون وكباد من قرية حامول، ساهم الأولون بخمس ليرات فرنسية والأخير بليرتين، كما أقرضهم محمد الترك ١٥ ليرة فرنسية لإكمال الصفقة، وقد أنكر إبراهيم المذكور قبض المبلغ من شريكه أو من محمد المذكور، وكان وكيلهما الشيخ محمد السقا^(٢).

كما ظل الصيداويون يسجلون معاملات بيع وشراء الأراضي والأماك في المحكمة الشرعية، رغم وجود المحاكم النظامية وقيام دوائر الطابو « حضرت... الحرمة (المرأة) فاطمة خليل الكلش... وباعت إلى ولدها لصدرها عبد الغني الحاج أحمد الطرابلسي... جميع حصة البستان المعروف ببستان بني الكلش... في محلة القناة... المشتملة على أشجار متنوعة الثمار، وعلى بيت واوان... تسقى من ماء قناة الخاسكية^(٣)، تستجلب بالناعورة في البستان المذكور، يحدها قبلة الطريق السالك، وشمالاً دار مرجان معتوق يوسف آغا الجوهري... وشرقاً حصة حسن ولد البائعة (المذكورة)، وغرباً ملك المشتري المذكور بقيمة الفين من القروش الأسدية...»^(٤).

(١) المحكمة الشرعية سجل رقم ١، نمر ١٥٢، في ٢٧ ربيع الأول ١٢٨٦ هـ.

(٢) المحكمة الشرعية سجل رقم ٢، في ٤ أيلول ١٢٨٩ مالية. ولم يتبين لي نتيجة الدعوى لأنها لم تسجل في تلك الجلسة.

(٣) قناة قر شرق صيدا وتسقي بعض باتينها، وينسب بناؤها للسيدة خاسكية زوجة الأمير فخر الدين الثاني.

(٤) المحكمة الشرعية في صيدا، سجل رقم ٢١ نمر ٢٦.

كانت أهمية النائب حسب أهمية المدينة التي يمارس صلاحياته فيها، ولكنه كان يتقدم على المفتي في الأهمية ويأتي بعد القائم مقام مباشرة^(١). ومن هنا فقد كان يشارك في الحياة العامة، ويساهم في الإحتفالات الرسمية أو الشعبية... «تفقد القائم مقام عبد القادر الدنا مع النائب محمد جليل أفندي مكتبي (مدرستي) الرشدية والخيرية في صيدا»^(٢).

٣ - المفتي:

كان موجوداً في كل الولايات، وكان يأتي بعد النائب في الأهمية، وكان عمله مستقلاً عن النائب لأنه مختص بالمسائل الفقهية، وإن كانت تحال إليه أحياناً قضايا حقوقية وجزائية ليصدر فتواه بشأنها، ويكون استفتاءؤه بصيغة محددة قاطعة، ليسهل عليه اصدار فتواه التي تكون، غالباً اجابة مقتضبة سلباً أو إيجاباً.

كان المفتي عضواً دائماً في مجلس الإدارة (في الولاية أو اللواء أو القضاء) وكان يشارك في الأحداث العامة «عند مجيء» القائم مقام أحمد شكري توجه توا إلى دار البلدية القريبة من البحر... ثم حلّ ضيفاً في دار المفتي... وفي السادسة من يوم الثلاثاء تلي بدار الحكومة أمر تعيينه قائم مقاماً... ثم تلا المفتي خطاباً وختمه بالدعوة لحضرة ظلّ الله في الأرض...»^(٣) وكان المفتي على المذهب الحنفي، ويمكن تعيين مفتين على المذاهب السنية الأخرى، وكانت فترة توليه منصبه تطول سنوات، مما كان يعرضه أحياناً للعداوات^(٤). ومن الأمثلة على قضايا الإفتاء في صيدا إن حنا اسطه الرومي العنجي... ادعى على محمد بن قاسم حمادي بمبلغ ثلاثة الاف قرش ثمن معاطف (كبايت) وغيرها وابرز صكا

(١) راجع جدول قضاء صيدا في الملحق في نهاية الكتاب.

(٢) لبنان الحال العدد ٣٣٩٠، في ٩ نيسان ١٩٠٠.

(٣) ثمرات الفنون العدد ١٠٣٦، في ١٥ تموز ١٨٩٥.

(٤) اساء بعض الأشخاص لسمعة مفتي صيدا محمد بهاء الدين الزين لدى والي بيروت، وذلك سنة ١٩٠٧، فأرسل المطران بأسيليوس مطران صيدا ودير القمر للروم الكاثوليك رسالة إلى الوالي يشيد فيها بأخلاق المفتي، وأن ما وصله عنه هو عارٍ عن الصحة - راجع وثائق مطرانية الروم الكاثوليك صيدا.

مؤرخاً في ١٦ ذي القعدة سنة ١٢٧٠... ولكن المدعي عليه أجاب بأن الدعوى لا تقبل، لأنه مضى عليها الزمن بمرور خمس عشرة سنة عليها ولم يطالبه خلالها بدفع المبلغ، وإنه حتى لو قبلت، فيجب أن تختص بها محاكم جبل لبنان لأن المدعى عليه ووالديه مقيمون فيها... ولما اعجز الأمر القاضي، رفعه إلى مفتي صيدا... فأفتي بأنه إذا كان السكوت عن رفع الدعوى كل تلك المدة بلا مسوغ شرعي فلا تسمع منه... وإذا أثبت المدعي وجود مانع شرعي فتسمع منه ويجوز إن يكون ذلك أمام محاكم جبل لبنان... لأن القضاء يتخصص بالزمان والمكان والأشخاص والحوادث... وعند ورود الفتوى... سئل المدعي عن بيعة تثبت طلبه المبلغ خلال تلك الفترة، فعجز عن إبرازه. فحكمت المحكمة برد الدعوى...^(١)

وكذلك عندما تقدم عباس عبد الهادي البساط من صيدا بالشكوى ضد حنا خليل يونس من البرامية والقاطن في سقي صيدا، إنه اشترى منه قبل إسبوع من تاريخه « حماراً » أزرق اللون باربعمائة وخمسة عشر قرشاً على أساس أن الحمار سليم البنية وخال من العيوب الشرعية، ثم تبين له أن به مرضاً وسعالاً دائماً وإنه لا يقطع علفه اليومي ومقداره ربع كيلة شعيراً، وإنه يريد رده وإستعادة نقوده.

وقد أجاب المدعى عليه إنه باعه الحمار سليماً من العيوب، وإن المدعي رغم علمه بمرض الحمار ظل يستعمله للركوب وللنقل، وغبّ سؤال المدعى عن ذلك اعترف بركوبه الحمار وبتحميله حنطة ذهاباً وإياباً، وقد رفع القاضي واقع الحال إلى المفتي... فورد جوابه بأن إقرار المدعي بركوب الحمار وبتحميله حنطة رغم معرفته بعيب الحمار يعد رضاء بالعيب... حيث ورد في الدرر إن لبس المبيع أو استخدامه أو ركوبه في حاجته رضا لأن كلاً منها دليل الإستبقاء... وبناء على تلك الفتوى حكم القاضي برد الدعوى وباعتبار البيع صحيحاً شرعاً ومستوفياً كافة شروط البيع.^(٢)

(١) المحكمة الشرعية، سجل ١١ في ٢٣ ربيع الثاني. سنة ١٢٨٦ هـ.

(٢) المحكمة الشرعية، سجل ١١، غرة ١٥٢، في ٢٧ ربيع الأول سنة ١٢٨٦ هـ.

ب - القضاء النظامي:

كان هذا القضاء وليد الإصلاحات التي جرت في الدولة العثمانية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. وكان حجر الأساس فيه صدور قانون الجزاء الهايوني «قانون العقوبات العثماني» سنة ١٨٥٨^(١)، وتعديلاته سنة ١٨٧٠، ثم القوانين التي تلتها^(٢).

وكان قانون تشكيل الولايات الصادر سنة ١٨٦٤ أقر إنشاء ديوان تمييز في كل ولاية، يتألف من ستة أعضاء ثلاثة منهم مسلمون وثلاثة من غير المسلمين، ويدعى كل منهم «مميزاً» وظيفته هذا الديوان الفصل في الدعاوى الجزائية والحقوقية، ويصدق الوالي على أحكام الديوان، وما يخرج عن صلاحياته يرفعه إلى اسطنبول لتبت به.

أما في اللواء فيشكل مجلس تمييز حقوقي يرئسه حاكم الشرع (النائب)، ويتألف كذلك من ستة أعضاء، وله نفس الصلاحيات الممنوحة لديوان تمييز الولاية، ويصدق المتصرف على أحكامه، وما يخرج عن صلاحياته يرفعه إلى الوالي لينظر فيه^(٣).

وفي القضاء انشئ مجلس دعاوى القضاء ويرئسه حاكم الشرع (النائب) في القضاء، ويتألف من ستة أعضاء كذلك، وينظر بالدعاوى في القضاء، عدا الدعاوى الجنائية، ويصادق القائقام على أحكامه، وما يخرج عن صلاحياته يرفعه إلى المتصرف^(٤).

(١) في ٢٨ ذي الحجة سنة ١٢٧٤. راجع الدستور، ج ١، ص ٣٢٣.

(٢) نظام ديوان الأحكام العدلية سنة ١٨٦٧. راجع الدستور، ج ١، ص ١٥٠. وقانون المحاكم النظامية سنة ١٨٧٢. راجع الدستور، ج ١، ص ١٧٣. وتمرفة رسوم الأحكام العدلية سنة ١٨٧٠. راجع الدستور، ج ١، ص ١٨٢. وتمرفة الرسم في المحاكم النظامية سنة ١٨٨٧، وقانون أصول المحاكمات الجزائية سنة ١٨٨٩. راجع مجموعة قوانين وهي مترجمة عن التركية.

(٣) قانون تشكيل الولايات سنة ١٨٦٤، الدستور، ج ١، ص ٣٨٩.

(٤) المصدر السابق، ص ٣٩٠.

وطبقاً لقانون تشكيل المحاكم النظامية لسنة ١٨٧٢ خولت مجالس الدعاوى بالقضاء بالنظر بالدعاوى بداية، ومجالس التمييز في الأولوية تراها بداية واستثناءً، وفي دواوين التمييز بمراكز الولايات ترى الدعاوى استثناءً فقط.

كما أوجد في كل قرية وناحية مجلس اختيارية مهمته تسوية القضايا صلحاً. ولا يصدر حكماً بل يأخذ سنداً من الطرفين بأنها تصالحا، فإذا لم يقبل أحد الطرفين الصلح، تحول الدعوى إلى المحاكم المختصة^(١).

وكان مجلس دعاوى القضاء يرى كافة القضايا الحقوقية ويدقق في القضايا الجزائية بدرجة القباحة والجنحة، ولا يجوز أن تتجاوز قيمة القضايا الحقوقية التي ينظر بها مجلس دعاوى القضاء خمسة آلاف قرش ولا يتجاوز إيراداتها السنوي خمماية قرش^(٢). «... قد حكم على الخواجة جرجس بن ابراهيم نخلة... من أهالي صيدا المتوطن الآن في بيروت مبلغ الفين وسبعمائة قرش للخواجة بشارة زهار الصايغ العثماني من أهالي صيدا، المرهونة على ذلك المبلغ نصف دار بحلة الشارع بصيدا محتوية على اودتين ومطبخ.

بناء عليه وحيث المحكوم عليه الراهن المحرر تمتع عن دفع المبلغ المذكور، لذلك وجب طرح المرهون بالمزاد، فالذي له رغبة لمشتري نصف الدار فليراجع دائرة الاجراء في محكمة بداية صيدا... في ٣ محرم سنة ١٣٠٠ هجري^(٣).

وكانت محكمة البداية في القضاء (مجلس الدعاوى) تنظر في الجرائم من نوع القبايح وتصدر بها حكماً قطعياً، أما في جرائم الجنح^(٤) فيكون قابلاً

(١) الدستور، ج ١، ص ١٧٣.

(٢) الدستور، ج ١، ص ١٧٤.

(٣) ثمرات القانون العدد ٤٠٤، في ٢٧ تشرين الثاني، سنة ١٨٨٢.

(٤) اعتبر قانون الجزاء المبايوني الجرائم ثلاثة أنواع: جنحة وجنحة وقباحة. أما الجنابة فهي أفعال تستلزم المجازاة الإبراهيمية أي الإعدام أو الوضع في الكورك مؤبداً أو مؤقتاً، مع التشهير والسجن في القلاع والنفي المؤبد والمهرومية من الرتب والأموريات. وإن الجنحة هي أفعال تستلزم المجازاة التأديبية، أي الحبس أكثر من اسبوع والنفي الموقت والطرده من الأمورية والجزاء النقدي. وإن القباحة هي أفعال أو حركات تستلزم المعاملة التكميلية، أي الحبس من أربع وعشرين ساعة إلى إسبوع، والجزاء النقدي إلى مائة غرش. أما الكورك فهو وضع القيود الحديدية في الأقدام والقيام بالأعمال الشاقة. أما التشهير فهو كتابة خلاصة الحكم بخط كبير ووضعها على صدر المحكوم، وإيقافه في الساحة العامة ساعتين ليراه الناس.

للاستئناف. أما في الدعاوى الجنائية فترسل المحكمة في القضاء بنتيجة تحقيقاتها إلى مجلس التمييز في اللواء ليحكم بها.

كان انتخاب أعضاء المحكمة يجري بمعرفة لجنة تقرير (فرز) خاصة، مؤلفة من أعضاء مجلس الإدارة الأصليين (وهم القاضي ومدير المال والمفتي ومدير التحريرات) ورؤساء الطوائف المسيحية ويرأس اللجنة القائمقام، وترسل النتيجة إلى المتصرف الذي يختار أحد الأسماء الثلاثة كي يكون عضواً في المحكمة^(١). أما أعضاء محاكم الألوية فيقوم باختيارهم الوالي، ويتم اختيار أعضاء محاكم الاستئناف في الولاية بواسطة وزير الداخلية في العاصمة، وتدوم فترة عضوية كل منهم سنتين^(٢).

وكان بعض القائقامين يتدخل أحياناً ضد انتخاب بعض الأشخاص، كما حدث سنة ١٨٨٠ عندما رفض القائمقام^(٣) طلب الترشيح لعضوية محكمة بداية صيدا للحاج محمود المجدوب ولطوف والحرّ وجبور ثور، فحدث شغب في

(١) كانت محكمة بداية صيدا تتألف عادة من عضوين مسلمين وآخرين مسيحيين، وكان أحد العضوين المسلمين سنياً والآخر شيعياً غالباً، أما العضوان المسيحيان فكانا بالتناوب بين الطائفتين الأكثر عدداً في صيدا، طائفة الروم الكاثوليك، وطائفة الموارنة، راجع ارشيف مطرانية الروم الكاثوليك في صيدا.

ففي سنة ١٨٧٥ مثلاً تألفت محكمة بداية صيدا من النائب رئيساً ومن الأعضاء عثمان الزين وعلي الحر والياس زكا ومخول افندي والكاتب يوسف رفعت، وسنة ١٩١٢ كان رئيسها محمد علي التميمي والأعضاء مارون الوزير والحاج سعيد البزري والباشكاتب كامل كزير والمستنطق نجيب الأسطة، والكاتب صبحي الددا، ووكيل الدعاوى داوود الزهار، راجع حوليات الدولة العثمانية للسنتين المذكورتين.

(٢) يوسف الحكيم: سوريا والعهد العثماني، ص ٣٩

(٣) هو القائمقام إحسان بك وأساس القضية إن الطريق التي خطط لإنشائها بين صيدا والنبطية، سببت للمزارعين على جانبيها أضراراً وخسائر للنفار والأثرية الناشئة عنها، دون أن تقوم السلطات برصفها وتهذيبها، فتجمع هؤلاء قرب مقر القائمقام للاحتجاج، وصادف لصق منشورات مناوئة للأتراك على بعض جدران شوارع صيدا، وكان مقررأ في نفس اليوم إجراء انتخابات لعضوية محكمة بداية صيدا، فاعتقد القائمقام إن المجدوب ورفاعة سبب كل ذلك فاعتقلهم، ثم عاد فيما بعد وأطلق سراح المجدوب وآخرين من عائلات الجوهرى ونور ونحولي وقدورة. راجع ثمرات الفنون الإعداد ٣١٣ و٣١٥ و٣١٨ في ١٠ و ٢٤ كانون الثاني و١٤ شباط سنة ١٨٨١.

صيدا، وقام محمود المجدوب بإرسال عريضة احتجاج ضد القائمقام التركي وسأنده اقرباؤه من آل الجوهرى. وقد صادف آنذاك ظهور مناشير ثورية على جدران شوارع صيدا، فاعتقد القائمقام إن لمحمود المجدوب يدأ في ذلك، خصوصاً وإن المناشير دعت إلى طرد الأتراك، وتعيين قائمقام عربي، فجرى اعتقال أولئك الأشخاص وأرسلوا إلى بيروت، ولما حاول آل بيهم التوسط لدى حدي باشا للعفو عن محمود المجدوب رفض طلبهم.^(١)

وبعد تسلم الاتحاديين للحكم، وفي مطلع القرن العشرين، فرضوا معرفة اللغة التركية على أعضاء المحاكم، وعندما تبين للسلطات ان اثنين من أعضاء محكمة بداية صيدا يجعلان التركية، عزلتهما، وأعلنت عن قبول الترشيح لعضوية المحكمة بدلاً عنهما، مما حدا ببعض الصحف إلى التساؤل عن الهدف من ذلك، سوى الإساءة للعرب بفرض التركية عليهم.^(٢)

وكان يوجد محامون (وكلاء دعاوى) في كل من المحاكم الشرعية والمحاكم النظامية، ومن برز في صيدا في هذا المجال: سليمان مصوبع من جبل لبنان وكان متوطناً في صيدا، والى كتاباً سماه «قاموس القضاء العثماني» في ثلاثة مجلدات، وقد لعب دوراً بارزاً في الحركة الوطنية ضد الأتراك، فيما بعد. كما كان من وكلاء الدعاوى كذلك محمد كامل المغربي الذي تولى، فيما بعد، مناصب مهمة علمية وتربوية، بالإضافة إلى عثمان فوزي، وبشارة غور وحبيب فارس وغيرهم.

كما كان يحق لأي شخص أن يوكل من شاء للنظر في إدارة أمواله، أو متابعة دعواه أو القيام بهام البيع والشراء باسمه، فقد وكل طنوس بن توما القبطي، من صور، وكان أميناً لصندوق المال في صيدا، أخاه حبيباً لشراء مزرعة له.^(٣)

كما وكل يوسف حاييم لاوى، من يهود صيدا، أحمد محمد آغا حود، للقيام

(١) أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية، تقرير القنصل الفرنسي في بيروت رقم ٤٨ في ٢ كانون ثاني ١٨٨١، عادل إسماعيل، ج ١٤، ص ٢٥٢.

(٢) لسان الحال، العدد ٧٥٨٠ في ٢٣ حزيران ١٩١٤.

(٣) المحكمة الشرعية، سجل ٨، ص ٥٧، غرور ٢٤٢، في ٨ رجب الفرد سنة ١٣٠٩ هـ.

باجراءات الرهن وفك الحجز، والصلح إذا اقتضى الأمر، وكل ما يتعلق
بخصومته مع مردوخ بن شحاده نسيم لدى المحاكم كافة^(١).

كما إن مارية، أرملة الأمير حبيب أيللا، من الجنسية البريطانية، المقيمة
في صيدا، وكلت سليمان شاهين مجي، للقيام ببيع مطحنتها في قضاء
مرجعيون^(٢).

هذا وكانت رواتب أعضاء المحاكم، في أواخر العهد العثماني كما يلي: رئيس
محكمة البداية الفا قرش شهرياً، وأعضاء المحكمة ألف قرش. ورئيس الدائرة
الحقوقية في محكمة الإستئناف ثلاثة آلاف قرش شهرياً، ورئيس الدائرة
الجنائية الفا قرش، أما أعضاء محكمة الإستئناف فراتب كل منهم ألف
وخمسمائة قرش شهرياً^(٣).

محاكم التجارة:

فيما بين سنتي ١٨٥٩ و ١٨٦٣ صدرت عدة قوانين تنظم أصول التجارة
البرية والبحرية في الدولة العثمانية، ومن ثم في ١٠ ربيع الآخر سنة ١٢٨٧
(١٨٧١) صدر قانون أصول محاكم التجارة، وبموجب هذا القانون اختصت
هذه المحاكم بالنظر في كافة القضايا التجارية، وتم إنشاؤها في كل مكان كانت
تدعو الحاجة إليه من مدن الولايات المختلفة، أما محاكم الإستئناف التجارية
فقد اختصت بها عواصم الولايات وحدها.

وقد تألف نصف أعضائها من غير المسلمين، وكانت معظم قوانينها منقولة
عن القوانين التجارية الفرنسية.

وفي سنة ١٨٨٢ جرى إنشاء المحكمة التجارية في صيدا، وانتخب لها
يوسف المجذوب وإسماعيل النقيب وميخائيل بسترس وعبدالله النقاش «...
لرؤية المصالح التجارية في محكمة بداية صيدا الحالية من محكمة تجارية خاصة،

(١) المحكمة الشرعية، سجل ٢٠، ص ٤٢. نمر ٩٣ في ٥ شوال ١٣١٦ هـ.

(٢) المحكمة الشرعية، سجل ٥، ص ٦١ دون رقم، في ١٠ رجب سنة ١٣٠٥ هـ.

(٣) مكتب الجلات العامة ف و ٢٣٤٢/١٩٥ تقرير قنصلي ملحق برسالة رقم ٧ من التنصل

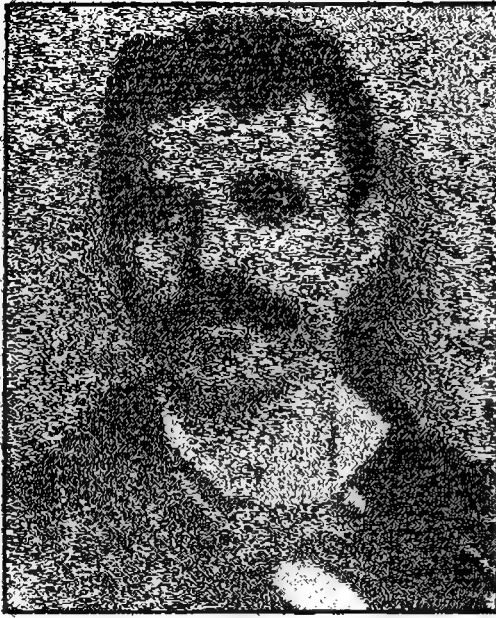
COMMBERBATCH للسفير ميرجيرارد لوثر بيروت في ١٢ شباط ١٩١٠.

وذلك تطبيقاً للمادة العاشرة من قانون تشكيل المحاكم، وكذلك المادة ١٦ من ذيل (ملحق) ذلك القانون...»^(١).

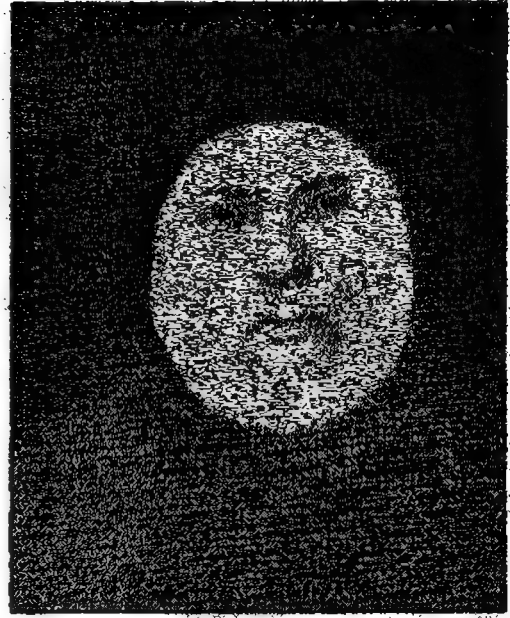
غير أن اعتياد الناس، من شتى الطوائف، على الركون إلى المحكمة الشرعية في حل قضاياهم، وتساهل القانون في هذا المجال، اضعف كثيراً من دور المحكمة التجارية في صيدا، حتى في الشؤون الاقتصادية البحتة، وظلت المحكمة الشرعية تستأثر بنصيب الأسد من النظر في هذه القضايا وإصدار الأحكام فيها «... حضر الياس نخله أيل... وادعى على حبيب مخول الصهيوني من محلة القناية في سقي صيدا.. إنه اشترى منه حنطة وفولاً، وبقي له في ذمته من قيمتهم مبلغ ٢٢٧ قرشاً عملة رايح بندر صيدا... وبعد سؤال المدعى عليه وإقراره بالمبلغ... حكم القاضي بأن يُؤدَّيه إليه منجَّاً (مقسطاً) ...»^(٢).

(١) ثمرات الفنون، العدد ٣٧٥، في ٣ نيسان ١٨٨٢.

(٢) المحكمة الشرعية، سجل ٥، دون رقم، في ربيع الآخر ١٣٠٥ هـ.



منح (بك) الصلح
عضو محكمة بداية بيروت



احمد (باشا) الصلح
متصرف عدة مرات



سليم (بك) صامي
عضو لجنة الري لقضاء صيدا
(مجموعة جان صامي)



رضا (بك) الصلح
لائق مقام صيدا ثم عضو مجلس البعثان.



حني (بك) الحدوب
مدير برق والبريد
١٩٤٢ - ١٩٥٢



توفيق البساط
مدير معية ولاية سوريا
١٩١٦ - ١٩٩١



حني الدين الجوهري
عضو بلدية صيدا
(١٩٩٤)



اسعد سليم ايوب
طبيب بالجيش المصري
١٩٢٥ - ١٩٨٠



الشيخ كمال المقرئ
مفتي صيدا
١٩١٤



الشيخ همام الدين الزين
مفتي صيدا
١٩٠٦ - ١٩١٤



الشيخ عبد الحميد القواس
عالم وخطيب جامع السرايا



الشيخ أحمد جلال الدين
نقيب الاشراف

الفصل الثاني

الجيش والأمن

أولاً - الجيش

١ - التشكيلات:

كانت قوات الإنكشارية تشكل القوات الرئيسية في الجيش العثماني إلى جانب القوات الأخرى^(١)، حتى أوائل القرن التاسع عشر، عندما قام السلطان محمود الثاني (١٨٠٨ - ١٨٣٩) بالقضاء عليها فيما عرف «بالوقمة الخيرية»^(٢) سنة ١٨٢٦، واستعاض عنها بقوات نظامية بدأ تدريبها على الأساليب العسكرية الأوروبية الحديثة^(٣).

وقد قسم الجيش العثماني الجديد إلى ستة فيالق^(٤)، رابط اثنتان منها في الولايات الواقعة في أوروبا، واثنان في آسيا الصغرى، وفيلق في بلاد الشام وآخر في العراق^(٥). وكان فيلق الشام يدعى الجيش الخامس^(٦)، كما أنشئت فيها مدارس رشدية وإعدادية عسكرية.

في أواخر النصف الأول من القرن التاسع عشر، تشكلت القوات العثمانية

(١) عيسى اسكندر المعلوف: تاريخ الأمير فخر الدين المعني الثاني، ط ٢، بيروت، ١٩٦٦، ص ٢٦.

(٢) ساطع الحصري: مرجع سابق، ص ٨١.

(٣) منذ سنة ١٨٥٤ جرى تدريب الجيش العثماني على الطريقة الفرنسية، ثم صار ينظم منذ سنة ١٨٨٣ على الطريقة الألمانية، وبشكل عام كان المشاة والخيالة يدرّبون على الطريقة الفرنسية، والمدفعية على الطريقة الألمانية.

(٤) كان الفيلق في الجيش العثماني يتألف من لوائين من المشاة في كل منها طابور من القناصة، وكل لواء يتألف من الابن، وكل آلي يتشكل من أربعة طوابير.

(٥) فلاديمير لوتسكي: مرجع سابق، ص ١٥٠.

(٦) قبيل الحرب العالمية الأولى دعي الجيش الرابع.

في بلاد الشام من عشر كتائب،^(١) كانت واحدة منها في صيدا^(٢). وفي سنة ١٨٨١ مثلاً كانت تعسكر في صيدا الكتيبة الثانية برئاسة البيكباشي^(٣) حسن أفندي والبيكباشي شفيق بك، أما في سنة ١٨٩٤ فضمت كتيبة صيدا خمسة عشر ضابطاً بقيادة البيكباشي أمين أفندي^(٤). وفي سنة ١٩١٢ تألفت قيادة كتيبة صيدا من البيكباشي كامل كمال بك الزالقي ومعه ثمانية ضباط^(٥). أما المدفعية فقد نقلت من قلعة صيدا إلى عكا سنة ١٩١٠.

٢ - التجنيد:

بدأ نظام التجنيد في عهد السلطان محمود الثاني بعد القضاء على الإنكشارية، لكن التجنيد لم يشمل كافة السكان، بل اقتصر على المسلمين، واعفى غير المسلمين مقابل دفع بدل نقدي عند وصولهم إلى سن التكليف^(٦). لكن أول من فرض التجنيد الإجباري الشامل في بلاد الشام، كان إبراهيم باشا وتشدد في ذلك مما كان أحد أسباب استياء السكان وثوراتهم ضده^(٧).

-
- (١) كانت الكتيبة تضم عادة ستة فصائل. وكان كل فصيل يتألف من ١٢٠ رجلاً.
- (٢) كان في كل من دمشق وحلب كتيبتان، وثلاث كتائب في يافا وكتيبة في طرابلس وأخرى في أضنة، راجع تقرير J. BOWRING ص ٢٦.
- (٣) كانت البيكباشي من رتب الجيش العليا بمعنى قائد الألف، ويليهما الميرالاي، ميرلوا، فريق، مشير.
- (٤) حولية ولاية بيروت لسنة ١٣١١ - ١٣١٢ هـ.
- (٥) حولية ولاية بيروت، دفعة ٢٠، سنة ١٣٣١ هـ.
- (٦) كما اعفى كافة سكان ولايات اسطنبول وكرت وجزر البحر الأبيض المتوسط وطرابلس الغرب واليمن والحجاز. راجع: ساطع الحمصي: البلاد العربية والدولة العثمانية ص ٢٥١.
- (٧) أورد اسد رستم في «بعض وثائق تاريخية تتعلق بتاريخ سوريا ولبنان عن المحاكم الشرعية في طرابلس وحلب ودمشق» على نفقة الجامعة الأميركية في بيروت سنة ١٩٢٧، أمثلة عن كيفية جمع الجنود وربطهم بكفالات، وفيها يلي نماذج منها اخترتها تتعلق بصيداوين حضر حان بساط وكفل (أخاه) مصطفى البساط العسكري كفالة بدنية إن هرب يكون هو الطالب به وكفله على ذلك أبو خليل الطرابلسي، تحريراً في ١٥ ذي الحجة سنة ١٢٥٠ هـ. (١٨٣٤) وأيضاً: حضر محمد البلولي وكفل ابن عمه أخ زوجته عبد الحاج أبو فعله الصيداوي العسكري من بلك ٢ وخيمة ٦ وأزطه ٣ كفالة نفس إن هرب يكون هو الطالب به وكفله على ذلك محمود بن غنوم الصباغ. زهرة تحريراً في ٩ ذي الحجة سنة ١٢٥٠ وشهود الحال حسن نصار ومحمود الخليلي وصالح الترجمان وحسن المندوب وغيرهم.

وقد أشار خطط كلخانة الإصلاحية إلى العمل على فرض التجنيد الإجباري. كما إن خطط التنظيمات الخيرية أكد على حق كافة أبناء الطوائف العثمانية المختلفة في شرف الإشتراك بالخدمة العسكرية. وقد مهدت الدولة لذلك بألغاء ضريبة «الخراج» المفروضة على غير المسلمين سنة ١٨٥٥. ويبدو ان الدافع الرئيسي لذلك كانت محاولة الدولة العثمانية إرضاء حليفتيها، فرنسا وبريطانيا، خلال حرب القرم مع روسيا آنذاك.. لكن إستياء المسلمين من مشاركة المسيحيين لهم بالإخراط في الجيش، كذلك عدم إقبال غير المسلمين على الخدمة العسكرية، حداً بالباب العالي إلى إعفاء هؤلاء من الخدمة العسكرية مجدداً مقابل دفع مبلغ معين عرف بالبدل العسكري.^(١)

وفي سنة ١٨٨٦ (٢٧ صفر ١٣٠٤ هـ) صدر قانون «أخذ العسكر النظامية الشاهانية» الذي حدد كيفية تطوع الجنود من المسلمين^(٢). فقد اعتبر الخدمة العسكرية مفروضة على جميع الذكور العثمانيين ممن هم في سن التكليف^(٣). وكان سن التكليف يبدأ من اليوم الأول من شهر آذار الذي يلي دخول الشخص سن العشرين. وجعلت مدة الخدمة العسكرية عشرين سنة موزعة على ست سنوات في الخدمة النظامية، وثمان سنوات في الرديف، وست سنوات في المستحفظ.

وعند تغيير مكان إقامة المكلف كان عليه إعلام أقرب مركز للتجنيد بعنوان إقامته الجديد، وعندما كان يحين موعد تجنيد المكلف وهو غائب، كان أهله يلزمون بسحب ورقة قرعته، فإن لم يوجدوا قام المختار بذلك^(٤).

(١) لوتسكي: ص ٦٠. وكذلك ساطع الحصري: ص ٩٢.

(٢) مجموعة قوانين بالتركية وترجمتها العربية، ص ٢ محفوظة في مكتبة الجامعة الأميركية في بيروت، وسأشير إليها فيما بعد باسم «مجموعة قوانين».

(٣) وأعفى منها سكان اسطنبول والبلاد الثلاثة (وهي ولايات الروملي: ملانيك ومناستر وقوصوه) وكذلك كافة العاملين بالخدمة الدينية (من أئمة وخطباء مساجد ومشايخ طرق وخدام مقامات) والمرضى بأمراض ظاهرة ومزمنة، والمجازون جسدياً، كما شمل الإعفاء وحيد ابويه والمعلل الوحيد لأهله والتزوج من أجنبية. راجع القانون المذكور المواد ٢١ - ٤٥.

(٤) المادة ٧ من القانون المذكور.

كانت كل ولاية من ولايات الدولة العثمانية تضم مراكز تجنيد متعددة، وفي القضاء، كان مركز التجنيد برئاسة بيكباشي طابور رديف القضاء عادة، ومعه كاتب للطابور وعريف (باشجاويش)^(١)، فمثلاً في سنة ١٨٩٩ كان كاتب طابور الرديف في صيدا عبدالله أبو السعود من أهالي القدس^(٢). وفي سنة ١٩٠٣ كان رئيس مركز التجنيد شكري بك أميرالاي السواري (الفرسان)^(٣)، وفي سنة ١٩٠٤ كان رئيس مركز التجنيد البيكباشي عبد السلام أفندي^(٤).

كان مركز التجنيد يدعى «شعبة أخذ العسكر» واللجنة المشكلة تدعى «قومسيون أخذ العسكر»^(٥).

كان يوم التجنيد يوماً مشهوداً في حياة البلاد، إذ تحشد له الدولة مظاهر قوتها بإصطفاف الجنود حاملين السلاح، وبحضور كبار الموظفين ووجهاء البلد وحشد من الأهالي «تلى المرسوم السلطاني بسحب القرعة العسكرية لسنة ١٣١٩ (١٩٠٣) في دار الحكومة بحضور القائما وكاتب التحريات ونيقيب الإشراف والنائب والمفتي ووجوه البلدة واعيانها والمكلفين بالخدمة العسكرية وجمع غفير... من أهلهم، وبعد تلاوة المرسوم رفع نقيب الإشراف صوته بالدعاء إلى الله لتأييد الدولة العلية ونصر جنودها وصيانة الذات السلطانية، ثم تعالت أصوات الجنود والحاضرين بالنداء ياد شاهم جوق يشا»^(٦) وبعد ذلك التأمّت لجنة اجراء القرعة برئاسة شكري بك أميرالاي السواري^(٧).

كان المكلفون بأداء الخدمة يفرزون إلى فريقين: الأول هو الذي تطلع

(١) المواد ١١ - ١٤ من القانون المذكور.

(٢) المحكمة الشرعية في صيدا سجل رقم ١٢ نومرو ٢٨، لسنة ١٣١٧ هـ.

(٣) ثمرات القنون العدد ١٤٣٦، في ٢٩ حزيران ١٩٠٣.

(٤) ثمرات القنون العدد ١٤٨٥، في ٢٠ حزيران ١٩٠٤.

(٥) كانت اللجنة تسمى أيضاً «قومسيون كمّ العسكر» والتجنيد كان يدعى «كمّ العسكر» مقال «كمّ العسكر في بيروت» مجلة أوراق لبنانية مجلد ١٩٥٥، ص ٤٧.

(٦) بمعنى يعيش سلطاننا. الإقبال العدد ٤٠، في ٢٩ حزيران ١٩٠٣.

(٧) ثمرات القنون العدد ١٤٣٦، في ٢٩ حزيران ١٩٠٣.

أرقام أفراد حسب العدد المطلوب تجنيده ويسمى « انفار الترتيب الأول »
والثاني هو بقية الأفراد المكلفين بالخدمة العسكرية في المنطقة ويسمى « انفار
الترتيب الثاني » .

وكان أفراد الترتيب الأول يخدمون فعلاً بالقوات النظامية. أما أفراد
الترتيب الثاني فيخدمون من ستة إلى تسعة أشهر ثم يسرحون، ويعتبرون
« أفراداً موقوفة » أي في الإحتياط. أما الذين يحين موعد تجنيدهم. ولكنه
يؤجل إلى السنة التالية، فيطلق عليهم « الأفراد المأذونة »، والذين يتمتعون
عن الحضور إلى مراكز التجنيد أو يهربون من الإلتحاق بالخدمة العسكرية
فيسمون « الأفراد المزجورة »^(١).

لما جرى سحب القرعة لسنة ١٩٠٤ في صيدا « ... بحضور القائقام ومأمور
أخذ العسكر البيكباشي عبد السلام أفندي والأهالي والمأمورين، كان عدد
أفراد الترتيب الأول ١٥٧ رجلاً، والثاني ٣٩ رجلاً... »^(٢).

لم يكن يؤخذ للتجنيد، كل المكلفين بالخدمة العسكرية، في أوقات السلم،
ففي سنة ١٨٨١ كان مجموع من أخذوا من صيدا ٤٣ شخصاً فقط^(٣). وفي
سنة ١٩٠٨ مثلاً كان عدد المطلوبين للخدمة في صيدا ١٦٢ شخصاً كان نصيب
١٤٥ منهم أن يكونا ترتيباً أول و١٧ شخصاً من الترتيب الثاني.^(٤) وبعد
إختيار الأفراد بالقرعة يجري تحويلهم إلى الثكنات لبدء التدريب. وبشكل
عام لم تكن مدة الخدمة العسكرية تتجاوز اثنتي عشرة سنة.^(٥) وأحياناً أقل
وأحياناً أكثر، تبعاً لظروف الدولة العسكرية.

وكما إن الدولة في أوقات السلم لم تكن تستدعي كل المطلوبين للخدمة
العسكرية، فإنها في أوقات الحروب والأزمات كانت تجند حتى من غير المسلمين
سداً لحاجاتها « قد صار الاشعار من جانب مشيرة الأردوي المهايوفي بأنه قد

(١) المادتان ٩٠٨ من قانون أخذ العسكر المذكور.

(٢) ثمرات الفنون العدد ١٤٨٥، في ٢٠ حزيران ١٩٠٤.

(٣) ثمرات الفنون العدد ٣١٣ في ١٠ كانون الثاني سنة ١٨٨١.

(٤) ثمرات الفنون العدد ١٦٤٩ في ١٠ شباط ١٩٠٨.

(٥) عبد الكريم غرايبة، سوريا في القرن التاسع عشر، ص ٦٨.

تقرر أخيراً قبول من يرغب الدخول في آلاي عسكر الدراغون الشاهانية من أهالي بيروت وطرابلس المسيحيين، بشرط أن يكون موافقاً للخدمة العسكرية ومن أهل العرض والناموس، بناء على ذلك من يرغب بعد الآن في سلك العسكر المذكورة من مسيحيي أهل بيروت فعليه أن يتخاير مع قائماتية آلاي الدراغون بهذا الشأن... في ٢٣ شوال سنة ١٢٩٤ هـ « (١) ».

وبعد إعلان الدستور سنة ١٩٠٨ فتح المجال قانونياً وعملياً أمام جميع المواطنين من كافة الطوائف للدخول إلى الجيش، ولكن سمي السلطات في تجنيد غير المسلمين كان بطيئاً، كما إن إقبال غير المسلمين على الخدمة العسكرية كان ضئيلاً بشكل عام، بالرغم من إن بعض المسيحيين واليهود أقبلوا على التطوع بالجيش لأن ذلك يجعلهم على قدم المساواة مع المسلمين (٢). وقد بلغ الحماس ببعضهم أن رفض دفع البدل النقدي، الذي ظل مسموحاً به، وتقدم لمراكز التجنيد دون إبطاء «رفض فريق من مسيحيي رأس بيروت، دفع البدل النقدي، وتقدم إلى سراي الحكومة للتجنيد وفي مقدمتهم الدكتور نقولا ربيز» (٣).

وعند إجراء القرعة العسكرية للمسيحيين واليهود في قضاء صيدا سنة ١٩٠٩ خرج ١٥٠ نفرأً ترتيباً أول و ١٥ ترتيباً ثانياً، و ٢٢ نفرأً أفراداً مأذونة (٤). وخلال الحرب العالمية الأولى مات كثير من اليهود والمسيحيين أثناء الخدمة العسكرية في ميادين القتال المختلفة (٥).

(١) لسان الحال العدد ٦، في ٢٤ تشرين الأول سنة ١٨٧٧.

(٢) مكتب الجلات العامة ف.و ١١٥ / ٢٢٧٧ تقرير سري عن الوضع الإداري والاقتصادي لولاية بيروت وجبل لبنان ملحق برسالة رقم ٣١ من القنصل البريطاني العام في بيروت للسفير باسطنبول في ١٦ حزيران ١٩١٠.

(٣) البرق العدد ٦٣، في ٢٠ تشرين الثاني ١٩٠٩.

(٤) الاتحاد العثماني العدد ٣٧٦، في ١٣ كانون الاول ١٩٠٩.

(٥) فقد توفي من منطقة صيدا مثلاً أمين الياس مخول (من المية ومية) وحبيب أيوب توما (من عين قانه) وإبراهيم ديب (من برقي) وحاييم بن نجور شعبان سرور (من يهود صيدا) توفي في مستشفى الجاعونة بفلسطين. سجلات المحكمة الشرعية، صيدا سجل رقم ٢٤ نومرو ٢٤ و ٣١ و ٣٣ و ٧٠، صفحات ١٣١ و ١٣٢ و ٢٠١ لسني ١٣٢٣ ~ ١٣٣٤ (١٩١٥ - ١٩١٦).

وكانت السلطة العسكرية تشدد في تجنيد الأفراد خلال الحروب أو الثورات، ففي سنة ١٩١١ عندما كانت ولاية اليمن تعاني اضطرابات داخلية ورد الأمر إلى المسؤولين في ولاية بيروت بجمع ١٧٠ شخصاً من هم في الاحتياط، ممن كانت قرعتهم قد حلت سنة ١٩٠٧، وطلب من خمسين من رجال الشرطة العمل على جمع ذلك العدد خلال ثلاثة أيام، ليتم إلحاقهم بالطابور العسكري الذاهب إلى الحديدة على ظهر السفينة آق دكر (البحر الأبيض) التي كانت راسية آنذاك في مياه بيروت^(١).

وكان سكان متصرفية جبل لبنان معفيين من الخدمة العسكرية مقابل مبلغ نقدي يؤدونه لحكومتهم، لكن كان يحدث أحياناً أن تقوم سلطات ولاية دمشق، ثم ولاية بيروت فيما بعد، بتجنيد بعض اللبنانيين الموجودين على أراضيها، فكان هؤلاء يرفعون الشكوى لحكومتهم أو يلجأون إلى القناصل الأجانب يطلبون معونتهم^(٢) وقد استمر ذلك الحال حتى الحرب العالمية الأولى.

٣- البديل العسكري:

ضريبة البديل العسكري أو الإعانة العسكرية فرضت على الرعايا العثمانيين غير المسلمين بدل اعفائهم من الخدمة العسكرية التي كانت مفروضة على الرعايا المسلمين فقط، وكانت قيمتها مجيديين سنوياً عن كل ذكر، ويعفى من دفعها

(١) البرق العدد ١٤٥، في ٨ تموز ١٩١١.

(٢) في كانون الثاني ١٨٩٣ قدّم بعض اللبنانيين عريضة الى القنصل البريطاني في بيروت برجونه التدخل لدى السلطات العثمانية لعدم استيفاء بدل خدمة عسكرية منهم لأنهم معفون منها، ويخبرونه ان الذين امتنعوا عن الدفع زجّ بهم في السجن، وقد وقّعها ملحم نحاس ومخلّة هيكل واسكندر باز والياس فريجة ويوسف جبور جرجس وسليمان الجاهل وضاهر باز وداوود القاضي وابراهيم رابية وسلمان شكري وخليل جحا وبطرس الخوراني. وداوود القزّي وسليم نحاس ورزق الله نعمة. مكتبته الجلات العامة ف. و ٤٢٣٨/١٩٥. وفي سنة ١٩١١ قدم اللبنانيون المقيمون في بيروت شكوى ماثلة وقّعها شاكرون وجرجس عطية وطبيب من آل الجميل. والمرخصة ملحقة برسالة رقم ٣٣ من القنصل البريطاني العام COMMERBATCH الى السفير في اسطنبول مؤرخة في ١٨ نيسان ١٩١١. مكتبته الجلات العامة ف. و. ١٢٤٦/٣٧١.

من كان دون السادسة عشرة أو فوق السبعين^(١).

كما انها شملت فيما بعد المسلمين أيضاً، مقابل اعفاء المكلفين منهم من الخدمة العسكرية. وقد كانت قيمة البدل العسكري سنة ١٨٦٩ خمسين ليرة مجيدي أو مائتين وخمسين ريالاً مجيدياً^(٢).

ومنذ سنة ١٢٨٦ هـ (١٨٦٩) أصبحت السلطات تقبل البدل الشخصي الى جانب المال وغيره، أي أن يكلف الشخص المطلوب للخدمة العسكرية شخصاً آخر ليؤديها عنه، وغالباً ما كان هؤلاء الأشخاص مستأجرين ليقوموا بذلك، لكن هذا الأمر سبب مشاكل قانونية وشرعية عديدة حفلت بها صحف تلك الأيام: «... كان الحاج مسعود بن علي من بنغازي قد ذهب الى اليمن بدلاً من شاب من بيروت (أي في الخدمة العسكرية) فبات هناك. وكان قبل ذهابه قد استودع احد الأشخاص ٢٥ ليرة فرنسية، ويقوم الآن من يدعي أن له ديناً على المتوفي قيمته ٨ ليرات فرنسية، وأن آخر يزعم أنه أوصى له بإثنتي عشرة ليرة ونصف... وإدارة الجريدة تطلب وريثاً له إذا كان له وريث...»^(٣). وكذلك ورد الكثير منها في سجلات الحاكم الشرعية «... ادعى المصري علي بن محمد الصعيدي، ان رشيد بن محمد جبلي قد استأجره ليذهب بدلاً منه في سلك الرديف المتوجه الى اليمن لقاء ٣١ ليرة فرنسية، ودفع له منها ١٠ ليرات قبل السفر ووعده بالباقي عند عودته، فلما عاد اعطاه ٥٧ ريالاً مجيدياً بواسطة الحاج علي البزري وأنه بقي له بذمة المدعى عليه ٩٠٤ قروش... لكن وكيل المدعى عليه احمد بن محمد آغا حمود ادعى أنها تخالفاً... كما شهد الحاج علي بن احمد القطب وعلي بن احمد الدرة انه بقي للمدعي على المدعى عليه ١٥ ليرة فرنسية، وعند مواجعتهم بالحاج اسماعيل جبلي شهد امامهم ان المدعي لم يبق له بذمة المدعى عليه شيء... تحريراً في ١٦ رمضان ١٣١٧ هـ»^(٤).

(١) يوسف الحكيم: سوريا والعهد العثماني، ص. ٤.

(٢) المحكمة الشرعية في صيدا سجل رقم ١٩، غرة ١٥١ لسنة ١٢٨٦ هـ.

(٣) ثمرات الفنون، العدد ١٣٤٣ في ١٩ آب ١٩٠١.

(٤) المحكمة الشرعية في صيدا، السجل رقم ١٠، ص ٨٨ نومرو ٢٠٢.

ولم يقف قبول البديل العسكري على تطوع شخص بدل آخر، أو على اداء مبلغ معين، بل صارت الدولة تقبل مؤنا ومواد غذائية وأشياء مما يحتاجه الجيش بدل الخدمة العسكرية. ويبدو ان السلطة لجأت إلى هذه الطريقة خلال الحرب العالمية الأولى لشدة حاجة الجيش الى مواد تموينية لقواته في مختلف الجبهات، اذ لم أعثر عليها الا في السجلات المدونة خلال الحرب العالمية الاولى.

يتبين لنا من الوثائق التي عثرنا عليها ان كل من كان يقدم مئتي طن حطبا من خشب الزيتون في دمشق، أو اربعمائة طن حطبا من خشب السنديان في درعا، أو ثلاثمائة وخسين طنا حطبا من خشب السنديان في عمان، أو خمسمائة طن منها في جوار حيفا أو اربعمائة طن منها في حماه، أو ثلاثمائة طن حطبا من خشب الصنوبر في جبل لبنان أو بيروت، يجري اعفاؤه من الخدمة العسكرية لمدة سنة واحدة^(١)

وفي مذكرة صادرة بهذا الشأن من رئاسة شعبة التجنيد في صيدا تهدد الذين لا يقدمون نصف كمية المواد الغذائية التي تعهدوا بدفعها في ظرف عشرين يوما، بحري تجنيدهم من جديد، ويلحقون بالوحدات العاملة في جبهات القتال النائية عن اماكن اقامتهم الأصلية^(٢) وفي أمر آخر صادر عن الشعبة المذكورة في صيدا أعلمت المكلفين الذين تعهدوا بتقديم المواد الغذائية، بدل الاعفاء، وتسليمها في بيروت، انه يمكنهم تقديمها في عدة مدن في بلاد الشام عدّتها^(٣).

وفي امر آخر أصدرته شعبة تجنيد صيدا ذكرت الذين تعهدوا بتقديم مواد غذائية معينة ولم يتمكنوا، انه يمكنهم تقديم مواد غيرها بنسبة النصف والثلث والرابع، واوضحت ان مثال النصف الفا كيلو حنطة أو ألفان ومئة كيلو ذرة صفراء، ومثال الثلث ١١٥٠ كيلو شعيرا أو ١٤٣٤ كيلو ذرة بيضاء أو ١٣٣٤ كيلو بطاطا ومثال الربع ألف كيلو حنطة أو ألفا كيلو كرسنة أو ثمانمائة

(١) بلدية صيدا اعلان رقم ٢٥١ في ٩ شباط سنة ١٣٣٢ مالية.

(٢) بلدية صيدا اعلان رقم ٢٤٩ في ٦ شباط سنة ١٣٣٢.

(٣) المصدر السابق اعلان رقم ٢٥٩ في ١٢ شباط سنة ١٣٣٢.

كيلو حصص أو ٨٣٠ كيلو برغل^(١). أما الذين لا يقدمون ما تعهدوا بتقديمه فقد هذتهم شعبة تجنيد صيدا بإلحاقهم بوحداتهم فوراً^(٢).

معظم الناس لم ترغب بالجندية، ولجأ كثير منهم الى شتى الوسائل للتهرب من التجنيد في حالة عدم قدرته على دفع البديل العسكري المطلوب. وإزاء ذلك كان موقف السلطات متشدداً بحق الهاربين، ففي مطلع الحرب العالمية الأولى هددت السلطات كل من يتهرب من الخدمة العسكرية البرية أو البحرية «بمناسبة سفر البر» ولا يحضر في غضون عشرة أيام من إجراء القرعة العسكرية يتم اعدامه. كذلك يعد كل من يهرب من الوحدات العسكرية، بعد تجنيده، ولا يعود الى مركزه خلال سبعة أيام. ويكون عقاب العائد ضمن المهلة المحددة الأشغال الشاقة شهراً مقابل كل يوم من أيام هربه، وكان عقاب كل من يشجع أو يسهل فرار عسكري من الخدمة السجن خمس سنوات^(٣).

وفي سنة ١٩٠٩ اتجه تسعة وعشرون شخصاً من الصيداويين نحو بيروت هرباً من الخدمة العسكرية، لكن السلطات العسكرية في بيروت علمت بالأمر، فطوقتهم كوكبة من الفرسان عند وصول عرباتهم قرب حرج بيروت، وألقت القبض على واحد وعشرين منهم وتمكن الثانية الباقون من الفرار^(٤).

ولجأ آخرون الى الزواج من امرأة لا معيل لها ليتم اعفاؤهم من الخدمة العسكرية، ولما كثر ذلك النوع من الزواج تنبّهت السلطات وأصدرت أمراً بعدم اعفاء أولئك الأزواج من الخدمة العسكرية «... (ان البعض) لأجل يخلصوا ذواتهم من العسكرية يأخذوا (كذا) تحت نكاحهم نساء ما لهم (ما لهن) أحد وبسبب ذلك حاصل النقيصة على أنفار القرعة... فلا ينظر الى ادعائهم بل يصير ادخالهم في سلك العسكرية...»^(٥).

(١) المصدر السابق اعلان رقم ٢٦٠ في ١٢ شباط ١٣٣٢.

(٢) المصدر السابق اعلان رقم ٣٦٥ في ١٥ شباط ١٣٣٢.

(٣) بلدية صيدا، نوبرو ٢٦٧ في ١٤ رمضان ١٣٣٢ هـ (١٩١٤).

(٤) لسان الحال العدد ٦١١٣، في ٤ ايلول ١٩٠٩.

(٥) المحكمة الشرعية في صيدا أمر صادر عن سلطات ولاية بيروت الى قائمقام صيدا سجل رقم ١ غرة ٧ شوال ١٢٨٥ (١٨٦٨).

ويرجع هروب الناس من الالتحاق بالجيش الى طول فترة الخدمة العسكرية التي كانت، في معظم الأحيان، لا تقل عن اثنتي عشرة سنة وتصل الى عشرين سنة أحياناً. كما أن السلطات العسكرية كثيراً ما كانت تزج بالجنود العرب في الولايات البعيدة (كريت أو الاناضول أو الرومللي مثلاً) أو في الولايات التي تعاني من اضطرابات مستمرة (كاليمن والجبل الأسود) أو الولايات ذات الطبيعة القاسية (كولاية قارس وطرابلس الغرب).

فمن سجلات المحكمة الشرعية في صيدا يتبين لنا كيف أنه في سنة واحدة هي ١٣١٨ هـ. (١٩٠١) استشهد عدد كبير من أبناء صيدا أثناء الخدمة العسكرية في اليمن، بالإضافة الى الذين استشهدوا من أبناء قرى قضاء صيدا وجواره. (١)

ومن الطريف أي عثرت في تقارير القناصل الانجليزي في بيروت ما يفيد أن الانجليز حاولوا تجنيد بعض الشباب في هذه البلاد للخدمة العسكرية في قواتهم، في المستعمرات، فتنبّهت السلطات العثمانية لذلك وحالت دونه «... حاصل الاستخبار بأن الانجليز عمال يكتبوا عساكر الى بعض المحلات، وأنه بدون رخصة الحكومة كل شخص يتشبت بواسطة قيده (كذا) يصير توقيفه وتربيته...» (٢)

(١) هم أحمد علي ضاهر - موسى أحمد كاعين - ابراهيم علي بوجي - عبدالسلام زكريا سنجر -- محي الدين حدان - محمد الدرزي الأسمر - حسن الحاج عبدالرحمن الترياق - أحمد يوسف حدان - محمود ابراهيم عابدون - أحمد الحاج عبدالقادر البزري - خالد الشيخ محمد نمرة - سعيد يوسف جمعة - علي أحمد الحريري - عمر خليل الكلبيان - عباس محمد الحاج علي الديرافي. ومن خارج صيدا كان محمود الحاج حسين النابلسي (من اليسارية) الحاج خليل محمد قبلان ودرويش كشور (من الصوفية) وقاسم الحاج علي وعلي حسن عبدالله وقاسم محمد صباغ وعلي أحمد عباس مكّي (جميعهم من السككية) كما كان هناك غيرهم من قرى الدوير وكفرنبلا ولوبيا وأركي. راجع سجل رقم ١١ من سجلات المحكمة الشرعية في صيدا.

(٢) بيان بتوقيع وكيل قائمقام البقاع ملحق برسالة القنصل البريطاني في بيروت ELDRIDGE للسفير DUFFERIN رقم ٦٦، عالية في ١٠ أيلول ١٨٨٢. مكتب السجلات العامة ف. و. ١٤١٠/١٩٥

ان المجند الذاهب الى ميادين القتال أو أماكن الثورات، كأنا كان سائرا الى حتفه فعلا، ومن هنا كان الحزن والأسى لدى اهله وأصدقائه عند الوداع. أما المجندي العائد من جبهة القتال أو المناطق المضطربة سالماً، فكأنما كان عائدا للحياة من جديد، ومن هنا كان الفرح والسرور لدى أهله وأحبائه عند اللقاء. ولذلك فإن الاحتفالات بعودة طواير الجند المسرحين الى مدنها كانت احتفالات شائعة يشترك بها معظم أهل المدينة.

اذ لما عاد طابور الرديف الثاني الى بيروت بقيادة البيكباشي محي الدين أفندي قدم لهم ماء السكر المثلج وخطب فيهم المفتي، وأولت لهم البلدية وليمة عامة (١).

ولما وصل طابور الجند القادمين من طرابلس الغرب احتفل بهم الصيداويون ابتهاجا بعودتهم، فأقام لهم الحاج محمد والحاج عبد الحميد أبو ظهر وليمة عشاء، حضرها القائمقام وجمع من الشخصيات الصيداوية، وتلا نقيب الأشراف الشيخ أحمد (جلال الدين) دعاء للسلطان بطول العمر وللجيش بالنصر... » (٢).

ولما كانت الخدمة العسكرية العثمانية آنذاك أمراً شاقاً على المجند وأهله، فقد عملت الدولة على رعاية شؤون عائلات المجندين، ولو في نطاق محدود، فكانت تفرض مثلاً على ذوي القربى الاتفاق على اولاد أقربائهم الجنود «... فرض علي محمود أبو زينب أن يدفع كل يوم غرشين لأولاد ابنه سليم المأخوذ تحت السلاح وهما علي وآمنة وحاضنتها» (٣) فاطمة بنت عمر الراس مقابل مأكليها ومشربها وكسوتها ومسكنها... » وسجلات المحكمة الشرعية في صيدا يوجد فيها الكثير من أمثال هذه الاجراءات « سافر محمد خضر ومحمد سعيد الصلح الى اليمن ضمن طابور رديف صيدا، وفرض شقيقها رجب علي نفسه دفع ثلاثين بارة يومياً لأمنهم آمنة بنت محمد اليعفوري، كذلك فرض لابني اخيه

(١) ثمرات الفنون العدد ٦٤٧، في ٣١ آب سنة ١٨٨٧.

(٢) المفيد العدد ١٢٠٤، في ٢٩ كانون الاول ١٩١٢.

(٣) المحكمة الشرعية في صيدا سجل رقم ٣ غرة ٩٧ مؤرخة في ١٢ المحرم سنة ١٣٠٣ هـ. (١٨٨٥).

محمد خضر، وهما محمود وأحمد ثلاثين بارة يومياً لكل منها... حتى يعود شقيقاه من الخدمة في اليمن....^(١)

وعلى المستوى الشعبي كان الاهتمام بالترفيه عن المجندين وتوفير الراحة لهم، وكذلك الاهتمام برعاية عائلاتهم كبيراً جداً في مختلف مدن بلاد الشام، ففي سنة ١٩٠٣ مثلاً قدم قضاء صيدا الى القوات العثمانية المحتشدة في الروملي، ١٤٢٨ ثوباً (طقماً) من مختلف الالبسة^(٢).

وفي أواخر سنة ١٩١١ تبرع الصيداويون بستائة ليرة عثمانية، كما جمعوا ألفي ليرة من قضائها تبرعاً للدولة ولحفظ سلامة الوطن^(٣).

وفي سنة ١٩١٤ شكلت لجان في صيدا لتأمين اعاشة عائلات المجندين المحتاجة، وقررت وضع خمس بارات على اوقية اللحم لتنفق في سبيل ذلك^(٤). وكثيراً ما حثّ خطباء المساجد الأهالي على تقديم ما يتوفر لديهم من جلود وقرور الأضحية كإعانة للأسطول العثماني^(٥).

٤ - التجهيزات والمعدات:

كان الجنود يرتدون ملابس كاكية غامقة في الشتاء وبيضاء في الصيف. وحتى سنة ١٩١١ كان الجنود يضعون على رؤوسهم الطرايبش ولكنهم في تلك السنة طرحوها ووضعوا بدلا منها القلبيق.

كما بدأ استخدام الصحون والملاعق والشوك في تناول الطعام منذ أواخر القرن التاسع عشر، بعد أن كان سائداً استخدام القروانات. وكان الجيش يقيم

(١) المحكمة الشرعية في صيدا سجل رقم ١٥ غرة ٨٨ مؤرخة في ٢٩ المحرم سنة ١٣٢٣ هـ. (١٩٠٥).

(٢) الاقبال العدد ٦٠ في ٣٠ تشرين الثاني ١٩٠٣.

(٣) المفيد العدد ٧٩٧ في ٣ تشرين الاول ١٩١١.

(٤) بلدية صيدا، نومرو ٦١، في ١٦ اغسطس ١٣٣٠ (١٩١٤). وفي نفس الوقت كانت لجنة اعانة

المحتاجين من عائلات المجندين في بيروت برئاسة احد مختار بيهم قد قررت وضع ليرة عثمانية على

كل طن قمحا يدخل المدينة وعشرة غروش صاغاً عن كل كيس طحين يدخل بيروت لجمع

الاعانة المطلوبة. راجع لسان الحال العدد ٧٦٤٠، في ٢ ايلول ١٩١٤.

(٥) المحكمة الشرعية في صيدا سجل ٢٢ غرة ٥٤ في ٥ ذي الحجة ١٣٣١.

في ثكنات، كانت تدعى « قشلة »،^(١) وفي صيدا كانت هناك ثكنتان الأولى « القشلة الفوقا » وكان مركز القيادة فيها، ويبدو أنها كانت تقع قرب القلعة البرية، و« القشلة التحتا »^(٢) وتقع قريبة من القلعة البحرية،^(٣) بالإضافة الى استخدام القلعتين كمركز للمدفعية ومستودع للذخيرة^(٤).

كان لدى الجيش العثماني بعض مصانع الأسلحة والذخيرة، لكنه كان يعتمد على الاستيراد من أوروبا في كافة أسلحته الثقيلة. أما تزويده بالمؤن والمواد الضرورية فكان يتم بواسطة التلزم من السوق المحلية.

ففي سنة ١٩١٦، مثلاً، أعلنت قيادة القوات المربطة في صيدا عن رغبتها بالتعاقد مع ملتزمين لتقديم السمن والزيت والصابون والقمر الدين اللوزي والدبس والسكر والزبيب والتين والحشيش اليابس والحطب والبصل والملح والكاز واللحم الى قواتها في صيدا على أن تقدم الطلبات الى قيادة الفرقة في عاليه^(٥).

ويبدو أنه لما احتاج الجيش الى الدواب لاستخدامها في النقل أثناء الحرب تمتع الأهالي عن بيعها، فهددت قيادة الجيش بأن كل من يمتنع عن البيع أو يهرب حيواناته، فإن السلطات توقع به أشد الجزاء، علماً بأنها ذكرت المواطنين بأن الجيش يدفع عادة زيادة عن السعر العادي للحيوان^(٦).

ومنذ سنة ١٩١٠ أخذت قيادة الجيش تدرب بعض أفراد قواتها على قيادة السيارات وركوبها متابعة للتطور التقني، ولأن السيارات أخذت بالانتشار آنذاك في أنحاء الدولة العثمانية^(٧).

(١) محرفة عن فثلاق الفارسية الاصل بمعنى المكان الدافئ الذي يمكن تغطية فصل الشتاء فيه، وعكسها يلاق بمعنى مصيف.

(٢) لا تزال قائمة حتى اليوم

(٣) أحد عارف الزين، تاريخ صيدا، ص ١٦٩.

(٤) حتى سنة ١٩١٠ ثم نقلت المدفعية الى عكا، كما ذكر سابقاً.

(٥) بلدية صيدا، نومرو ٢٥٣ في ١١ شباط ١٣٣٢.

(٦) بلدية صيدا نومرو ٢٠٤ في ٤ كانون الثاني ١٣٣٢.

(٧) الاتحاد العثماني المدد ٦٥٥، في ١٢ تشرين الثاني ١٩١٠.

ثانياً - الأمن :

قبل عهد التنظيمات كان الوالي يستعين بقطعات الجيش في منطقته، وبالقوات الخاصة التي كان يشكلها بنفسه، من أجل حفظ الأمن في ولايته، وكان « الصوباشية » يقومون بمهام الشرطة في أوقات السلم،^(١) كما كانت القوات الانكشارية تسير دوريات لحفظ الأمن وكانت بإمرة ضباط من الصوباشية أيضاً^(٢).

لكن أوضاع الأمن وأجهزته أخذت تتنظم وتكتمل خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ففي سنة ١٨٦٧ صدر قانون تعيين مأموري التفتيش وتحديد اختصاصاتهم^(٣) وفي سنة ١٨٦٩ صدر نظام ادارة الضابطة ونظام تحديد عساكر الضابطة الملكية^(٤) ثم نظام وظائف عساكر الضابطة في ١٨٧٠^(٥). وبذلك اكتملت أجهزة الأمن وأنظمتها واشتملت على ثلاث فئات هي الدرك والشرطة والبوليس.

أما حامية الشواطئ البحرية لولاية بيروت فقد كانت منوطة في أوائل هذا القرن بخمسة زوارق حربية هي :

مرمريس - كوتاهية - نصر خدا (نصر الله) - غانبوط (Gun boat) - طوربيد^(٦).

١ - الدرك (ژاندرمة) :

وكانت مهمتهم الرئيسية حفظ الأمن في الطرق، والمعابر لمنع التهريب، ولحماية المسافرين من قطاع الطرق، وكانوا يقيمون في مخافر على الطرق

(١) هارولد بيون وهاملتون جب: المجتمع الاسلامي والغرب، ترجمة أحمد عبدالرحمن مصطفى القاهرة ج ١، ص ٧٤.

(٢) المرجع السابق، ص ٢١٨.

(٣) صدر في ٢٣ ربيع الاول سنة ١٢٨٤، الدستور، ج ٢، ص ٦٦٦.

(٤) صدر نظام ادارة الضابطة في ٣ ربيع الاول ١٢٨٦، الدستور، ج ٢، ص ٦٤٧. ونظام عساكر

الضابطة في ١٩ ربيع الاول ١٢٨٦، الدستور، ج ٢، ص ٦٥٩.

(٥) صدر في ١٥ صفر ١٢٨٧ الدستور، ج ٢، ص ٦٥٣٩.

(٦) عبدالباسط الانسي، دليل بيروت، ص ٨٥.

الرئيسية، وعند حدود الولايات، ويسيرون دوريات بشكل دائم.

وكان معظم رجال الدرك من الخيالة والقليل من المشاة. لكن عددهم ظل قليلا بالنسبة لعدد السكان أو لعدة المناطق التي كانوا مسؤولين عنها. ففي سنة ١٨٨٢، مثلا، لم يتجاوز عدد الدرك في كل ولاية سوريا ١٤٢٥ نفرا، كان منهم في لواء بيروت وحده ٣٢٠ دركيا هم ٢٠٢ خيالا و ١١٨ من المشاة^(١). وكان راتب الدركي الخيال ٣٠٠ قرش شهريا ومن المشاة مئتا قرش^(٢).

٢ - الشرطة « الضابطة »:

قام أفراد هذا الجهاز بالعبء الرئيسي في حفظ الأمن، وضبط المجرمين، وجلب المتهمين، وتنفيذ الأحكام القضائية، على الرغم من أن عددهم ظل ضئيلا لا يتناسب مع ثقل المسؤولية المنوطة بهم، أو مع ضخامة عدد السكان الذين كانوا ينفذون مهامهم بينهم. حتى أنه، في بعض الأحيان، لم يكن تحت تصرف القاءقام أو المتصرف أكثر من أربعة أو خمسة أفراد من الشرطة فقط^(٣).

ففي سنة ١٨٨٢ مثلا، كان عدد أفراد الشرطة في كل ولاية سوريا ٩٥ نفرا، كان منهم في لواء بيروت وحده ٥٩ نفرا كلهم خيالة^(٤). بموجب قانون سنة ١٨٦٩ كان جهاز الشرطة يتألف من خيالة ومشاة^(٥)، وكان يقود الشرطة في مركز الولاية ضابط آلاي « آلاي بيكي » وفي اللواء قائد للطاير « طاير اغاسي » وفي مركز القضاء قائد للبلوك « بلوك اغاسي »^(٦).

(١) حولية ولاية سورية، دفعة ١٤، لسنة ١٢٩٩ هـ (١٨٨٢) ص ١١٤.

(٢) مكتب السجلات العامة ف. و. ٢٣٤٢/١٩٥ ملحق برسالة رقم ٧ من القنصل البريطاني COMMBERBATCH الى السفير باطنبول G. LOWTHER في بيروت في ١٢ شباط ١٩١٠.

(٣) أحد عارف الزين: تاريخ صيدا ص ٨٢.

(٤) حولية ولاية سورية لسنة ١٢٩٩ هـ.

(٥) كان يضمها آلاي واحد، وكان هذا الآلاي ينقسم إلى عدة طواير، وكل طاير ينقسم إلى بلوكات، والبلوك يتألف من طواقم. وكان عدد أفراد طاقم الخيالة أربعة فرسان وطاقم المشاة ثمانية أفراد. وكانت هذه التقسيمات شبيهة بالتقسيمات في الجيش.

(٦) الدستور، ج ٢، ص ٦٥١.

كان سلك الشرطة مفتوحاً أمام من يريد من أبناء أية ولاية للانتظام به، على ألا يقل عمره عن عشرين سنة ولا يتجاوز الخمسين. وكانت مدة الخدمة سنتين لا يجوز خلالها عزل الشرطي إلا عند العجز الصحي، أو الانحراف الشديد عن أصول وظيفته^(١).

كانت الدولة تقدم لرجل هذا السلك بعض الملابس الرسمية البسيطة. وكان راتب الخيال يزيد عن راتب غير الخيال بمقدار الربع، بالإضافة إلى جراية يومية من الخبز وعلوفة للدواب، وكان سلاحهم البندقية والمسدس وسيف قصير أشبه بالخنجر^(٢).

ولما كان أفراد الشرطة أو ضباطها قد يتعرضون للإصابة بجراح، أو تنفق حيواناتهم أو تتلف ملابسهم أو أسلحتهم، أثناء تأديتهم لواجباتهم، فقد خصصت لهم الدولة صندوقاً يمدّهم بالمساعدة للعلاج أو التعويض، كما جعلت لكل من يذهب في تأدية مهمة رسمية خارج حدود المدينة خسة قروش عن كل ساعة يمضيها في الطريق أو أثناء تأدية مهمته، وجعلت للضباط منهم مكافآت تتناسب ورتبهم في سلك الشرطة^(٣).

كان راتب الشرطي من ٢٠٠ - ٣٠٠ قرش شهرياً وراتب معاون القوميسير من ٤٠٠ - ٥٠٠ قرش^(٤).

اهتمت الدولة بزيادة عدد أفراد الشرطة فارتفع عددهم من ١٥٢٠ فرداً، سنة ١٨٨٢ في كل ولاية سوريا، إلى ٢٦٣٢ في سنة ١٨٨٦^(٥).

(١) نظام إدارة الضابطة. المادة ٢٥، الدستور، ج ٢، ص ٦٥١.

(٢) المادتان ١٦ و ١٧ من النظام السابق.

(٣) تعليمات الأجرة التي تأخذها ضباط الضبطية وانفارها عن الاحضارية في أمور الدعاوي الحقوقية، الدستور، ج ١، ص ١٨٩.

(٤) مكتب الجلات العامة ف. و ٢٣٤٢/١٩٥ ملحق برسالة رقم ٧ من القنصل البريطاني العام في بيروت في ١٢ شباط ١٩١٠.

(٥) حولية ولاية سورية، دضعه ١٨ لسنة ١٣٠٣ هـ.

أنشأت الدولة هذا الجهاز سنة ١٨٦٧ وسمته جهاز المفتشين وكان بمثابة أجهزة البوليس الحديثة المعروفة في بلدان أوربا، وحدد القانون واجبات أفرادها بأنها الاهتمام والمتابعة لكل ما يتعلق بالدولة أو بالمواطنين، وأن التحقيق يتم علناً أو سراً^(١).

كان اختيار أفراد البوليس يتم بمعرفة لجنة من كبار موظفي وضباط الولاية ويقترن بتصديق الوالي. وكانت مهمتهم التحقيق في القضايا المخالفة للقانون، وتنظيم محضر « ژورنال » بها، ومراقبة الأجانب في المنطقة، والتدقيق في هويات وجوازات السفر للقادمين براً وبحراً، والقبض على المطلوبين وحجز المشبوهين، ومراقبة الصحة والنظافة العامة، والتدقيق في الأسعار والأوزان، وتنفيذ كافة الأوامر التي يصدرها الحاكم الإداري في المنطقة، وكان عليهم عمل سجل شهري بالحوادث « الوقوعات » التي تحصل في منطقة عملهم^(٢).

رغم المهام العديدة التي كانت ملقاة على عاتق المفتشين، فقد ظل عددهم ضئيلاً، ففي سنة ١٨٨٢ مثلاً لم يكن عددهم يزيد في كل ولاية سوريا عن ١٤٥ نفرأً كان منهم ٣١ نفرأً في لواء بيروت^(٣). وفي سنة ١٨٨٦ أصبحوا ٣٨١ نفرأً^(٤). وفي سنة ١٩١٠ كان عدد أفراد البوليس في كل ولاية بيروت ١٢٩ نفرأً، كان منهم ٣٠ ضابطاً^(٥). ومما هو جدير بالذكر أن عدد أفراد البوليس في صيدا سنة ١٩١٢ كان ثلاثة أفراد^(٦).

بعد سنة ١٩٠٨ فتح المجال أمام غير المسلمين لدخول سلك البوليس، فتقدم عدد منهم والتحقوا بهذا السلك، ففي ١٩٠٩ عندما اجتمعت لجنة

(١) نظام تعيين المفتشين، المادة ٤، الدستور، ج ٢، ص ٦٦٧.

(٢) نظام تعيين المفتشين - المواد ٥ و ٧ و ٩ و ١٠.

(٣) حولية ولاية سورية، دفعة ١٤ لسنة ١٢٩٩ هـ. ص ١١٤.

(٤) حولية ولاية سوريا، دفعة ١٨ لسنة ١٣٠٣ هـ. ص ٥٢.

(٥) مكتب السجلات العامة ف. و. ٢٣٤٢/١٩٥ ملحق برسالة رقم ٧. سبق ذكرها

(٦) حولية ولاية بيروت، لسنة ١٣٣١ هـ. (١٩١٢).

تعيين أفراد البوليس الجدد في دار الحكومة في بيروت، اختارت عدداً من الأفراد كان من بينهم مسيحيان هما فيليب حبيب فارس وسليم انطوان عطا، ويهودي واحد هو بنيامين صيقل، أما من صيدا فقد عين خمسة أفراد جدد كانوا جميعاً من المسلمين وهم: عبد الحليم علي حسني، ومصطفى الترجان، وعلي حسن الجوهري، وأحمد خليل الددا وسليم أباطة^(١).

كان راتب رجل البوليس يتراوح بين ٣٠٠ - ٤٠٠ قرش شهرياً^(٢). وفي سنة ١٩١٣ أهدى الوالي بكر سامي سيارته الخاصة لدائرة البوليس في بيروت لتستخدمها في ضبط الجرائم بسرعة^(٣).

حالة الأمن:

ظلت صيدا شطراً كبيراً من القرن التاسع عشر، محصورة داخل سورها الذي كانت توجد به بوابات تغلق مساء وتفتح صباحاً، ويتم الفتح والغلق بمعرفة ضابط الحرس المناوب تلك الليلة، ويظل الحرس عند البوابات لمراقبة العابرين في الدخول والخروج.

كما كانت في داخل المدينة، لكل حي أو حارة بوابته الصغيرة التي يفلقها السكان ليلاً ليزدادوا إطمئناناً. حتى أن أحد الرحالة الانجليز، عند زيارته لصيدا في النصف الأول من القرن التاسع عشر، ذكر أن اليهود في صيدا كانوا يغلّقون بوابة حيّهم الخاص عليهم كل ليلة، ويسلمون المفتاح الى قاضي المدينة الذي يقوم بفتحها في الصباح التالي^(٤).

وكان الحرس البلدي يقوم بالحراسة ليلاً، ومنذ سنة ١٩٠٨ أصبح هذا الحرس بإشراف البوليس.

(١) لسان الحال العدد ٦١٥٩، في ٢٩ تشرين الاول سنة ١٩٠٩.

(٢) مكتب المجلات العامة ف. و ٢٣٤٢/١٩٥ ملحق برسالة رقم ٧ من القنصل البريطاني... سبق ذكرها.

(٣) لسان الحال، العدد ٧٤١٦، في ١٠ كانون الاول ١٩١٣.

(٤) أدوار روبنسون: يوميات في لبنان، تعريب أسد شيخاني، ج ١، بيروت، ١٩٤٩، ص ٦٠. وكان هذا الاجراء شبيهاً في المدن التي تضم حارات لليهود عادة.

ولقد عثرت على وثيقة تتضمن التعليمات المعطاة للحرس في مدينة صيدا لسنة ١٩٠٢ اثبت هنا أبرزها لأهميتها وطرافتها:

- يعين حارسا من كان من أهل العفة والناموس ومستقيم الأطوار وقوي البنية ويربط بكفالة مالية.
- يضع كل حارس قطعة نحاسية مكتوبا عليها « بكجي » ويحمل عصا كبيرة وصافرة.

- اذا أحس الحارس بمرور أحد المشبوهين يصفر لرفيقه مرة واحدة لتنبيهه.
- اذا حصلت مشاجرة في النقطة التي يقوم الحارس بأداء وظيفته بها فيصفر ثلاث مرات ليسمعه أقرب رفاقه فيصفر بدوره، هكذا حتى يصل الخبر الى أفراد البوليس والدرك في ثكناتهم (القرة قولات) فيسرعون الى مكانه.
- واذا استخدمت الأسلحة في الشجار فيصفر الحارس أربع مرات، واذا نتج عن المنازعة أو الشجار إصابات من جرحى أو قتلى فيصفر الحارس الى رفيقه خمس مرات متتالية، وعند حدوث حريق يصفر ستا.
- يقدم الحارس صباح كل يوم معلومات عن وضع نقطة حراسته الى جاويز الدائرة، الذي ينظم بالوقائع المختلفة تقريرا الى رؤسائه^(١).

وكان التجوال ليلا في طرقات البلدة وأزقتها ممنوعاً بدون فانوس، بعد الساعة الواحدة والنصف ليلا^(٢)، ومن كان يضبط متجولا بدون فانوس كان يلقي القبض عليه، ولا يطلق سراحه الا بعد دفع غرامة مالية معينة^(٣). ولدى اشتباه الحرس بأي عابر طريق ليلا، كان يحق له القبض عليه وإرساله الى المخفر لاستجوابه، سواء كان يحمل فانوسا أو دونه^(٤). ولما كان التجوال ليلا يسبب المشاكل عادة، لعدم توفر الإضاءة الجيدة، ولسوء وضع الطرقات، فقد اعتاد الناس على البيت في منازلهم باكرا^(٥).

(١) وثيقة ممنونة «تعليمات الحراس» ومؤرخة في ١٨ أيار ١٣١٨ (١٩٠٢).

(٢) حسب التوقيت العربي، اما حسب الساعة الزوالية فهي تعادل الساعة والنصف ليلاً.

(٣) تعليمات الضابطة في ٢٣ محرم ١٢٧٨ (١٨٦١)، المادة ٢٩ الدستور، ج ٢، ص ٦٧٦.

(٤) المادة ٣١ من التعليمات السابقة ص ٦٧٦.

(٥) في بيروت كان الحرس الليلي اذا التقى احد المارة صرخ به « من هذا؟ » فيجيب « ابن البلد » فيرد الحارس « وحده الله فيرد هذا » « لا اله الا الله » راجع راتب الحامي: تجارة بيروت ومحل =

كما كان من واجبات الشرطة منع المسنين أو المرضى أو المتسولين، من اشغال الأُرقة ليلاً أو نهاراً، حفظاً للنظام وتسهيلاً للمرور، وكذلك الحال بالنسبة للتائهين عن مقاصدهم، فقد كان على ضابط الخفر القريب هدايتهم الى المحال التي يقصدونها بصحبة شرطي (قره قول) اذا كانت قريبة، أو المبيت في الخفر الى صباح اليوم التالي، اذا كان المكان الذي يقصدونه بعيداً^(١). أما اذا كانت التائهات من النساء فيبتن في منزل أمام المحلة أو أحد مختارها، الى صباح اليوم التالي، حيث يرسلن الى مقصدهن^(٢). كما كان يجري القبض على الفاحشات اللواتي يترصدن المارة في الأُرقة بعد غروب الشمس^(٣).

وكانت الشرطة تضبط، كذلك، كل من ارتكب، بالقول أو الفعل، ما يخالف الآداب العامة في الأسواق وفي الطرقات، وخصوصاً في المفترجات^(٤). كما كان يقبض على كل من يتعاطى المسكرات علناً، أو يحدث ضوضاء، أو يسبب نزاعاً مع الآخرين بسبب سكره، أو الذي يدخل أماكن مخصصة لنساء، اذ كان يجري القبض على أمثال هؤلاء وتسليمهم للخفر لإجراء اللازم بحقهم^(٥).

كما كان ممنوعاً حمل الأسلحة النارية (من مسدسات وبنادق) أو الجارحة (من خناجر وعصي) ومن يخالف يرسل الى الخفر سواء كان عثانياً أو أجنبياً^(٦). كما كانت تجري معاقبة كل من يطلق النار أو الأسهم النارية مهما كانت المناسبة^(٧).

بيهم التجاري منذ نحو مائة عام ١٨٢٨ - ١٨٥٦، رسالة ماجستير غير منشورة في الجامعة

الاميركية في بيروت، سنة ١٩٤٢، ص ٥٥.

(١) تعليمات الضابطة، المادة ٥٤، ص ٦٨١.

(٢) تعليمات الضابطة، المادة ٥٥، ص ٦٨١.

(٣) تعليمات الضابطة، المادة ٥٦، ص ٦٨١.

(٤) يقصد بها أماكن التفرج (المنتزهات).

(٥) المادة ٣٧ من تعليمات الضابطة، ص ٦٧٧.

(٦) المادة ٣٨ من تعليمات الضابطة، ص ٦٧٧.

(٧) المادة ٣٩ من تعليمات الضابطة ص ٦٨٧.

وكان في كل مدينة رئيسية سجن، كان يدعى «حبس خانة». وكان مدير سجن صيدا، سنة ١٨٩٤ مثلاً، الحاج أحمد السن^(١)، وفي سنة ١٩٠٤ كان مديره محمد أفندي^(٢). وكانت الدولة تهتم أحياناً بأوضاع السجون، فمثلاً في سنة ١٨٩٥ عند مجيء القائم مقام الجديد الى صيدا، محمود بك اليوسف، كان أول أعماله، بعد الانتهاء من حفل استقباله، زيارة السجن وتفقد محل التوقيف^(٣)، وفي سنة ١٩١٠ أرسلت السلطة سعد الدين بك من اسطنبول لدراسة أوضاع سجون ولاية بيروت من نواحيها المختلفة، خصوصاً الصحية منها^(٤).

لقد كان الوضع الأمني في صيدا، خلال الفترة التي ندرسها، جيداً عموماً، قياساً على ما كان يحدث في المناطق الأخرى من ولاية بيروت أو بلاد الشام.

وكانت الجرائم أقل حوادث العنف وقوعاً في صيدا، فمثلاً في سنة ١٨٥٩ لم يحدث داخل مدينة صيدا أية جريمة قتل، بينما وقعت في القرى حولها تسع جرائم، أثارت هواجس نائب القنصل البريطاني في صيدا، فأرسل تقريراً الى رؤسائه يتهم فيه السلطات بعدم الجدية في تعقب القتل^(٥).

وتنتيجة تدقيقنا فيما كانت تنشره صحف تلك الأيام من حوادث، ومن سرعة القبض على فاعليها، والإشادة بأفراد الأمن على صفحاتها، نكاد نوكد كفاءة وإخلاص جهاز الأمن في صيدا خلال سنوات طويلة من أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين حتى الحرب العالمية الأولى.

فعندما ترك محي الدين وصفي، كاتب وقوعات ونفوس صيدا، منزله في

(١) حولية ولاية بيروت لسنة ١٣١١ - ١٣٢١ هـ.

(٢) لسان الحال، العدد ٤٥٠٤، في ٢٧ كانون الثاني سنة ١٩٠٤.

(٣) ثمرات الفنون، العدد ٥٢٥، في ٢٥ آذار ١٨٩٥.

(٤) مكتب السجلات العامة ف. و ٢٢٧٧/١٩٥ تقرير عن الوضع الإداري والاقتصادي لولاية بيروت ومتصرفية جبل لبنان بين ١٥ شباط و١٥ حزيران ١٩١٠ ملحق برسالة رقم ٣١ من كمرباتش للسفير، بيروت ١٦ حزيران سنة ١٩١٠.

(٥) مكتب السجلات العامة ف. و ٦٥٥/١٩٥ رسالة نائب القنصل البريطاني في صيدا ايليلا ملحقة برسالة القنصل البريطاني في بيروت ن. مور N. MOORE للسفير، ٢ نيسان ١٨٦٠.

صيدا لزيارة الغازية لمدة ليلة واحدة، وجد عند عودته أبواب منزله مفتوحة وصناديق أغراضه مخلة، وقد سرق له ثمانون ليرة فرنسية وسبع عثمانية، وحلى ومجوهرات ماسية وذهبية وأشياء أخرى. وقد قبضت الشرطة فوراً على سبعة مشبوهين، وقد أقر بعضهم بفعله وأحضر ما سرقه^(١). وبعد فترة أقام يوزباشي الضبطية علي آغا وليمة لأفراد الضبطية الذين تمكنوا من القبض على اللصوص^(٢).

وفي مطلع القرن العشرين أثنت الصحف على نشاط وإخلاص حسن الاسكندراني من أفراد بوليس صيدا،^(٣) وكذلك على قوميسير البوليس أمين أفندي شريف^(٤).

وفيما يلي جدول بالحوادث المخالفة للقانون من جنح وجرائم لثلاث سنوات في سنجق بيروت وولاية سوريا، يتبين لنا منها، عند المقارنة، أن سنجق (لواء) بيروت كان أكثر مناطق سوريا أمناً وأقلها جرائم:

حوادث سنة ١٣٠٠ هـ (١٨٨٢): (٥)

المنطقة	القتل	السرقه	الاحتياال	الشنيع	الاجهاض	المجرح	الغصب	البكارة	(ازالة)
ولاية سوريا كلها	٢٨	٤	٢٦	٤	-	١٦	٢٠		
سنجق بيروت فقط	٢٨	١	١	٤	-	١	١		
سنجق طرابلس فقط	١	١	٤	٤	-	١	٣		

(١) ثمرات الفنون، الممدد ١٧٦، في ٢٢ آب ١٨٧٨.

(٢) ثمرات الفنون، الممدد ٢٠٠، في ١٨ تشرين ثاني ١٨٧٨.

(٣) الاقبال، الممدد ٣٢ في ١٨ نوار (ايار) ١٩٠٣.

(٤) الاقبال، الممدد ٤٩ في ٣١ آب سنة ١٩٠٣.

(٥) حولى ولاية سورية، دفعه ١٥ لسنة ١٣٠٠ هـ.

ولسنة ١٣٠١ هـ (١٨٨٣): (١)

المنطقة	القتل	السرقه	الاحتياال	الفعل	الاجهاض	الضرب	الفصب	ازالة
				الشنيع	والجرح			البكارة
ولاية سوريا	٧١	١٣	-	١٠	٤	١	٦	٧
سنجق بيروت	١١	٢	-	١٠	٤	١	١	١

ولسنة ١٣٠٢ هـ (١٨٨٤): (٢)

المنطقة	القتل	السرقه	الاحتياال	الفعل	الاجهاض	الضرب	الفصب	ازالة
				الشنيع	والجرح			البكارة
ولاية سوريا	٦١	٤٧	٢	١٣	٣	٣٠	٩	١٠
سنجق بيروت	٣							

يتبين من الحوادث التي وقعت خلال السنوات الثلاث، ان سنجق بيروت كان من المناطق قليلة الحوادث في سوريا، مع التسليم بأن هذه الاحصاءات لا تنقل الواقع بدقة، باعتبار أن هناك حوادث عديدة لم تصل الى سمع السلطات، لأن ذوي العلاقة كنموأ أمرها إما خوفاً من السلطة، أو درءاً للفضيحة، مثل جرائم الشرف والثأر وما شابهها.

وباعتبار صيدا جزءاً من سنجق بيروت آنذاك فقد كانت الجرائم فيها نادرة. ففي سنة ١٨٨٠ مثلاً ذكرت التقارير القنصلية الأجنبية أنه قد وقعت ثلاث جرائم في ضواحي صيدا ومرجعيون، ولكن ليس في صيدا نفسها^(٣).

(١) حولية ولاية سوريا، دفعه ١٦ لسنة ١٣٠١ هـ.

(٢) حولية ولاية سوريا، دفعه ١٧ لسنة ١٣٠٢ هـ.

(٣) مكتب السجلات العامة ف. و ١٣٦٩/١٩٥ تقرير رقم ٤٠ من القنصل البريطاني العام في بيروت DICKSON الى السفير البريطاني في اسطنبول في ٥ تشرين الاول ١٨٨١.

أما في مطلع القرن العشرين، فإن بعض الجرائم التي حدثت في صيدا لم تتعد ثلاث جرائم، أشارت إليها صحف تلك الفترة. وأولى تلك الجرائم مقتل عبدالسلام أبو ظهر أثناء خروجه من بستان عمه ليلاً بضربة فأس على رأسه. وقد شهد بعض الأشخاص أن القاتل هو علي البدوي الدياسي، فقبض عليه واعترف بفعله، وأنه دفن الجثة في مقبرة اليهود على شاطئ البحر، وأعيدت الساعة ومبلغ عشرين ليرة كان قد سلبها من القتل، وكشف الجريمة وقبض على القاتل، وأمور الضابطة محمود أفندي. وفيما بعد حكم على القاتل بالإعدام وعلى شريكه بها محمد الحايك بالسجن خمس سنوات^(١).

وفي سنة ١٩٠٩ قام محمود بشير باغتيال مفتي صيدا (من آل الزين)، وبعد القبض عليه وضع في سجن عكا،^(٢) ثم اعدم فيما بعد شنقا في وسط ساحة الاتحاد (البرج) في بيروت^(٣)، كما حكم في نفس السنة على أحمد نسيب، مأمور محافظة رسومات صيدا بالسجن، لقتله حسن آغا القيرصلي^(٤).

إن الجرائم القليلة التي كانت تقع في صيدا بين فترة وأخرى، إذا ما قورنت بالمناطق الأخرى، تدل على الوضع المستقر الذي كانت تعيشه صيدا. ولا شك في أن حالة الأمن هذه ترجع إلى سببين مهمين: أولهما تجانس السكان في صيدا وندرة الغرباء فيها، والثاني عدم وجود بدو في جوارها، لأن البدو في تلك الفترة، كانوا أحد أسباب اضطرابات الأمن بما كانوا يقومون به من أعمال غزو وسلب وقطع طرق.

(١) ثمرات الفنون، العدد ١٣٨٥، في ٣٠ حزيران ١٩٠٢.

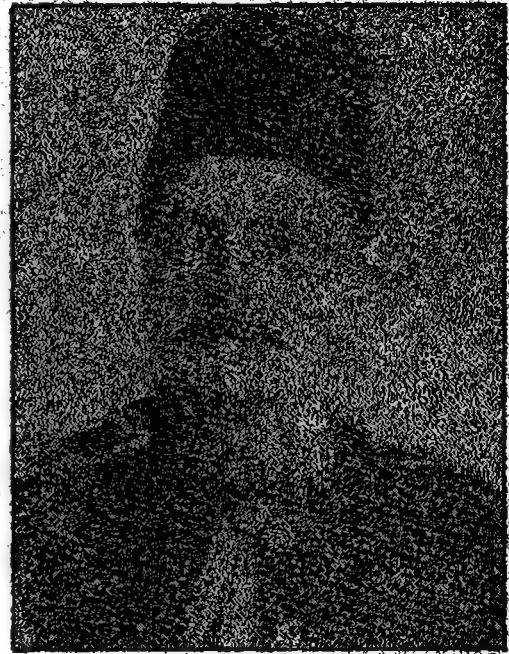
(٢) البرق، العدد ٣٩، في ٥ حزيران ١٩٠٩.

(٣) البرق، العدد ٤٠، في ١٢ حزيران ١٩٠٩.

(٤) البرق، العدد ٤١، في ١٩ حزيران ١٩٠٩.



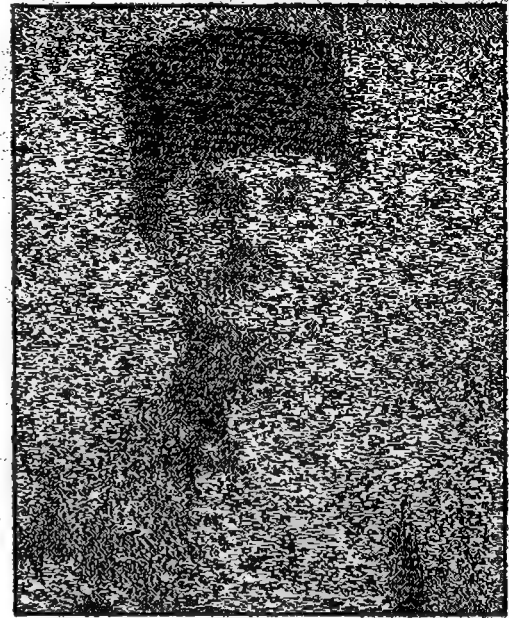
البيكباشي
الحاج رشيد القطب



مير ميران
حامد (باشا) الارناؤوط



الطبيب بالجيش العثماني
انطون عودة ١٨٧٥ - ١٩٣٠



الضابط
علي ناجي المذوب ١٨٩٦ - ١٩١٦

الفصل الثالث

الأراضي والزراعة

أولاً - الأراضي:

كان النظام الإقطاعي في تلك الأرض واستثمارها هو السائد في بلاد الشام حتى أوائل القرن التاسع عشر، ولم يكن العثمانيون مبتكري هذا النظام، بل طبقوه لأنه يخفف عن السلطة عبء جمع الضرائب ودفع مرتبات الجنود نقداً^(١)، إذ كان الإقطاع يعني تفويض الشخص المقطع حق جباية الأعشار والضرائب الأخرى المفروضة، على أن تبقى الأرض، في النهاية، ملكاً لأصحابها سواء كانوا الفلاحين أو الدولة.

وتلك الأرض تم على شكل هبات سلطانية يتألف كبار الموظفين وأرباب الحظوة والإقطاع، أو بطريق الغصب والقوة، وقد قام بذلك كثير من العائلات ذات النفوذ، أو برشوة الموظفين الأتراك واستصدار فرمانات بتملك أراضي الدولة، كما كان بعض المتنفذين يحصلون على «سندات» رسمية من الدولة بحقوقهم في بعض الأراضي الأميرية أو التي «يتصرف» الفلاحين، وبذلك كانوا يجردونهم تدريجياً من أملاكهم الصغيرة ويضيفونها لأملاكهم الواسعة.

والأراضي التي كانت تمنح كإقطاع كانت من نوع «الديموز»^(٢) أي من الأراضي التي تملكها الدولة وتقطعها لشخص يقوم فلاحوه باستثمارها مقابل حصة معينة من غلتها^(٣)

(١) بوون وجب: المجتمع الاسلامي والغرب، ج ١، ص ٦٨.

(٢) محرفة عن اليونانية DEMOS بمعنى شعب، أي الأرض العائدة ملكيتها للمجتمع.

(٣) علي الحسني: تاريخ سوريا الاقتصادي، ص ١٤٩.

والنوع الثاني كان يدعى « القسم »، حيث يمتلكه أصحابه ويستثمرونه مباشرة أو بالواسطة ويدفعون عنه الضرائب المقررة.

وعلى العموم، فإن شكل الملكية الزراعية الذي ساد في الدولة العثمانية وشكل استثمارها هو الأرض الميري التي يعود تملكها « رقبته » في الأساس لبنت المال، أي للدولة ولكن يحق للأهالي استثمارها، أي حق « التصرف » بها بسند يسمى « سند التصرف » ومعظم الأراضي في بلاد الشام كانت من هذا النوع^(١).

وكانت القوانين العقارية المطبقة في بلاد الشام حتى قيام الحرب العالمية الأولى، تجد نصوصها في الشرع الإسلامي، وفي الفرمانات السلطانية التي كانت تصدر تباعاً، وكان أبرزها قانون الأراضي الصادر سنة ١٨٥٨^(٢).

وسواء كانت الأرض من الديوز أو القسم فالضرائب عليها كانت مرهقة^(٣) وكان ثقل الضرائب والقسوة والشطط في جبايتها، بالإضافة إلى سوء العوامل المناخية في بعض السنوات، وهجمات البدو على المزارع والقرى ونهبها، وجشع المرابين، عوامل رئيسية في فرار الفلاحين من أراضيهم، أو تنازلهم عنها إلى المرابين ليصبحوا هم مجرد شركاء صغار لهم فيها.

في مطلع القرن التاسع عشر كان أول معاول الهدم في الكيان الإقطاعي العثماني، قيام السلطان محمود الثاني سنة ١٨١٢ بمنع تجديد منح الإقطاعات المنحلة، أي تلك التي مات صاحبها دون وريث، وأدخل إيراداتها في إدارة الأوقاف المنشأة حديثاً. لكن الجهاز على النظام الإقطاعي في بلاد الشام تمّ

(١) وجيه كوثراني: بلاد الشام: السكان، الاقتصاد، السياسة الفرنسية في مطلع القرن العشرين، بيروت، ١٩٨٠، ص ٦٥.

(٢) مسعود ضاهر: تاريخ لبنان الإقطاعي، ص ١٩٣.

(٣) كان الفلاح في أراضي الديوز المقطعة يدفع ضريبة عند الحصاد، وعند جني الزيتون، وبعد بيع الصل أو الحبوب، وفي أراضي القسم كان يدفع العشر وضرائب أخرى عند بيع المحاصيل، أو نقلها للأسواق، ففي دمشق مثلاً كان رسم القبان على حمل الأرز خمس بارات وعلى حمل من الحبوب بارتين وعلى حمل من الخيار سبع بارات... الخ راجع علي الحسني: تاريخ سوريا الاقتصادي، ص ١٥٠ و ١٥١.

بعد دخول المصريين إليها بقيادة إبراهيم باشا. إذ أضعف الاقطاعيين بما اتخذته من اجراءات، كتجريد السكان من السلاح، وفرض التجنيد الاجباري. بالإضافة الى تنظيم الجباية واستصلاح بعض الأراضي، والاهتمام ببعض المحاصيل ومنها القطن،^(١) وبذلك لم يغادر المصريون بلاد الشام الا وكان الجو مهيباً للعثمانيين لاجراء تغييرات في نظام تملك الأرض واستثمارها.

وكان خط كلخانة (١٨٣٩) الاصلاحى قد نصَّ على تحسين جباية الضرائب، كما اهتم خط التنظيمات الخيرية (١٨٥٦) بتوزيع عادل للملكية الأرض واستثمارها، ومع ذلك فإن الظلم الواقع على الفلاحين ظل ثقیلاً، والعبء الضريبي على كواهلهم ظل باهظاً، مما أدى الى قيام ثورات فلاحية عدة، منها في حلب سنة ١٨٥٠، وفي حوران ١٨٥٢ - ١٨٥٣.

كان قانون الأراضي، الصادر في ٢١ نيسان ١٨٥٨ (١٢٧٤هـ)،^(٢) أول قوانين ضبط الأراضي وتحديد مساحتها، وتنظيم ضرائبها، كما كان أهم تلك القوانين وبموجبه صنف الأراضي في خمسة أصناف:

الأول = الأراضي المملوكة، وهذه بدورها قسمت الى أربع فئات: الأولى الأراضي الواقعة ضمن القرى والمدن، وهي مخصصة للسكن على ألا تزيد مساحتها عن نصف دونم، والثانية الأراضي التي تملكها أصحابها بعد فرزها عن الأراضي الأميرية. والثالثة الأراضي العشرية أي التي تملكها المسلمون عند الفتح، والرابعة الأراضي الخراجية، أي التي يمتلكها أهل البلاد الأصليون من غير المسلمين.

واعتبر القانون الخراج على نوعين خراج المقاسة وهو ما يؤدي عن غلة الأرض بنسبة العشر الى النصف، والخراج الموطّف وهو المبلغ المقطوع الذي يدفع عن الأرض.

الثاني = الأراضي الأميرية، وهي الأراضي التي كانت تتبع سابقاً اقطاعات التجار والزعامات وأصبحت ملكاً للدولة، وكانت مزارع أو مراعي وغيرها.

(١) علي الحسني، ص ١٦٤.

(٢) الدستور الجديد، باللغتين التركية والعربية، ترجمه نقولا النقاش، بيروت ١٨٧٣ (١٢٩٠هـ).

الثالث = الأراضي الموقوفة، وهي الأراضي المخصصة للوقف وجعلت فئتين الأولى الأراضي التي أوقفها أصحابها طبقاً للشرع، وهي تخضع لجميع شروط الواقف، والثانية الأراضي التي وقفها السلاطين أنفسهم أو بإذن منهم، وهي لا تعتبر من الأوقاف الصحيحة وتجري بحسبها المعاملات القانونية.

الرابع = الأراضي المتروكة، وكانت فئتين: الأولى الأراضي التي لا يجوز تملكها مثل الطريق العام. والثانية الأراضي المخصصة لمعوم أهل القرية أو القرى المجاورة كمراعي أو أسواق عامة، ويستفيد الجميع من هذه الأراضي في رعي حيواناتهم.

الخامس = الأراضي الموات، وهي الأراضي الخالية والبعيدة عن العمران، وليست مملوكة من أحد، وتبعد عن أقرب مكان معمر ميلاً ونصف الميل، أو مسيرة نصف ساعة.

وأوضح القانون أن الأراضي التي تسجل مساحتها بالذراع، وبالدوم تحسب مساحتها على هذا الأساس، والأراضي التي تذكر بحدودها فقط، تعتبر مساحتها ضمن الحدود المذكورة فقط^(١).

بعد قانون الأراضي تتابع صدور القوانين التي تنظم الوضع العقاري^(٢)، إلى أن صدر قانون تسجيل الأراضي (الطابو) الهام، في ٢٦ صفر ١٢٧٨ (١٨٦١).^(٣)

وبموجب هذا القانون فرض تسجيل كافة الأراضي، وعين رسماً مقداره خمسة بالمائة من قيمة الأرض لتسجيلها، وثلاثة قروش يؤديها المشتري للحصول على «سند الطابو» وأعفيت الأراضي الموات من رسم التسجيل لمن يريد

(١) قانون الأراضي، المواد ٣ - ٦ والمادة ٤٧، ص ٣ - ٧ و ٣٠ الدستور الجديد، المصدر السابق.

(٢) مثل لائحة تعليمات بحق سندات الطابور في ٧ شعبان ١٢٧٦ (١٨٥٩)، وتعريف نظام الطابو في ١٥ شعبان ١٢٧٦ هـ. وملحق قانون الطابو في ١٧ المحرم ١٢٨٤ هـ. (١٨٦٧) راجع الدستور، ج ١، ص ٤٤ - ٥١.

(٣) الدستور، ج ١، ص ٤٤.

استثمارها مجانياً، شرط أن يحصل على إذن تملكها من الموظف الإداري في منطقتها.

كما أعفى القانون الأرض الموات من دفع العشر بعد بدء استثمارها بسنة أو بإثنتين، حسب طبيعتها. وهدّد الذين يمتنعون عن تسجيل أراضيهم بطرحها في المزاد العلني.^(١)

ساهم قانون تسجيل الأراضي، والقوانين التي سبقتها، في توسيع رقعة الملكية العقارية الخاصة، وفي تطويرها، وتسهيل تبادلها في البيع والشراء، ولكن حدّ من ذلك عدم قدرة الفلاحين، مالياً، على شراء الأراضي التي عرضتها الدولة للبيع لارتفاع أثمانها. وكذلك خشية الكثيرين منهم من أن تكون عملية تسجيل الأراضي وسيلة جديدة لابتزاز ضرائب جديدة منهم، ومن هنا كان تهربهم من تسجيل أراضيهم، أو تسجيلها باسم كبار الملاك وذوي النفوذ، تخلصاً مما يترتب عليها من ضرائب، مما جعل عائلات ثرية محدودة تملك مساحات واسعة من الأراضي.

ورغم قيام دوائر الطابو، فإن تحديد مساحات الأراضي لم يكن دقيقاً، ويرجع ذلك لسببين: الأول أن قانون تسجيل الأراضي نفسه، ترك الخيار لصاحب الأرض في تحديد مساحتها اما الاكتفاء بذكر حدودها كما كان في القديم، أو بقياسها بالذراع أو الدوم. والسبب الثاني أن اللجان التي شكلت في كافة أنحاء سوريا لمسح الأراضي وتحديد قياساتها، كانت في معظمها، مشكلة من موظفين غير اكفاء كانوا يكتفون بالتقدير النظري لتحديد مساحة الأرض، وإذا أعوزهم الأمر يمدّونها بالخطوات أو باستعمال الحبل، وأدى الى غبن كبير لحق ببعض الفلاحين لعدم دقة هذا القياس من حيث اختلاف الخطوات بين شخص وآخر، وكذلك لتدخل المحايير والزعماء في عملية المسح، بزيادة مسافة هنا أو انقاص مسافة هناك حسب مصالحهم.^(٢)

(١) قانون الطابو، المواد ١ - ٣١، للدستور، ج ١، ص ٤٤ - ٥١.

(٢) سعيد حمادة، النظام الاقتصادي في سوريا ولبنان، بيروت ١٩٣٦، ص ٦٠.

وعلى هذا فإننا نلاحظ في سجلات الطابو في صيدا التضارب والفوضى في تحديد مساحات الأراضي، اذ بينا حدد بعضها بما يحيط بها من أراضي، حدد البعض الآخر بالقياسات التي نص عليها القانون الجديد.

« ... قطعة الأرض الأولى في خراج قرية عازور مكانها خلة أبو نصار سليخ مسوحة نومرو ٢٤٠ حبة ٦ قيراط ١، ١١ محدودة قبلا وشرقا ملك ناصر يوسف فاضل، وغرباً مشاع، وشمالاً طريق.

وقطعة ثانية مكانها الحاكورة معدة لزرع الدخان مسوحة نومرو ٣٨٨ قيراط ٤ محدودة قبلة ملك وهبة انطوان تمامه أولاد كليب فرنسيس، وشرقا ملك جرجس فارس، وشمالاً طريق وغرباً طريق وتامه أولاد نمر باسيل. وقطعة ثالثة مكانها شجرة أم محمد محتوية على أغراس تين وعريش... » (١).

لأسباب التي سبق ذكرها بحكم العادة، فإن السكان ظلوا يسجلون معاملات البيع والشراء لأراضيهم وأملاكهم في المحكمة الشرعية في منطقتهم ولم يأخذوا «سند الطابو» مأخذ الجد، اذ ظلوا يعتبرون «حجة» المحكمة الشرعية أقوى منه، رغم صدوره عن إحدى دوائر الدولة الرسمية. ويبدو أن كثرة «شهود الحال» في الحجة الشرعية، كانت تضيف عليها هيبة وتقديراً أكثر من سند الطابو المهور بامضاء موظف واحد. مع العلم أن حجج المحكمة الشرعية كانت تشير الى حدود الأرض من جهاتها الأربع، ونادراً ما أتت على ذكر مساحتها بالقراريط أو بالأذرع.

« ... باع أحمد بن محمد بن حمزة الدالي بلطة... الى الحاج اسماعيل بن الشيخ بكري الصوص... كامل قطعة الأرض السليخ الواقعة في أراضي المدينة الكائنة في أراضي المرج البراني الشهير بمرج الحية... بعدها قبله (٢) أراضي بني عواد، وشمالاً أراضي بني حشيشو، وشرقا أراضي بني القطب،

(١) كان الفدان يساوي ٢٤ قيراطا.

(٢) الدائرة العقارية في صيدا سجل رقم ١، صكوك الاجارة من اول ايلول ١٨٩١ الى آذار ١٩٠٤.

(٣) أي جنوبا حيث اتجاه الكعبة، وكانوا يبدأون التحديد بها تبركا.

وغرباً مرج بني الدالي بلطة تمة الحدود بجميع حدود ذلك المبيع المزبور وحقوقه ورسومه واشتالاته وطرقه وطريقه... الخ » .
 ولم يقتصر التعامل مع الحاكم الشرعية على المسلمين فقط، بل ظل غير المسلمين يسجلون مبايعاتهم لأراضيهم وأملاكهم في الحاكم الشرعية ويحصلون على « الحجة الشرعية » منها بحكم العادة الجارية، كما أسلفنا: « ... الخواجة بشارة بن جبور بك... بالوكالة عن والدته صوفية بنت الخواجة يوسف التيان أبو شبلة (شيلي)... باع.... الى الخواجة اسرافيل بن الخواجة يعقوب فرح الانقراي... جميع كامل القسمة... من بستان اللغمجي... المشتلة... على أشجار متنوعة الثمار وعلى بيت مسقوف بالأخشاب... مجدها قبله الطريق الخاص وشمالاً نهر البرغوت الشتوي وشرقاً الطريق السالك، وغرباً ملك الخواجة بشارة الشاغوري... في ١٨ رمضان ١٢٨٥ هـ » (٢).

ورغم صدور القوانين العقارية التي ذكرت آنفاً، فإن الفوضى في تحديد مساحات الأراضي وتعيين الحدود بينها، وكذلك في اثبات المالك الحقيقي للأرض (٣) ظلت قائمة، وأدت، في كثير من الأحيان، الى منازعات دائمة أو اشتباكات دامية، شغلت السكان والسلطات على حد سواء. « ... هناك نزاع شبه دائم منذ ثمانية عشر عاماً بين غبطة بطريك طائفة الروم الكاثوليك وبعض سكان قرية عبرا... » (٤) وقد تمكن موكلهم من الحصول على حكم بحقهم في تلك الأرض الواقعة في ريع قرية عبرا من الحاكم المختصة، لكن فلاحى البطريك لم يعترفوا بذلك الحكم بعد ولا زالوا يضعون أيديهم على الأرض، وهم يتبعون متصرفية جبل لبنان... » (٥)

(١) المحكمة الشرعية في صيدا سجل رقم ١، غرة ١٧ في ١٠ شعبان ١٢٨٥ هـ (١٨٦٨).

(٢) المحكمة الشرعية في صيدا، السجل السابق، غرة ٣١.

(٣) كان مالك الأرض بعد تسجيلها في دائرة الطابو يحصل على سند بالملكية، وكان يحق للأمور الطابو ان ينقل ملكية السند من اسم لآخر بموافقة البائع والثاري ودون الرجوع الى سجل الطابو، فنتج عن ذلك ان القطعة الواحدة من الأرض قد يكون لها أكثر من سند واحد مسجل، راجع سعيد حمادة: النظام الاقتصادي... ص ٦٤.

(٤) تقع شرق صيدا على مسافة ٤ كيلومترات.

(٥) مكتب السجلات العامة ف. و ١٩٥/١٤١٠ رسالة نائب القنصل البريطاني في صيدا حبيب اببلا الى القنصل البريطاني العام في بيروت، صيدا في ١ تموز ١٨٨٢.

وكانت السلطات في شغل دائم لحل تلك الخلافات التي لم تكن مقتصرة على السكان أنفسهم، بل بين السلطات الإدارية نفسها «... توجه الى صيدا رشاد بك رئيس دائرة الجزاء الاستثنائية... وشفيق بك المؤيد مقتش الطابو مأمورين من سلطات الولاية... للنظر في الخلاف الناشب حديثاً حول الحدود بين متصرفية جبل لبنان وصيدا... وسيوافيهما معتمدان من قبل سلطات جبل لبنان لانهاء النزاع...»^(١)

زاد في مشاكل السلطات العثمانية في سوريا ولبنان، قيام المؤسسات الارشالية التبشيرية الأجنبية، وازدياد عدد الأجانب، الذين عملوا على التملك تحت أسماء عثمانية، مما حدا بالسلطات الى اصدار تعليماتها الى الحكام الإداريين بتنظيم لوائح بأملك الأجانب في مناطقهم، والتأكد من تسجيلها في المحاكم المختصة، وعدم تحايلهم على القانون بتسجيلها بأسماء زوجاتهم أو أقاربهم من يحملون الجنسية العثمانية.

كما فرضت هذه التعليمات على السكان الذين حلوا جنسية أجنبية، أن يبادروا الى بيع أملاكهم وأراضيهم الى عثمانيين ويحصلوا على ثمنها. ومنعت ورثة العثمانيين الذين تخلوا عن جنسيتهم من تملك أية عقارات أو أراضي وألزمهم ببيعها أو تحويلها الى أملاك الدولة.^(٢)

وقد أدى صدور قانون تملك الأجانب في سنة ١٨٦٩ (١٢٨٥ هـ) الى انهاء المشاكل بينهم وبين السلطات، الى حد كبير، حيث صار من حقهم شراء الأراضي في كافة أنحاء الدولة العثمانية (عدا ولاية الحجاز)، وجعلت المحاكم العثمانية وحدها حكماً للنظر في النزاعات التي يكون الأجنبي أحد طرفيها، ومنع القناصل الأجانب من التدخل في تلك القضايا، وألزم كل أجنبي أن يتقيد بالقوانين العقارية العثمانية السارية وتلك التي تنشأ مستقبلاً.^(٣)

(١) ثمرات الفنون، العدد ٤٠٠، في ٣٠ تشرين الاول ١٨٨٢.

مكتب السجلات العامة ف. و ٨٦٦/١٩٥ تعليمات والي سوريا الى حاكم صيدا الاداري ملحقه برسالة نائب القنصل البريطاني في صيدا يوسف ابيلا الى القنصل البريطاني العام في بيروت ELDRIDGE الأول من كانون الاول ١٨٦٦.

(٣) القانون المذكور، الدستور، ج ١، ص ٦٩.

ويروي عن القائم عبد الله الأدلي أنه كان ينصف فلاحي صيدا ضد كبار ملاكيها، ولا يعترف بسندات ملكيتهم للأرض، وقد أعاد مرة لأحد الفلاحين أرضاً نازعه عليها أحد الأغنياء مع أن هذا أبرز سند ملكيتها^(١).

ويبدو أن هروب الفلاحين من أراضيهم، أو بيعها، بأي ثمن، للآخرين، قد أقلق السلطات، خصوصاً في المناطق الداخلية من سوريا. أما في جبل لبنان فقد كان وضع الفلاحين أفضل، وبالتالي كان هروبهم من الأرض أقل.

ولتلافي ذلك لجأت الدولة إلى وسائل مختلفة لربط الفلاحين بأرضهم، فكانت تعفيهم في بعض السنوات الجديدة من دفع الضرائب، أو كانت تؤخر جبايتها. كما أنها سنة ١٨٦٧ أوعزت إلى المحاكم بعدم قبول تسجيل عقد بيع أرض أو دار يملكها فلاح إلى أي شخص آخر، عثمانياً كان أم أجنبياً، ما لم يكن المشتري فلاحاً أيضاً ومن قرية البائع نفسها، وبعد ثبوت اضطرابه للبيع، وهددت المخالفين بأشد العقاب^(٢).

عرف تسجيل الأراضي باسم «الطابو»، بينما عرفت دائرة تسجيل الأراضي باسم «الدقتر الخاقاني»، وقد انشئت مثل هذه الدوائر في عواصم الولايات، أولاً، ثم أصبح في كل مدينة دائرة تسجيل أراضي خاصة بالمنطقة.

انشئت في صيدا دائرة طابو منذ سنة ١٨٦١، وقد ظلت هي ودائرة طابو بيروت تتبع دقتر خاقاني دمشق، حتى بعد إنشاء ولاية بيروت، إلى سنة ١٨٩١ حيث انشئ دقتر خاقاني مستقل في بيروت. وقد توسعت دائرة طابو صيدا بسرعة، فبينما كانت سنة ١٨٧٥، مثلاً، تتألف من «كاتب الطابو» حنا خطار^(٣)، إذ بها سنة ١٨٧٦ تضم إلى جانب الكاتب حنا خطار، كاتب الأراضي الأميرية حبيب أفندي وإبراهيم أفندي، وكاتب هيئة الطابو حنا

(١) احد عارف الزين، ص ١٢٦.

(٢) مكتب السجلات العامة ف. و ٨٦٦/١٩٥ تعليمات والي سوريا إلى قضاة محاكم الشام في ٢٧ رجب سنة ١٢٨٢ هـ. ملحقة برسالة القنصل البريطاني في دمشق ROGERS للسفير في اسطنبول في ٢ كانون الأول ١٨٦٧.

(٣) حولية ولاية سوريا لسنة ١٢٩٢ هـ (١٨٧٥).

فران، وكاتبي وقوعات الأملاك محي الدين أفندي وسليم أفندي، والجايبين محمود أفندي ومصطفى أفندي^(١). وفيما بعد أصبح لدائرة طابو صيدا مأمور وليس كاتباً فقط، ففي سنة ١٩١٢ مثلاً كان مأمور الطابو في صيدا يوسف ضيا أفندي^(٢).

ب - الأوقاف:

لما كانت الأراضي الموقوفة قد شكلت قسماً لا بأس به من نسبة الأراضي في بلاد الشام، كان من المستحسن بحثها في هذا الفصل.

كانت إدارة الأوقاف التي تم انشاؤها في مطلع القرن التاسع عشر، قد شابها شيء من الفوضى، ودبَّ إليها الفساد، فكان لا بد للدولة العثمانية من أن تجرى عليها بعض الإصلاحات، في نطاق تيار الإصلاح الذي انطلق منذ سنة ١٨٣٩، واشتد في النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

وقد صدرت عدة قوانين لضبط إدارة الأوقاف وتنظيم معاملاتها، فصدر في ١٩ جمادي الآخر سنة ١٢٨٠ (١٨٦٣) قانون إدارة الأوقاف في الولايات^(٣) وقانون توجيه الأوقاف في ٨ ذي القعدة سنة ١٢٨٦ هـ (١٨٧٠)^(٤). « وقانون « نظام معاملات أوقاف المستغلات والمسقفات » في ٩ جمادي الآخر ١٢٨٧ (١٨٧١)^(٥).

وبموجب هذا القانون الأخير اعتبرت الأوقاف الموجودة في بلاد الدولة العثمانية قسمين:

أوقافاً مضبوطة، وأوقافاً غير مضبوطة.

فالأوقاف المضبوطة هي الأوقاف التي تكون توليتها وإدارتها، أو توليتها بمهدة مشروط عليه، لكن إدارتها فقط مضبوطة ومصالحها كافة تدار من قبل

(١) حولية ولاية سوريا لسنة ١٢٩٣ هـ (١٨٧٦).

(٢) حولية ولاية بيروت لسنة ١٣٣١ هـ (١٩١٢).

(٣) الدستور، ج ٢، ص ١٢٤.

(٤) الدستور، ج ٢، ص ١٥١.

(٥) الدستور، ج ٢، ص ١٤٥.

خزينة الأوقاف المهابونية رأساً.

أما الأوقاف غير المضبوطة فهي التي تدار من قبل متوليها مع أشرف نظارة خزينة الأوقاف المهابونية.

وكانت المحلات التي عليها أبنية، أو معدة ومخصصة لإنشاء أبنية، تدعى مسقفات، والأراضي المستفادة بجهة تصرف مثل زراعة أو غرس أشجار مستغلات، وكذلك الكدكات (الدكاكين) كانت بحكم المسقفات^(١).

ومن ذلك يفهم أن الأوقاف كانت على نوعين:

- ١ - أوقاف عامة: وهي أملاك الدولة الموقوفة للصالح العام.
- ٢ - أوقاف خيرية: وهي الأملاك الخاصة التي أوقفها السلاطين والمحسنون من الناس على غرض خيري أو نفع عام.

هذه الأوقاف الخيرية كانت أما أراضي مزروعة أو بورا، أو عقارات كالخانات والحمامات والدكاكين والدور وغيرها.

وفي صيدا وسهلها وجدت نسبة كبيرة من الأراضي والعقارات الموقوفة لشتى الأغراض الخيرية أو ذات النفع العام، وبعضها كان وقفاً ضخماً كوقف طنطش، ووقف أحمد كوجك باشا (الموقوف للحرمين الشريفين) ووقف عبدى باشا الشهير بدالي بلطة^(٢).

ولقد احصيت الأوقاف المؤجرة التي كانت قائمة في صيدا في أواخر القرن التاسع عشر لكافة الطوائف فكانت مؤلفة من الأراضي: ١٦ بستاناً وحاكورة، ومن العقارات: ٥٠ داراً، و٢٦ دكاناً و٥ مخازن، وفرن واحد وحمام واحد، وحائط واحد، وثلاثة سلاط، وست غرف، وتسع اخورات (خانات للخيول)، وكشك واحد (كوخ) وقنطرة واحدة (ساباط) ومطبخ واحد، ومقهيان (قهوة)^(٣). أما الجهات التي كانت موقوفة عليها فكانت جميع مساجد صيدا،

(١) المادتان ١ و٢ من نظام معاملات أوقاف المستغلات والمسقفات، الدستور، ج ٢، ص ١٤٥.

(٢) مقابلة شخصية مع الشيخ محمد دالي بلطة، وقد تمت تصفية وقف عبدى باشا.

(٣) دائرة أوقاف صيدا، سجل انواع الأحكام العائدة للأوقاف المضبوطة لدائرة أوقاف صيدا وهو غير محدد التاريخ وارجح أنه بمحدود سنة ١٨٨٠.

والحرمين الشريفين، ودير المخلص وفقراء الطائفة المارونية وأفراد الطائفة الكاثوليكية، والنواحي العلمية.

ومن نماذج الأوقاف المختلفة في صيدا «... وقف أحمد كوجك باشا المخصص لفقراء الحرمين الشريفين والذي تولى إدارته سنة ١٨٣٦ الشيخ محمد طنطش...»^(١) كما أن «... الحاجة أمينة بنت الحاج أبو جيدة المغربية من طرابلس الغرب... المقيمة في حارة الفواخرة في صيدا.. أوقفت دارها.. على زاوية الشيخ محمد أبي تحلة الشهيرة بزاوية العبيدية...»^(٢).

وكذلك «... حضر محمد بن صالح الشريف والحواجة جرجس بن الحواجة حنا هندية (المثانيان) من أهالي صيدا... وتبرعا من خالص ملكهما نصف ماسورة ماء نسبة لمواسير ماء مساجد صيدا، مع حق مجراها من الماء المنحدر فائضاً من بركة عين أبي اللطف، وأخذت نصف الماسورة بقسطل حديد، ووضع في طرفه مصفاة مثقوبة بثلاثة ثقوب كل ثقب قدر الحمصة الوسطى، حتى لا يزيد معيارها أو ينقص... وقفاً مخلداً للمسجد الكائن عند مقام سيدنا شمعون خارج مدينة صيدا... تحريراً في ٢٦ شوال سنة ١٣٠٥ هـ. (١٨٨٧) ...»^(٣).

كما أوقف خالد بن الحاج سليم حمود البستان الشهير ببستان الخياط «... المشتمل على أشجار وتوت وتين وليمون ومشمش... وعلى بئر ماء وناعورة، وبركة لجمع الماء وعلى بيت مسقوف بالألواح والأخشاب...» وكذلك بعض المقارات «... وقفاً صحيحاً شرعياً لا شطط فيه ولا فساد مخلداً ومؤيداً مرعياً لا يباع ولا يوهب ولا يورث ولا يملك ولا يقايض ولا يعطي لذي شوكة...» وقد جمل «... نصف الوقف يكون على جامع البطاح في راس سوق المصلبية... لشراء حصر وزيت، وغير ذلك... والنصف الآخر لقرء القرآن الكريم في مدينة صيدا المحروسة... بحيث يأخذ نصف الربيع السنوي لهم

(١) امد رسم: الأصول العربية لتاريخ سوريا ... مجلد ٤٣، ص ٥٠ - ٥٣.

(٢) المحكمة الشرعية، سجل ١٣ نومرو ٤٧٢، ص ٧٩ لسنة ١٣١٩ هـ. (١٩٠١).

(٣) المحكمة الشرعية، سجل ٥، ص ٨٠ للسنوات ١٣٠٤ - ١٣٠٦ هـ.

ولشراء خبز يوزع على المحتاجين ...»^(١)

وكانت المحكمة الشرعية هي الخوالة بتسجيل الوقف وإصدار «الحجة الشرعية» فيه مهما كانت طائفة الواقف، أو الجهة الموقوف عليها «... متبل بنت الخواجة يوسف كونتي المسيحية من أهالي صيدا... وقفت جميع نصف قطعة بستان الكينا على عائلة مطر... فان انقضت توقف على فقراء الطائفة المسيحية المارونية، وعلى مقام مار الياس في صيدا...»^(٢)

كان يدير الوقف «متولي» أو «ناظر» ويمكن أن يكون الواقف نفسه متولياً على وقفه، أو يحيل ذلك إلى ورثته من بعده، وبموجب قانون إدارة جميع الأوقاف الصادر سنة ١٢٨٦ (١٨٧٠) فقد نصت المادة ١٧ منه على أن يؤخذ من ريع الوقف من ١٠ - ٥٠ بالألف كمصاريف محاسبة، ومن ٥٠ - ٢٠٠ بالألف كأجرة لمحرر الحسابات، وذلك حسب قيمة الوقف ومقدار ريعه^(٣).

ونص القانون كذلك على حق المتولي بصرف مبلغ لا يزيد عن ٥٠٠ قرش لتعمير الوقف، وما زاد عن ذلك حتى ٢٥٠٠ قرش يأذن به مدير الأوقاف ومجلس الأوقاف، وما زاد عن ٢٥٠٠ قرش فيحال إلى رأي واذن الخزينة العامة^(٤).

لحفظ مال الاوقاف من الضياع، فقد اشترط القانون المذكور ان كل ما تقدمه الأوقاف إلى الفقراء والدرأویش من دقيق وأرز وسكر وزيت، من الأوقاف المخصصة لذلك، يجري شراؤه بطريقة المناقصة العامة^(٥).

كما حددت المادة ٤٨ من القانون المذكور لمدير الوقف خمس المبالغ

(١) جرى تحرير هذا الموقف في سنة ١٢٥١ هـ. في عهد قاضي صيدا مصطفى البرهاني الدمشقي ويوجد في الملاحق صورة كاملة له.

(٢) المحكمة الشرعية، سجل ١١، لسنة ١٣١٨ هـ.، ص ١٧٩، نومرو ٢٧٢.

(٣) الدستور، ج ٢، ص ١٣٠.

(٤) المادتان ٢٦، ٢٢، من القانون المذكور، الدستور ج ١، ص ١٣١.

(٥) قانون إدارة جميع الأوقاف، الدستور، ج ٢، المادة ٢٤، ص ١٣٢.

المتحصلة من الوقف الذي تحت يده^(١).

كما اشترط على متولي الوقف ضبط وارداته ونفقاته في سجلات خاصة يسهل تدقيقها وضبطها، وفيما يلي جزء من ميزانية واردات ونفقات وقف الحاج مصطفى آغا حمود لسنة ١٣٣٤ مالية الموافقة لسنة ١٣٣٦ هجرية:

بارة غروش

- ١٠٠ من مسعد الحداد اجرة سكنه
- ٠٣٦ من نصري السروجي اجرة الدكان.
- ٤٠٠ من علي ازعر ايجار المخزن.
- ٣٥٠ من عبدالله البزري، أبو عادل، إيجار المخزن
- ١٧٠ من الشيخ داوود الكشتبان اجرة الدكان.
- ٣٥٠ من طبيب البلدية قاسم أفندي أجرة الدكان.
- ٠٤١ مبيع سقط ليمون.
- ٢٦٢ أجرة فلاحة فدان.
- ٢٠ ٢٩٧ طرش ايوان جامع البحر وثن كلس وأجرة المعلم والفعالة^(٢).

وفي المساجد التي كانت تديرها الأوقاف عند وفاة الخطيب كان المنصب يحوّل إلى أكبر أبنائه، فإن لم تكن لديه الأهلية والرغبة، تحول إلى أحد اخوته الأصغر منه^(٣). «... عين الشيخ أحمد البدوي اماماً وخطيباً للجامع الشهير بجامع الكتخدنا بمعاش قدره خمسون قرشاً شهرياً تصرف له من واردات وقف الجامع المذكور...»^(٤).

وقد نصت القوانين على تعيين اكفاء وذوي خلق في دوائر الأوقاف المختلفة، من أمانة وخطابة وتدرّيس وغيرها، ففي سنة ١٩١٢ أعلنت إدارة

(١) قانون إدارة جميع الأوقاف، الدستور، ج ٢، ص ١٤٢.

(٢) المحكمة الشرعية، سجل ٢٥، سجل وقف حمود لسنة ١٣٣٦ هـ.

(٣) المادة ٣١ من قانون إدارة الأوقاف، ص ١٣٥.

(٤) المحكمة الشرعية، سجل ٩، نومرو ١٩١ في ٢١ جمادى الأول ١٣٢٠ هـ (١٩٠٢).

الأوقاف في صيدا «... أن امامية الأوقاف الخمس في مدينة صيدا شاغرة، فمن له رغبة ورأى من نفسه الكفاءة، فليراجع المحكمة الشرعية في صيدا لأجل الامتحان»^(١) وكان تعيين كبار المدرسين والعلماء يتم بواسطة براءات سلطانية، كما جرى سنة ١٢٧٩ عند تعيين الشيخ عبدالرحمن النحاس مديراً لمكتب (مدرسة) الجامع العمري الكبير، وكذلك عند تعيينه للتدريس في مسجد المجدوب سنة ١٢٨٦ هـ.^(٢)

وللمحافظة على الأوقاف، ولضمان بقائها، اشترطت المادة ٣٥ من قانون ادارة الأوقاف، وجوب التحقق من فائدة الوقف وخيراته بالنسبة للمحل الذي يقوم فيه، أو بالنسبة لمن سيوقف عليهم، كما اشترطت أن يكون الواقف قادراً مالياً، ويكفي ريع الوقف للوفاء بمصاريفه وبمعاشات القائمين على ادارته، والجهات التي سيصرف نفعه إليها.^(٣)

ورغم القوانين الضابطة لأوضاع الأوقاف ظل بعض متولي تلك الأوقاف يأكل معظم وارداتها، أو يعتمد إلى توريثها لعائلته من بعد تزويراً واحتيالاً...
ثانياً - الزراعة:

الملكية الزراعية:

اشتهرت صيدا بموقعها في وسط سهل ساحلي خصيب، غزير المياه، متنوع الفلال والثار، ولكثرة حدائقها وأشجارها دعاها العرب في العصور الوسطى «أربل» من الربل أي كثرة الشجر.^(٤)

وقد ساهم مناخها الجيد في ازدهارها الزراعي، إذ تغزر أمطارها شتاءً، وتسودها الحرارة والرطوبة صيفاً، كما ان مزارعيها انصرفوا إلى حقولهم كلية، دون أن يضطروا إلى بذر الحب في يد، وحمل السلاح في أخرى، درءاً لهجمات البدو المفاجئة على حقولهم، كما كان يحدث في أنحاء مختلفة من سهل

(١) صدى المفيد العدد ٥ في ٤ حزيران ١٩١٢.

(٢) الأوقاف - سجل قرارات المجلس الاداري، معظم صفحاته بالتركية.

(٣) الدستور، ج ٢، ص ١٣٦.

(٤) المنجد: مادة ربل، وكذلك ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، بيروت ١٩٥٧.

وحسب تقديرات مجلس الإدارة، فإن مساحة قضاء صيدا الاجالية، في أواخر العهد العثماني، كانت حوالي ٤٠٠ ألف دونم^(٢). ومن هذه المساحة كانت البساتين تبلغ سبعة آلاف دونم، والأراضي المغروسة زيتونا ألفا وخمسمائة دونم، والمزرعة تينا ثمانية آلاف دونم، وتبعا ستة آلاف وخمسمائة دونم، أما بقية الأراضي الزراعية، فكانت تغل حبوبا^(٣). وقد أورد مصدر آخر رقم ١٧٠ ألف هكتار كمساحة للأراضي الزراعية في صيدا وضواحيها وقد^(٤) بلغ عدد بساتين صيدا، في أواخر العهد العثماني، من ٣٠٠ - ٣٥٠ بستاناً تراوحت مساحة بعضها بين ١٤ فداناً للكبير وفدانين للصغير،^(٥) أو أقل من ذلك، كما كان هناك خسون بستاناً مخصصة لتربية دود القز^(٦).

نستدل من الأرقام السابقة ان الملكية الزراعية في صيدا كانت، عموما صغيرة ومفتتة، ولم يكن هناك ملكيات كبيرة لأفراد، ولكن بعض العائلات إذا جمعت ملكيات أفرادها الزراعية، شكلت نسبة كبيرة من أراضي صيدا الزراعية. ويبدو ان من العوامل الرئيسية في نشوء الملكية الزراعية الصغيرة في صيدا، اقبال صفار التجار والحرفيين، عندما تحسنت أوضاعهم، على شراء مساحات صغيرة من الأرض واستثمارها.

هذا وقد تراوحت تربة صيدا بين رملية (حمراء أو بيضاء) وترايبية (سوداء أو بيضاء). أما الرملية الحمراء فهي القريبة من شاطئ البحر وهي صالحة لزراعة الأشجار المثمرة، والرملية البيضاء ليست صالحة للزراعة عموماً لعدم قابليتها للري. أما الترايبية، السوداء والبيضاء، فهي تصلح لكل أنواع

(١) بوون وجب، ج ٢، ص ٩٨ و ٩٩.

(٢) التميمي وبهجت، ج ١، ص ١٥٥.

(٣) التميمي وبهجت، ج ١، ص ١٣٤.

(٤) توما كيال: الزراعة في صيدا، المشرق، المجلد ١١، العدد ٣، آذار ١٩٠٨، ص ١٧٥.

(٥) كان فدان صيدا يساوي ألفي متر مربع، وهو أصلاً المساحة التي يمكن للثورين ان يحرقوها في نهار واحد.

(٦) التميمي وبهجت، ص ١٦١.

المزروعات من أشجار وخضار.

وقد وصل ثمن فدان الأرض في صيدا، في أواخر القرن التاسع عشر، من ٦ - ٧ آلاف فرنك، كما كان معدل غلته السنوية ٦٠٠ فرنك^(١).

تحسين وإصلاح الزراعة:

اهتمت الدولة العثمانية بتحسين وسائل الزراعة، لأن دخلها من ضرائب العشر كان كبيرا، وكان معظم هذه الضريبة آتيا من الزراعة، ومحاصيلها. وقد عمدت سنة ١٨٤٥، مثلا إلى تأليف لجان في جميع الولايات لدراسة وسائل تحسين الزراعة، فقامت هذه اللجان بعدة دراسات، لكنها لم تتوصل إلى نتيجة مهمة^(٢).

وبعد سنة ١٨٥٤ انشئت دوائر للزراعة في الولايات قامت بارشاد الفلاحين، وبإنشاء مشاتل وحقول تجارب زراعية، ومد المزارعين بالبذار والغراس، وانشئت في بيروت دار للحريز منذ سنة ١٩١٠، كما تم افتتاح مدرسة لتعليم صناعة الألبان والأجبان فيها سنة ١٩١٦^(٣).

وظلت الدولة ترعى الزراعة وتحسنها بشكل دائم، فأصدرت سنة ١٨٦١ تعليمات تشجيع زراعة القطن^(٤)، ونظام اعفاء غراس الزيتون في سنة ١٨٦٢^(٥).

سنة ١٨٦٣ أصدرت تعليمات تختص بوظائف مديري الزراعة^(٦). وفي سنة ١٨٧٠ تعليمات تحسين نسل الخيل^(٧)، وسنة ١٨٧٢ نظام اعفاء غراس

(١) نقلا عن تقرير للتوصل البريطاني العام لحكومته، المقتطف، مجلد ٦، سنة ١٨٨٠ - ١٨٨٢، ص ٣٨٠.

(٢) لونسكي، ص ١٥٢.

(٣) التميمي وبهجت ص ٦٢ - ٦٣.

(٤) في ٢٦ رجب سنة ١٢٧٨، الدستور، ج ٢، ص ٣٨٤.

(٥) في ٢٩ ذي الحجة سنة ١٢٧٨، الدستور، ج ٢، ص ٣٨٧.

(٦) في ١٧ شعبان سنة ١٢٨٠، الدستور، ج ٢، ص ٣٨١.

(٧) في ١٦ المحرم سنة ١٢٨٧، الدستور، ج ٢، ص ٣٩٣.

التوت^(١) وسنة ١٨٨٠ نظام اعفاء الآلات والأدوات الزراعية والصناعية من الرسوم^(٢) كما أنشأت المصرف الزراعي سنة ١٨٨٧.^(٣) وكان مديره سنة ١٨٩٤ محمود بك وظلّ حتى سنة ١٩١٢.

أما القطن فقد شجعت على زراعته، وصرفت مكافآت للذين يقدمون أفضل إنتاج، واعفت آلات القطن المستوردة من الرسوم الجمركية، وأقامت معارض سنوية في مدن الولاية المختلفة ومنحت جوائز للمتفوقين^(٤).

كما شجعت على زراعة أشجار الزيتون، باعفاء الشجرة من ضرائب الأعشار لمدة ثلاث سنوات تبدأ بعد أول إنتاج لها، أو عشر سنوات منذ تاريخ غرسها، كما حذرت من قطع أشجار الزيتون ورغبت بزيادة إنتاجه^(٥).

واهتمت بفراش الزيتون التي تقدّم أوراقها طعاماً لدودة القز التي تصنع الحرير، وقد أعفت بساتين التوت المزروعة حديثاً من دفع ضريبة العشر مدة ثلاث سنوات متتالية بعد أول إنتاج لها، شريطة أن تكون المسافة بين شجرة وأخرى ذراعين إلى ثمانية أذرع. وأن يكون البستان مخصصاً لتربية دودة القز، أو لبيع أوراق التوت لمربي الدودة^(٦). وكان في صيدا في مطلع القرن العشرين خمسون بستاناً لتربية دودة القز،^(٧) وفي أوائل هذا القرن كانت اقة الشرائق تباع بمعدل ١٥ - ٢٥ قرشاً^(٨).

وبالإضافة للعناية بالخليل وتحسين نسلها وتقديم الخدمة البيطرية لها مجانا،^(٩) فقد اهتمت بالماشية وباقي الحيوانات الأهلية، فحتى تحافظ على

(١) في ١٢ المحرم سنة ١٢٨٩، الدستور، ج ٢ ص ٣٨٦.

(٢) A Handbook of Syria, op. cit., p. 248

(٣) سعيد حمادة النظام النقدي والصرافي في سوريا، بيروت، ١٩٣٥، ص ٢٩.

(٤) الدستور، ج ٢، ص ٣٨٤.

(٥) الدستور، ج ٢، ص ٣٨٧.

(٦) الدستور، ج ٢، ص ٣٨٥.

(٧) التميمي وبهجت، ص ١٦١.

(٨) ثمرات الفنون، العدد ١٤٨٥، في ٢٠ حزيران ١٩٠٤.

(٩) الدستور، ج ٢، ص ٣٩٣.

حيوانات الأهليين من جاموس وبقر وحير وغيرها أصدرت تعليمات تمنع أو تحد من سرقتهما. فألزمت كل من يريد أن يبيع حيواناً منها أن يحصل على تذكرة خاصة تتضمن أوصاف الحيوان الجاري بيعه، مختومة بختم المختار، وكان الرسم عليها عشرين فضة. وعند بيع حيوان دون تذكرة أوصافه المصادق عليها يصادر الحيوان، حتى إذا أثبت صاحبه أنه غير مسروق يعاد إليه بعد دفع غرامة قدرها خمسة بشالك^(١).

وللحفاظ على نسل الماشية منعت ذبح العجول قبل أن يصير عمرها سنتين ونصفاً، والبقرة قبل أن يصل عمرها خمسة عشر عاماً، والبقرة المستخدم بالحراثة قبل أن يبلغ الثانية عشرة من عمره، والفحول المستخدمة في الشبي (التلقيح) قبل أن تصل الخامسة، وهددت كل من يتجرأ على مخالفة ذلك بالعقوبات القانونية الرادعة^(٢).

وفي ١٩١٢ كان عدد الماشية في قضاء صيدا كما يلي ٢٥٠٠ حمار، و١٥٠٠ من الخيل، وألف جل، و٨٥٠٠ بقرة، وستة آلاف رأس غنم و٢٥ ألف رأس من الماعز^(٣).

ان ما عرضناه آنفاً، من قوانين اعفاء ضريبي وحماية للحيوانات وحفاظ على نسلها، وتشجيع على الزراعة، تمثل جيمها، جانباً واحداً من سياسة الدولة العثمانية تجاه المزارعين والزراعة، وهو الجانب الجميل الخير، لكن هذا الجانب لا يمثل الواقع تماماً، إذ كان هناك، في الوقت نفسه، جانب غير جميل يتمثل فيه الظلم والقسوة على المزارعين، حيث كانت الدولة تتشدد أحياناً في جمع الضرائب وترسل أعوانها لتحصيلها من الفلاحين، حتى ولو كانت محاصيلهم بائرة، ففي سنة ١٨٩١ كان الموسم الزراعي رديئاً بشكل عام، وأرادت الدولة تحصيل ضريبة العشر بنسبة السنوات السابقة فرفض الفلاحون في منطقة صيدا تأدية الضريبة بنفس النسب السابقة، فقامت السلطات بسجن أعيان

(١) الدستور، ج ١، ص ٤٩٩ - ٥٠٠.

(٢) بلدية صيدا، قرار نومرو ١٠٨، في ٢٥ اغسطس ١٣٣٢.

(٣) أحمد عارف الزين، ص ١٣٤.

قرى المنطقة، وحجزت على بيادر الفلاحين، ومنعتهم من التصرف بها، حتى يتم دفع الضريبة المقدرة، مما دعا هؤلاء إلى رفع أصواتهم بالشكوى عالياً من ظلم الدولة ورجالاتها^(١).

وفي خريف ١٩١٤ (١٣٣٣ هـ) أرسلت سلطات ولاية بيروت تسأل قائمممية صيدا عن قدرة فلاحها على انتاج كمية من المحاصيل تعادل النسبة السابقة، حتى تقدر الضريبة المناسبة لها، فتجيبها هذه بأن الموسم ضئيل جداً لتلك السنة، وتطلب منها إرسال ثلاثمائة ألف اقة حنطة وثلاثمائة ألف اقة أخرى شعيراً مساعدة للفلاحين لبذرهما في حقولهم^(٢).

وكانت الدولة قد أنشأت دوائر للزراعة في الولايات منذ مطلع النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وفي القضاء كان موظف الزراعة يدعى «مأمور الزراعة والتجارة»، وبعد صدور قوانين التجارة أصبح يدعى مأمور الزراعة فقط، وحسب قانون الولايات سنة ١٨٦٤ صار مأمور الزراعة يتبع الوالي مباشرة لأهمية عمله. أما مديرو الزراعة فقد كانوا يعينون في مناصبهم بعد انتخابهم من قبل المجالس المحلية في مناطقهم، على أن يكونوا من أهل المنطقة ومقيمين فيها، وكان عملهم شرفياً إذ لا يتقاضون عليه راتباً^(٣).

كان مدير الزراعة في صيدا السنة ١٩٠٠ اسماعيل آغا البعاصيري، كما كان مدير شعبة البنك الزراعي في صيدا لسنة ١٨٩٤ محمود بك والكاتب رشيد أفندي والأعضاء: أنطوان صاصي، ومحمد أبو ظهر، وابراهيم أفندي، وعبدالحليم أفندي وحبيب يعقوب.

وفي سنة ١٩١٢ كان مدير البنك الزراعي في صيدا محمود كالو، والكاتب عطالله أفندي، كما كان حسين نصار مأموراً للأحراش^(٤).

(١) مكتب الجلات العامة ف. و ١٧٢٣/١٩٥ رسالة شبلي ابيلا نائب القنصل البريطاني في صيدا إلى القنصل البريطاني العام في بيروت HENRY TROTTER رقم ٧، صيدا في ٦ تموز ١٨٩١.

(٢) بلدية صيدا - قرار نومرو ١٤٣، في ٧ أيلول ١٣٣١ (١٩١٤).

(٣) الدستور، ج ٢، ص ٣٨١.

(٤) حوليات الدولة العثمانية للسنوات ١٣١٢ و ١٣١٨ و ١٣٣٠.

بفضل غزارة المياه في سهل صيدا، أصبح من اليسير ريّ الأراضي التي لا تحترقها مجاري الأنهار والجداول في سهلها، مما ساعد على زيادة خصوبتها عبر التاريخ.

اعتمد القسم الشمالي من سهل صيدا في الري على مياه نهر الأولي، بينما سقيت أراضي القسم الجنوبي من السهل المذكور بمياه الآبار التي كانت تستخرج بواسطة النواعير التي يديرها الحيوان. وحتى الحرب العالمية الأولى كان عدد البساتين التي تستخدم محركات بخارية لرفع الماء اثنين فقط^(١).

وعلى هذا فإن بساتين صيدا باصطلاح المزارعين كانت قسمين: السقي والنواعير، وقيمة الأولى تزيد على قيمة الثانية، وفي مطلع القرن العشرين كان ربع البستان ثلاثة بالمائة من قيمته سنوياً^(٢).

كانت مياه نهر الأولي تجر إلى صيدا بواسطة قناة عرفت «بالقناة السلطانية»، وعندما قام المجلس الإداري لصيدا سنة ١٨٧٣ برفع جدرانها نصف ذراع، احتج سكان جبل لبنان لانقطاع المياه عن بساتينهم، وتوقف طواحينهم عن العمل، وكان أكثر المتضررين آل جنبلاط فرفعوا شكوى إلى السلطات، وانتهى الأمر باعادة جدران القناة إلى حالتها السابقة^(٣).

والمنازعات حول ماء الري لم تنقطع طيلة الفترة التي نحن بصدددها، والمصادر المعاصرة تحفل بالكثير من تلك المنازعات. ففي سنة ١٨٧٣ نفسها، كتب القنصل البريطاني في بيروت انه نتيجة لسقوط ثلث كمية المطر المعتادة في شتاء ذلك العام، فإن الصيف يوحى بوقوع منازعات خطيرة حول ماء الري، وإن بواذر ذلك بدأت في ابل السقي، في منطقة مرجعيون، حيث جرح أحد عشر مسيحياً وثلاثة دروز بسبب الشجار الذي نشب حول حقوق توزيع الماء، وإن الوالي كامل باشا بعث بشقيق شكري بك قائمقام صيدا، على رأس

(١) التميمي وبهجت، ص ١٦١.

(٢) أحمد عارف الزين، ص ١٥٥.

(٣) اسد رستم: لبنان في عهد المتصرفية، ص ٢٢٧.

فرقة من الفرسان لتهدئة الوضع فيها^(١).

وفي سنة ١٩١٠ شكى فضل الله بك حماده و خليل بك حماده من جبل لبنان، الحاج عبدالرحمن الزين لأنه يسلط مياه بستانه الزائدة على بساتنها في منطقة مكسر العبد، وبعد التحقيق بالشكوى الزمت البلدية الحاج الزين بالامتناع عن تلك المخالفة^(٢).

بالإضافة إلى نهري الأولي وسينيق ومياه الآبار، فإن بعض بساتين صيدا كانت تروى بمياه الينابيع المتدفقة، مثل عين أبي اللطف، وبركة غزال، وبركة حلبون ونبع السبع أعين وغيرها.

وكانت المياه تحسب «بالعدنان»^(٣) وهو كمية المياه التي تجري من مجمع ماء أو بركة في وقت محدد. فعدنان مكسر الجديد، مثلاً، المشهور بعدنان النمر، كان له دور واحد كل ثلاثة وعشرين يوماً، ومدة الدور سبع ساعات^(٤).

وكان عدم اكتفاء البعض بنصيبه من مياه الري، وتسلفه على مياه غيره، يؤدي إلى منازعات طويلة، كان لا يجري قضاً أو حلّها إلا بواسطة الحاكم، ففي سنة ١٩١١ مثلاً اشتكى الصيداويون رهبان دير الخالص، إلى محكمة الشوف، لقيامهم بسقي أراضي الدير من مياه نبع الباروك الجارية إلى سهل صيدا، وبعد مطالعة الوثائق والمستندات، والكشف على الطبيعة، أصدرت المحكمة قرارها بحق أهل صيدا في جميع حصص المياه^(٥).

وعندما حوّل حسن عنتر والحاج محمد عبده والحاج محمود زيدان مياه قناة الخاسكية إلى بساتينهم، تضرر معظم سكان صيدا، واشتكوا للبلدية، التي

(١) مكتب الجلات العامة ف. و ١٠٢٧/١٩٥٥ رسالة ELDRIDGE رقم ٣٥ للسفير البريطاني في اسطنبول، بيروت في ٤ أيار ١٨٧٣.

(٢) بلدية صيدا نومرو ٣٤، في ١٦ نيسان ١٣٢٦.

(٣) سرمانية الأصل بمعنى الوقت أو الزمن.

(٤) المحكمة الشرعية، سجل ١، غرة ١٦٠، سنة ١٢٨٥ هـ.

(٥) لبنان الحال، العدد ٦٥٥٩، في ١٣ شباط ١٩١١.

سارعت إلى منع المخالفين ومعاقبتهم^(١).

الاستثمار الزراعي:

كانت طرق الاستثمار الزراعي متعددة أهمها نظام المزارعة ونظام المغارسة، وكانا أكثر أساليب الاستثمار الزراعي شيوعاً.

أما نظام المزارعة، أو المحاصصة، كما كان يدعى أيضاً، فهو نظام قديم، ومعظم الأراضي كانت تستثمر حسب هذا النظام. وقد عرف بأنه «نوع من الشركة يقدم فيه أحد الشريكين أرضاً ويقدم الثاني عملاً، على أن تقسم الأرباح الناتجة بينهما». وكانت المزارعة تحتص بالأراضي المزروعة حبوباً أو خضاراً.

وكانت حصة المزارع تتراوح ما بين الخمس والربع والثلث حتى النصف، أما في الأراضي المجردة القاحلة فكانت تصل إلى ٧٠ - ٨٠ ٪ من المحصول، والمزارعة على أربعة طرق:

طريقة المربعة: ويقدم فيها المالك للمزارع السكن ونفقات الزرع ويدفع الضريبة ويجري اقتسام المحصول بنسبة ثلاثة أرباع للمالك وربع للمزارع. طريقة الشركة الحموية، ويتم فيها اقتسام المحصول مناصفة بين المالك والمزارع. وطريقة الشركة الحلبية وفيها يقدم الفلاح قسماً من نفقات الزراعة والعمل اللازم لها، ويتم اقتسام المحصول مناصفة، كما يشترك الاثنان في تحمل الخسارة، وطريقة الخامسة، وفيها يقدم الفلاح العمل ونفقات الزرع والبذار، ويقدم المالك الأرض، وبعد تأدية الفلاح لضريبة العشر، يأخذ خمس المحصول، ويترك الباقي للفلاح^(٢).

ونظام المغارسة شاع استخدامه في الأراضي المغروسة بالأشجار (البساتين) ولذلك كان عقداً طويل الأمد، وفيه يعهد المالك للفلاح بأرضه ليقوم هذا بغرسها وتطعيمها، ورعاها والعناية بها، وبعد انقضاء ٣ - ٥ سنوات على زراعة التوت، و٤ - ٦ سنوات على زراعة الكرمة، و٧ - ٨ سنوات على

(١) بلدية صيدا، قرار نومرو ١٠١، في ٣٠ تموز ١٣٣٢.

(٢) سمود ضاهر، تاريخ لبنان ص ٢٤٢ و ٢٤٣.

زراعة التين، و١٠ - ١٢ سنة على زراعة الزيتون يتم تقاسم الأرض المفروسة بنسبة الثلث أو النصف، ولا يحق للمزارع اجراء القسمة خلال سريان فترة عقد المغارسة، أما المحاصيل الناتجة فتقسم بين الشريكين مناصفة.

وكان من نتائج انتشار هذا النظام ان الفلاح اصبح شريكا في الأرض، وبالتالي ازدادت تجزئة الملكية الزراعية، وقوي حق المزارع بالأرض. ومن الأمثلة على عقد مغارسة «... في ٢٠ رمضان ١٣٠٨ حضر يوسف نبهان فرنسيس... وأجرى مساقاة على جميع أشجار التوت وغيرها... على أن يقوم بصيانتها وتسميدها وحراستها، وجميع ما به نموها على بقائه عينها مدة ثلاثين سنة... بأجرة قدرها ثلاثة آلاف قرش... دفع منها نقدا الفين وتسعمائة وأربعين قرشاً، والباقي يقسط إلى ثلاثين قسطاً، بمعدل كل قسط شهرى قرشين.. تحريرا في ٢٨ نيسان ١٨٩١»^(١).

كما جرت العادة في صيدا ان البستاني (المزارع) الذي بذل جهدا في انتاج محاصيل وغار من البستان، تكون حصته منها أربعة قراريط، ولا يحصل على شيء ان لم يبذل جهدا^(٢).

أما الأراضي التي تزرع حبوبا في سهل صيدا فكانت تتبع، غالبا، نظام المزارعة «... اشترك اثنان في سهل المدينة مشاركة مزارعة على ان يقدم احدهما ١٤ مدأ حنطة سعر المد ١٢ ١/٢ قرشا، ويقدم الثاني عملا...»^(٣).

المزروعات:

أنبتت أرض صيدا ثماراً متنوعة، بلغت في بعضها شهرة عالمية. فقد ازدهرت زراعة القطن في صيدا وجوارها منذ أمد بعيد^(٤)، وظل

(١) الدائرة العقارية في صيدا، سجل رقم ١، صكوك الاجارة ابتداءه أيلول ١٨٩١ وانتهاءه آذار ١٩٠٤.

(٢) المحكمة الشرعية سجل رقم ٧، في ٣٠ صفر ١٣٠٨ هـ.

(٣) المحكمة الشرعية، سجل رقم ١٠، لسنة ١٣١٧ هـ.

(٤) علي الحسني: ص ١٥٤.

القطن المحصول الرئيسي فيها حتى منتصف القرن التاسع عشر^(١).

أما التوت فقد كانت أشجاره تلاء الجبال المحيطة بصيدا، وكانت صيدا الثانية بعد طرابلس في كمية انتاجها من الحرير^(٢). ولما كانت تربية دودة القز لانتاج الحرير عملية مربحة، فقد عمد الكثيرون إلى قلع مزارعهم وغرس أشجار التوت بدلا منها، بحيث ناهز عدد أشجارها، في أواخر القرن التاسع عشر ثلاثة ملايين ونصف مليون شجرة في كل سوريا^(٣).

وفي حوالي منتصف القرن التاسع عشر دخلت شجرة الايكيدنيا^(٤) إلى الساحل اللبناني، خصوصا إلى صيدا، حيث جادت في أرضها أكثر من أية منطقة أخرى، وأصبحت بالتالي من ألذ ثمار صيدا مذاقاً.

أصل الأيكي دنيا من الصين واليابان، وقد حلها إلى صيدا بعض البحارة من أزمير في سنة ١٨٥٩^(٥)، وقدموا إلى أحد الملاكين خليل كشتو بعضاً من بذورها، فزرعها في بستان طنطور خاصة آل القطب، فتمت وأعطت أطيّب الثمر^(٦)، واستقدم الشيخ محمد صالح لطفي بعضاً من بذورها وقام بزرعها.

وبذا أخذت زراعتها تنتشر حتى صارت إحدى مزارع صيدا الرئيسية. وكان الأب ماسي اليسوعي أول من زرعها داخل أسوار صيدا القديمة في دير قديم للآباء اليسوعيين سنة ١٨٧٣^(٧). وساهم انتشار الايكيدنيا في صيدا، وكذلك الحمضيات، بالإضافة إلى الأموال الواردة من مهجري أبناء قضائها إلى العالم الجديد، في انتعاش صيدا في أواخر القرن التاسع عشر.

(١) سميليانسكايا: الحركات الفلاحية في لبنان في النصف الأول من القرن التاسع عشر، تمريب عدنان جاموس، بيروت، ١٩٧٢، ص ١٥.

(٢) علي الحسني: ص ١٥٦.

(٣) عبدالكريم غواية: سوريا في القرن التاسع عشر، ص ١٥١.

(٤) بني دنيا بالتركية بمعنى دنيا جديدة.

(٥) عادل أبو النصر: زراعة الايكيدنيا، بيروت، ١٩٥٨، ص ٤.

(٦) توما كيال: الايكيدنيا، المشرق، مجلد ٨، عدد ١١، حزيران ١٩٥٥، ص ٤٩٩.

(٧) المشرق المجلد ٨، عدد ١١، حزيران ١٩٥٥، ص ٥٠١.

بيع رطلها، في مطلع القرن العشرين، بستة غروش، والنصف الأقل جودة بغرشين ونصف^(١). وقبل الحرب العالمية الأولى كان محصولها في صيدا يقدر بستائة قنطار، يتراوح سعر القنطار منها بين ١٢٥ - ١٥٠ قرشاً.

أما الحمضيات فقد كانت من محصولات صيدا الرئيسية، حتى ان نباتاتها انتجت في مطلع القرن العشرين مائة مليون حبة سنوياً، سبعون مليوناً منها من البرتقال وثلاثون مليوناً من الليمون الحامض. وكانت الالف برتقالة تباع من ٢٠ إلى ١٠٠ قرش حسب نوعها، كما كانت كل ألف ليمونة حامض بخمسين قرشاً. وقد انتجت صيدا سنة ١٩٠٢ خمسين ألف صندوق من البرتقال والليمون الحامض بمختلف أنواعها^(٢).

وقد بلغت قيمة صادرات صيدا من البرتقال والحامض في أوائل القرن العشرين حوالي مليون فرنك سنوياً^(٣).

وبدأت صيدا بتصدير برتقالها إلى الخارج منذ الحكم المصري في سوريا^(٤)، وكانت ترسله إلى البلاد الأوروبية وبعض المناطق المجاورة كبيروت ودمشق وغيرها. وفي سنة ١٨٨٥ مثلاً صدرت ٢٦ ألف صندوق ليمون حامض و ١٠ آلاف صندوق برتقال من موانئ صيدا وبيروت وطرابلس إلى روسيا والمجترات والنمسا^(٥).

(١) المصدر السابق، ص ٤٩٩.

(٢) التميمي وبهجت: ص ١٦١.

(٣) أحمد عارف الزين: ص ١٤٦.

(٤) نقلاً عن تقرير القنصل البريطاني العام إلى حكومته، المقتطف، مجلد ٦ لسنة ١٨٨١ - ١٨٨٢ ص ٣٨٠.

(٥) القنصلية الأميركية ت/١٣٦٧ مجلد ١٦، التقرير السنوي للواء بيروت في ٣٠ حزيران ١٨٨٦، ص ١٤+١٥. هذا ما ورد في تقرير القنصل الأميركي السنوي. لكن القنصل البريطاني العام في بيروت DRUMMOND HAY في تقريره العام عن سوريا وفلسطين الملحق برسائله السرية رقم ١٦ إلى السفير MARQUESS OF SALISBURY المؤرخة في ١٠ أيار ١٨٩٧، ذكر ان صيدا بدأت تصدير البرتقال إلى بريطانيا لأول مرة تلك السنة. ولعل معلوماته، فيما يخص بريطانيا، أدق من معلومات زميله الأميركي. مكتب السجلات العامة ف. و ٧٨/٤٨٣٤.

وقد عانت صيدا، كباقي المدن السورية الأخرى، صعوبات في تسويق منتجاتها الزراعية خصوصاً البرتقال، لسرعة عطبها، ولقلة العناية بالأغمار أثناء النقل، مما كان يؤدي إلى تلف كميات منها قبل وصولها إلى مقصدها، بالإضافة إلى سوء المواصلات. وفي بعض السنوات كاد الكساد يجلب بالحمضيات لمجزها عن تسويقها، كما حدث سنة ١٩٠٨، عندما فرضت روسيا، وهي مستورد رئيسي، ضريبة ثقيلة على صناديق الحمضيات الواردة إليها^(١)، وكانت روسيا تستوردها عن طريق ميناء أوديسا على البحر الأسود.

حاز برتقال صيدا شهرة عالمية، وكان هو والبرتقال اليافاوي أفضل أنواعها على طول الساحل السوري. فإن بسايتين صيدا كانت تعطي أكثر من خمسة عشر نوعاً من البرتقال والليمون الحامض وسائر أنواع الحمضيات^(٢). برع الصيداويون في صنع أنواع من الشراب والربيات من البرتقال والحامض واضرابها، كما صنعوا أفخر أنواع ماء الزهر من تقطير زهر الصفيّر (أبو صفيّر) الشائع استخدامه في مختلف أنحاء بلاد الشام، كما كانت معامل العطور الأوروبية تستورد البرتقال الصيداوي لاستخراج عطر خاص من قشوره^(٣).

إلى جانب الحمضيات انتجت بسايتين صيدا أنواعاً جيدة من الموز والشمش والاجاص والنخيل^(٤). أما التفاح فلم يكن من محاصيل صيدا في تلك الفترة، لكن بعض الظواهر تحمل على الظن أنه كان من المنتوجات الرئيسية في صيدا أو جوارها^(٥).

(١) توما كيال: الزراعة في صيدا، المشرق، مجلد ١١، عدد ٣، آذار ١٩٠٨، ص ١٧٥.
(٢) أهم أنواع البرتقال في صيدا: اللاتبي - البزري - البلدي - الشموطي - الختملي - الماوردي - السكري - الحلو - المربي - الهندي. ومن أنواع الحمضيات غير البرتقال: الكلمنتين ويوسف أفندي والحامض وأبو صفيّر والكباد.

(٣) توما كيال: برتقال صيدا، المشرق العدد ٧، ص ٢٩٥.

(٤) مكتب السجلات العامة ف. و٤٨٣٤/٧٨ تقرير عام عن سوريا وفلسطين الخ سبق ذكره.
(٥) يوجد في جوار صيدا أقليم يعرف «بأقليم التفاح»، كما أن قرية (تفاحتا) تقع في قضاء صيدا وكل هذا يشير، ربما، إلى أن منطقة صيدا كانت تزرع التفاح قديماً ثم انقطع عنها، فلم يبق إلا الاسم دالاً على مكانه.

وقد بلغ المحصول الزراعي لقضاء صيدا في أوائل القرن العشرين كما يلي:

ألف كيلة قمح	٣٢٠
ألف كيلة شعير	٨٠٠
ألف كيلة ذرة بيضاء	٣٠
ألف كيلة عدس	٩٠
ألف كيلة حمص	١٢
ألف كيلة جلبان	٢٠
ألف كيلة فول	٢,٥
ألف كيلو تبغ	٦٠٠
ألف كيلو قز	٤٥
ألف اقة زيت (تنتجها ٢٥ ألف شجرة زيتون)	١٢٥٠
ملايين اقة ايكي دنيا وليمون وماندرين ^(١)	٦

(١) التيمسي وبهجت، ص ١٦٢.

الضرائب والرسوم

اتَّسم النظام الضريبي العثماني، بوفرة ضرائبه ورسومه، خصوصاً المباشرة منها، مما كان يقع عبثه على عامة الشعب، بالإضافة إلى كثرة الاعفاءات والاستثناءات التي كان يستفيد منها كبار الموظفين، ورجال الدين، والأجانب وفئات أخرى. كما سادت الفوضى طرق جباية الضرائب وتحصيلها، وما كان يرافقها من قهر وظلم.

وفي نطاق الإصلاحات التي قامت بها الدولة منذ النصف الثاني للقرن التاسع عشر، صدرت عدة قوانين لتنظيم الضرائب، وتحسين وسائل جبايتها، مما أدى إلى زيادة دخلها منها، وإلى توفير عدالة أكبر في فرضها، وتخفيف ثقلها على المواطنين ذوي الدخل المحدود.

أ - أبرز الضرائب والرسوم التي فرضت أو كانت موجودة خلال الفترة التي نبحثها:

١ - الأعشار:

عرفت كذلك لأن قيمتها، في الأصل، كانت عشر الغلة أو الانتاج، لكن قيمتها ظلت تتصاعد فبلغت أحد عشر بالمئة، ثم $\frac{1}{8}$ المحصول^(١)، أو حوالي ١٢,٦٣ %، ومنذ سنة ١٨٥٥ شملت الأراضي المضروب عليها الخراج أيضاً^(٢)، وبسبب ظلم الملتزمين والعشارين^(٣)، كانت تصل إلى عشرين بالمئة وأحياناً أكثر.

(١) علي الحسي، ص ١٦٨.

(٢) عبدالله حنا: القضية الزراعية والحركات الفلاحية في سوريا ولبنان ١٨٢٠ - ١٩٢٠، القسم الأول، بيروت، ١٩٧٥، ص ١١١.

(٣) محمد كرد علي، ص ٩٠، والعشار الذي يقوم بتحصيل ضريبة الأعشار.

وما بين سنتي ١٨٨٣ - ١٩٠٠ بلغت قيمتها رسمياً ثُمّن المحصول، لكنها فعلياً كانت تتراوح بين ٢٠ - ٣٠ ٪ وفي بعض الأحيان ناهزت نسبة ٤٠ ٪. وبما كان يزيد من وطأتها على الفلاحين، ان كثيراً من ملتزمي تحصيلها كانوا يحسبون السنة الرديئة المحصول مثل السنة ذات المحصول الجيد، ولم يكن امام الفلاحين، غالباً، إلا الرضوخ وأداء قيمتها^(١).

أصدرت الدولة «نظام تحصيل الأعشار» في ١١ ربيع الآخر ١٢٧٢ هـ. (١٨٥٥) ثم نظام عشر الحرير في ١٥ آب ١٢٧٣ مالية (١٨٥٨)^(٢). وبموجب هذه الأنظمة والتعديلات التي تلتها، كانت تؤخذ الضريبة عن الحنطة والشعير عشر الباقيات إذا كانت مجموعة على شكل باقات، أو عشرها كيلاً إذا كانت مجموعة على شكل بيدر. وعن الذرة الصفراء عن طريق تخمين كل دونم منها في حقولها، ومثلها القطن. ويخمن الزيتون بوزنه حبا أو عند جمعه في مستودع. وبحسب العمل حسب ثمن الاقة منه في أسواق البلدة ثم يؤخذ عشرها، ويعفى العسل المعروف «بالشليح» غير الموضوع في الخلايا من ضريبة العشر في السنة الأولى، ويؤخذ عشر العنب حسب الدونم، أو بعد أن يصبح زيبياً^(٣).

وفي سنة ١٨٧٨، مثلاً، بلغ أعشار صيدا وقضاها مليوناً ومئة ألف قرش ونيفاً^(٤). وفي سنة ١٨٧٩ نتيجة لزيارة متصرف بيروت لصيدا وقت جمع ضريبة الأعشار وأشرافه على تحصيلها، زاد معدلها عن السنة السابقة ثلاثة آلاف ليرة بالرغم من سوء الوضع الزراعي نسبة للسنة السابقة^(٥). وفي سنة ١٨٨٢ بلغ أعشار لواء بيروت (وصيدا ضمنه) نحو ٣٥٨ ٢٤٦٣ قرشاً، أما في سنة ١٨٨٢ فقد كان ٣٧٢ ٢٤٥٤ قرشاً^(٦). وفي سنة ١٨٩٥ أبلغ مجلس إدارة

(١) A HANDBOOK of Syria..., op. cit., p. 245.

(٢) الدستور، ج ٢، ص ٥٠.

(٣) قانون الأعشار وتعديلاته، ثمرات الفنون، العدد ١٥٧٥، في ١٣ آب ١٩٠٦.

(٤) لسان الحال، العدد ٦٦، في ٢٩ حزيران ١٨٧٩.

(٥) ثمرات الفنون، العدد ٢٣٤، في ٢٣ حزيران ١٨٧٩.

(٦) حولية ولاية سورية لسنة ١٣٠٠ هـ، دفعة ١٥، ص ٢٧٧+٢٧٨. ولسنة ١٣٠١ هـ دفعة ١٦، ص ٢٣٧+٢٣٨.

قضاء صيدا سلطات ولاية بيروت انه تم جمع أعشار تلك السنة من سبعة وثلاثين قرية بزيادة ٢٨٨٩ قرشا عن أعشار السنة السابقة، وان أعشار مائة وسبع قرى نقصت عن معدلها سبعة وثمانين ألف قرش، وان هذا النقص نجم عن ضالة المحصول وهبوط الأسعار. وقد سارعت تلك السلطات إلى ابلاغ مجلس إدارة قضاء صيدا ان الغلة الزراعية تبشر بنسبة جيدة، وانه بناء على ذلك يمكن اخذ الأعشار مضاعفا من القرى المذكورة، وانه لانجاز المهمة على اكمل وجه، قررت تلك السلطات قسم القرى إلى مجموعتين يقوم فريق من الموظفين على كل مجموعة منها بجمع الأعشار ليتم ذلك في أسرع وقت، وقد عينت الحاج محي الدين حمادة رئيس بلدية بيروت الأسبق، ومنح بك الصلح أحد أعضاء محكمة بداية بيروت لهذه المهمة، وارسلتها فورا لانجازها^(١).

وفي سنة ١٩٠٤ زادت حصيدا ضريبة الأعشار في منطقة صيدا تسعين ألف قرش عن حصيدا السنة السابقة^(٢).

أما الحرير فكان عشره نقدا أو عينا، وكان على المزارع حمل غلة حريره إلى أقرب «ميزان» لوزنه وتقدير قيمة العشر عليه. ومنع نقل الحرير من مكان إلى آخر بدون اذن خاص، وكان المنتج الذي لا يرسل حريره لوزنه يصادر، ومن أشهر أماكن وزن الحرير ذاك الذي اقيم على الحدود السورية اللبنانية الحالية والمعروف بوادي الحرير حتى اليوم^(٣). وفي سنة ١٩٠٦ مثلا بلغ عشر الحرير في قضاء صيدا، بدون جباة وكفر حتى، نحو ٤٤ ألف قرش^(٤).

٢ - الويركو:^(٥)

وهي من الضرائب الرئيسية في العهد العثماني، واصلها رسم الاحتساب الذي كان السلطان محمد قد أحدثه سنة ١٢٤١ هـ. (١٨٢٥) باسماء متنوعة،

(١) لسان الحال العدد ١٩٨٣ في ٣١ آب ١٨٩٥ نقلا عن جريدة الولاية الرسمية.

(٢) ثمرات الفنون العدد ١٤٨٥ في ٣٠ حزيران ١٩٠٤.

(٣) اسد رسم: لبنان في عهد المتصرفية، ص ٩٥.

(٤) ثمرات الفنون، العدد ١٦١٤، في ٢٧ أيار ١٩٠٧.

(٥) كلمة تركية بمعنى الضريبة أو الجزية أو الرسم، من المصدر «ويرمك VERMAK الاعطاء».

مثل يومية الدكاكين ورسم المأكولات والمستهلكات ورسم الفضة والذهب وما إليها^(١).

وفي سنة ١٢٥٤ هـ (١٨٣٩) ألغي هذا الرسم، وصدرت أنظمة متلاحقة تعين حدود هذه الضريبة وكيفية جبايتها. فصدر نظام ويركو التمتع في ١٩ ذي العقدة سنة ١٢٥٤ (١٨٣٩) ثم ويركو الأملاك في ١٥ رجب ١٢٧٧ (١٨٦٠)^(٢). وبموجب هذه الأنظمة أصبحت ضريبة الويركو قسمين: ويركو التمتع أو الويركو الشخصي وويركو الأملاك^(٣).

أما ويركو التمتع فقد فرض على كل عثماني ذكر تجاوز العشرين من عمره، واستثنى منه سكان المدن العاملون بالزراعة (لأنهم يدفعون عندئذ ضريبة العشر)، وخدم المساجد والتكايا وائمتها وخطباؤها والمدرسون وطلبة العلوم الدينية، وكذلك رجال الدين من غير المسلمين كالقسيسين والرهبان والحاخامين، وايضا المرضى والعاجزون والمطلون عن العمل، ومن تجاوزوا السبعين، وصغار الضباط والجنود^(٤).

وفرضت ايضا على الموظفين وأصحاب الأراضي والعاملين في المهن والحرف المختلفة. وكانت نسبتها بحدود ثلاثين بالآلف من مجموع الدخل السنوي المقدّر. وفي سنة ١٨٨٠ رفعت إلى أربعين بالآلف ثم في ١٨٨٥ أصبحت خمسين بالآلف، وشملت أصحاب الرواتب والمعاشات الشهرية.

ومنذ سنة ١٨٨٠ فرضت على الأجانب العاملين في الدولة العثمانية، لكن معظمهم اعتصم بالامتيازات الأجنبية ورفض ادائها.

في سنة ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥) صدر نظام خاص بجعل استيفاءها على قسمين مقطوع ونسي، وفي سنة ١٣٣١ (١٩١٢) صدر قانون جديد جعلها ثلاث قئات

(١) محمد كرد علي: خطط الشام، ج ٢، ص ٩٧.

(٢) الدستور، ج ٢، ص ١٩ - ٢٢.

(٣) تقابل ويركو التمتع ضريبة الدخل الفردي الحاضرة. وويركو الأملاك ضريبة الأملاك العقارية.

(٤) المواد ١ + ٢ + ٣ من ويركو التمتع.

مقطوعة ونسبية ومتحولة. كما ألزمت الأجانب بدفعها بعد أن الفت امتيازاتهم^(١).

أما النسبية فكانت نسبة معينة عن الإيراد غير الصافي المقدّر للمحل الذي يشغله المكلف، وكانت في خمس شعب: الأولى أصحاب المصارف ومقدار الضريبة عليهم ٢٠ ٪ من الإيراد غير الصافي للمحل المتخذ مصرفاً. والثانية شركات النقل والمستغلون بالاوراق المالية ووسطاء البيع والشراء والمتعهدون، والأطباء والمهندسون ووكلاء الدعاوى ومقدارها ١٥ ٪ من إيرادهم. والثالثة تجار الجملة والسيارة والخياطون وباعة الأقمشة ومن يماثلهم ونسبتها ١٢ ٪. والرابعة بائعو الألبسة والأدوية والعطور وما شابهها ونسبتها ١٠ ٪. أما الخاصة فكانت من الصناعيين والحرفيين وباعة الحبوب والمواد الغذائية، وباعة الأخشاب والحديد، وأصحاب الفنادق والمقاهي والألعاب وما يماثلها ونسبتها ٨ ٪.

أما المقطوعة فكانت على كل من لم يتخذ محلاً مخصوصاً لممارسة صناعته من متعهدين وأطباء ومهندسين وغيرهم، وتعددت درجاتها، فمن المقيمين في العاصمة كانت ضريبتهم المقطوعة ٣٠٠ قرش سنوياً، ومن المقيمين خارجها كانت ٢٥٠ قرشاً، ثم الدرجة الثالثة ١٥٠ قرشاً، فالرابعة ٧٥ قرشاً، فالخامسة ٥٠ قرشاً. أما الصناعيون والمهنيون فكانت ضريبتهم حسب بلدتهم واتساع عملهم وتراوح من ١٥ - ٣٠٠ قرش سنوياً^(٢).

أما المتحولة فقد كانت فئتين، الأولى تفرض على أصحاب المحلات التجارية والصناعية الذين لديهم عمال ومعاونون وتبدأ من ستة قروش وتنتهي بمئة قرش سنوياً، حسب نوع العمل ودرجة المحل. أما أصحاب الرواتب فقد فرض عليهم دفع ٣ ٪ من مجموع رواتبهم السنوية إذا كانت تزيد على ألفي قرش سنوياً، أما إذا قلّت عن ذلك أعفى صاحبها من دفع الضريبة.

(١) محمد كرد علي، خطط الشام، ج ٥، ص ٩٨.

(٢) المرجع السابق، ص ٩٩.

والفئة الثانية (من الضريبة المتحولة) كانت على الوسائل المستخدمة في الصناعة والحرفة، مثل عربات الركوب والانتقال والآلات التجارية والصناعية، وجعلت أيضا درجات باعتبار صناعة البلد ونوع الوسائط، كما جعلت على الشركات ضريبة محدودة^(١).

وفيما يلي نموذج لشريحة من بعض المكلفين لاداء ضريبة التمتع عليهم في صيدا لسنة ١٩١٠، حسب دخل كل منهم ونوع عمله:

محمد قاسم ملاح قوندرجي (حذاء) ضريبة التمتع المفروضة عليه ١٠ قرش سنويا
حسين حسن الظريف قوندرجي (حذاء) ضريبة التمتع المفروضة عليه ٢٠ قرشا سنويا
محي الدين دردوك بوياجي ضريبة التمتع المفروضة عليه ٧٥ قرشا سنويا
الحاج عمر لطفي ومصباح البزري (تاجران شريكان) ضريبة التمتع المفروضة عليهما ٥٠ قرشا سنويا
احمد وعمر الجبيلي (تاجران ضريبة التمتع المفروضة عليهما ١٣٥ قرشا سنويا شريكان)

حبيب جمال نجار ضريبة التمتع المفروضة عليه ٥٠ قرشا سنويا
يوسف قزحيا زيتوني ضريبة التمتع المفروضة عليه ٣٥ قرشا سنويا
ياسين احمد جبلي لحام ضريبة التمتع المفروضة عليه ١٧ ١/٢ قرشا سنويا
محمود حسن حجازي لحام ضريبة التمتع المفروضة عليه ٥٠ قرشا سنويا
الياس بيطار (لم تذكر صنعتها) ضريبة التمتع المفروضة عليه ٧٥ قرشا
مصطفى نصر عبدالحليم طه حلاق ضريبة التمتع المفروضة عليه ٣٠ قرشا سنويا
جبران يعقوب أصناف (تاجر) ضريبة التمتع المفروضة عليه ١٥ قرشا سنويا
سليمان نقوزي فقير ومغسل أموات اعفي من دفع الضريبة المقررة^(٢).
ابراهيم الخياط ويوسف نكري (صرافان شريكان) ضريبة التمتع المفروضة عليهما ١٥٠ قرشا سنويا^(٣)

(١) محمد كرد علي، خطط الشام، ج ٥، ص ١٠٠.

(٢) بلدية صيدا، قرار نومرو ٨٣، في ١٨ أيلول ١٣٢٦ (١٩١٠).

(٣) المصدر السابق، قرار نومرو ٨٦، في ٧ تشرين الثاني ١٣٢٦.

حسين اغا احمد اسماعيل عاظم عن العمل جرى اعفاؤه عن دفع الضريبة^(١)

أما ضريبة الويركو على الاملاك فكان قد جرى تنظيمها في سنة ١٨٦١ ، لكن التخمين العام لقيمة الأراضي تأخر حتى سنة ١٨٨٦ ، حيث قامت لجان بتقدير قيمة الأراضي لحساب مقدار الويركو عليها ، وكانت كل لجنة مؤلفة من اربعة خبراء اثنان يمثلان الحكومة ، والاثنان الاخران يختارهما مجلس القرية المعنية . وكان هناك شرط ان يعاد التخمين مرة كل خمس سنوات لضمان العدالة ، لكنه لم يطبق عمليا^(٢) .

وقدرت الضريبة المفروضة على الأراضي الأميرية المزروعة بنسبة أربعة بالألف ، أما الأراضي المفروسة أشجارا فبلغت نسبتها ثمانية بالألف^(٣) . أما طريقة جباية ويركو التمتع ، فقد كانت بالنسبة للموظفين تم بحسب نسبتها المقررة من رواتبهم عند قبضها من دوائهم المختصة^(٤) .

وكان على دوائر النفوس ان تعدّ سجلا بأسماء المكلفين وتسلمه إلى البلدية قبل الأول من تشرين الأول من كل عام . وبدورها تقوم البلدية بتعيين الضريبة المقدرة على كل مكلف طبقا لنوع عمله ومقدار دخله ، وتسلمها إلى إدارة الويركو قبل كانون الأول من كل عام^(٥) . ومن ثم تقوم إدارة الويركو في القضاء بارسال بيان بأسماء المكلفين ، ومقدار الضريبة عليهم إلى إدارة الويركو في اللواء في مطلع آذار من كل عام . حيث ترسله هذه إلى مركز الولاية في موعد لا يتجاوز شهر نيسان . وبعد ذلك ترسل الجداول المنظمة إلى اسطنبول ، حيث يقوم موظفو إدارة الويركو باعداد اللوائح النهائية لجميع الولايات وتقديمها إلى الباب العالي ، في موعد لا يتعدى أيلول من كل عام . والمبالغ المتحصلة من ضريبة الويركو ينظم بها القضاء بيانا خلال ثلاثة

(١) المصدر السابق ، قرار نومرو ٩٣ ، في ١٥ تشرين الثاني ١٣٢٦ .

(٢) سعيد حادة: النظام الاقتصادي في سوريا ولبنان ، ص ٣٨٧ و ٣٨٨ .

(٣) علي الحسني: ص ٢٣١ .

(٤) المادة ٦ من قانون ويركو التمتع ، ثمرات الفنون ، العدد ١٥٧٤ ، في ٦ آب ١٩٠٦ .

(٥) المادة ١١ ، المصدر السابق .

أشهر، ويرسله إلى مركز الولاية، التي ترفع جميع البيانات المائلة إلى اسطنبول^(١).

وكان حق الاعتراض على قيمة الضريبة متوفراً بموجب المادة الخامسة عشرة من قانون ويركو التمتع، على أن يتم الاعتراض خلال مهلة عشرة أيام من تخمينها، ويقوم المجلس البلدي بدراسة الاعتراض، فاما ان يقتنع فينقص الضريبة أو يلغيها، وأما ان يصر على ابقائها كما هي.

وفيما يلي جدول لضريبة التمتع التي فرضت على بعض المكلفين في صيدا، والتعديل الذي اجراه المجلس البلدي عليها نتيجة اعتراضهم ضمن المهلة المحددة، وهي كالجدول السابق، لسنة ١٩١٠:

تعدلت الضريبة من ١٦٠ قرشا الى ٥٠	نحلة ضباط
قرشاً سنوياً	
تعدلت الضريبة عليه من ٣٢ قرشا الى ١٥ قرشا سنوياً	محمد مصطفى المرقى (صانع نجار)
اعفي من دفع الضريبة التي كانت مقدرة بـ ٢٥٠ قرشا سنوياً	الشيخ سعيد الدقور (شيخ طريقة)
تعدلت الضريبة من ٣٠ قرشا إلى ١٠ قروش سنوياً	علي عيد (سايس)
تعدلت الضريبة من ٦٤ قرشا إلى ٤٠ قرشا سنوياً	ملحم رومانوس (قهوه جي)
تعدلت الضريبة من ٣٣ قرشا إلى ١٠ قروش سنوياً	ابراهيم مصطفى (صانع نجار)
تعدلت الضريبة عليه من ٨٠ قرشا و ٣٠٠ بارة إلى ٥٠ قرشا سنوياً	أبو غدة (درجة ثالثة)
	محمود مصطفى الددا نجار

(١) ثمرات الفنون، العدد ١٥٧٥، في ١٣ آب ١٩٠٦.

محمد علي حسنا ديوارجي نصف تعدلت الضريبة عليه من ١٠٩ قروش
الدرجة الثالثة إلى ١٥ قرشا سنويا
رشيد دالي بلطة صانع نجار تعديل الضريبة عليه من ٣٣ قرشا إلى
١٥ قرشا سنويا
الحاج احمد اللباييدي مغربل تعدلت الضريبة عليه من ٢١ قرشا و
٢٠ بارة إلى ١٠ قروش سنويا
اسبر فاخوري (فاخوره جي) تعدلت الضريبة عليه من ٨٠ قرشا إلى
٢٥ قرشا سنويا^(١)

يتبين من الجدول السابق مدى الغبن الفاحش الذي كان يمكن أن يلحق ببعض
المكلفين، إذا اقرت الضريبة التي قدرت عليهم. كما يبدو ان الفرق بين
الضريبة المقدرة، وتلك التي تعدلت، كبير جدا لدى بعض المكلفين، مما يوحي
بأن التقدير لم يكن دقيقاً، بل كان عشوائياً، ولا يستند إلى واقع الدخل الفعلي.
٣ - ضريبة المسقفات:

وضعت على الأملاك المبنية سواء اعدت للسكنى أو للايجار، وسواء كانت
منازل او محلات تجارية أو مؤسسات صناعية وحرفية، وصدر قانونها سنة
١٢٧٥ هـ (١٨٥٨). وجعلت قيمتها خمسة بالالف على بيوت السكن التي لا
تتجاوز قيمتها عشرين ألف قرش، فإذا زادت عن ذلك رفعت الضريبة الى
ثمانية بالالف من القيمة. اما إذا كان البناء معداً للايجار فتصبح الضريبة
عشرة بالالف من قيمة البناء^(٢).

وفي التعديل الذي أجرى سنة ١٨٨٦ صارت عشرة بالالف عن كل البيوت
المؤجرة، وعن البيوت التي يسكنها مالكوها من ٤ - ٨ بالالف حسب قيمة
البناء^(٣) وفي سنة ١٩٠٨ أضيفت إليها نسبة ٦ % عموماً لتغطية النفقات
العسكرية^(٤).

(١) بلدية صيدا، قرار بدون رقم. مؤرخ في ١٦ كانون الأول ١٣٢٦.

(٢) عبدالكريم غرايبة: ص ٦١.

(٣) A Handbook of Syria, op. cit., p.247

(٤) عبد الكريم غرايبة: المرجع السابق، الصفحة نفسها.

وفرض القانون اعادة تقدير الضريبة كل خمس سنوات، واستثنى من دفعها الابنية العامة والدينية، وكذلك البيوت التي يسكنها مالكوها ويقل دخلهم السنوي عن ٢٥٠ غرشاً.

وفي تعديل جرى سنة ١٩١٠ اعفيت المنازل التي تشاد لمصلحة المهجرين أو لتوطين البدو من دفع الضريبة بضع سنوات، فإذا عاد للاقامة بها مالكوها، دفعت عنها ضريبة قدرها ثلاثة بالمئة، اما إذا حولت إلى منشآت صناعية وطواحين فتدفع ٢ % سنوياً^(١).

ويبدو أن الدولة لم تكن تطمئن إلى عدالة السلطات المحلية، أو لأنها كانت تريد تحصيل الضريبة بدقة. فكانت ترسل لجناً خاصة من اسطنبول لإجراء التخمينات على الأبنية، كما فعلت سنة ١٩٠٠، عندما أرسلت لجنة من رئيس واربعة أعضاء لتخمين الأبنية في مدن ولاية بيروت وعاونها ممثلون عن الطوائف المختلفة، واتخذت مقياساً لعمليها ايجارات المنازل عن فترة ١٥ - ٢٠ سنة الماضية^(٢).

٤ - ضريبة المعارف:

صدر نظامها في ٢٤ جادي الأولى ١٢٨٦ (١٨٦٩)،^(٣) من أجل انشاء المدارس وصيانتها، ودفع رواتب المعلمين، وكانت تجبى بقيمة خمسة بالمائة، وتم مع جباية ضريبة المسقفات، وفي سنة ١٨٨٥ أضيف نصف بالمئة على ضريبة الأعشار لتحول حصة للمعارف.

٥ - ضريبة البديل العسكري:

كان يؤخذ من غير المسلمين جزية سنوية تدعى « مال الأعناق »، حتى جاء منشور ١٨٥٦ فألغاها وتثبت ذلك في نص معاهدة باريس، وعقد بدلا منها

(١) A Handbook ..., op. cit., pp. 247 - 248

(٢) مكتب السجلات العامة ف. و ٢٠٧٥/١٩٥ تقرير عن الحالة الادارية والاقتصادية لولاية بيروت ومتصرفية جبل لبنان ارسله القنصل البريطاني العام في بيروت في ٢٠ تشرين الثاني سنة ١٩٠٠ الى حكومته.

(٣) الدستور، ج ٢، ص ١٨٥.

البذل العسكري الذي كان مقداره خمسين ليرة ذهباً، واستوفي من غير المسلمين الذين لم يؤدوا الخدمة العسكرية^(١). وقد فصلت هذه الضريبة في الفصل الثاني.

٦- ضريبة بدل الطريق:

تمت بعد صدور نظام الطرق والمعابر في ١٨ جمادي الأولى سنة ١٢٨٦ (١٨٦٩)^(٢). وفرض على كل ذكر صحيح الجسم بين السادسة عشرة والستين من عمره. أن يعمل أربعة أيام في السنة في شق الطرق وإصلاحها مجاناً، واجيز لمن لا يرغب بالعمل باستئجار شخص محله، أو بتقديم عدد معين من حيوانات النقل لفترة محددة، وقد عدل القانون سنة ١٩١٤^(٣)، بحيث سمح بدفع مبلغ من المال بدل العمل كانت قيمته ١٦ قرشاً بالسنة. ثم أصبح فيما بعد من ٢٠ - ٣٠ قرشاً، وظل ساري المفعول حتى خروج الأتراك من البلاد.

وقد منع شق الطرق الزراعية، وعدم سوق العمال الى أماكن تبعد عن مراكز أقامتهم بأكثر من اثنتي عشرة ساعة^(٤). وكانت السلطات توفر مبالغ كبيرة عن طريق التوفير في أجرة العمال في شق الطرق، وعندما زار والي سوريا مدينة صيدا سنة ١٨٧٩ طلب من القائ مقام أساء الذكور في صيدا من سن سبعة عشر عاماً فما فوق، ليجري استخدامهم في شق طريق للعربات بين صيدا والنبطية^(٥).

٧- رسوم المواشي:

من الرسوم القديمة، وفي سنة ١٨٣٩ كانت أربعة قروش عن كل رأس من

(١) ذكر رسم باز في مذكراته ص ٣٦، ان النصرا في عندما كان يدخل احدى مدن بلاد الشام كان يقبض عليه، ولا يطلق مراحه حتى يدفع الجزية ومقدارها ٣٣ قرشاً ويمنح مقابلها تذكرة. ولعل ذلك الاجراء لم يكن عاما.

(٢) الدستور، ج ٢، ص ٢٦١.

(٣) هذا ما ذكره غرايبة ص ٦٢، ولكن سعيد حمادة في كتابه النظام الاقتصادي في سوريا ولبنان، ص ٤٠٩ ذكر ان دفع البذل النقدي كان اجباريا منذ سنة ١٩١٠.

(٤) الدستور، ج ٢، ص ٢٦١.

(٥) المختطف، المجلد ٤، سنة ١٨٧٩ - ١٨٨٠، ص ٢٧٧.

الغنم أو الماعز وعشرة قروش عن كل رأس من الابل أو الجاموس، ثم فيما بعد زادت إلى ثمانية قروش عن كل رأس من الغنم والماعز وعشرين قرشاً عن الابل والجاموس. ثم أضيف إليها فيما بعد البقر والخيول والحمير^(١). كما جعلت على كل خنزير من ٥ - ١٠ قروش. وكان يجري تعداد الماشية في آذار من كل سنة بواسطة « مأموري العدّة » الذين ترسلهم سلطات القضاء بأشراف القائقام، ويتم دفع الرسوم قبل حزيران من كل سنة، على أن تعفى الحيوانات المستخدمة في الأغراض الزراعية^(٢).

أما الرسم الذي كانت تأخذه البلدية فكان، بموجب المادة ١٣ من قانون رسوم البلديات، هو خمسة قروش شهرياً عن الحيوانات المعدة للكرء، وهي الخيل والبغال والجمال، أما الحمير فكان رسماً مائة بارة شهرياً^(٣). وعلى سبيل المثال، فقد بلغت رسوم الحيوانات في صيدا ١٣٣١ مالية (١٩١٤) مبلغ ٧١٥٨٥ قرشاً و١٤ بارة، وفي السنة التالية (١٩١٥) كانت ٤٢٢٨١ قرشاً وخمس بارات^(٤).

٨- رسوم المسكرات:

صدر نظامها في ٧ صفر ١٢٧٨ (١٨٦١)^(٥)، وكانت الضريبة ١٠٪ من قيمة الانتاج من الخمر والعرق، مع اعفاء مثني أقة للاستهلاك الشخصي، وفرضت ضريبة أخرى، على الإنتاج المصدر. وكان يقوم موظف خاص برفقة المختار وبعض المواطنين من نفس الحلة، بالطواف على البيوت والمخازن لمعاينة الانتاج وتقدير قيمته، وذلك وقت قطاف العنب^(٦) وفرض على الحنارات رسم باسم بيعية يعادل ربع أجرة المحل السنوية^(٧). وكانت قد صدرت تعليقات

(١) Hand book of Syria, op. cit., P. 247

(٢) اسدرسم: لبنان في عهد المتصرفية، ص ٩٤.

(٣) بلدية صيدا نومرو ٢٢١ في ٤ تشرين الثاني سنة ١٣٣١.

(٤) بلدية صيدا ميزانية سنتي ١٣٣١، ١٣٣٢ المالية

(٥) الدستور، ج ٢، ص ٦٣٢.

(٦) اسدرسم، المرجع السابق، ص ٩٥.

(٧) الدستور، ج ٢، ص ٦٣٥.

منذ سنة ١٩٠٣ بعدم فتح خارات في أحياء المسلمين، أو قرب الجوامع^(١).

٩ - ضرائب ورسوم مختلفة:

وضعت الدولة رسماً على الملح واحتكرت إنتاجه وبيعه بموجب مرسوم صدر في ٩ رمضان ١٢٧٨ (١٨٦٢)،^(٢) ومنعت استيراد الملح الأجنبي، وراقبت تهريبه وفرضت غرامات مالية على مهريبه^(٣).

وبالنسبة للتبغ نظمت الدولة إنتاجه وبيعه والرسوم عليه، فصدر في ٢٨ ذي الحجة ١٢٧٨ (١٨٦٢) نظام إدارة الدخان المنتج في الدولة العثمانية،^(٤) وفي ١٩ رجب ١٢٧٩ (١٨٦٢) صدر نظام رسم بيع الدخان^(٥)، ثم عدل سنة ١٨٦٧، ونظمت تصديره للخارج بموجب مرسوم في ١٦ ربيع أول ١٢٨٦ (١٨٦٩)،^(٦) وفي ١٥ صفر ١٢٨٧ (١٨٧٠) صدر نظام مرور الدخان^(٧). فكانت الدولة، بموجب القوانين السابقة، تتقاضى رسماً من بائعي الدخان بنسبة ٣٠٪ من أجرة المحل السنوية، وسمحت بنقل الدخان داخل الأراضي العثمانية شريطة دفع الرسم عليه، وكان مقدار الرسم نصف المحصول عينا، أو ٢٠٦ قرشاً عن كل أفة حسب نوع التبغ. أما التبغ الأجنبي فكان الرسم عليه يعادل ٧٥٪ من قيمته.

وفي سنة ١٨٨٣ منحت السلطات حق احتكار إنتاج وبيع التبغ إلى شركة أجنبية تشمل كافة الأراضي العثمانية (عدا متصرفية جبل لبنان)، وعرفت اختصاراً بأسم «الريجي»، وكان مركزها اسطنبول، وأنشأت لها فروعاً في أنحاء البلاد^(٨). وكان الأسلوب الذي احتكرت به الشركة التبغ مرهقاً

(١) لسان الحال العدد ٤٢٣٣ في ١٤ شباط ١٩٠٣

(٢) الدستور، ج ٢، ص ٦١٠

(٣) الدستور، ج ٢، ص ٦٢٩

(٤) الدستور، ج ٢، ص ٥٥٤

(٥) الدستور، ج ٢، ص ٥٦٩

(٦) الدستور، ج ٢، ص ٥٨٠

(٧) الدستور، ج ٢، ص ٥٩٠

(٨) في سنة ١٨٩٤ كان مدير إدارة الريجي في صيدا بطروسانتي لسنوات طويلة. وفي سنة ١٩١٢ كان مديرها يوسف اومان.

للفلاحين. ولما كان جبل لبنان لا يدخل ضمن صلاحيات الرجيحي، فقد تراوح سعر الاقة فيه من ١٨ - ٢٤ قرشاً، بينما كانت في المناطق المجاورة له من ٣٦ - ٤٢ قرشاً. ومن هنا نشأ التهريب بواسطة العربات على طريق بيروت الجبل، فقررت السلطات تفتيش كافة العربات التي تشك بوجود تبغ مهرب فيها، وأعلنت القناصل الأجانب بذلك لأنها لم تستثن الأجانب من التفتيش^(١).

وصدر قانون التمغة المعدل في ٢٥ ذي الحجة ١٣٢٣ (١٩٠٦) بحيث صار لكل معاملة أو ورقة رسمية في دوائر الدولة طابع بقيمة معينة، كما كان يؤخذ عن بطاقات الدعاية التجارية والاعلانات رسم تمغة قيمته طابع الباريتين^(٢).

ووضع رسم على الصيد البحري، كان مقداره ٢٠٪ من قيمة الصيد وقد بلغ هذا الرسم في صيدا سنة ١٩١٢ نحو ٣٦٢٥١ قرشاً^(٣). ورسم الميناء (الاسكلة) وفي سنة ١٩٠٩، مثلاً، التزمه حسن رضا زنتوت في صيدا بمبلغ ٢٢٣٠٠ قرش. كما كانت هناك رسوم بلدية أخرى عديدة مثل رسم الكيالة، وقد بلغ في صيدا ١٣٥٠٠ قرش سنة ١٩٠٩، والتزمه رشيد الشماع وموسى لاوي. ورسم الباج والتزمه في نفس السنة أحد سنجر بمبلغ ٣٤٠٠ قرش بالسنة. ورسوم الدلاية ومقدارها ٨٥٠ قرشاً لسنة ١٩٠٩ وكان ملتزمها رشيد سعدو الرئيس. وتمت جميعها بطريقة المزايدة، كما رست بطريقة المناقصة انارة غرب صيدا على سعد الدين أدريس، وانارة شرق صيدا على يوسف محمد المغربي بمبلغ ٦٠٠ قرش لكل منها^(٤).

أما العربات الخاصة فكان الرسم السنوي عليها ١٥٠ قرشاً، وعلى الخيول

(١) مكتب السجلات العامة ف. و ١٣٠٦/١٩٥٥ رسالة وكيل متصرف بيروت الى القنصل البريطاني العام في بيروت JOHN DICKSON ملحقة برسالة القنصل رقم ٥١ الى السفير البريطاني في اسطنبول، عاليه في ٢٧ تموز ١٨٨٠.

(٢) ثمرات الفنون، العدد ١٣٤٤، في ٢٦ آب ١٩٠١.

(٣) بيروت ولايت غزته سي، العدد ١٢١٦ في ٣ ربيع الثاني ١٣٣١.

(٤) بلدية صيدا، قرار بلدي نومرو ٢٨ في ٤ مارت ١٣٢٥.

التي تجرها ٣٠ قرشاً عن الرأس الواحد^(١).

وكان الرسم على الأخشاب المقطوعة من الأحراج الأميرية ٢٠٪ من قيمتها، أما المأخوذة من أحراش خاصة فيكون رسمها ١٠٪ فقط، ويؤخذ الرسم عيناً أو نقداً كما جعل رسم على الحيوانات المباعة بنسبة ١/٤٠ أي بارة واحدة عن كل قرش من ثمن البيع^(٢). وهناك رسوم أخرى كثيرة حكومية وبلدية لا يتسع المجال لذكرها كلها مثل رسم بسطات البطيخ والبصل ورسم الملح. وكانت البلدية تتقاسم مع الخزينة المبالغ المتحصلة من رسوم الذبيحة والكيالة والباج والدالية.

١٠- الجمارك:

أصله من التكاليف الشرعية وهو، بالتالي، قديم جداً، وكان يؤخذ من التجار الوطنيين بنسبة ١/٤٠ من قيمة البضاعة، ومن التجار الأجانب بنسبة العشر^(٣).

وقد أخذت الدولة العثمانية، منذ عهد محمد الفاتح، تمنح تخفيضات جمركية إلى بعض التجار الأوروبيين، كنوع من الامتياز لهم لتشجيعهم على التجارة معها، وقد عقدت منذ القرن السادس عشر حتى مطلع القرن التاسع عشر اتفاقيات عديدة بهذا الخصوص^(٤). وفي سنة ١٨٢٦ عقدت الدولة العثمانية مع سائر الدول الصديقة اتفاقيات جمركية جمعت الرسم على الصادرات واحداً بالمائة، ومثله على البضائع العابرة (ترانزيت) وثمانية بالمائة فقط على الواردات^(٥).

(١) مكتب السجلات العامة ف. و١٩٥٠/١٧٢٣ ملحق برسالة القنصل البريطاني العام رقم ٧٦

مؤرخه في ٢٩ كانون الاول ١٨٩١ الى السفير باسطنبول.

(٢) الدستور، ج ٢، ص ٣٤، ٣٥.

(٣) محمد كرد علي، خطط الشام، ج ٥، ص ٩٤.

(٤) أهمها اتفاقية سايان القانوني مع النمسا سنة ٩٢٠ هـ (١٥٦٢) وعهد الرابع مع فرنسا سنة

١٠٨٤ هـ (١٦٧٣) راجع محمد كرد علي، ص ٩٥.

(٥) اسد رستم: لبنان في عهد التصرفية، ص ٩٦.

إن ضعف الدولة العثمانية وعجزها أمام الدول الأوروبية تجلّى بشكل واضح في سياستها الاقتصادية عموماً والجمركية خصوصاً، إذ أن هذه السياسة كانت، عملياً، موجهة ضد مصالح البلاد وضربة في صميم اقتصادياتها^(١). لأن فرض الرسوم الباهظة على منتوجات البلاد، جعل للبضائع الأجنبية الأولوية في البلاد العثمانية، وأدى ذلك إلى كساد التجارة وضعف الصناعة.

ومن نتائج تلك السياسة الجمركية الخرقاء انخراط كثير من الرعايا العثمانيين في الرعويات الأجنبية ليتمتعوا بالمزايا الجمركية التي كانت ممنوحة للتجار الأجانب على الأراضي العثمانية. هذه المزايا التي لم يكن ممنوحاً مثلها للتجار العثمانيين في الدول الأوروبية طبقاً للعلاقات الدولية التي تفرض المعاملة بالمثل.

في سنة ١٨٣٨ عقدت اتفاقيات جمركية بين الدولة العثمانية والدول الأوروبية، استمرت فيها النسبة السابقة، وأضيف إليها إعفاء التجار الأجانب في الأراضي العثمانية من دفع أية رسوم جمركية.

وفي سنتي ١٨٦١ و ١٨٦٢ عقدت اتفاقيات أخرى مع الدول الأوروبية،^(٢) ظل الرسم على الواردات ٨٪ وعلى الصادرات ١٪ وعلى الترانزيت أصبح ٢٪ على أن يصبح واحداً بالمئة بعد مرور ثماني سنوات على الاتفاق^(٣).

وعندما سمحت الدولة العثمانية للأجانب، بتعاطي التجارة في بلادها رسمياً، سنة ١٨٨٠ أرادت أن تحصل منهم ضريبة التمتع، لكن القناصل

(١) بروي Sir EDWIN PEARS في كتابه . TURKEY AND ITS PEOPPLE, P. 56. أن التجار

البريطانيين اقبلوا سنة ١٨٧٩ على شراء كميات كبيرة من النمر المجروش لحاجتهم اليه في الصناعة، وذلك من مختلف البلاد العربية، مما دفع كثيراً من سكان الجزيرة العربية الى زراعة آلاف المكتنارات التي كانت بوراً بالنخيل، فقام الوالي التركي بقطعها حتى يظل العرب فقراء.

(٢) مع بلجيكا وهولندا والدانرك والسويد وبريطانيا وفرنسا وإيطاليا والنمسا وروسيا وإسبانيا والولايات المتحدة.

(٣) محمد كرد علي، خطط الشام، ج ٥، ص ٩٥.

تدخلوا بحيث لم تستطع تطبيقه إلا على التجار من الجنسيات الصربية والبلغارية والرومانية واليونانية والایرانية أي من أبناء الدول الضعيفة^(١).

وفي سنة ١٨٦٢ صدر نظام الإيرادات الرسومية^(٢)، وحدد بموجبه ما يدفع من رسوم على التجارة الداخلية والخارجية، فأعفيت البضائع والمحاصيل المحلية من دفع أية رسوم إذا نقلت ضمن الولاية الواحدة، أما عند انتقالها إلى الولايات الأخرى فيدفع عنها رسوم بسيطة حسب أنواع البضاعة.

وفي سنة ١٩٠٦ احتاجت الدولة إلى واردات جديدة لسداد أقساط ديونها، فاتفقت مع الدول الأوروبية على رفع الرسم الجمركي على الواردات ثلاثة بالمئة ليصبح ١١٪ «... ورد الأمر من أمانة الرسومات الجليلة إلى نظارتها في بيروت بضم ثلاثة في المائة على البضائع الأجنبية كلها بحيث تصبح ١١ قرشاً في المائة وذلك اعتباراً من غرة ايلول المقبل...»^(٣) وعلى الصادرات بنسبة ٢٪^(٤) أما البضائع الواردة من مصر فقد ظل الرسم عليها ٨٪ تمييزاً لها عن الدول الأوروبية الأجنبية^(٥).

وكان مرسوم ٢٢ جمادي الأول ١٢٨١ هـ (١٨٦٦) قد أعفي كافة المؤسسات الدينية، العثمانية والأجنبية، من أديرة وكنائس ومدارس ومستشفيات وأملاك أخرى، من الرسوم الجمركية على ما تستورده لحاجاتها الخاصة، وكان هذا الاعفاء مقتصرأ في البداية على طائفة اللاتين من بين المسيحيين^(٦)، وفي ١٨٩٠ شمل الاعفاء كافة المؤسسات التابعة للطوائف المختلفة والعاملين بها^(٧).

(١) محمد كرد علي، خطط الشام، ص ٩٦.

(٢) الدستور، ج ٢، ص ٣٤.

(٣) ثمرات الفنون، العدد ١٣٤٤، في ٢٦ آب ١٩٠١.

(٤) عبد الباسط الانسي: دليل بيروت، ص ٨٤.

(٥) A Hand book of syria..., op. cit., p. 247

(٦) القنصلية الأميركية ت ٣٦٧/ جزءه/ كتاب مدير جرك بيروت في ١٢ تشرين الثاني ١٢٨٠

مالية الى قنصل الولايات المتحدة العام في بيروت ملحق برسالة القنصل الى السفير في اسطنبول بيروت في ٥ تموز ١٨٦٦.

(٧) مكتب الجلات العامة ف. و ١٩٥٠/١٦٨٣ رسالة والي بيروت في ٤ جمادي الآخر ١٣٠٧ الى

قنصل بريطانيا العام في بيروت EYRES، ملحق برسائله رقم ١١ الى السفير WHITE في =

ولم يكن يوجد رسوم موائء على السفن القادمة إلى موائء الساحل السوري، ولكن إذا بقيت البضاعة في مستودعات المرفأء، كان رجال الجمرك يأخذون نسبة بسيطة من البضاعة، عيناً، مقابل حفاظهم عليها. (١) أما تخمين قيمة البضاعة لتعيين الرسم الجمركي عليها فكان عرضه للمساومة بين التاجر ورجال الجمرك، وكان يمكن دفع الرسم عيناً أو نقداً (٢). ولما كانت قيمة العملة العثمانية في تذبذب مستمر، فقد اعلمت السلطات سفراء الدول الأجنبية أن المجيدي الواحد يحسب بعشرين قرشاً في كافة دوائر الجمارك العثمانية وفي جميع الأحوال (٣).

كان المسافر وامتنعه عرضة للتفتيش الدقيق في قدومه ومغادرته، وكان على من يرغب في شحن أمتعه برأ، أن يضع مفتاح صندوق الأمتعة مع الصندوق ليقوم رجال الجمرك بفتحه وتفتيشه، وكان ممنوعاً تصدير الآثار أو استيراد السجائر المصرية، (٤) لكن رجال الجمرك كثيراً ما تفاوضوا عن المنوعات مقابل «بخشيش» بسيط، (٥) بالإضافة إلى انتشار التهريب على طول الساحل السوري، وتواطؤ بعض رجال الجمارك مع المهربين (٦)، مما دعا الدولة إلى مضاعفة سفن الحراسة على طول الساحل من حيفا إلى أزمير (٧).

= اسطنبول، مؤرخة في ٢٧ شباط ١٨٩٠.

(١) القنصلية الاميركية، ت ٣٦٧/٣، جزء ٣، التقرير السنوي ارسله القنصل الاميركي العام في بيروت J. AUGUSTINE JOHNSON الى السفير باسطنبول، ٣٠ ايلول ١٨٥٩.

(٢) A HAND BOOK OF SYRIA, OP. CIT., P. 248

(٣) ثمرات الفنون، العدد ٢٩١، في ٢٦ تموز ١٨٨٠.

(٤) KARL BAEDEKER: Palestine and Syria, HAND BOOK FOR TRAVELLERS, (٤) second Edition, Leipzig, 1894, p. 31.

(٥) ذكر القنصل البريطاني العام في بيروت ان احد التجار ادخل سبعين بالة من صوف ما نشتر مقابل دفع بخشيش بسيط لرجال جرك ميناء بيروت. مكتب السجلات العامة ف. و.

٢٢١٧/١٩٥ رسالة رقم ٢٢ من القنصل العام الى السفير باسطنبول في ١٨ آذار ١٩٠٦.

(٦) اشتهر عبده انكدار وعصايته بالتهريب على ساحل بيروت، حتى تم القبض عليه وسجنه مكتب السجلات العامة ٢٢١٧/١٩٥ تقرير القنصل البريطاني العام في بيروت DRUMMOND

HAY الى القائم بالاعمال في اسطنبول G. H. BARCLAY رقم ٧٧، في تشرين الثاني ١٩٠٦.

(٧) لسان الحال، العدد ٤٢٢٥، في ١٧ شباط ١٩٠٣.

كانت دائرة الجمرك تسمى «أمانة الرسومات»، وكان في كل ميناء أو مدينة مهمة شعبة منها. وكانت دائرة الجمرك في صيدا في بناء قديم قرب البحر،^(١) وفي سنة ١٩٠٧ أنشئت لها بناية خاصة على الشاطئ تطل على الميناء، وجرى الاحتفال رسمياً وشعبياً بافتتاحها في عهد مدير الجمرك آنذاك مصباح رمضان^(٢).

بلغت واردات الجمارك في ايلة صيدا سنة ١٨١٣ نحو ٥٥٥ ألف قرش عن الحرير وغيره و ١٢٠ ألف قرش عن استيراد بعض المواد ومنها القهوة.^(٣) وفي سنة ١٨٨٦ كان اجمالي ميزانية جمر صيدا ٢٠٧٠٣٦ قرشاً و ٣٢ بارة وفي سنة ١٨٩٣ - ١٨٩٤ كانت ميزانية جمر صيدا ١٧١٠٤٠ قرشاً.^(٤)

وفي سنة ١٩١٢ بلغت ٤٠٠ ألف قرش أو أربعة آلاف ليرة عثمانية.^(٥) من الأرقام السابقة يبدو بعض التأخر في حركة التجارة في صيدا، على الرغم من أن تلك الأرقام لا تعطي صورة الواقع تماماً، لأن كثيراً من البضائع جرى تبادلها مع المناطق المجاورة ومع بيروت وصور وعكا دون معرفة الجمرك أو تدخله بها.

ب- الحماية والتحصيل:

إذا كانت الضرائب قد شكلت عبئاً على المواطنين العثمانيين فإن أساليب

(١) كان خورشيد افندي مديراً لجمرك صيدا سنة ١٨٤٢، و خليل افندي سنة ١٨٧٥ ومحمود افندي ١٨٧٦، وحسن رمزي ١٨٨٩، وعبدالمجيد رمضان ١٨٩٤، وحازم بك ١٩٠٣، ومصباح رمضان ١٩٠٤ - ١٩١٢.

(٢) ثمرات الفنون، العدد ١٦٠٤، في ١٨ آذار ١٩٠٧.

(٣) القنصلية الاميركية ت ٣٦٧/ ج ٤ تقرير القنصل الاميركي العام في بيروت عن تجارة صيدا لسنة ١٨٦٣.

(٤) حويله ولاية سورية، دفعة ١٩، ١٣٠٤ هـ، ص ٢٠٨.

(٥) حويله ولاية بيروت ١٣١١ - ١٣١٢ هـ.

جبايتها زادت ذلك العبء ثقلاً، وأصابت من المواطنين رهقاً، ليس فقط لأن جباة الضرائب وملتزميها كانوا غلاظاً قساء، أو لأن سياسة الدولة، عموماً، كانت جمع أكبر مبلغ من الضرائب في أقصر وقت، بل لأن أساليب الجباية ذاتها لم تستقر على حال، فتارة كانت بالالتزام، وطوراً بالأمانة، وتارة أخرى بالأمانة والالتزام معاً.^(١)

أما نظام الأمانة فكان أن يقوم جباة الضرائب الرسميون بجمع الضرائب طبقاً للسجلات الموجودة لديهم، وايداع المال خزانة الدولة، وأما الالتزام فكان يقضي بأن يعرض تحصيل ضريبة ما أو رسم ما، في منطقة معينة، لمدة محددة، في مزاييدة علنية، حتى إذا رست على احدهم التزم بتقديم المبلغ المطلوب للدولة، ومن ثم يقوم هو بتحصيله بوسائله المختلفة منجماً (على أقساط) خلال سنة واحدة.

وإذا كان نظام الجباية بالأمانة أقرب إلى الدقة وروح العدالة، فإن الجباية بالالتزام كانت أكثر انسجاماً مع تركيبة الدولة العثمانية وروحية أجهزتها الإدارية، خصوصاً وأنها كانت دوماً تفتقر إلى العدد الكافي من الموظفين ذوي النزاهة والكفاءة معاً.

في سنة ١٨٣٩ تركت الدولة نظام الالتزام، كخطوة اصلاحية، وعمدت إلى تطبيق نظام الأمانة، لكنها سرعان ما عادت إليه في سنة ١٨٤٢، بسبب النقصان المستمر في وارداتها من الضرائب بسبب سوء جهازها الإداري. وفي سنة ١٨٤٦ استخدمت الالتزام جزئياً بإحالة ضريبة الأعشار إلى بعض موظفي الدولة الأغنياء لمدة خمس سنوات^(٢)، ولكنها في سنة ١٨٥٤ اثناء حرب القرم، لجأت إلى نظام الأمانة لتضمن تزويد الجيش بالمواد^(٣). وصدر في ٩ شعبان ١٢٧١ (١٨٥٤) نظام «الواردات العشرية التي تحال بالالتزام باستثناء الحرير والدخان والزيتون»^(٤). ثم أصدرت في سنة ١٨٥٦

(١) محمد كرد علي، خطط الشام، ج ٥، ص ٩٣.

(٢) المرجع السابق، ص ٩٤.

(٣) الدستور، ج ٢، ص ٤٧.

(١١ رجب ١٢٧٢ هـ) نظام «مزايدة وإحالة الأعشار والرسومات»^(١). وفي ٢ ذي الحجة ١٢٧٤ هـ (١٨٥٨) أصدرت نظام «استيفاء الواردات العشرية من الملتزمين»^(٢) وكانت منذ سنة ١٨٥٦ قد منعت موظفي الدولة وأعضاء المجالس المحلية من الاشتراك في أي التزام^(٣) وكانت الدولة ما أن تستخدم نظام الأمانة حتى تعود عنه سريعاً إلى نظام الإلتزام^(٤). هرباً من مسؤولياتها، وتخلصاً من استخدام عدد كبير من الموظفين من أجل الجباية. وبين سني ١٨٨٤ و ١٩١٦ استخدمت الإلتزام كثيراً ولكنها في تلك السنة عدلت عنه إلى نظام الأمانة، وظلت كذلك حتى خروجها من البلاد^(٥).

كان نظام تحصيل ضريبة ويركو التمتع يتم بواسطة جباة الدولة، أو بواسطة وسائل أخرى^(٦). وكان على موظفي دائرة المالية في القضاء تنظيم تذاكر ويركو التمتع وتوزيعها على المكلفين بواسطة الجباة حتى الأول من اذار من كل عام. وما يجمع من ضريبة يدون على التذكرة، مع وضع طابع ثمة قيمته عشرون بارة^(٧).

وإذا كان الويركو لا يتجاوز ٥٠ قرشاً في السنة، كان على المكلف دفعه مرة واحدة، أما اذا زاد عن ذلك فيؤدي على قسطين متساويين أو ثلاثة أقساط. أما الموظفون فتقتطع الضريبة عليهم من راتب شهر حزيران من كل سنة، ومستخدمو الشركات تقتطع من رواتبهم في شهر حزيران أيضاً، بواسطة ادارات شركاتهم^(٨).

اما ضريبة الاعشار فكانت تحال على الملتزمين لمدة سنة واحدة ما عدا

(١) الدستور، ج ٢، ص ٣٦.

(٢) الدستور، ج ٢، ص ٤٤.

(٣) الدستور، ج ٢، ص ٣٧.

(٤) لوتسكي: ص ١٦٠.

(٥) محمد كرد علي، خطط الشام، ج ١٥، ص ٩٤.

(٦) ثمرات الفنون، العدد ١٥٧٦، في ٢٠ آب ١٩٠٦ المادة ٢٦ من نظام استيفاء ويركو التمتع.

(٧) المصدر السابق، المادة ٢٤.

(٨) المصدر السابق، المادة ٢٢.

اعشار الزيتون فقد كانت تحال لمدة سنتين^(١).

ومنع القانون أخذ اعشار القضاء دفعة واحدة، بل أوجب مزايمة اعشار كل قرية على حدة، ما عدا اعشار البلوط والافيون والحريير والزيتون وعرق السوس، فقد كان ممكنا احوالها على القضاء كله دفعة واحدة.

كان على ملتزم ضريبة الاعشار وكفيله ان يكونا عثمانيين، وليس من موظفي الدولة او من اقاربها او اولادها^(٢). ويدفع الملتزم بدلات الاعشار على اقساط متساوية خلال ستة اشهر «لقد قرّر القرار على تحصيل واستيفاء الاموال المرتبة في ايالة صيدا على ان الويركو المطروح على الاملاك في المدن والقصبات يكون تحصيله مقسطا على تسعة اشهر ابتداء من مارت. والويركو وبديل المرتبات العينية المطروح على اهالي القرى باعتبار الاراضي والقدن يكون مقسطا على ستة اشهر من ابتداء شهر حزيران بتقاسيط متساوية عن سنة ١٢٨١ (١٨٦١)»^(٣).

ومنذ سنة ١٨٦١ صار ائمة القرى ومختاروها يوزعون عبء ضريبة الويركو على قراهم ثم يحصلونها، مما جعل في ايديهم سلطات قوية مكنتهم من السيطرة على فلاحي قراهم^(٤)، لكن عدم عدالتهم وتلاعب بعضهم جعل الدولة تلجأ الى تشكيل لجان خاصة تبلغ المكلفين بمقدار الضريبة عليهم^(٥). وفي سنة ١٨٨٠ وضع نظام التخمين في حساب الضريبة. أي حساب

(١) كان الجبأة في صيدا لسنة ١٨٧٨ مارون افندي وعلي افندي ومصطفى افندي (وهما خيالن) كما كان رئيس الجبأة شكري افندي. وفي سنة ١٨٨٧ كان كاتب الويركو محمود افندي ومحمد فؤاد افندي. والجبأة الخيالة: رفول افندي وسلم افندي واحمد افندي ومصطفى افندي والجبأة المشاة: عبد الفتاح افندي وحسين افندي، وفي سنة ١٩١٢ كان مأمور الويركو يوسف شهاب ومأمور الاعشار عبد الحميد دمشقية، ومأمور التحصيلات احمد زهير بالاضافة الى عشرة جبأة.

(٢) اسد رستم: لبنان في عهد المتصرفية، ص ٩٣.

(٣) ارشيف دير الخلص، وثيقة منفصلة دون رقم.

(٤) عبدالله حنا: القضية الزراعية والحركات الفلاحية في سوريا ولبنان، ص ١١٣.

(٥) كرد علي عمدة خطط الشام، ص ٩٣.

بدلات خمس سنوات سابقة، ثم أخذ متوسطها لتحديد الضريبة لذلك العام^(١).

كانت الجباية تتبع ادارة عليا تسمى «الروزنامة»^(٢). كما كان يجري تعيين الجباة من كافة الطوائف شرط توفر الكفاءة والنزاهة فيهم. وكان الجباة مشاة وخيالة، وتقدم لهم الدولة راتبا شهريا وملابس ومكافآت اذا احسنوا عملهم^(٣). وكان القائمون في القضاء يشرف على جمع الضريبة وتحصيلها «ما زال الحاج ابراهيم آغا الجوهري وكيل قائمقام صيدا يبذل همه في جمع الاعشار، وقد بلغ ما جمعه حتى الآن ٥٢ الف قرش صاغ»^(٤).

ومنذ سنة ١٨٨٢ صار موظفو دائرة الديون العمومية يجمعون عشر الحرير، كما قام موظفو الرجبي منذ سنة ١٨٩٥ بتخمين عشر التبغ وتحصيله كذلك^(٥).

وفي سنة ١٨٧٨ مثلا كانت مدة احالة الاعشار في صيدا من ١٥ ايار الى حزيران^(٦).

وكان موظفو ادارة الضرائب والجباية في صيدا لسنة ١٨٨٧ يتألفون من: كاتب الويركو مع التحرير محمود افندي ومحمد فؤاد افندي. وكاتب الطابو عمر افندي، والمحصلين (الجباة) الخيالة:

رفول افندي، وسليم افندي، واحمد افندي ومصطفى افندي، والمحصلين المشاة: عبد الفتاح افندي وحسين افندي^(٧).

وفي سنة ١٨٩٣ - ١٨٩٤ كان كاتب الويركو محمود افندي ورفعت افندي^(٨) اما في سنة ١٩١٢ فقد تضخم العدد كثيرا وتألف موظفو الجباية

(١) المصدر السابق، ص ٩٤.

(٢) محمد شفيق غريال: منهاج مفصل، المصدر السابق، ص ١٣٥.

(٣) الدستور، ج ٢، ص ٥١ - ٥٣.

(٤) ثمرات الفنون، العدد ١١٨٦، في ٢٧ حزيران ١٨٩٨.

(٥) A Hand book of Syria, op cit., p. 246.

(٦) لسان الحال، العدد ٦١، في ٢٩ حزيران ١٨٧٨.

(٧) حولية ولاية سوريا، دفعة ١٨، سنة ١٣٠٤، ص ١١٩ و ١٢٠.

(٨) حولية ولاية بيروت، لسنة ١٣١١ - ١٣١٢ هـ.

والضرائب من:

انيس الجراح محرر المقاولات (اي الالتزامات)، ويوسف شهاب مأمور
الويركو، وعبد الحميد دمشقية مأمور الاعشار، واحمد زهير مأمور
التحصيلات (أي الجباية). وكان عدد المحصلين في ذلك الوقت عشرة^(١).

(١) حولة ولاية بيروت لسنة ١٣٣١ هـ.

النظام المالي

١ - الادارة المالية:

شمل الاصلاح، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، النظام المالي فصدرت القوانين المتتالية التي هدفت الدولة من وراء اصدارها الى ضبط الوضع المالي المتدهور. فصدر نظام البنك العماني وامتيازه في ٩ ذى الحجة ١٢٧٩ هـ (١٨٦٣)^(١). ونظام ديوان المحاسبات في ٣ ذى الحجة ١٢٨١ هـ (١٨٦٤)^(٢). ونظام نفقات الولاية ونظام دفتر الميزانية في ٥ صفر ١٢٨٨ هـ (١٨٧١)^(٣). وقد تمكنت الدولة من اصدار اول ميزانية رسمية في سنة ١٨٦٢.

كانت وزارة المالية، التي تم انشاؤها سنة ١٨٣٦، تشرف على الدوائر المالية التي فتحت في كافة الولايات. وفي القضاء كان يرأس الدائرة المالية « مدير المال » وكان واحدا من شخصيات القضاء الرسمية المهمة^(٤). وكان من واجبات القائمات ضبط وتنظيم واردات القضاء ونفقاته بمعاونة مجلس ادارة

(١) الدستور، ج ٢، ص ٨٨٣.

(٢) الدستور، ج ٢، ص ١١٥.

(٣) الدستور، ج ٢، ص ٦٦.

(٤) كان حيد بك محاسبي قضاء صيدا سنة ١٨٦١، ثم تولى مدير المال فيها راسم افندي سنة ١٨٧٥، ثم عبدالفتاح افندي ١٨٧٦ - ١٨٨١ ثم مظهر بك ١٨٨٢، ثم هاشم افندي ١٨٨٤ = ١٨٩٤. وكان مديرا للمال سنة ١٩٠٦ حسن افندي الصلح وسنة ١٩١٢ كان نجيب حسون مديرا للمال بالوكالة.

القضاء ، والنظر في المبيعات والمقاولات والمصروفات الحكومية وذلك ضمن
صلاحياته^(١).

كما كان على القائمقام تقديم ميزانية القضاء الى السلطات المختصة في اللواء
قبل الخامس عشر من آذار. كما كان مدير المال يقدم خلاصة شهرية بالنفقات
وبالواردات الى مجلس ادارة القضاء .

وفي سنة ١٨٦٣ كانت واردات ايالة صيدا ٧,٦٨٠,٠٠٠ قرش^(٢). وفي
سنة ١٨٦٧ كانت ميزانيتها ٣,٣١١,٠٠٠ قرش ولم تتجاوز النفقات ٢٦٤ ألف
قرش فكان هناك وفر تجاوز ثلاثة ملايين قرش^(٣).

وفي سنة ١٨٨٢ تألفت ميزانية لواء بيروت من ٦,٠٤٢,٦٩٦ قرشا
للواردات و ١,١٠٠,٦٣٣ قرشا للنفقات، مما يعني وفرا تجاوز خمسة ملايين
قرش^(٤). وفي سنة ١٨٨٣ بلغت الواردات ٥,٩٧٨,١٠٦ قروش بينما كانت
النفقات ١,١٥٩,٢٤٥ قرشا، فقط^(٥). وبعد نشوء ولاية بيروت، دلت ارقام

(١) الدستور، ج ١، ص ٤١٥.

(٢) القنصلية الاميركية ت ٣٦٧/ ج ٤ تقرير القنصل الاميركي في بيروت عن تجارة صيدا لسنة
١٨٦٣ ملحق برسالة رقم ٤.

(٣) القنصلية الاميركية ت ٣٦٧/ ج ٦: تقرير شبلي ابيلا نائب القنصل الاميركي في صيدا، ٢٥
تموز ١٨٦٧.

(٤) حولية ولاية سورية، دفعة ١٥، سنة ١٣٠٠ هـ، ص ٢٧٨,٢٧٧.

(٥) حولية ولاية سورية، دفعة ١٦، سنة ١٣٠١ هـ، ص ٢٣٨,٢٣٧. وكانت تفاصيل الميزانية كما
يلي =

واردات	نفقات	
ويركو ٧,٣٧٢,١١٩ قرشاً	داخلية ٣٦٢,٣٤٣ قرشاً	
بدل عسكري ٠,٣١٢,٣٢٠ قرشاً	مالية ٢٧٥,١٨٤ قرشاً	
اعشار ٢,٤٥٤,٣٧٢ قرشاً	شرعية ١١١,١٣٠ قرشاً	
رسوم اغنام ١,٣٣٥,٣٧٠ قرشاً	عدلية ١٦٠,٧٥٠ قرشاً	
رسوم متنوعة ٠,٤٣,٤٥٠ قرشاً	معارف ٠,٤٣,١٧٦ قرشاً	
واردات وحاصلات ٠,٢٩٠,٤٧٥ قرشاً	فائض وبذلات ١٠٦,٦٦٢ قرشاً	
المجموع ٥,٩٧٨,١٠٦ قروش	المجموع ١,١٥٩,٢٤٥ قرشاً	

الموازنة للمواء بيروت على تحسن وارداته، ففي سنة ١٨٩٠ بلغت الواردات ٧,٨١٨,٧٦٩ قرشا و ٣٧ بارة، بينما لم تتجاوز النفقات ٤,٨٥٠,٩٠٠ قرش^(١).

ومن التدقيق في ارقام الموازنة يبدو ان الاعشار شكلت جزءا كبيرا من الواردات، كما ان الداخلية استحوذت على قسط كبير من النفقات. كما يظهر منها ازدياد النفقات مقارنة بالسنوات السابقة، مما يدل على انفاق واردات الولاية فيها اكثر من السابق.

وفي سنة ١٩٠٥ بلغت واردات ولاية بيروت ٣٢٤,١٨٧ قرشاً ونفقاتها ٣٢٢,١٨٧ قرشاً^(٢). وفي سنة ١٩١٢ كانت ميزانية قضاء صيدا وحده كما

(١) - حولية ولاية بيروت ١٣١١ - ١٣١٢ هـ، دفعة اولى، ص ٤٧٤. وكانت تفاصيل الميزانية كما يلي:

ويروكو املاك	٢٨٥,٩٢٣ قرشاً	شرعية	١٤٩,٥٨٠ قرشاً
ويروكو قنق	٤٢٩,٦٧٩ قرشاً	داخلية	٧١٢,٢٩٨ قرشاً
بدل عسكري	٨٠١,٢٧١ قرشاً	عدلية	٤٠٣,٥٧٠ قرشاً
رسم اغنام ٢٠ بارة	٣٨٦,٥٢٣ قرشاً	ويروكو زراعة	٣٩٩,٠٣٦ قرشاً
رسوم حيوانات	٠٠٠,٥٤٠ قرشاً	ذانية	٤٨١,٠١٤ قرشاً
اعشار ٢٥ بارة	٢,٣٩٢,٤١٩ قرشاً	اوقاف وغيره	٧٤,١٣١ قرشاً
عائدات املاك ١١ بارة ٧٦,٩١٢ قرشاً		الخزينة الخاصة	٠٠٢,٢٨٠ قرشاً
اميرية			
رسوم متنوعة ٣٠ بارة ٣٤٥,٢٠٨ قرشاً		العسكرية	٣٧٧,١٤٠ قرشاً
رسم احراج وغيره	٧٠,٤٧٤ قرشاً	البحرية	١٥٤,٢٩٩ قرشاً
رسم طابو املاك	١١ بارة ١٩٤,١٧٤ قرشاً المدفعية		٠٠٢,٤٠٠ قرشاً
رسوم محاكم	١٦٣,٢٨٨ قرشاً		
ايرادات مختلفة ٣٠ بارة ١٠٨,٩٩٠ قرشاً		المجموع	٤,٨٥٠,٩٠٠ قرشاً
المجموع ٣٧ بارة	٧,٨١٨,٧٦٩ قرشاً		

(٢) مكتب السجلات العامة ف. و ٢٢١٧/٩٥ ملحق برسالة سورية رقم ٥٢ من القنصل البريطاني العام في بيروت DEWEY للسفير Sir OCONER في ٥ تموز ١٩٠٦، وفيها يلي تفاصيل الميزانية:

ويروكو املاك	٩٠,٥٧٤ قرشاً	عدلية ١٤٣٢٩ قرشاً
امتيازات متنوعة	٢٩٨٥٢ قرشاً	محلية ومعاشات ١٧,٢٥٥ قرشاً

واردات الاعشار والتمتع ٢٥ الف ليرة عثمانية يذهب منها ٨ آلاف ليرة رواتب وتقاعد
ورادات الديون العمومية ١٨ الف ليرة عثمانية يذهب منها الف ليرة مصروفات مختلفة
واردات رسوم الجمارك ٤ آلاف ليرة عثمانية يذهب منها الف ليرة رواتب للموظفين
واردات البرق والبريد ١١٠٠ ليرة عثمانية يذهب منها ستماية ليرة رواتب للموظفين
واردات البلدية ١٥٠٠ ليرة عثمانية

من الارقام السابقة يتبين ان دخل قضاء صيدا في مطلع القرن العشرين
كان حوالي ٥٠ الف ليرة عثمانية، وان النفقات لم تتجاوز احد عشر الفا، وان
ثلثي الدخل للانفاق على المشاريع الانائية في القضاء.

ب- ديوان المحاسبات:

انشئ بموجب قانون صدر في ٣ ذى الحجة ١٢٨١ هـ (١٨٦٤)، (٢) من
اجل ضبط مالية الدولة وتحديد المسؤولية في الخطأ او الاختلاس. وكان مركزه
العاصمة اسطنبول، ويقدم مديره تقريراً سنوياً الى مجلس النواب مباشرة.
وكانت السلطات تستقدم احياناً الخبراء الماليين الاجانب لمعالجة اوضاعها
المالية، وقد دهش الخبير المالي، مسيو لوران سنة ١٩٠٨، عندما وجد ان
معاملة راتب الموظف تقتضي سبعة عشر توقيعاً من موظفي المالية، وان ذلك

مناجم وغابات ١٠٠,٤٥٣ قرشاً	٣٨,٨٨١ قرشاً	= بدل خدمة عسكرية
مكافآت موظفين ٥٠,٩٨٧ قرشاً	١٤٦,٧٩٩ قرشاً	اعشار
بحرية وحربية ١٠٧,٣٤٥ قرشاً	٠٠٩,٣٥٤ قرشاً	مناجم وغابات
بوليس درك شرطة ٤٩,٦٢٥ قرشاً	٠٠٦,٧٠٠ قرشاً	رسوم طابو
صحة ٠٠٠,٤٥٥ قرشاً	٠٠١,٠٥٩ قرشاً	واردات املاك الدولة
حوالات وغيرها ٥٠,٥٥٦ قرشاً	٠٠٤,٢٢٣ قرشاً	رسوم محاكم
الصرة الهايونية ٦٨,١٨٢ قرشاً	١٤٧٤٥ قرشاً	رسوم مختلفة
لولاية الحجاز	٣٢٤,١٨٧ قرشاً	المجموع
المجموع ٣٢٢,١٨٧ قرشاً		

(١) احمد عارف الزين، ص ١٦٩.

(٢) الدستور، ج ٢، ص ١١٥.

يتكرر كل شهر، فاقترح ان يكتفي بتوقيعين فقط على سند راتب الموظف^(١).

ج- الديون العمومية:

منذ النصف الثاني للقرن التاسع عشر اخذت الدولة العثمانية تفرق في الديون، ولم يترك السلطان عبدالعزیز الحكم سنة ١٨٧٦، الا وكانت الديون العمومية (كما كانت تدعى) قد قاربت مئتي مليون جنيه استرليني^(٢). وكان تراكم الديون وعدم قدرة الدولة العثمانية على سدادها، سببا في اعلانها سنة ١٨٧٥ العجز عن دفع فوائد ديونها، وكان ذلك بمثابة اعلان رسمي بالافلاس.

في سنة ١٨٧٩ اعلنت الدولة العثمانية افلاسها من جديد، وازاء الحاج البنوك الاوروبية في الحصول على ديونها، ونتيجة لضغط الحكومات الاوروبية على الباب العالي، من اجل ايجاد مخرج للارزمة المالية العثمانية، اصدرت الدولة العثمانية في ٢٠ كانون الاول ١٨٨١ قانون «صندوق الدين العام» لتسوية قروضها مع دائئتها من الاجانب^(٣).

وبموجب هذا القانون وضع عدد من موارد الدولة الهامة تحت اشراف ادارة انشأتها لهذا الغرض دعيت «ادارة الديون العمومية»^(٤)، وكان

(١) لسان الحال، العدد ٥٨٩٧، في ١٩ ك ١ ١٩٠٨.

(٢) كان اول قرض اجني عقدته الدولة العثمانية في سنة ١٨٥٤ لتسديد نفقاتها العسكرية في حرب القرم. وكانت قيمة القرض ٧٥ مليون فرنك، قبضت منها فعلا ٦٠ مليوناً ورهنت واردات مصر لتسديده. وفي سنة ١٨٥٥ ابرمت قرضاً ثانياً بقيمة ١٥٢ مليون فرنك. ووضعت واردات جمارك ازميز وسوريا (ومن ضمنها صيدا طبعاً) ضماناً لسدادها. وفي سنة ١٨٥٨ عقدت قرضاً ثالثاً قيمته ١٢٥ مليون فرنك، وجعلت واردات جمرک اسطنبول رهناً لادائه، وحتى سنة ١٨٧٤ عقدت احد عشر قرضاً آخر بحيث بلغت قيمة القروض الخارجية حوالي خمسة مليارات وثلاثمائة مليون فرنك. وكانت البنوك الدائنة بمعظمها فرنسية وبعضها انجليزية.

راجع: شفيق جعاً: حركة الاصلاح في الدولة العثمانية، مجلة الابحاث، مجلد ١٨،

ج ٢، حزيران ١٩٦٥، ص ١٢٧.

وكذلك: لوتسكي، ص ٣٧٥.

(٣) صدر في ٢٨ المحرم سنة ١٢٩٩ هـ. وقد عرف فيما بعد «بمرسوم محرم».

(٤) سعيد حمادة: النظام الاقتصادي في سوريا ولبنان، ص ٤١٣.

مركزها اسطنبول ومجلس ادارتها من مندوبي البنوك الدائنة، اما المندوب العثماني فلم يكن له الاصفة استشارية^(١).

وسرعان ما اصبح عدد موظفي هذه الادارة حوالي خمسة آلاف موظف، وتحولت الى وزارة مالية ثانية في الدولة العثمانية، واصبحت اكثر موارد الدولة اهمية تحت اشرافها، مثل التبغ والملح والطوايع والمسكرات، وضريبة العشر وبعض الدوائر الجمركية، مما كان له اثره في زيادة خضوع العثمانيين للرأسمال الاجنبي^(٢). وقد افتتحت فروعها في معظم المدن، وفي صيدا تألفت دائرة الديون العمومية من مأمور، كان سنة ١٩١٢ هو توفيق الجبال، ومن باش كاتب كان آنذاك جعفر افندي^(٣).

د - البنوك والصارفة:

كان الصارفة، قبل انشاء البنوك، يقومون بدور فعال على صعيد المال في الدولة العثمانية. وقد استطاعوا تشكيل طبقة غنية تمتعت بنفوذ واسع، خاصة في اسطنبول. وكانت ارباحهم هائلة لأنهم كانوا يتقاضون فوائد على القروض لمدة شهرين او ثلاثة، مع رهن الاملاك لضمان سداد الدين^(٤). وفي اوائل القرن العشرين تعاظم الصرافة في صيدا كل من اسكندر كتفاكو ووديع عودة واخوانه، واليهوديان ابراهيم الخياط ويوسف نكري^(٥)، وما يلاحظ ان مهنة الصرافة كادت تنحصر في غير المسلمين من مسيحيين ويهود.

وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر احتاجت الدولة العثمانية الى نظام مصرفي يؤمن اصدار نقدها، كما يمكنه ان يغطي ديونها. وتقدم بعض الرأسماليين الانجليز سنة ١٨٥٦ بطلب انشاء بنك، فوافقت، وسرعان ما ظهر البنك الجديد باسم «البنك العثماني»، وكان رأسماله نصف مليون ليرة

(١) لوتسكي، ص ٣٨٤.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٨٥.

(٣) حولية ولاية بيروت، سنة ١٣٣١ هـ (١٩١٢).

(٤) اسد رستم: لبنان في عهد المتصرفية، ص ١٠٠.

(٥) احمد عارف الزين: ص ١٦٩.

استرلينية ومركزه لندن^(١)، وفي ٩ ذي الحجة ١٢٧٩ (١٨٦٣) صدر نظام البنك العثماني^(٢)، واصبح بنك الدولة الرسمي، وصار من اختصاصه اجراء معاملات خزينة الدولة المالية. وخضع لسلطة الدولة ورقابتها، وكان مركزه الرئيسي في اسطنبول^(٣).

منح البنك امتياز اصدار الاوراق النقدية العثمانية، وظل البنك لا يتعاطى الاعمال التجارية المالية حتى سنة ١٨٩٠، حيث سمح له بتعاطى الاعمال المصرفية العادية للجمهور، فأخذت اعماله تزدهر، وفروعه تنتشر في كافة أنحاء البلاد^(٤).

قام فرع البنك العثماني في بيروت بالاشراف على المعاملات المالية الرسمية للولاية. وفرض على القروض التي يمنحها للتجار فائدة قدرها ١٦% لمدة ثلاثة اشهر دون اية ضمانات رهنية، كما كانت العادة، فأدى ذلك الى حركة مالية نشطة وازدهار اقتصادي ملحوظ.

كانت الفوائد التي يؤديها فرع البنك العثماني في بيروت لتجارها واضحة في اذهان الصيادويين، عندما صاروا يلحّون بالمطالبة بفتح شعبة للبنك في صيدا، حتى ولو كانت «صغيرة»^(٥)، ورفعوا عرائض بذلك الى القائمقام

(١) اسد رستم: لبنان في عهد المتصرفية، ص ٩٧.

(٢) الدستور، ج ٢، ص ٨٨٣.

(٣) بدر الدين السباعي: اضواء على الرأسمال الاجنبي في سوريا ١٨٥٠ - ١٩٥٠ دمشق ١٩٦٧، ص ٢٢. وكذلك اسد رستم: لبنان في عهد المتصرفية، ص ٩٨. كان مؤسسه من التمويل الفرنسيين والانكليز واليهود وبلغ رأسماله عشرة ملايين جنيه استرليني دفع نصفها فقط، وكان عدد أسهمه ١٣٥ الف سهم، كانت حصة الانكليز فيها ٨٠ الف سهم والفرنسيين ٥٠ الفا والأتراك حصة آلاف سهم. وكانت قيمة السهم الواحد خمائة فرنك. وكانت مدة الامتياز ثلاثين سنة، جرى تجديدها سنة ١٨٩٥. وفي سنة ١٩٢٥ جددت لعشر سنوات فقط.

(٤) قبل الحرب العالمية الاولى كان عدد فروع البنك في أنحاء الدولة العثمانية قد بلغ ٥٤ فرعاً كان منها ١٢ فرعاً في سوريا هي: بيروت - دمشق - حلب - اسكندرون - حمص - حماه - طرابلس - صيدا - صور - يافا - القدس - حيفا وكانت فروع البنك العثماني، هي الاكثر عدداً ونشاطاً بين فروع البنوك الاوروبية الخمسة عشر التي اصبحت تعمل على الاراضي العثمانية في مطلع القرن العشرين.

(٥) توما كيال في مجلة المشرق، المجلد ١١، العدد ٣، آذار ١٩٠٨، ص ١٧٨.

والوالي في بيروت^(١). وقد استجابت ادارة البنك لمطلبهم، وافتتحت فرعاً في صيدا سنة ١٩١١، وكان مديره ميشال كويدان، وهو فرنسي، وامين صندوقه انج ابيلا، وموظفاه الآخرون جورج عنحورى واميل فران^(٢). واقام البنك مكاتبه في بناء مستأجر من البلدية، بمبلغ اثني عشر الفا وثمانمائة وخمسة وسبعين قرشاً وخمسة وثلاثين بارة لمدة ثلاث سنوات، يجري تجديددها عند الطلب^(٣).

وكان البنك يبدأ عمله اليومي من التاسعة صباحاً حتى الثانية عشرة ظهراً، ويقفل ابوابه حتى الثانية والنصف بعد الظهر، حيث يعود الموظفون للعمل حتى المساء^(٤).

هـ - النقود الرائجة:

سادت الفوضى سوق الاوراق المالية في الدولة العثمانية، وراجت في اسواقها أنواع عديدة من العملة عثمانية واجنبية، ذهبية وفضية، معدنية واخيراً ورقية، ولكل نوع منها اسماء مختلفة وقيم متعددة، مما سبب بلبلة بين الناس، واضطراباً في الحياة الاقتصادية، كان يصل في بعض الاحيان الى حد الازمة المالية.

تجلت الفوضى النقدية في ثلاثة امور:

أولها رواج انواع عديدة من العملات الاجنبية، في اسواق بلاد الشام، الى جانب العملة العثمانية.

ثانيها بروز تفاوت واضح في قيمة العملة الرسمي، وقيمتها الفعلية في السوق، وكذلك اختلاف قيمة العملة الواحدة بين بلدة واخرى من بلاد الشام. ثالثها سعي الدولة لفرض انواع من النقد، خاصة الورقي منه (بنكنوت)،

(١) الاتحاد العثماني، العدد ٦٦٧، في ٢٦ تشرين الثاني ١٩١٠.

(٢) احمد عارف الزين، ص ١٦٩.

(٣) بلدية صيدا، نومرو ١١٩ في ١٣ اغسطس ١٣٣١ مالية.

(٤) عبد الباسط الانسي: دليل بيروت، ص ٩٠.

واستمرار السكان في رفضه، والحذر من التعامل به، مما أدى إلى استمرار هبوط قيمته.

وفيما يلي أهم تلك العملات التي راجت في أسواق صيدا وبيروت وغيرها من مدن بلاد الشام خلال الفترة الواقعة بين سنة ١٨٤٠ وسنة ١٩١٤.

١ - العملة الذهبية العثمانية:

راجت منذ النصف الأول من القرن التاسع عشر مسكوكات ذهبية عثمانية عدة، كان أبرزها الليرة الذهبية المجيدية التي ضربت سنة ١٨٤٨ في عهد السلطان عبد المجيد الأول، وقد تكرر سكها في عهود عبدالعزيز وعبد الحميد الثاني، ومحمد رشاد الخامس^(١)، ومن هنا ظلت رائجة حتى نهاية العهد العثماني، وعند بدء إصدارها قدرت قيمتها بمئة قرش^(٢). وفي قرار صدر سنة ١٢٩٦ هـ (١٨٨٠) جعلت هذه الليرة الذهبية وحدة النقد في الدولة^(٣).

قدر مجموع النقد الذهبي العثماني، قبيل الحرب العالمية الأولى، بأربعين مليون ليرة في خزانة الدولة، وثلاثين مليوناً قيد التداول. وكانت أضعاف الليرة العثمانية المتداولة هي قطعة من فئة الليرتين والنصف ذهباً، وقطعة من فئة خمس ليرات ذهباً. أما أجزاءها فكانت قطعتين أيضاً: هي نصف ليرة ذهبية، وربع ليرة ذهبية.

٢ - العملة الفضية العثمانية:

كانت العملة الفضية العثمانية كثيرة التداول في أسواق بلاد الشام. وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر كانت وحدتها المجيدي^(٤)، وكان يساوي عشرين قرشاً. وكانت أجزاءه نصف المجيدي، وكان يساوي عشرة قروش وربع المجيدي، وكان يساوي خمسة قروش، والبرغوت الكبير وكانت قيمته قرشين،

(١) يوسف الحكيم: سوريا والعهد العثماني، ص ٢٨.

(٢) عرفت الليرات التي سكّت في عهد محمد رشاد بالرشادية، ولا تزال حتى الآن متداولة في سوق الذهب في بلاد الشام.

(٣) سعيد حادة: النظام النقدي والصراقي في سوريا، ص ٢٣.

(٤) نسبة للسلطان عبد المجيد الأول حيث سك في عهده، وسمي كذلك بالريال المجيدي

والبرغوت الصغير وكانت قيمته قرشاً واحداً، ونصف البرغوت وبلغت قيمته نصف قرش^(١).

وكانت هناك عملات فضية عثمانية أخرى كالبشلك^(٢)، والالتيلك^(٣)، والمتليك^(٤)، ومع أنها لم تعد تسك بعد سنة ١٨٤٤، غير أنها استمرت في التداول في اسواق بلاد الشام حتى اواخر القرن التاسع عشر.

وكان في التداول ايضاً القرش الفضي، وكانت قيمته اربعين بارة رسمياً^(٥)، وان قلت قيمته عن ذلك او زادت حسب سعر السوق. كما راج القرش الاسدي حتى نهاية العهد العثماني^(٦) «... اشترى (فلان) ... بثمان من القروش الاسدية الراججة السلطاني عشرة آلاف قرش صاغ ميرية، حساباً عن كل قرش اربعون مصرية...»^(٧).

وكثيراً ما رمز المواطنون والتجار، في معاملاتهم اليومية، الى ربع القرش (أي عشر بارات) هكذا «/» والى نصف القرش (أي عشرين بارة) هكذا «ك» والى ثلاثة ارباعه (أي ثلاثين بارة) هكذا «كك» أو هكذا «كك».

(١) اتخذ القرش وحدة نقدية منذ القرن السابع عشر، واول من سكّه السلطان سليمان الثالث (١٦٨٧ - ١٦٩١). واصل الكلمة من الالمانية GROSCHEN بمعنى كبير او ثخين. وقد نقلها البولونيون باسم جروشي، وعندهم اخذها الاتراك باسم غرش او قرش.
(٢) من جيش التركية بمعنى خمسة، وكان اول بشلك قد ضرب سنة ١٨١٠، ثم سكّ ثانية سنة ١٨٢٩، وكذلك سنة ١٨٣٣.

(٣) من التي بمعنى ستة، وقد ضرب بين ١٨٣٣ و ١٨٣٩. وكانت قيمته اول اصداره ستة قروش.
(٤) اول متليك جرى سكّه في عهد السلطان محمود الثاني، ولم يعد يسك بعد ١٨٤٤ لكنه ظل في التداول. وكان يعادل نصف قرش، ونصف المتليك كان يعادل ربع قرش. راجع KARL BAEDEKER: palestine and Syria, op. cit., p. 29.

(٥) البارة عملة تركية قديمة، جعلت وحدة النقد العثمانية، وعرفت بأسماء مختلفة كالمصرية والفضية والديواني، واول مرة سكّت منتصف القرن السابع عشر، وهي على الأرجح مأخوذة عن الفرنسية Pris وهي مادة تشتق منها مرادفات معاني النقود كالفيرة والتمن والمجازة.

(٦) كان قد ضربه في الاصل الملك الظاهر بيبرس، وسمي كذلك نسبة الى صورة الاسد على احد جانبيه، راجع محمد كرد علي، خطط الشام، ج ٥، ص ٨٣. وعيسى اسكندر المعلوف: تاريخ الامير فخر الدين المعني الثاني، ط ٢، بيروت ١٩٦٦. ص ٢٥.

(٧) المحكمة الشرعية في صيدا سجل رقم ١، سنة ١٢٨٥ هـ.

٣ - العملة المعدنية العثمانية:

بالإضافة الى العملة من الذهب والفضة، تداولت اسواق بلاد الشام أيضاً عملة معدنية عثمانية من النحاس أو النيكل، أو من مزيج منها، كما استخدم النحاس والرصاص معاً في سك بعض تلك العملات المعدنية. وطالما كانت الاسعار منخفضة وقيمة الأشياء رخيصة كان يروج استعمال العملة المعدنية من نحاس وغيره، فإذا ارتفعت الاسعار ازداد التعامل بالعملة الفضية والذهبية.

كان في التداول أيضاً البشلك من النحاس الاحمر، وكان يساوي قرشين ونصفاً، ونصف البشلك، وكانت قيمته قرشاً وربع القرش. كما كان هناك القرش ونصفه وكانا من النيكل. أما المتليك فكان من مزيج من النحاس والنيكل الاحمر، وكانت قيمته ربع قرش، كما كان هناك نصف المتليك الذي كان يعرف أيضاً بالنحاسة، وكان من النحاس الاحمر^(١).

٤ - النقد الورقي العثماني:

صدر عدة مرات خلال القرن التاسع عشر والقرن العشرين، وكان اصداره يتلازم وانغماس الدولة العثمانية في حروب خارجية. فقد اصدرت عملة ورقية لأول مرة سنة ١٨٣٩، بعد خروجها من حربها مع اليونان، لتخفف من الضائقة المالية التي كانت تعاني منها^(٢). وسرعان ما ألغت استعمالها، ثم عادت فأصدرتها سنة ١٨٥٤، أثناء حربها مع روسيا، وعرفت باسم «القائمة» ولما كانت قيمتها اسمية فقد سببت خسائر جمة للمواطنين الذين فرض عليهم تداولها اجبارياً^(٣)، وقد ألغتها رسمياً سنة ١٨٨٠ «... ورد تلغراف من جانب الولاية الجليلية مبني على صدور تلغراف من جانب نظارة المالية الجليلية رقم ٢٠ شباط ٩٥ يتضمن انه من كون صار محو والغاء اغلب القوائم النقدية

(١) سعيد حمادة: النظام النقدي والصرافي في سوريا، ص ٣٥. وكانت في التداول أيضاً عملات نحاسية من قنات خمس بارات وعشر بارات وعشرين بارة وأربعين بارة. وكانت النحاسة تدعى أيضاً «سحتوت» في بعض مناطق بلاد الشام.

(٢) راتب الحسامي، ص ١٣٧.

(٣) محمد كرد علي، المرجع السابق، ص ٩٠.

وبقي جزء قليل منها ، فقد صار الاستئذان بأن كافة واردات سنة ٩٦ يصير
استيفائها نقدا ولا يصير اخذ قاعة... في ٢٨ شباط ٩٥» (١)

وبعد انشاء البنك العثماني تولى اصدار اوراق نقدية عثمانية من فئة خمس
وعشر ليرات ، ولم تكن تستبدل بعملة معدنية الا في مركز البنك في اسطنبول
فقط ، مما أفقدها كثيرا من قيمتها (٢).

وفي سنة ١٩١٥ ، خلال الحرب العالمية الاولى ، اصدرت الدولة العثمانية
عملة ورقية كانت قيمتها الاسمية الليرة بمئة قرش ذهبا ، لكن المواطنين لم
يقبلوا على التعامل بها ، لعدم ثقتهم بقيمتها ، ولتعودهم على العملات المعدنية ،
التي كانت ، غالبا ، قيمتها فيها ، مما كان يجعل السلطات تلجأ الى التهديد
بالمقوبة لمن يرفض التعامل بها ، وقد حدث ذلك في اسواق صيدا وغيرها من
مدن بلاد الشام ، ففي صيدا صدر البيان التالي « حسب امر القائمية العلية
المؤرخ في ١٥ كانون ثاني سنة ١٣٣٢ نومرو ٣٥٥ نعلن تكرارا للعموم بأنه قد
فهم بأن بعض الاصناف من الباعة لا يقبلون الاوراق النقدية ، والبعض منهم
يأخذونها بأقل من قيمتها ، وحيث أن هذه المسألة لها تعلق باعتبار الحكومة
المالي فكل من يتجرأ على مثل هذه الحال يكون اجري اهانة للوطن وتجرى
المجازات الشديدة بحق المتجاسرين . بناء عليه اقتضى اعلان ذلك ليتنبه
ويتيقظ العموم لهذه المسألة ويتجنبون عن كل حركة مخالفة لهذه التنبيهات ، اذ
جارى التدقيق والتحقيق عن الذين لا يقبلون الاوراق النقدية والذين
يأخذونها بأقل من قيمتها ، فكل من يتبين انه تجاسر على مثل هذه الحال يلقي
القبض عليه ويسلم للحكومة السنية ليصير مجازاته بأشد الجزاء ، فلأجله صار
اعلان الكيفية » (٣). وفعل عاقبت السلطات كل من امتنع عن اخذها او باعها
بأقل من قيمتها المقدرة (٤).

(١) لسان الحال ، العدد ٣٤٥ ، في ١٥ آذار ١٨٨٠ .

(٢) سعيد حمادة : المرجع السابق ، ص ٢٨

(٣) بلدية صيدا نومرو ٦٠٢ لسنة ١٣٣٢ .

(٤) لما باع عمر غندور ، احد تجار بيروت ، اوراقا نقدية أقل من قيمتها الرسمية بنسبة ٧٣ ،
عاقبته السلطة بنفيه مع عائلته الى داخل البلاد . راجع داوود خليل كنعان بيروت في
التاريخ ، بيروت ، ١٩٦٤ ، ص ٢١٨ .

راجت في أسواق بلاد الشام عملات اجنبية عديدة ذهبية وفضية والقليل من العملات المعدنية، لكن الورق النقدي الاجنبي لم يستخدم قط، (وكانت الليرتان الفرنسية والانجليزية الذهبية الاكثر رواجاً بين العملات الاجنبية يليها الروسية، اما الالمانية فكانت محصورة ببعض البيوت التجارية الالمانية فقط. اما العملات الفضية الاجنبية فلم يكن مسموحاً بتداولها^(١). وكانت دوائر الجمرک في مدن بلاد الشام الساحلية تقبل احياناً ادخال عملات فضية فرنسية وسويسرية وانجليزية، لكن العملات الفضية المصرية واليونانية، قليلاً ماكان السكان يقبلون على التعامل بها^(٢).

ازاء كثرة العملات الاجنبية المتداولة في الاسواق العثمانية، اصدرت السلطات امراً في سنة ١٨٨٣ بمنع تداول جميع السكوكات الفضية الاجنبية، لأن استبدالها بالذهب، جعل ثروة البلاد منه تستنزف، مما ادى الى خسارة للاقتصاد الوطني «ورد الينا من مجلس ادارة اللواء صورة التحريرات الواردة من نظارة المالية الجليلة في ٢٤ كانون الثاني سنة ٩٨: حيث ان الترقى بين المسكوكات الفضية قد صار فرقاً فاحشاً يستلزم خسارة الدولة والاهالي، وقد ظهر من المضبطة التي حررت من دائرة التنظيمات وارسل صورتها لجانب الخزينة... ان بعض الاهالي المحتكرين اتخذوا جلبه المسكوكات الاجنبية لهم عادة ليبدلوها بالمسكوكات الذهب فيحصل لهم من ذلك ١٢٠ و٣٠٠ قرشاً في المئة ويصنعون الوسائط اللازمة لامرارها من الكمرک فتقل المسكوكات الذهب وتزداد المسكوكات الفضية فيحصل من ذلك الفرق الفاحش ويضر الاهالي... تقرر منع تداول المسكوكات الفضية الاجنبية من ايدي الناس ومن سائر المؤسسات والدوائر الرسمية ويعتبر هذا المنع ابتداء من شهر مايس من سنة ٩٩ «^(٣).

(١) KARL BAEDEKER: Palestine and Syria, op. cit., p. 28

(٢) A Hand book of Syria, op. cit., p 319

(٣) ثمرات الفنون، العدد ٤٢٦، في ١٨ نيسان ١٨٨٣.

ثم اصدرت السلطات اوامرها بمنع تداول كافة المسكوكات المعدنية الاجنبية، وابتقت السماح بتداول الليرات الذهبية الاجنبية فقط « من الملحوظ تزايد استعمال المسكوكات النحاسية المنقوش على احد وجهيها ديك او خلافة من النقوش وعلى الوجه الآخر بعض الكتابات، وهي من ضرب المستعمرات الهند انكليزية وهذه النحاسات تجلب من محلها بسعر بارة واحدة، والناس هنا يتداولونها بسعر بارتين ونصف واستمرار التعامل بها يوجب خسائر جمة للعموم، ولما كان تداول المسكوكات الاجنبية في الممالك المحروسة ممنوعا ما عدا الذهب بمقتضى الارادة السلطانية، فلا يجوز البتة استعمال أي سكة لم يكن عليها صورة الطغراء الهايونية، وبناء على ذلك وعلى امر الولاية الجليلة، ينبغي الكف عن التعامل بالمسكوكات المذكورة واتخاذ اسباب ازالتها كليا بمدة خمسة عشر يوما من تاريخه ولاجله نشر هذا الاعلان في ٢٨ ايلول ١٣١٤ هـ^(١).

٦- المشاكل النقدية:

بالاضافة الى المشاكل النقدية المعروفة كتزيف العملة، وهبوط قيمتها، وحدوث تضخم مالي، فان الدولة العثمانية عانت، في مجال النقد، مشاكل اضافية فريدة، احدثت بلبلة مالية واضطرابا اقتصاديا، وحدثت من النشاط التجاري في بعض الأحيان.

فالقرش العثماني الذي كان يساوي خمسة الى ستة فرنكات فرنسية في منتصف القرن السابع عشر، اصبح سنة ١٨٣٨ يعادل خس الفرنك تقريبا^(٢) والريال المجيدي الذي كان يساوي عشرين قرشا رسميا، لم يعد يساوي اكثر من ١٨ ١/٢ قرشاً سنة ١٨٨٠^(٣).

والليرة العثمانية التي كانت قيمتها ١١٥ قرشاً سنة ١٨٦٥، اصبحت سنة ١٨٩٤ تساوي ١٢٣ قرشاً، وفي سنة ١٩١٤ كانت اكثر من ١٢٤ قرشاً^(٤) كما

(١) لسان الحال، العدد ٢٩٣٩، في ١٢ تشرين الاول ١٨٩٨.

(٢) راتب الحسامي، ص ١٣٩.

(٣) A Hand book of Syria, op. cit., p. 319

op cit., p. 318 (٤)

كانت اسعار النقد تختلف من مدينة لأخرى هبوطاً او صعوداً، واختلاف
السعر لليرة العثمانية لسنتي ١٩١٠، ١٩١٤ مثلاً يوضح ذلك:

السنة	بيروت	صيدا	طرابلس	دمشق	حلب	حصن	يافا
١٩١٠	٢٥ بارة	١٢٤ قرشاً	١٢٣ قرشاً	١٣٠ قرشاً	١٢٧ قرشاً	١٢٤ قرشاً	١٤١ قرشاً
١٩١٤	٣٧ بارة	١٢٤ قرشاً	١٣٥ قرشاً	١٣٠ بارة	١٣٠ قرشاً	١٢٤ قرشاً	(١)

كذلك اختلفت اسعار الليرتين الفرنسية والانجليزية بين مدينة وأخرى،
فالليرة الفرنسية سنة ١٩١١، ١٩١٢ كانت تساوي:

في بيروت	في طرابلس	في صيدا	في دمشق
٣٠ بارة و ١٠٨ قروش	١٥ بارة و ١٠٧ قروش	١٠٩ قروش	١١٤ قرشاً

والليرة الانجليزية لسنتي ١٩١١ و ١٩١٢ كانت تساوي على التوالي:

في بيروت	في طرابلس	في صيدا	في دمشق
٣٠ بارة و ١٣٥ قرشاً	١٤٥ قرشاً	٢٠ بارة و ١٣٧ قرشاً	٥ بارات و ١٤٣ قرشاً
٣٠ بارة و ١٣٦ قرشاً	١٤٥ قرشاً	٢٠ بارة و ١٣٧ قرشاً	(٢)

نظراً لاختلاف السعر بين مدينة وأخرى، فقد اقتضت الضرورة، في
معاملات البيع والشراء، وبقيّة الأمور المالية الأخرى، ان يذكر في السندات
أو الصكوك، موقع السوق الذي تم الإتفاق على اسعاره بين المتعاقدين، فيقال
مثلاً « عملة رايج بندر صيدا » قيمة المبلغ المتفق عليه بأسعار صيدا وحدها،
مثلاً « اشترى ابراهيم الجوهري والشيخ أحمد النقيب والحاج علي المجذوب...
تسعة دكاكين من أملاك البلدية بموقع مزراب الخشب بسوق البيطرة (بصيدا)
بمبلغ ٥٧ ألف غرش عملة رايج بندر صيدا... في ١٨ ربيع الثاني ١٣١٧ » (٣)
ومثال آخر: « الشيخ حسن بن حمد وهبه من النبطية التحت باع إلى مارية بنت

(١) تقويم البشر لسنتي ١٩١٠، ١٩١٤.

(٢) تقويم البشر للسنتين ١٩١١، ١٩١٢.

(٣) المحكمة الشرعية، سجل ١٠، نومرو ١٤٩، ص ٦٨.

بمقوب ثابت ... كامل البيت ... بالقروش الاسدية ... تسعماية غرش عملة بندر النبطية بسعر ليرة العثملي مائة وسبعة قروش... في ١٧ رمضان المبارك سنة ١٢٨٥ «^(١)». وكذلك في القروض أو الأقساط يحدد نوع العملة والمدينة التي تدفع بها « غب مرور سبعة أشهر من تاريخه أدناه أدفع لأمر الخوري نقولا أشقر بصيدا المبلغ المرقوم أعلاه وقدره ستاية غرش لا غير عملة رايج بندر صيدا والقيمة وصلتي منه عدأً ونقدأً ولاجل البيان حررت له هذه الكمبيالة... قابل بما فيه قيصر نقولا قسطنطين من عبرا «^(٢)»، وفي بعض الأحيان يشترط بالليرات الذهبية فقط « أشتري يونس محمد الجردان ثمانية قراريط من بستان داوود الصوص بسبعة عشر ليرة ذهب عثملي «^(٣)».

نتيجة لتلك الأوضاع أصبح لكل عملة سعران، احدها سعرها الرسمي مقدرا بالقروش، والثاني سعرها الفعلي في السوق مقدرا بالقروش أيضاً. ومن هنا دعي القرش الأول « القرش الصاغ » ودعي الثاني « القرش الرائج » أو « القرش الشرك ». وكان القرش الشرك أكثر رواجاً، بينما القرش الصاغ انحصر، غالباً، بالمعاملات الرسمية وبحساب الأموال الأميرية. وقد وصل الفرق بينهما أحياناً، إن القرش الشرك كان يعادل ثلثي القرش الصاغ^(٤).

فالسعر الرسمي بالقرش الصاغ كان واحداً في مختلف الولايات، لكن الذي كان يختلف من بلدة لأخرى هو السعر الفعلي في السوق أي القرش الشرك فالجيدي مثلاً كان سعره في بيروت عشرين قرشاً صاغاً، سنة ١٩٠٩، لكنه كان يعادل ثلاثة وعشرين قرشاً شركاً وثلاثي بارات فوقها.^(٥)

وساهم تلاعب الصيارفة بأسعار العملات، في تذبذب قيمتها بين صعود وهبوط، وكذلك في إختلاف سعرها بين بلدة وأخرى. وهذا الإختلاف أدى

(١) المحكمة الشرعية في صيدا، سجل رقم ١ نومرو ٤٤.

(٢) ارشيف دير المخلص.

(٣) المحكمة الشرعية في صيدا، سجل رقم ١، غرو ٢٢ في ١٧ شعبان ١٢٨٥.

(٤) عيسى اسكندر المعلوف: دواني القطوف في تاريخ بني المعلوف، ص ٣٦٤.

(٥) لسان الحال العدد ٥٩١٦، في ١٣ كانون الثاني ١٩٠٩.

إلى رواج تجارة واسعة للنقد، لم تقتصر على الصياغة وحدهم بل تعدتهم أيضاً إلى التجار أنفسهم، بحيث إنه في سنة ١٨٤٣ مثلاً، كانت صادرات بيروت من النقد الذهبي والفضي في رأس صادراتها من كافة أنواع السلع^(١).

ولم تقف الدولة أزاء تلك الأحوال، مكتوفة الأيدي، بل استمرت محاولاتها بين فترة وأخرى، لضبط الوضع النقدي وتحديد أسعار العملات، بما كانت تصدره من تعليمات للعموم « يكون معلوماً كافة رؤسا السفائن التجارية وعموم رؤسا مواعين وفلايك وسنايك مينا بيروت إنه بناء على الأمر التلغرافي الوارد لمركز الليمان^(٢) من جانب رئاسة ليمان دار السعادة بتاريخ ٢٨ شباط سنة ٩٥ مقتضي دفع جميع رسوم حاصلات الليمان اعتباراً من إبتداء شهر مارت سنة ٩٦ الليرة العثمانية بماية والمجيدي بتسعة عشر والزهراوي^(٣) بخمسة غروش وأقسامهم أيضاً تابعة لهم بالنسبة لفئاتهم هذه، والبشلك والقمري^(٤) بنصف قيمته في أول مارت سنة ٩٦. التوقيع رئيس ليمان بيروت «^(٥).

ولما كان البيان السابق يتعلق بتحديد أسعار العملات بالنسبة لدفع الرسوم في ميناء بيروت، فقد الحقته ببيان آخر يحدد أسعار العملات في التعامل في كافة الأسواق وفي دفع الضرائب:

« اعلان من متصرفية لواء بيروت:

قد سبق نشر اعلانات مخصوصة متضمنة بيان القرار بحق المسكوكات العثمانية بموجب التلغراف السامي المؤرخ في ٢٦ شباط سنة ٩٥، غير أنه ظهر بعد ذلك ان مضمون هذا القرار لم يصرف فهمه وأدراك حقيقة معناه كما يجب من طرف الأهالي وكان ذلك موجباً لاختلافات ومنازعات شتى حتى ان

(١) راتب الحسامي: ص ١٤١. نقلاً عن هنري غيز.

(٢) أي الميناء.

(٣) وكان يساوي خمسة قروش صاغ وبالقروش الشرك كان يعادل ستة قروش وخمس بارات راجع تقويم البشر للسنة ١٩٠٩ و ١٩١٠.

(٤) القمري هو نفسه قطعة العشرين بارة أو نصف القرش. : راجع

KARL BAEDEKER, op. cit, p. 29

(٥) لسان الحال، العدد ٢٤٥، في ١٥ آذار ١٨٨٠.

البعض أخذوا يترددون بأمر الأخذ والعطاء بالبشلك والزهاوي وأقسامها. وبما ان ذلك ناتج عن أفساد بعض أرباب الإحتكار الذين يسمون بتشويش أذهان الخلق وترويجاً لمنافعهم الذاتية، فلكي تكون الحقيقة معلومة عند الجميع ولأجل عدم اصفاء إلى ما يقوله هكذا أشخاص من الحوادث والأخبار الكاذبة، اقتضى الآن ضرورة الحال بيان الايضاحات التالية: وهي ان الدولة قبض في خزائنها اعتباراً من شهر مارت الحاضر الليرا المجيدية بماية غرش والريال المجيدي بتسعة عشر قرشاً، والزهاوي خمسة قروش والبشلك قرشين ونصف.

وأما الذين عليهم دين إلى الخزينة من مال سنة ٩٥ يدفعون ذلك بحساب البشلك بخمسة غروش حتى نهاية شهر اغستوس القادم، ومطلوبات الخزينة عن سنة ٩٦ تدفع بموجب الترتيب المحرر اعلاه وكلما يصير نشره من الحوادث والأخبار خارجاً عما ذكر يكون مفتعلاً من أرباب الاحتكار لاغفال الناس واضرارهم وجر المنفعة لأنفسهم. ولذلك كُلمين يتردد بعد الآن عن الأخذ واعطاء المسكوكات المذكورة حسب أسعارها وقيمتها المحررة التي صار تمييزها من طرف الدولة فبالطبع تجري معاملته بمقتضى أحكام القانون، فلكي تكون هذه الكيفية معلومة بنوع خصوصي لدى العموم وإيضاحاً للمضمون التلغراف السامي السالف جرى نشر هذا الاعلان في ٧ مارت سنة ٩٦»^(١).

كما كانت الدولة عندما تنزل للتداول عملة جديدة، ترشد السكان إلى قيمتها في التبادل، وتحدد سعرها، وتنذر المخالفين بالعقوبات القانونية المناسبة «لتسهيل المعاملات بين الأهالي أحدثت الخزينة الجليلة... دراهم جديدة ذات عشر وخمس بارات على حساب المجيدي بتسعة عشر قرشاً فيكون اعتبار قطعة الجديدة بمثابة المتاليك القديم المعروف من العموم، والخمس بارات هي نصف المتاليك المذكور، وفهم مؤخراً... إن بعض الأهالي يترددون في قبضها بأسعارها الحقيقة... مما هو مناف لأوامر الدولة... فقد تقرر أخذ (ريال مجيدي) غرامة نقدية من أي شخص كان يمتنع عن قبض القطع الجديدة

(١) ثمرات الفنون، العدد ٢٧٣، في ٢٣ آذار ١٨٨٠.

المذكورة بفئة أقل من المتاليك القديم... في ٢١ كانون الأول ١٣١٨ والى بيروت»^(١).

وكما كانت الدولة تطرح عملات جديدة للتداول، فهي كانت تقوم أيضاً، كلها احتاج الأمر، إلى سحب بعض أنواع المسكوكات القديمة من التداول «قالت جريدة الولاية ما يأتي: نعلن بناء على اشارة دفتر دارية الولاية ان المسكوكات النحاسية قد تقرر عدم قبولها، وان كل من يتجاسر بعد الآن على قبض وصرف تلك المسكوكات يطبق عليه الجزاء المعين قانوناً، وإنه يوجد الآن في صندوق مال المركز بقدر اللزوم من مسكوكات النيكل التي تساوي الواحدة خمس بارات، والاثنان متاليكا واحداً، فمن يريد فليأخذ منها على سبيل المبادلة، وسعر المجيدي ١٩ غرشاً والليرة العثمانية ١٠٢ غروش و ٢٤ بارة»^(٢).

وقد عتبت صحف تلك الفترة على السلطات، لأنها بالغاء التعامل بتلك المسكوكات لم تحسب حساباً لما كان منها بين ايدي السكان، وقد ردت أحداها ان خسارة بيروت وحدها من تلك المسكوكات تصل نحو عشرة آلاف ليرة عثمانية^(٣).

ورغم سمي السلطات المستمر لوقف التجارة بالعملات، فإنها لم توقف اذ كان التجار يأخذون السبائك الفضية والذهبية بأسعار رخيصة ويبيعونها بسعر عال في الخارج، خصوصاً تلك التي تشوهت بالثقب أو الطرق لدى استخدام النساء لها في زينتهن وحلاهن، هذا بالإضافة إلى انتشار التجارة الداخلية بالمسكوكات النحاسية، لاختلاف سعرها من بلدة لاخرى، فقد كان التجار يشترون المتاليك النحاس في بيروت بثلاث بارات، ثم يبيعونه في دمشق بخمس، مما أدى إلى تراكم تلك المسكوكات في دمشق وندرتها في بيروت^(٤).

(١) لسان الحال العدد ٤١٨٩ في ٥ كانون الثاني سنة ١٩٠٣.

(٢) لسان الحال العدد ٦٩٧٦، في أول تموز ١٩١٣.

(٣) المفيد العدد ١٠١٥، في ٣٠ حزيران ١٩١٣.

(٤) المصدر السابق.

ومن المشاكل النقدية الأخرى تزيف العملات، ولم يقتصر ذلك على السكان المحليين، بل كان الأجانب أحياناً يشتركون بالتزوير مستغلين خبراتهم الفنية بهذا الخصوص، ليجنوا الأرباح السريعة من وراء ذلك، حتى أنهم لم يتردعوا عن تزيف البشلك والالتليك النحاسيين، كما صنعوا من النحاس الأبيض قطعاً نقدية فضية مزيفة^(٥).

وكانت الدولة تضطر إلى تبديل العملة المزورة أو المسحوبة فضتها، أو تلك التي بحيث معاملها من كثرة الاستعمال بعملات جديدة «تعلن الدائرة البلدية ان ريات المجيدي وأقسامها المسروق منها فضة بواسطة سحبها بقاء الفضة وخلافه، من طرف الصيارف والمحتكرين والريالات المسوحة طغراؤها وكتابتها تماماً، بموجب الأوامر الواردة بهذا الخصوص يصير قطعها عند احضارها للخزينة وصناديق المال، واعطاء قيمتها لاصحابها عن كل درهم ستة وتسعين يارة بحسب وزنها.

وإن الريالات وأقسامها التي تكون ممسوحة من كثرة تداول الأيدي وطغراؤها وكتابتها ممكن قراءتها فهذه يجب قبولها حرصاً على المعاملات من الاختلال، وكل من يمتنع عن قبولها يؤخذ منه الجزاء النقدي المقرر قانوناً بحق من يخالف التنبيهات، رئيس بلدية بيروت: عبد القادر قباني»^(٦).

وكان عقاب من يزيف العملة، أو يغشها بسحب قيمتها من ذهب أو فضة، أو يطلي معدناً رخيصاً ليبدو شبه الذهب أو الفضة، أو يقوم بتهريب العملة إلى البلاد أو يروجها، الحبس مدة لا تقل عن عشر سنوات^(٧). أما إذا كان ذلك حاصلًا بالنسبة للعملات النحاسية فيعاقب بالسجن المؤقت^(٨).

وكان تداول العملات المعدنية بكثرة يتسبب في إختفاء الكتابة أو الشعار (الطغراء) عنها فتعرف «بالمسوحة» وكان البعض يمتنع عن قبولها، مما كان

(١) راتب الحامي، ص ١٣٧ و ١٣٨.

(٢) النشرة الاسبوعية، المجلد ٣٤، العدد ١٧٦٦، في ٢ كانون الأول ١٨٩٩، ص ٤٧٨.

(٣) المادة ١٤٣ من قانون الجزاء المهايوفي، الدستور، ج ١، ص ٣٥٠.

(٤) المادتان ١٤٣ و ١٤٥ من القانون المذكور، الدستور، ج ١، ص ٣٥٠.

يحدث ارتباطاً في المعاملات اليومية، فكانت السلطات تصدر التعليمات تبعاً بقبول تلك العملات وتهدد المتنعين بدفع غرامات مالية معينة « قالت جريدة الولاية:

لما كان من اللازم تداول المجيديات وأجزائها التي تكون كتابتها وطغراؤها مسوحة قليلاً بسبب كثرة معاطاتها، وكان عكس الحال يؤدي إلى مشاكل في المعاملات التجارية والبيع والشراء، فقد تداول مجلس إدارة الولاية المذاكرة في هذا الأمر، وقرر أن تؤخذ غرامة نقدية من يتردد في أخذ وقبول المجيديات وأقسامها المسوحة قليلاً، وأوعز مقام الولاية العالي بذلك لمن يقتضي، وقد أذعننا ذلك في جريدتنا ليحيط الجميع به علماً^(١).

لم يكن اختلاف قيمة العملة الواحدة بين بلدة وأخرى هو المشكلة فقط، بل ان قيمة النقد الواحد كانت تختلف في المدينة نفسها، بإختلاف البضاعة موضوع الصفقة. ذلك أن قيمة النقد الرئيسية كانت بقدر ما يحتويه من معدن خالص، وليس بقيمته الاسمية التي تحددها الدولة، فالسوق هو الذي يعين قيمة العملة وسعرها، وليس السلطة.

وعلى هذا فإن الليرة العثمانية الواحدة كانت لا توازي، أربع قطع من فئة ربع الليرة، وأربعة أرباع المجيدي كانت أكثر من قطعة المجيدي الواحدة، وقد بادرت الدولة العثمانية، في فترة متأخرة جداً، إلى إصدار قانون في ١٣ كانون الأول ١٩١٥ وضعت فيه أسعاراً موحدة للعملة العثمانية في كافة أنحاء البلاد، وقد راعت في تطبيقه الأوضاع الفعلية لأسعار النقد في السوق، فأصبحت الليرة العثمانية الذهبية تساوي رسمياً مئة وثمانية قروش، والمجيدي عشرين قرشاً، والبشلك قرشين ونصفاً، ونصفه قرشاً وربعاً، وهددت كل مخالف بالعقاب^(٢).

(١) لسان الحال، العدد ٢٩١٩، في ١٩ أيلول ١٨٩٨.

(٢) داوود كتمان: بيروت في التاريخ، ص ١٧٣.



شكري الزهار
١٨٦٧ - ١٩٢٠ تاجر وملاك



عبد الرحمن الانصاري
تاجر



نجيب الشماخ
١٨٦٩ - ١٩٥١ تاجر.



رفعة يوسف دبابة
١٨٥٢ - ١٩٢٨ تاجر وملاك

التجارة والصناعة والحرف

أولاً - التجارة:

نظمت الدولة العثمانية التجارة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، فصدر قانونها الأول في ٩ شوال سنة ١٢٧٦ هـ. (١٨٥٩) (١)، ثم التجارة البحرية في ٦ ربيع الأول سنة ١٢٨٠ هـ (١٨٦٣) (٢)، فقانون قلم دعاوى التجارة في ١٦ ربيع الأول سنة ١٢٨٥ هـ (١٨٦٨) (٣)، فقانون أصول المحاكم التجارية في ١٠ ربيع الآخر سنة ١٢٨٧ هـ (١٨٧١) (٤)، من أجل حل القضايا التجارية العالقة بين التجار.

وقد أهتمت الدولة العثمانية بالتجارة واعتبرتها عاملاً رئيسياً في رفاهية السكان وفي عمران البلاد، وان تنشيطها من أهم واجباتها (٥).

(١) الدستور، ج ١، ص ١٩٣.

(٢) الدستور، ج ١، ص ٢٦٦.

(٣) الدستور، ج ١، ص ٥٦٣.

(٤) الدستور، ج ١، ص ٥٣٥.

(٥) مقدمة قانون التجارة، الدستور، ج ١، ص ١٩٣.

هذا وقد عرّف القانون المذكور التجارة بأنها «الواد المدودة قانونياً من امور التجارة هي عبارة عن موائع كل نوع من الأشياء والأرزاق لاجل المبيع والأجور سواء كان على هيئته الأصلية أو من بعد عمله. وكذلك اشغال المعامل ومعاطاة القومسيون، ونقل الأشياء في البرور والبحور والأنهار والبحيرات والتمهيدات باعطاء ذخائر أو بضائع أو أشياء في احدى المحلات، ورؤية اشغال زيد وعمرو التجارية، وتخصيص المحلات وقتحها لأجل اجراء المزايدة على كل نوع يباع من الأشياء، ومعاملات تلك المحلات، وصناعة فتح المحلات لفرجة الناس وتسليتهم =

١ - التاجر المحلي والاجنبي:

تميزت صيدا، منذ أيام فخر الدين المعني الثاني، بعلاقات تجارية واسعة مع أوروبا، كما أمّا كثير من التجار الأوروبيين، خصوصاً الفرنسيون منهم، وإذا كان عددهم قد أخذ بالتناقص في أواخر القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر، فإنه سرعان ما أخذ بالزيادة منذ النصف الثاني لذلك القرن، بما حملته حركة التنظيمات إلى التجار الأوروبيين من امتيازات، كان من بينها، على صعيد التجارة، حقهم في عدم دفع أكثر من أربعة بالمائة رسوماً جمركية على البضائع التي يستوردونها، مقابل ١٨٪ وأحياناً ٢١٪ التي كان يدفعها التجار المحليون^(١). مما حدا بكثير من التجار، أبناء البلاد، الى دفع ثلاثة أو أربعة بالمائة من قيمة البضائع المستوردة إلى التجار الأوروبيين، ليسجلوها بأسمهم، وليدفعوا عنها الرسم الجمركي المخفض الذي كانوا يعاملون به. ولا شك أن هذا التصرف عكس واقع النفوذ الأوروبي ومدى سيطرته على الدولة العثمانية، بحيث كان التاجر الوطني يجد نفسه، في بلاده، بحاجة إلى التاجر الأجنبي ليحميه من سلطات بلاده نفسها^(٢).

كان معظم تجارة بلاد الشام بأيدي التجار المسيحيين واليهود، وكان هؤلاء المسيحيون من سكان البلاد، كالارمن واليونان والمسيحيين السوريين أو من المسيحيين الأوروبيين الذين قدموا هذه البلاد بقصد التجارة. وكانت تجارة الجملة، بشكل عام، بأيديهم^(٣). وكان التجار الأوروبيون في هذه البلاد قدموا

= كالتياترات واشغال القومبيو والصرافة والسمة وجميع معاملات البنوك والتعاويل التي تتعاطى بها الصيارف وجميع ما يقع من التعهدات ويحصل به الأخذ والمطاء بين كل شخص من سفاتج واوراق بون وتداول تنحرر فيا يتعلق بنقود وترسل من عل إلى آخر، أو لكي تمطى لأمر احد الاشخاص، أو لمن تكون بيده . . - راجع المادة ٢٨ من ذيل (ملحق) قانون التجارة، الدستور، ج ١، ص ٢٥٣. وعرف التاجر بأنه «كل رجل مشغل بالتجارة ويعقد بسبب التجارة مقاوله ومعاملة مربوطة بصكوك فهو تاجر ويطلق عليه أنه تاجر».

(١) راتب الحامي: ص ٥٤.

(٢) المرجع السابق، ص ٥٤ و ٥٥.

(٣) بيون وجب: المجتمع الاسلامي والغرب، ج ٢، ص ١٦٣.

من شتى موائلها ودولها، ولكن معظمهم كان من الفرنسيين يليهم البريطانيون
فالطليان.

وكانت غرفة تجارة مرسيليا تشرف على تجارة فرنسا مع الشرق، وكانت
تشتط على كل تاجر فرنسي راغب بالتجارة مع الشرق، أو بالذهاب إليه
بقصد التجارة، أن يقدم ضمانة مالية تؤمن قيامه بعملة بما يتناسب وأسمه
الفرنسي، وأن يعامل السكان بصدق وأمانة^(١).

وفي أواخر القرن التاسع عشر، أوجزت السفارة البريطانية في اسطنبول،
الطرق والاساليب التي على التجار البريطانيين، الراغبين بالتعامل مع الشرق،
أن يتبعوها، كي يجنبوا أنفسهم المضايقات، وتجارتهم الخسارة:

أن يتجنبوا التعامل مع البيوت التجارية المحلية مباشرة، بل يكون
التعامل بواسطة وكلاء، وأن الأفضل أن يكونوا أوروبيين ممن عرفوا المنطقة
وتكيفوا معها، وإلا يفتحوا حسابات جارية مع المستهلكين المحليين، وأن
يقبضوا ثمن فواتير الشحن نقداً. وأن يلجأوا إلى عون أقرب قنصل بريطاني
إذا ما واجهتهم المشاكل. وأن يبذلوا كل جهدهم في عمل تسويات مع السكان
المحليين، حتى يتجنبوا الالتجاء إلى الحاكم، لأن التسوية السيئة أفضل من
القضية الراجعة أمام الحاكم، كما عبّرت التعليقات.

(١) علي الحسني: ص ١٩٨.

من الميّد ان نذكر ان تعليقات غرفة تجارة مرسيليا الى التجار الفرنسيين العاملين في الشرق
في القرن التاسع عشر كانت بسيطة وخفيفة الوطأة، إذا ما قورنت بالتعليقات الصارمة التي
كانت تضعها القنصلية الفرنسية في صيدا في القرن الثامن عشر على التجار الفرنسيين العاملين
بالمدينة. فقد كان كل محل تجاري فرنسي ملزماً باستخدام سمار واحد، وان لا تبدأ عملية
البيع والشراء إلا عند افتتاح السوق (البازار) الاسبوعي بناداة الانكشاري المختص، وبعد
انتهاء السوق لم يكن للتاجر الفرنسي ان يشتري او يبيع شيئاً. كذلك لم يكن يحق له ان يحزن
شيئاً من البضاعة، لا في محله ولا في خان الافرنج، بعد انتهاء السوق مباشرة. مهددت
القنصلية المخالفين برفع دعاوي قانونية ضدهم، وصدرت تلك التعليقات في ٢٠ ايلول ١٧٣٠.
راجع:

ADEL ISMAIL: Documents Diplomatiques Et Consulaires, Relatifs A l'Histoire
Du Liban, Consulate de France D'seyde, tome I, Beyrouth 1957, PP. 263 - 269

وهناك نصيحة أخيرة جديرة بالتنويه، وهي أن السفارة أفتت أنظار التجار البريطانيين، إلى عدم استيراد بضائع إلى السوق العثماني تحمل «ماركات تجارية» أو ملصقات تحمل أية إشارات سياسية، أو قد تسيء إلى الشعور الإسلامي لأن ذلك يسبب صعوبات ومشاكل مع إدارة الجمرک العثمانية^(١).

ومع ذلك فإن كثيراً من التجار الأوروبيين العاملين في هذه البلاد، سعوا إلى الاستفادة مما كان ممنوحاً لهم من امتيازات، وتجاوزها إذا منحت لهم الفرصة، لكن محاولاتهم تلك كانت تصطدم بمعارضة السلطات العثمانية في معظم الأحيان. فعندما اشتكى التاجر الإنجليزي COATS (كوتس) المقيم في بيروت إلى المحكمة التجارية العثمانية، إن إبراهيم مخائيل الرباط قد قام بتقليد علامة تجارية فارقة (ماركة مسجلة) تخصه، أرادت قنصليته إرسال مندوب عنها لحضور الجلسات، لكن والي بيروت عبد الحالق نصوحي تدخل بحزم، وأعلن أن قانون التجارة العثمانية لا يبيح لها ذلك^(٢). وفي قضية أخرى خالف التاجر البريطاني هوردن HORDEN تعليمات بلدية بيروت، وأحتفظ بمحله التجاري بقبان كبير، مع انه لم يكن مسموحاً لأي تاجر أن يحتفظ بمحله بقبان، لأن ذلك من اختصاص ملتزم القبابة في السوق فقط، وقد طلب والي بيروت، خالد خليل، من القنصلية البريطانية في بيروت، التدخل بهذه القضية، حتى لا يكون ذلك امتيازاً للتاجر هوردن على التجار الآخرين^(٣). ومن التجار، في تلك الفترة، في مختلف فروع التجارة في صيدا:

تجار مال القبان: ومنهم صالح وحسن رضا زنتوت، ومحمود زنتوت، والحاج إبراهيم عيران، وعلي الكشتبان.

(١) مكتب السجلات العامة ف. و ٤٦٢/٧٨ تعليمات السفارة البريطانية في اسطنبول، نيسان ١٨٩٥.

(٢) مكتب السجلات العامة ف. و ١٨٨٦/١٩٥ رسالة والي بيروت الى القنصل البريطاني العام، ١٩ كانون الثاني ١٣١٠ مالية (١٨٩٤).

(٣) مكتب السجلات العامة ف. و ١٨٤٣/١٩٥ رسالة والي بيروت مؤرخة في ٤ ذي القعدة ١٣١١ هجرية ملحقة برسالة القنصل البريطاني العام EYRES، رقم ٢٦ الى السفير باسطنبول Sir, PHILIP في ٣٠ تموز ١٨٩٤.

تجار الفلال: الحاج محمد عسيران، ومحمد كشتبان.
تجار الزجاج (القزاز): هاشم وعبد الله البزري، والحاج رثيف عسيران.
تجار الأخشاب: مصطفى محمد الددا، ومصطفى النقيب.
وكان الخشب يجري استيراده من مصادر مختلفة خصوصاً من الاناضول،
على شكل أعمدة مربعة بطول ثلاثة أمتار تقريباً، وكان معظمه من النوع
القطراني^(١). تجار الجملة: وكان أبرزهم من عائلات الجبيلي، والنقيب
وكشتبان وغيرهم.

كما كان من التجار كذلك عبد الرحمن الانصاري، ومحمود ابو ظهر،
والشيخ حسين البزري، ونصوحى الأمين، ومحمد البيضاوي، وعبد الحليم
نعماني، وحد الله حد الشامي، وعباس فخر الدين، وداوود رزق الحاج،
ويعقوب ابراهيم عزام، وحسين علي عواضة، ولحيب الشاع. ومن التجار
المسيحيين حنا زاخر ونخلة الضباط، واسعد جبور، وابراهيم حبيب الغفري،
ومن اليهود ماير برزلاي وغيره.

كما كان من أصحاب محلات بيع الحلويات من عائلات السنيورة والقصير
والديماسي وشاكر.

وقد ظلت محلات صيدا التجارية صغيرة، ولم تعرف المخازن الكبيرة
«سوبر ماركت» كما حصل في بيروت، حيث بدأت في مطلع القرن العشرين
تظهر الاعلانات عن افتتاح مخازن كبيرة، كهذا الاعلان عن مخزن «بون
مارشي» الذي كان يبيع:

«القمصان والشماسي والعصي والكفوف والمراوح والقببات وربطات العنق
والفراشي والامشاط والبراويز والبرانيط والازرار والزنانير والكلسات
والمحارم والمناشف والجزادين والشتات والروائح والصابون المطيب والبودرة
والمقصات والعويسيات وأمواس الخلاقة وطقومة الاولاد واللعب والطرايش
والمزيكات وشيالات البنطلونات... وحتى مبيدات الحشرات»^(٢).

(١) مقابلة شخصية مع شريف الصفاوي الديراي وهو تجار عمره حوالي ٧٥ سنة.

(٢) لسان الحال، العدد ٤٩٢٥، في ٢٠ تشرين الأول ١٩٠٥، واصحابه جرجي كركر وجبران قندلفت، في سوق
اياس قرب البركة.

بموجب القوانين العثمانية السارية المفعول آنذاك، لم يكن يسمح بتعاطي التجارة إلا لمن بلغ الحادية والعشرين من عمره، ولكن كان يسمح لمن بلغ الثامنة عشرة من العمر أن يعمل بالتجارة شرط أن يكفله وليه، وأن يستحصل على إذن من محكمة التجارة^(١).

وكان على كل تاجر أن يستعمل قيوداً رسمية يسجل بها معاملاته اليومية والشهرية، وكذلك كافة مراسلاته التجارية، كما كان عليه عمل ميزانية سنوية لهله (بلائجو) في دفتر خاص^(٢).

وكان الترخيص بأي عمل تجاري أو صناعي، أو امتياز امتلاك حانوت، يدعى «كديك»، باعت خديجة بنت سعيد الصباغ، وعلي بن حسين المهتار، إلى الخواجة جرجس بن يوسف النعسان، جميع كامل كادك الدكان المعروفة بمصبغة بني زهرة الواقعة في محلة باب البلد التحتاني^(٣).

كما تألفت الشركات التجارية لتقوم بالعمل التجاري أو الصناعي بشكل واسع، وبموجب القوانين كانت تندرج تحت ثلاث فئات: الأولى الشركة الشاملة لمجموع الشركاء وكانت تدعى قوللقتيف أو العمومية، وتتألف من شريكين فأكثر. والثانية شركة الوصية وكانت تدعى قوماندت أو التوصية. وفيها يكون الشركاء طرفاً، والوصي أو واضع رأس المال طرفاً ثانياً. والثالثة الشركة الواقعة حسب السهام من غير ذكر أسم صاحب الحصة، وكانت تدعى انونيم أي غير المسماة^(٤) (مغفلة باصطلاحنا الحاضر).

وتنوعت وسائل التجارة وعرض البضاعة، فكان هناك البائع الجوال والمبسط، وصاحب المحل أو الدكان، والذي كان مركزه في الخان.

أما الخانات فكانت تستخدم غالباً لتخزين البضائع، والبيع بالجملة،

(١) المادة الثانية من قانون التجارة، دستور، ج ١، ص ١٩٣.

(٢) اللادتان ٣ و ٤ من قانون التجارة، دستور، ج ١، ص ١٩٤.

(٣) المحكمة الشرعية في صيدا، سجل رقم ١، نمرة ٩، في ١١ رجب الفرد ١٢٨٥ هـ. (١٨٦٨).

(٤) المواد ١٠ و ١١ و ١٤ من قانون التجارة، دستور، ج ١، ص ١٩٥.

وظلت الخانات تستخدم في التجارة طيلة القرن التاسع عشر، ثم أخذ التجار، منذ أوائل القرن العشرين، يهجرون الخانات تدريجياً ليتخذوا حوانيتهم في المراكز الحديثة التي أنشئت خارج أسوار المدينة القديمة، وبعد أن أخذ عمران صيدا يتسع وينتشر خارج أسوارها.

ومن أبرز الخانات في تلك الفترة: خان الافرنج، وخان الرز (١) وخان الحلبي، وخان الدباغة، وخان الحمص، والخان الصغير وخان القمح، وأساؤها، عموماً تدل على نوع البضاعة التي كانت تباع فيها. وفي دليل للمسافرين إلى سوريا وفلسطين لسنة ١٨٦٨، أن في صيدا ست خانات كبيرة كانت تسمى وكالات، (٢) وفي تلك الخانات كانت تعقد الصفقات الكبرى، وفي كل خان نوع واحد من البضاعة غالباً (٣).

أما المحلات التجارية «الدكاكين» فكانت موزعة في أسواق مختلفة، وكان كل سوق مختصاً بمهنة معينة، أو يبيع أنواعاً محددة من السلع أو البضائع. وفيها يبي بعض أشهر تلك الأسواق في مدينة صيدا، وما هو جدير بالذكر أن كثيراً منها لا يزال موجوداً حتى الآن بأسمه ورسمه: «سوق البيطرة» كان يباع فيه كل ما يتعلق بطب الحيوان، كالخيل والحمير والبغال. كما كان يجري فيه وضع «الحدوات» لحيوانات النقل لصيانة قوائمها، و«سوق الصرمانية» حيث كان يباع فيه كل ما يتعلق بالأحذية، و«سوق السكاف» حيث كانت تصنع الأحذية وتصلح وتباع أيضاً. و«سوق الذراع» الذي كانت تباع فيه الأقمشة المختلفة التي كانت تقاس بالذراع عادة، و«سوق البازرگان» (٤) حيث كانت تباع الأقمشة والازرار والملابس وكل ما يتعلق بالخياطة. وكان السوق يستمد اسمه، عادة، من الحرفة السائدة فيه.

(١) خان الافرنج لا يزال بحالة جيدة وبه اليوم مين ومدرسة لراحيات القديس يوسف. وبناء خان الرز لا يزال قائماً ولكنه لا يستعمل كسوق تجاري، بل تقم في جانب من طابقه الاعلى بعض العائلات المهجرة، في طابقه الأرضي مشغل نجارة ومستودع لبعض التجار.

(2) John Murray: A Hand book for travellers in Syria and palestine, London, 1866, Vol. 2, P. 376.

(٣) بونون وجب، مرجع سابق، ج ٢، ص ١١٧.

(٤) اصلها بازاركان بمعنى تاجر باللغة الفارسية.

وهناك أيضاً أسواق للتجارين والحدادين، والمنجدين والخطاطين، وباعة الخضار وباعة الخردوات، والتنانين والجلد والسختيان،^(١) وباعة الملابس والقضامي والمحصانية، وكذلك سوق الحراج (المزاد)، وسوق البوستة والسوق الجديد، وسوق الخضرية.

أما التبسيط (وضع البضاعة على البسطة)، فكان يلجأ إليه الباعة القادمون إلى صيدا من خارجها، أو غير القادرين على فتح حانوت باسمهم، فكان الحوارنة مثلاً (الباعة القادمون من حوران)، يسطون في الساحة التي تلاصق جامع السرايا، داخل صيدا القديمة، ما لديهم من حبوب قدموا بها لبيعها،^(٢) وكان باعة الليمون يصفون احجاراً قرب مجرى ماء القملة، في فسحة من الطريق قرب الجامع البراني، لبيعوا ما لديهم ايام الموسم.^(٣) كما كانت البائعات الصيداويات يضعن على الأرصفة، في طريق الشاكرية، ما قمن بصنعه، من لبن وجبن وخبز، ويبعنه من العابرين في تلك الطريق المزدهجة.^(٤)

كما كانت القرويات القادمات من الضواحي بالبستين الوردية والزرقاء، يأتين كل صباح إلى صيدا ليعن من سكانها الحليب،^(٥) أو ما انتجته من قطن بعد معالجته من البذور.^(٦) وفي الربيع، يبعن في أسواق صيدا ما قمن بجمعه، من نباتات برية خضراء، من التلال المجاورة.

وكان البعض يتجول في الأزقة وبين البيوت، يحمل بضاعته في «قفة» يرفعها على رأسه، أو في «سَل» يحمله بين يديه. وكانت البلدية تلاحق الباعة المتجولين المخالفين، فتمنع وضع بسطاتهم في أماكن تعرقل العابرين «سعد الدين المجدرة وضع بسطته أمام كنيسة الكاثوليك مما عرقل مرور الناس ففرمته البلدية بدفع خمسة ارباع المجيدي ورفع البسطة»^(٧). كما منعت باعة الفحم

(١) سختيان جلد الماعز بعد دهنه.

(٢) المحكمة الشرعية في صيدا سجل رقم ٣٢.

(٣) المحكمة الشرعية في صيدا سجل رقم ٢٩.

(٤) التميمي وبهجت، ص ١٦٥.

(٥) لويس لورته: مشاهدات في لبنان، ترجمة كرم البستاني، بيروت، ١٩٥١، ص ١١٩.

(٦) المصدر السابق، ص ١١٤.

(٧) بلدية صيدا قرار بلدي نومرو ١٧٩ في ١٧ كانون ثاني ١٣٢٥.

والخطب، القادمين من القرى المجاورة، من التجول بما تحمله دوابهم في أسواق صيدا، وحاولت إيجاد موقف لهم في ساحة السرايا بوسط المدينة. وفرضت على أصحاب المحلات، كذلك، عدم وضع الصناديق أو الزنايل أو السلال، سواء كانت بها بضاعة أم فارغة، أمام محلاتهم بطريقة تمنع مرور الناس بسهولة.

وقد فرضت الأنظمة على الذين يسطون بضاعتهم للبيع، سواء على «الطبلات» أو في «القُفَّ»، أن لا ييارحوا امكنتهم التي تعينها لهم الشرطة. مدة ساعتين أو ثلاثاً صباحاً ومساءً. ولم يكن مسموحاً لهم أن يتخذوا محلاً ثابتاً، أو يرفعوا ستاراً أو غيره مما يعوق المرور، وألاً يضعوا بسطاتهم (من طبلات أو قُفَّ)، في غير الأماكن التي سمح لهم بها، وهددت العقوبات بالمخالف^(١).

كما حرم على النساء الدخول إلى المحلات والجلوس فيها، حتى لو كان ذلك بانتظار شراء شيء منها، كما كان محرماً عليهن الدخول للأماكن المخصصة للرجال فقط، وكان على الضابطة عمل تقرير بصاحب كل محل تشاهد نساء جالسات في محله^(٢)، ومن النصوص السابقة يمكن الاستنتاج أن المحلات في صيدا لم تكن تستخدم الأنث في أي سبب كان. وهذا لا يمنع أن بعض النسوة كن يقفن في سوق الشاكرية إلى جانب الشيخ والشاب، ينادين على بضاعتهم التي قمن بتبسيطها^(٣)، دون أن يعترضهن أحد.

ومثل الاناث، كذلك كان محرماً على الرجال دخول الأماكن المخصصة للنساء، وكذلك عدم القيام بأي عمل مخالف للآداب العامة في الأسواق والطرق وخصوصاً المنتزهات، كما كان محرماً عليهم احتساء الشراب علناً، والسكر واحداث الضوضاء، وازعاج العابرين، وهددت تعليات الضابطة المخالف بأشد العقاب^(٤).

(١) نظام تعليات الضابطة في ٢٣ محرم ١٢٧٨ هـ، الدستور، ج ٢، المادة ١٢، ص ٦٧٢.

(٢) المادة ٣٦ من النظام المذكور، ص ٦٧٧.

(٣) التميمي وبهجت، ص ١٦٥.

(٤) المادة ٣٧ من النظام المذكور، ص ٦٧٧.

كما كان مفروضاً على كل تاجر أن يكنس أمام باب محله ، يومياً ، وأن يحسح واجهة محله الزجاجية (القزاز) دائماً لتبقى نظيفة^(١).

كانت الأسواق في داخل صيدا القديمة ضيقة ، والدكاكين متقاربة ، وكان لكل دكان مظلة ساترة من القماش أو الخيش (الجنفيس) لحماية مدخل المحل من وهج الشمس أو زخات المطر.

ولكل تاجر مصطبة أو مقعد يجلس عليه يتجاذب الحديث مع جاره المواجه له بانتظار مجيء الزبون ، وعندما يريد مغادرة دكانه للصلاة أو لأمر طرأ له ، كان يضع شبكة على باب الدكان ، ويعني ذلك إنه عائد سريعاً.

وكان الاعلان عن البضاعة الجديدة يتم غالباً بواسطة الدلال ، الذي يطوف بالأسواق وبين البيوت محدداً نوع البضاعة ومركز بيعها ، كما كان الدلال يقوم أحياناً بمهمة الوساطة (السمرة) في سوق الجملة . وكان تحصيل رسوم الدلالة يوضع في المزايدة ، فإذا رسا على أحد الأشخاص أصبح هو ملتزمه لسنة كاملة ، فمثلاً في سنة ١٩٠٩ التزم الدلالة في سوق صيدا رشيد سعيد الرئيس ومحمود حنينه بمبلغ ٨٥٠ قرشاً^(٢) . وسنة ١٨٩٣ مثلاً كان الدلال الحاج علي الحلبي ومحمد طالب ، وعندما قام الحلبي بالدلالة على دكاكين البلدية لتأجيرها ، قبض ٣٨ قرشاً أجرة الدلالة^(٣).

وكان يقام في صيدا سوق أسبوعي ، ففي القرن الثامن عشر كان مواعده يومي الاثنين والثلاثاء ، وفي سنة ١٩٠٩ اعيد السوق الاسبوعي بجعله يوم الأحد من كل اسبوع واتخذت ساحة التدريب العسكري السابقة مركزاً له ، وذلك بناء على طلب سلطات ولاية بيروت أن يقام في مراكز الاولوية والاقضية أسواق عمومية اسبوعية^(٤).

(١) المادة ٥ من النظام المذكور ، ص ٦٧٢ .

(٢) بلدية صيدا ، قرار نومرو ٤٥ ، في ١٩ مارت ١٣٢٥ .

(٣) بلدية صيدا ، نفقات تموز لسنة ١٣٠٨ مالية .

(٤) بلدية صيدا ، قرار نومرو ١٧ في ٥ نيسان ١٣٢٦ . هذا وكان السوق الاسبوعي في النبطية يوم الاثنين وفي جزين يوم السبت ويستمر حتى الاحد . راجع البرق العدد ٦٦ ، في ٦ تشرين الثاني سنة ١٩٠٩ .

بالإضافة للسوق الأسبوعي كانت تقام في صيدا وفي غيرها أسواق موسمية وأخرى سنوية على شكل معارض عامة. فمثلاً كان يقام سوق سنوي لشرانق الحرير في «القناية» شرق صيدا في شهر حزيران من كل عام^(١).

وفي سنة ١٩٠٢ أقيم معرض لانتاج الحرير في حديقة الحميدية^(٢) اشترك فيه عارضون من أنحاء ولاية بيروت، ونال أحد الصيداويين، وهو أحمد أفندي الخطيب، الجائزة السابعة وكانت خمس ليرات عثمانية ذهباً وميدالية من النيكل^(٣).

٣- الموازين والمكاييل والمقاييس:

اتّسم وضع الموازين والمكاييل والمقاييس العثمانية بالفوضى، لأنها لم تكن موحدة ليس بين الولايات فقط، بل حتى في مدن الولاية الواحدة، بحيث كاد يكون لكل مدينة أوزانها ومكاييلها ومقاييسها الخاصة بها.

في الوزن كانت القمحة هي وحدته الأساسية وكانت تعادل ٥٥ و ٥٠ من الغرام. فالقيراط وكان أربع حبات قمح (أي ٢٠ و ١٠ من الغرام) فالدرهم الذي كان يساوي ١٦ قيراطاً (أي ٣٠٠ غراماً) فالثقال الذي كان يعادل درهماً ونصف الدرهم أو ٢٤ قيراطاً (أي ٤٠٠ غراماً).

وكان وزن الاوقية ٢١٥ غراماً، والاقّة ١,١٨٢ كيلوغراماً، والرطل ٢,٥٦٤ كيلوغراماً. والقنطار القديم ٣٢٠ كيلوغراماً والقنطار الجديد كان يساوي ٢٥٦ كيلوغراماً^(٤).

لكن الأرقام السابقة لا توضح صورة الواقع اليومي الذي كان يعيشه البائع والمشتري. فقد كاد يكون لكل نوع من البضاعة قيراطه وأوقيته ورطله الخاص به. فدرهم المعادن الثمينة (كالذهب والفضة) كان يساوي ١٦ قيراطاً،

(١) ثمرات الفنون العدد ١٥٦٧، في ١٨ حزيران ١٩٠٦.

(٢) وهي المعروفة اليوم بساحة الشهداء (البرج).

(٣) نال الجائزة الأولى وقيمتها عشر ليرات عثمانية وميدالية ذهبية الشيخ محمد الشهاب من طرابلس.

ثمرات الفنون، العدد ١٣٨٨، في ٢١ تموز ١٩٠٢.

(٤) مسعود ضاهر، ص ٢٤٨.

والقيراط كان يعادل أربع قمحات^(١)، لكن قيراط الادوية كان يعادل عشرين قمحة، كما ان الدرهم المستخدم لوزنها كان يساوي ثلاثة قرايرط^(٢).

والرطل الشامي أو الاسطنبولي كان هو الرطل الرسمي، وكان يساوي اثنى عشر أوقية. لكن هناك أكثر من رطل واحد، فكان رطل صيدا يساوي ١٥ أوقية، ورطل جزين ١٨,٥ أوقية، ورطل الشويفات ١٣,٥ أوقية، وغيرها^(٣).

وبينا كان الرطل الحلبي هو الشائع في التجارة، ويساوي ٧٢٠ درهماً، فإن الرطل الشامي كان يساوي ٦٨٠ درهماً فقط^(٤).

وقد سعت السلطات في توحيد الأوزان والمقاييس في أنحاء الدولة العثمانية، وفرضت النظام العشري، في سنة ١٢٨٦ (١٨٦٩)^(٥). لكن أهل بلاد الشام ظلوا يستخدمون الأوزان والمكاييل التي تعودوها، فصار هناك مقاييس وأوزان جديدة وأخرى قديمة، وظل الحال كذلك حتى أواخر القرن التاسع عشر، حيث أخذت الأوزان والمقاييس الجديدة تحل محل القديمة وان تم ذلك ببطء شديد.

ساهمت هذه الفوضى في عرقلة النشاط التجاري، وحدت من سرعة تصريف المحاصيل الزراعية، لأن الاختلاف في الأوزان والمقاييس بين بلدة

(١) راتب الحسامي، ص ١٩٠.

(٢) القنصلية الاميركية: ت ٣٦٧/ ج ١١ تقرير القنصل الاميركي العام في بيروت لسنة ١٨٧٣، ص ٥٣.

(٣) مسعود ضاهر، ص ٢٤٩.

(٤) كان رطل الحرير الحلبي يساوي ٦٨٠ درهماً، ورطل الحرير الابيض ٧٠٠ درهم، ورطل النيلة ٧٨٠ درهماً. واقة الحرير في بيروت ودمشق كانت تساوي ٤١٠ دراهم، اما في حلب وحمص فكانت ٤٠٠ درهم.

هذا وكان للزيت رطل صيداوي يساوي ثلاث اقات، ومعظم اسواق صيدا راج فيها استعمال الرطل الاسطنبولي. مقابلة شخصية مع الحاج احمد ابراهيم البني (٧٦ سنة) آذار ١٩٨٠.

(٥) قانون المساحات والميازين والكيول الجديدة في ٢٠ جمادي الآخر سنة ١٢٨٦ هـ، الدستور، ج ١، ص ٥٠٦.

وأخرى، وبين سلعة وسلعة كان يتم، في الغالب، لصالح التجار على حساب المزارعين، فكان الفلاح يكيل أو يزن بميزان ومكيال، ويشتري بآخر. والمكاييل اختلفت حجوما وسعتها، لكن وحدتها الأساسية كانت « المد » وكان يعادل ١٨ لتراً أو ١٨ كيلوغراماً. وكانت اجزأؤه ومضاعفاته:

الثنوية	وتساوي ١/٨ مد	= ٢,٢٥ لترا
الربعية	وتساوي ١/٤ مد	= ٤,٥٠ لترا
الكيل (أو الكيلة) وتساوي مدتين		= ٣٦ لترا
الشبل	ويساوي ثلاث كيلات	= ١٠,٨ لترات
الفرارة	وتساوي ١٢ شبلا	= ١٢٩٦ لترا ^(١)

وكان المد وأجزأؤه ومضاعفاته يستخدم لكيل الحبوب خاصة القمح. ولم يكن المد موحداً، فبينما كان مد القمح في صيدا يساوي ١٢ ١/٢ كيلوغراماً كان وزنه في صور والنبطية ١٣ ١/٢ كيلوغراماً. وكان مد الشعير في صيدا ٩ كيلوغرامات، بينما كان في صور ١٠. وفي البقاع الجنوبي ١٤ كيلوغراماً. كما كان مدّ الذرة في صيدا ١١ كيلوغراماً وفي النبطية كان ١١ ١/٢ كيلوغراماً.^(٢)

وكان « الارذب » يستعمل لوزن الرز خاصة، وكان يعادل ثلاث قفف وزن الواحدة منها أربعين رطلاً حلبياً. وكان الزيت والسمسم يكال أحياناً بالجرة وكانت جرة الزيت عموماً تساوي ١٥ اقة، وجرة السمسم ١١ ١/٤ اقة^(٣). أما بالنسبة للمقاييس فقد كانت أكثر توحيداً وأقل تعقيداً من المكاييل والموازين، وكانت وحدتها الرئيسية الذراع^(٤).

(١) تقويم البشير لسنة ١٩٠١.

(٢) سمود ظاهر ص ٢٤٩.

(٣) راتب الهامي: ص ١٩٣.

(٤) كانت اجزأؤه، حسب المقاييس القديمة حبة الشعير (بطول ٤,٧١ ملمترا) وكل ست شعيرات تعادل اصباً (بطول ٣,٨٢ سنتمترا) وكل أربعة اصابع تعادل قبضة (بطول ١١,٢٩ سنتمترا).

وكان الذراع الشامي يساوي $1\frac{1}{2}$ ٦٧ سنتمتراً، وكان يدعى أيضاً بالتجاري لكثرة تداوله في التجارة. ومع ذلك فهو لم يكن موحد القياس تماماً^(١). والذراع المماري وكان طوله ٧٥ سنتمتراً وكان يستخدم أساساً في قياس الأراضي، والأبنية، وكانت مضاعفاته «الباع» وكان يعادل أربعة أذرع، و «الميل الهاشمي» وكان يعادل ألف ذراع، ثم «الفرسخ» وكان يساوي ثلاثة أميال، ثم «البريد» وكان يعادل أربعة فراسخ^(٢).

بالإضافة لذلك كان «الدوم» يستعمل أيضاً لقياس مساحة الأراضي، وكان يعادل ٧٠٠ متر مربع، و «الفدان» وكان يساوي ٧٥٤ متراً مربعاً، كما أن «الميل العثماني» كان يساوي المسافة التي يستطيع حصان محمل قطعها خلال ساعة واحدة، ومن هنا فإن قياس المسافات بالكيلومترات كان شائعاً في الخطوط الحديدية والطرق المرصوفة، لكن المسافات بين المدن كانت تحسب عادة بالساعة، فيقال إن صيدا تبعد عن بيروت مسافة ست ساعات.

وفي القانون الذي أصدرته الدولة سنة ١٨٦٩ بشأن القياسات، أعتبرت المربع أو الأر وحدة قياس مساحة الأرض ويعادل مئة ذراع مربع، ثم الجريب أو الهكتار ويعادل عشرة آلاف ذراع مربع. وأعتبر الذراع الاعشاري لقياس الأطوال، وله عشر ($1/10$) وعشير ($1/100$) ومعمار ($1/1000$) الذراع، أما مضاعفاته فكانت الميل الأعشاري ويساوي ألف ذراع والفرسخ الأعشاري ويساوي عشرة آلاف ذراع^(٣).

ورغم جهود الحكومة، فإن المقاييس والأوزان القديمة، استمرت في الاستعمال إلى جانب المقاييس والأوزان الجديدة التي أخذت بالانتشار ببطء.

(١) ذكر راتب الحسامي في الصفحة ١٩٣ أن طوله $1\frac{1}{2}$ ٦٨ سنتمتراً، بينما ورد في تقويم البشير لسنة ١٩٠١ أن طوله كان ٦٧,٧٥ سنتمتراً، وورد في كتاب Palestine and Syria لمؤلفه KARL BAEDKER في الصفحة ٣٠ أن ذراع قياس الاقنشة الحريية كان طوله ٦٨,٧ سنتمتراً والاقنشة القطنية ٦٥ سنتمتراً، وكانت الاقنشة الخام تقاس بذراع الهندسة وطوله ٦٥ سنتمتراً.

(٢) تقويم البشير لسنة ١٩٠١.

(٣) قانون المساحات.... الدستور، ج ١٩، ص ٥٠١.

رغم ان قانون العقوبات العثمانية منع استخدام أية أوزان أو مقاييس غير تلك التي تفرضها الدولة رسمياً « الذين يضعون في دكاكينهم أو في الأسواق ومجلات البيع والشراء وزناً ناقصة أو قبايين وميزانين فاسدة أو كيولا ناقصة أو يستعملون أوزاناً أو كيولاً غير الأوزان والكيول المعينة والمستعملة نظاماً، فمن بعد أن يؤخذ منهم تلك الأوزان والكيول وتضبط، يؤخذ منهم أيضاً من ١٠ - ١٥ بشلكا جزاءاً نقدياً »^(١).

وفي المدن كان ضبط الموازين والمكايل بدقة من واجبات البلديات وفي هذا السبيل فإن بلدية صيدا كانت ناشطة في اداء مهمتها، وتطالعنا سجلاتها لتلك الفترة بأمثلة وافرة في هذا الصدد « حيث وجد ان خبز حسين الظريف ناقص الوزن، لذلك تقرر تغريمه بخمسة بशलوك جزاءاً نقدياً ولأجل تحصيل هذا الجزاء منه صدر هذا القرار »^(٢) وأيضاً « من زورنال مفتش الدائرة ومن التحقيقات الجارية مجلساً، تبين أن ديب الزياوي واحد ناصر ومحمد حنيني وديب ضافر قد استعملوا في دكاكينهم عبارات ناقصة، توفيقاً للمادة ٢٦٢ من قانون الجزاء تقرر تغريم كل منهم بخمسة ارباع المجيدي جزاءاً نقدياً »^(٣).

ولم تكن البلدية تنهون في مجازاة أي بائع يرتكب مخالفة تضر بمصلحة المستهلك الصيداوي، بل كانت تشدد عليه الجزاء أحياناً « تقدم تقرير من طرف مفتش الدائرة أنيس المجدوب والجاويش محمد كمال مفاده ان عبد السلام الاقشر واضع في الطريق العمومية سلّ سمك يبيعه ولكن الميزان غير مضبوط وفيه خلل والعيارات ناقصة... ولما كان ذلك قد تكرر منه (فقد) تقرر تغريمه بعشرة ارباع المجيدي ... »^(٤) وعندما تبين أن أنيس الغزاوي باع اقة سمك إلى حسين بك الجوهرى، وجدها المفتش سعيد القطب عند وزنها تنقص نصف أوقية عن الوزن الحقيقي، فإن المجلس البلدي اتخذ قراراً بتغريمه خمسة عشر

(١) المادة ٢٦٢ من قانون الجزاء الهايوتي، الدستور، ج ١، ص ٣٧٢.

(٢) بلدية صيدا، قرار نومرو ٨٧ في ٢٥ حزيران ١٣٢٥ (١٩٠٩).

(٣) بلدية صيدا، قرار نومرو ٦٨ في ١١ مايس ١٣٢٥.

(٤) بلدية صيدا، قرار نومرو ٣١ في ٢٠ نيسان ١٣٢٦ (١٩١٠).

ربع ريال مجيدي، لأن ميزانه كان مضبوطاً، لكن نية الغش موجودة لديه^(١).

ومن السجلات التي اطلعنا عليها، والتي تضم مئات المخالفات من هذا النوع، يمكننا القول ان موظفي البلدية، آنذاك، كانوا شديدي النشاط في تعقب التجار والباعة المخالفين، وفي عدم التهاون معهم حماية للمستهلك الصيداوي ودفاعاً عن مصلحته، كما يمكن أن نضيف أن النزعة للتفتُّل من القانون ولا حراز الكسب السريع عن طريق الغش في البضاعة أو انقاص وزنها كانت متوفرة في تلك الأيام، شأنها اليوم.

٤ - الأسعار ومخالفات التسعيرة:

كان تسعير السلع، ومراقبة الأسعار مراقبة دائمة من المهام التي كانت تقوم بها بلدية صيدا. و «التسعير» أو تحديد الثمن في الولايات العربية من الدولة العثمانية كان هدف الحكومة منه حماية المستهلك، ومنع «طوائف» التجار من اللجوء إلى الاحتكار أو رفع الأسعار من جانبها، وكان غير مسموح لأي بائع أن يتجاوز السعر المحدد لسلعته، وإن كان مسموحاً له ان يبيع بأقل منه، لكن ذلك كان نادراً^(٢) وطبقاً للقانون فإن البلدية كانت توقع العقوبات المالية على المخالف، كما كان يحق لها إحالته إلى السلطات المختصة لتوقيع عقوبات اشد كالسجن وغيره. وكان كل «الذين يبيعون اشياء بما يزيد عن سعرها المعين والمعلن نظاماً يؤخذ منهم من ١٠-١٥ بشلكا جزاء نقدياً، ويجازون بالحبس من ٢٤ ساعة إلى ثلاثة ايام. واذا كانت الأشياء التي باعوها بما زاد عن سعرها على ما ذكر، هي من حوائج الناس الضرورية مثل الخبز واللحم والخطب يجبسون من ثلاثة أيام إلى اسبوع واحد ويؤخذ من ١٥-٢٠ بشلكا جزاءاً نقدياً»^(٣).

والتركيب الاقتصادي في صيدا في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، لم يكن على درجة من التعقيد تجعله مرتبطاً بالاقتصاد

(١) بلدية صيدا، قرار نومرو ٢٥، في ١٩ مايس ١٣٢٦.

(٢) بوون وجب، ص ١٢٣.

(٣) المادة ٢٩٣ من قانون الجزاء الهايوفي، الدستور، ج ١، ص ٢٧٣.

العالمي، بل كان اقتصاداً محلياً بسيطاً، ومع هذا فإننا نلمح إشارات ودلائل على تأثير الأحداث العالمية على الأوضاع التجارية والاقتصادية في بلدة صغيرة كصيدا آنذاك. ففي سنة ١٨٨٣ اضطرب حال التجارة في صيدا، بسبب اختلال علاقتها التجارية مع مصر بعد احتلال الانجليز لها، علماً بأن جزءاً كبيراً من تجارة صيدا، استيراداً وتصديراً، كان مع مصر. كما أدت العوامل الجوية السيئة سنة ١٩٠٧ إلى اضطراب الوضع الاقتصادي في صيدا، وإلى ارتفاع شديد في أسعار كثير من الحاجات، وصفه المعاصرون بأنه لا مثيل له منذ ثلاثين سنة^(١). حتى ان الحرب بين الولايات المتحدة واسبانيا سنة ١٨٩٨، أثرت في أضعاف الحركة التجارية في صيدا وغيرها من سواحل بلاد الشام، لانقطاع البلدين للتجارين عن الاستيراد^(٢).

كانت سلطات صيدا المحلية تحدد الأسعار لكافة السلع وتراقب تنفيذها، وتوقع غرامات على المخالفين، خصوصاً في المواد التي اعتبرها قانون العقوبات العثماني ضرورية لكل مواطن، وهي الخبز واللحم والخطب.

والخبز في صيدا كان نوعين: الخبز البلدي والخبز السميد^(٣). وفي سنة ١٩٠٩ مثلاً عدلت بلدية صيدا سعر الخبز ثلاث مرات كلها كانت لمصلحة المستهلك. ففي أيار كان سعره خمسة قروش لرطل السميد منه، وأربعة للبلدي^(٤). وفي الشهر التالي جعلته أربعة قروش وثلاثين بارة لخبز السميد وثلاثة قروش وعشرين بارة لرطل الخبز البلدي^(٥)، وبعد أربعة أيام انقصت البلدي إلى ثلاثة قروش وخمس بارات فقط^(٦). وفي السنة التالية جمعت رطل

(١) احمد عارف الزين، ص ١٣٠.

(٢) لسان الحال، العدد ٢٨١٢، في ١٦ ايار ١٨٩٨.

(٣) اما في بيروت فكان الخبز ثلاثة انواع هي البلدي (وكان على ثلاث درجات عال ووسط واسمر) والرومي (وكان ثلاث درجات كالبلدي) والتنوري (اي المرقوق) وكان اعلاها سعرا الرومي العال والتنوري (الاقة بثمانين بارة) فالرومي والبلدي الوسط (٧٠ بارة) فالاسمر منها (٦٠ بارة) وهذه كانت اسعار الخبز في اواخر القرن التاسع عشر راجع ثمرات الفنون، العدد ١١٤٨، في ١٥ ايلول ١٨٩٧.

(٤) بلدية صيدا قرار نمرو ٦٢ في ٥ مايس (ايار) سنة ١٣٢٥ (١٩٠٩).

(٥) بلدية صيدا قرار نمرو ٨٥ في ٢٥ حزيران ١٣٢٥

(٦) بلدية صيدا قرار نمرو ٨٨ في ٢٩ حزيران ١٣٢٥

خبز السميد خمسة قروش وعشر بارات والخبز البلدي أربعة قروش للرطل منه،^(١) وظل هذا السعر تقريباً حتى الحرب العالمية الأولى^(٢).

هذه الأسعار كان يجري اعلام اصحاب الأفران وباعة الخبز بها مباشرة حتى يتقيدوا بها، فإن لم يفعلوا كان مفتشو البلدية لهم بالمرصاد «ضبط مفتش البلدية أنيس المهدوب المدعو محمود أبو الشامات يبيع الخبز بسعر أعلى من المقرر. وقد وافق المجلس البلدي على تغريمه مجدياً وربحاً تطبيقاً للمادة ٢٥٤ من قانون العقوبات»^(٣) كما كان عقاب أحمد ابراهيم القبرلي دفع عشرين ربيع مجدي لأنه باع الخبز السميد أعلى من التسعيرة وانقص من وزن الخبز المباع^(٤).

وفي سنة ١٨٧٠ صدر «نظام الخبازين»، وبموجبه صار فتح فرن جديد يتطلب اجازة من السلطات، وان يجري فيه وسائل التطهير والنظافة الدائمة، كما فرضت على صاحب الفرن الا يقفله يومين متتاليين بدون اسباب مشروعة، والا يبيع الخبز إلا في الأماكن التي حددتها البلدية.

ولتعرف مصدر الخبز المباع، فرضت على كل فرن ان يضع رقماً خاصاً على خبزه ليجري التعرف إليه، ومنعت بيع الخبز البائت مع الطازج، وفرضت على من يبيع الخبز دون أوراق تحفظه أو دون وزن غرامة جزائية من شليكين إلى عشرة بشالك.

كما فرضت على من يؤد الاشتغال بالافران ان يكون صحيح البنية خالياً من الامراض خصوصاً الجلدية منها^(٥).

(١) بلدية صيدا قرار نومرو ٧١ في ١٥ تموز ١٣٢٦.

(٢) بلدية صيدا نومرو ٩٩ في ٢٥ كانون اول ١٣٣٠ (١٩١٤). وللمقارنة فان اسعار الخبز في بيروت لسنة ١٩١٣ كانت ستة قروش لرطل الخبز من الباب الاول وخسة قروش وثلاثين بارة لرطله من الباب الثاني وخسة قروش لرطله من الباب الثالث. وفي دمشق كان سعر الخبز أرخص. راجع الاتحاد العمالي، العدد ١٣٤٩، في ٢٦ شباط ١٩١٣.

(٣) بلدية صيدا قرار نومرو ١٢٣ في ٢٦ اغسطس ١٣٢٥.

(٤) بلدية صيدا قرار نومرو ٩٩ في ٢٥ كانون الاول ١٣٣٠.

(٥) نظام الخبازين في ١٣ ربيع الآخر ١٢٨٧ هـ، الدستور، ج ٢، المواد ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ٢٤، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١،

كما فرضت الأنظمة على البلدية مراقبة عيارات الوزن لدى بائعي الخبز والخضار ومن مائلهم من باعة المواد الغذائية، حتى اذا وجدت فيها شيئاً ناقصاً أو بضاعة تالفة أو فاسدة، ضبطت صاحبها، وغرّمته بمجزاء نقدي^(١).

كما كان ممنوعاً، وضع مواد أو أدوات كالبراميل أو الصناديق أو غيرها، أمام المحلات خارجة عن حدّها، حيث تعوق المرور، وألزم أصحابها برفعها بعد دفع جزاء نقدي^(٢).

كما فرضت على القصابين (اللحامين) أن يحفظوا الذبائح في خزائن مغلقة ذات شريط، لحفظ اللحم من اعتداء الذباب والحشرات الأخرى^(٣).

كما حرمت عليهم ذبح الحيوانات، من غنم أو ماعز أو بقرة، في محلاتهم، بل يتم ذلك في الأماكن التي تخصصها الضابطة حفظاً للصحة العامة^(٤).

ولم يقتصر الأمر على مراقبة سعر الخبز أو صحة وزنه، بل اهتمت البلدية كذلك بجودته، وأصدرت قراراً إلى كافة العاملين بإنتاج الخبز، ان يعتنوا بنظافته ونخبه جيداً، بحيث لا يباع إلا أرغفة الخبز الجافة^(٥). ولما اكتشفت البلدية ان الشيخ وهي شعيب يبيع طحيناً غير صالح للأكل باهت محله وصادرت ما عنده، وشكلت لجنة من محمود كالدو وعمر المجدوب لتفتيش مستودعات التجار ومصادرة الكميات الفاسدة^(٦).

وشغل اللحم حيزاً مهماً من عمل البلدية، لأنها ظلت تشدد الرقابة على أسعاره وأنواعه وجودته، بحيث ان الأمر تطور، في بعض السنوات، إلى صراع عنيف بين البلدية والقصابين، كان الفوز فيه للبلدية من أجل المستهلك

(١) تعليمات بحق عموم وظائف مجلس الدائرة البلدية في ٢٣ ربيع الاول سنة ١٢٨٤ هـ. الدستور، ج ٢، المادة ٨، ص ٤٣٦.

(٢) المادة ١٤ من النظام المذكور، ص ٤٣٨.

(٣) نظام تعليمات الضابطة فيما يختص بمنع بعض الاشياء في ٢٣ محرم ١٢٧٨، الدستور، ج ٢، المادة ١٠، ص ٦٧٣.

(٤) النظام المذكور، ص ٦٧٣. المادة ١١.

(٥) بلدية صيدا، قرار نومرو ٨٥ في ٢٥ حزيران ١٩٠٩.

(٦) بلدية صيدا، قرار نومرو ٢٤ في ١٥ نيسان ١٩٢٦.

الصيداوي خصوصاً الطبقة الفقيرة منه .

في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين كانت أسعار اللحوم، كالغنم والبقر، وكذلك السمك، رخيصة نسبياً ولا ترهق أحداً من المستهلكين، ولكنها منذ سنة ١٩٠٧ أخذت بالارتفاع الشديد، بحيث بلغ سعر رطل اللحم آنذاك أربعة وعشرين قرشاً، وساهم الصيادون بزيادة وطأة الأزمة برفع أسعار السمك كثيراً، بحيث أن السلطات آنذاك لم تتمكن من الحد من طمع القصابين وجشع سمسرة السمك^(١).

ولكن خلال بضعة أشهر استعادت البلدية زمام المبادرة، وفي سنة واحدة (هي ١٩٠٩) غيّرت أسعار اللحم ثلاث مرات لمصلحة المستهلك. ففي آذار من تلك السنة اقترت البلدية أن تكون اوقية اللحم بسبعين بارة، وأرسلت الدلال يطوف في الأسواق لنشر السعر الجديد^(٢). وفي آيار من السنة نفسها، عادت فخفضت السعر إلى قرش وعشرين بارة لاوقية اللحم المعلوف العال، وقرش وخمس عشرة بارة لاوقية من اللحم الجفالي العادي^(٣). ثم في حزيران انزلت السعر إلى خمس وستين بارة فقط لاوقية لحم الضأن، وخمس وأربعين لاوقية من لحم الماعز^(٤). ويبدو أنه لما سمرت البلدية للحم من جديد في شهر آب من السنة نفسها، وخفضته إلى خمس وخسين بارة لاوقية الغنم^(٥)، لم يعد القصابون في صيدا يطبقون صبرا، فاحتجوا على السعر الجديد وطلبوا تعديله، لكن البلدية أصرت عليه، مما دفع هؤلاء إلى اعلان الاضراب والامتناع عن بيع اللحم كلية.

لكن البلدية لم تتراجع، واستمرت في صراعها مع القصابين، فلما تقدم ابراهيم القبرصلي بعرض مضمونه ان يبيع اللحم حسب التسعيرة الجديدة شرط

(١) توما كيال: تجارة صيدا وزراعتها وصناعتها، الشرق، مجلد ١١، عدد ٣، آذار ١٩٠٨، ص

١٧٨.

(٢) بلدية صيدا، قرار نومرو ٣٦ في ١٢ مارت ١٣٢٥ (١٩٠٩).

(٣) بلدية صيدا، قرار نومرو ٦٢ في ٥ مائس (ايار) ١٣٢٥.

(٤) بلدية صيدا، قرار نومرو ٨٨ في ٢٩ حزيران ١٣٢٥. وكان القرش يعادل اربعين بارة تقريبا.

(٥) بلدية صيدا - قرار نومرو في ١٨ اغتوس ١٣٢٥

ألا يذبح أحدٌ غيره في صيدا، سارع المجلس البلدي إلى الموافقة^(١). وخشية من وقوع المدينة في أزمة لحوم، أبرقت إلى مصباح الدنا، أحد كبار تجار الغنم في بيروت، تستوضح امكانية مساعدتها بهذا الخصوص، فأجابها انه على استعداد لتصدير ٢٥٠ رأساً من الغنم إلى صيدا فوراً بسعر ٨٦ قرشاً للرأس الواحد، وقد أقر المجلس البلدي في صيدا الصفقة وشكلت لجنة من عضوين تشرف على بيع تلك الأغنام في السوق^(٢). ويبدو ان القصابين أذعنوا للسعر الجديد وعادوا للعمل^(٣).

لكن القصابين عادوا إلى الإضراب من جديد في ربيع سنة ١٩١٠ احتجاجاً على التسعيرة التي كانت قد وضعتها البلدية للحوم. واتخذت البلدية، في هذه المرة أيضاً، قرار المواجهة معهم. فأرسلت «سلم آغا» لشراء أغنام من بيروت بقيمة خمسين ليرة عثمانية، وذبحها وتوزيعها بمعرفتها^(٤). وشكلت لجنة من الشيخ عبد الحليم لطفي وهاشم البزري للإشراف على تلك العملية^(٥). وبعد أن وردت كمية الأغنام المشتراة، وذبحت ووزعت بسعر خمسين بارة للاوقية، اجرت البلدية صفقة جديدة مع بيروت بقيمة خمسين ليرة عثمانية أخرى، لأن القصابين قرروا متابعة الإضراب^(٦).

إلى جانب التسعيرة، اهتمت البلدية بنوعية اللحم وجودته أيضاً، وكانت تمنع ذبح الحيوانات إلا في سن معينة^(٧). فلما ثبت للمجلس البلدي أن القصاب الشيخ محمد النابلسي قد ذبح ذبيحة اثني (لم يحدد نوعها) وهي حامل، وان

(١) بلدية صيدا، قرار نومرو في ٢٠ اغسطس ١٣٢٥.

(٢) بلدية صيدا، قرار نومرو ١٢٨ في ١٥ ايلول ١٣٢٥.

(٣) لا توضح سجلات البلدية فيما اذا جرت تسوية ما، او أنَّ القصابين رضخوا للتسعيرة.

(٤) بلدية صيدا قرار نومرو ٣٣ في ٢٢ نيسان ١٣٢٦ (١٩١٠).

(٥) بلدية صيدا قرار نومرو ٣٥ في ٢٦ نيسان ١٣٢٦.

(٦) بلدية صيدا قرار نومرو ٣٨ في ٢٨ نيسان ١٣٢٦.

(٧) كان ممنوعاً ذبح الابقار قبل بلوغها سنتين ونصفاً، الا اللازمة للتنازل فلا تذبح قبل سن الخامسة عشرة، والمستخدم في الحراثة لا تذبح قبل سن الثانية عشرة، اما الثيران المستخدمة للشي (التلقيح) فلا تذبح قبل بلوغها من الخامسة، وكان مخالف يتعرض للمجازاة بموجب القوانين المرعية راجع القرار البلدي رقم ١٠٨، في ٢٥ اغسطس ١٣٣٢.

تلك المخالفة قد تكررت منه، وضع عليه المجلس البلدي أثقل الغرامات في هذا المجال وهي عشرون بشلوكاً^(١). وضبط مفتشو البلدية بقرة ذبحها الحاخام داوود اليماني حسب تقاليد الديانة، وذلك في قرية مغدوشة، ولما كان ذلك مخالفاً للقانون فقد بيعت الذبيحة إلى القصاب حسن القلعاوي بمبلغ ٢٦ قرشاً، والزم الحاخام بدفع غرامة نقدية قدرها ليرة عثمانية^(٢). ولما عاين طبيب البلدية السمك الذي يبيعه درويش الصيص، وجده فاسداً لا يصلح للأكل، فتقرر مصادرتة وإتلافه وتغريم درويش المذكور نصف ليرة عثمانية^(٣).

ولم تهمل البلدية وضع تسمية لكافة المواد الغذائية والخضار، ومن متابعة سجلات البلدية لتلك الفترة، يتبين أن البلدية كانت حاضرة دوماً في السوق، تحسب العرض والطلب وتقرر التسمية اللائقة، بحيث أنه لم يكن يمض اسبوع واحد دون ان تصدر البلدية لائحة بالأسعار مرة أو اثنتين، ولقد اخترنا نماذج من تلك الأسعار في أوقات مختلفة ترسم لنا جانباً من الواقع الاقتصادي الذي كان قائماً آنذاك في مدينة صيدا.

(١) بلدية صيدا قرار نومرو ١٧٨، في ١٨ كانون الاول ١٣٢٥.

(٢) بلدية صيدا قرار نومرو ١٦٦، في ١٣ تشرين الثاني ١٣٣٢.

(٣) بلدية صيدا قرار نومرو ١٨٣، في ١ شباط ١٣٢٥.

في ربيع سنة ١٩٠٩ أصدرت بلدية صيدا لائحة بأسعار المواد الغذائية كما يلي:

رطل اللبن	قرشان وعشر بارات	الفرعينة	قرش وعشرون بارة
رطل الخيار الصغير العال	قرش وعشرون بارة	الشمش	اربعة قروش
			وعشرون بارة
رطل الخيار الكبير	الاربعة بتليك	البطاطا	قرشان وعشرون بارة ^(١)
الكوسا	الاربعة بتليك		
الفاصوليا الخضراء	قرش وعشرون بارة		

وفي صيف ١٩١٠ كانت الأسعار كما يلي:

رطل الباذنجان البلدي	قرش و٣٥ بارة	رطل الخيار الصغير قرش و٢٠ بارة
رطل البامية الصغيرة	اربعة قروش و٢٠ بارة	رطل القشاء قرش واحد
رطل البندورة	قرش وعشر بارات	رطل البطاطا قرشان
رطل اللوخية	قرش واحد	رطل البامية الكبيرة قرشان ^(٢)
الكوسا	السبعة بتليك	

وعندما وجدت البلدية مخالفة من باعة الخضار حسن الشامي وحمي الدين التمرجي ومصطفى الابريق غرّمت كلّاً منهم خمسة بشالك^(٣).

كذلك وضعت تسعيرة لبعض المواد الإستهلاكية غير الغذائية، فكان سعر صندوق الكاز (ماركة الباطر والسبع) خمسة وستين قرشاً، والصندوق

(١) بلدية صيدا قرار نومرو ٦٢، في ٥ ماي ١٣٢٥.

(٢) بلدية صيدا قرار نومرو ٧١، في ١٥ تموز ١٣٢٦.

(٣) بلدية صيدا قرار نومرو ٧١، في ٢٦ ماي ١٣٢٥.

الأمريكان في ستين قرشاً. كما كان تحديد سعر المادة الغذائية حسب أنواعها، فرطل الأرز من صنف عين البنت كان بثمانية قروش، والأرز الإنجليزي بستة، كما كان سكر القطع (الحجر) بعشرة قروش^(١). وحرمت القوانين بيع أية سلعة أو مادة غذائية فاسدة تحت طائلة العقوبة، فقد قضت المادة ٢٥٧ من قانون الجزاء الهايوي بأن من يبيع فواكه وثماراً عفنة أو تالفة بسبب بقائها في دكانه فترة طويلة يجازي من ستة إلى عشرة بشالك، وعليه طرحها في النهر أو البحر أو القاؤها خارج المدينة حفاظاً على صحة المواطنين،^(٢)

فلما ظهر في أسواق صيدا سم مغشوش، شكلت البلدية لجنة من محمود كالو، وهاشم البزري، وعمر أبو ظهر (عن البلدية) وعمر نعماني، ويونس القبرصلي وشحادة نايفة (عن التجار) لضبطه^(٣).

ويمكن أن تقدم لنا مؤشراً على مستوى المعيشة في صيدا في أوائل القرن العشرين، النفقة الشهرية التي فرضها القاضي الشرعي لمطلقة وإبنتها ذات الشهور التسعة، بعد أن تداول في الأمر مع ذوي الخبرة في أحوال السوق:

سبعة أرطال ونصف	خطة	رطل بصلا
نصف رطل	زيتاً	رطل عدساً
أوقية ونصف	سناً	حل واحد حطباً
نصف رطل	صابوناً	ثاني اواق لحماً
ثلاثة أرطال	برغلاً	رطل كازا

بالإضافة إلى خضار بقيمة عشرة قروش شهرياً وكسوة سنوية بست ريات مجبذية.^(٤)

(١) بلدية صيدا قرار نومرو ٩٥، في ١٦ كانون الثاني ١٣٣٠.

(٢) الدستور، ج ١ ص ٣٧٢.

(٣) بلدية صيدا قرار نومرو ٢١ في ١٤ شباط ١٣٢٤.

(٤) المحكمة الشرعية سجل ٢١، نومرو ٢٢ ص ١٦، في ١٦ شباط ١٣٣٠ هـ (١٩١١).

٥ - طرق النقل التجاري:

ارتبطت صيدا تجارياً مع مدن الداخل برّاً، ومع مرافئ سوريا والخارج بحراً، واعتمدت على النقل التجاري البحري أكثر من اعتمادها على الطرق البرية.

ذلك إن النقل البري كان غالباً إذ كان يكلف ١٥٠ - ١٦٠٪ من قيمة البضاعة عموماً، بالإضافة إلى رداءة الطرق وخطورة المسالك، حيث كانت القوافل تتعرض لعمليات سلب ونهب، لا تقتصر على خسارة البضائع بل تتعداها، أحياناً إلى أرواح المسافرين و « المكارية » الذين يجرسون القافلة. ومن هنا فقد كانت تجرى الاستعدادات العظيمة عندما تنهى القافلة للرحيل. وكانت مدة سير القافلة بين دمشق وصيدا وبيروت أربعة أيام^(١). وظلت القوافل واسطة النقل الرئيسية في البر طوال القرن التاسع عشر، رغم بدء استخدام العربات منذ النصف الثاني لهذا القرن^(٢).

أما البحر فقد كان الطريق الرئيسي لتجارة صيدا، التي ظلت الثلث الأول من القرن التاسع عشر الميناء الرئيسي لدمشق وداخل سوريا، إلا أن هذا المركز أخذت تحتله بيروت بفضل موقعها وتقدمها في العمران والسكان، لكن ذلك لم يمنع بقاء صيدا المحطة الساحلية الأقرب لدمشق^(٣). وظلت المناطق المجاورة لصيدا، مثل صور وبلاد بشارة ومرجعيون والموانئ الساحلية حتى حيفا، تعتبر المدينة مركزاً رئيسياً للتعامل التجاري معها^(٤). وبينما كان ميناء بيروت يجمع بالسفن في أوائل القرن التاسع عشر، كانت السفن الأجنبية تشاهد لأمّاً في ميناء صيدا^(٥). لكن السفن العثمانية لم تنقطع عن الإبحار بينه وبين ميناء بيروت^(٦).

(١) علي الحسني: ص ٢٠٥.

(٢) عبد الكريم غرايبة: ص ١٥٦.

(٣) علي الحسني: ص ١٩٩.

(٤) توما كيال: الحركة التجارية في صيدا، المشرق، مجلد ٨، العدد ٧، ١٥ نيسان ١٩٠٥، ص

(٥) A Handbook for travellers op. cit. vol.2 p. 378

(٦) القنصلية الأميركية ت ٣٦٧/ ج ١١ التقرير السنوي للقنصل الأميركي العام في بيروت لسنة

والجدول التالي الملخص عن التقارير القنصلية الأميركية، يظهر لنا مدى تطور حركة السفن في ميناء صيدا في أواسط القرن التاسع عشر وحتى أوائل القرن العشرين:

السنة	عدد المراكب	حوادثها	نوعها
١٨٦٢ (١)	٣٠	غير محددة	
١٨٦٣ (٢)	٤١	غير محددة	
١٨٦٤ (٣)	٣١	٤٢١٣ طنّاً	
١٨٦٥ (٤)	٦٣	٣٣٨٢ طنّاً	
١٨٦٦ (٥)	٧٤ مركباً	٥١٥٠ طنّاً	نوعيتها غير محددة
١٨٦٨ (٦)	٥١ مركباً		
١٨٨٥ (٧)	٢ مركباً	٨٢٤ طنّاً	بحارية
	٦٢ مركباً		شراعية
١٨٨٦ (٨)	٢ مركباً	٦٧٧ طنّاً	بحارية
	٣٣ مركباً	٣٤٣٧ طنّاً	شراعية
١٩٠٤ (٩)	٢٤٦ مركباً	٣٩٨٢٤ طنّاً	بحارية
	٧٦٦ مركباً	٩٢٥٠ طنّاً	شراعية
١٩٠٥ (١٠)	١٦٥ مركباً	٣٨٨٦٠ طنّاً	بحارية

- (١) (٢) القنصلية الأميركية : ت/ ٣٦٧، ج ٥ التقرير السنوي للقنصل الأميركي العام في بيروت لسنة ١٨٦٣.
- (٣) القنصلية الأميركية ت/ ٣٦٧، ج ٥ رسالة القنصل الأميركي في صيدا شبلي أيبلا، في حزيران ١٨٦٥.
- (٤) القنصلية الأميركية : ت/ ٣٦٧ ج ٥ رسالة شبلي أيبلا في ٣٠ أيار ١٨٦٦ ملحقه برسالة القنصل الأميركي العام في بيروت AUGUSTUS JOHNSON، رقم ٢٦٥، في ١٢ حزيران ١٨٦٦.
- (٥) القنصلية الأميركية ت/ ٣٦٧ ج ٦، رسالة شبلي أيبلا في ٢٥ تموز ١٨٦٧، ملحقه برسالة القنصل الأميركي العام في بيروت في ١٢ آب ١٨٦٧.
- (٦) القنصلية الأميركية ت/ ٣٦٧ ج ٧، رسالة شبلي أيبلا في ١٠ آب ١٨٦٩، ملحقه برسالة القنصل الأميركي العام رقم ١٠٤ في أيلول ١٨٦٩.
- (٧) القنصلية الأميركية ت/ ٣٦٧، ج ١٦، رسالة شبلي أيبلا رقم ١٢٩، في ١٣ تموز ١٨٨٥.
- (٨) القنصلية الأميركية ت/ ٣٦٧، ج ١٦، رسالة شبلي أيبلا، في ١ تموز ١٨٨٦.
- (٩) توما كيال: الحركة التجارية في صيدا، المشرق، جلد ١٨، عدد ٧، في ١٥ نيسان ١٩٠٥، ص ٣٢٨.
- (١٠) توما كيال: ملاحظات عمومية على تجارة صيدا، المشرق جلد ٩، عدد ٤ في ١٥ شباط ١٩٠٦، ص ١٥٨.

شراعية	١٠٦٩٦ طناً	٧٣٨ مركباً	(١) ١٩٠٧
بخارية	٢٥٣٠١ طناً	١٥٣ مركباً	
شراعية	١٠١٩٠ طناً	٨٨٢ مركباً	

إن الإحصائية آنفا تبين لنا، بشكل إجمالي، حركة السفن في ميناء صيدا خلال أربعين سنة تقريباً، ونستنتج منها ملاحظات عامة أبرزها:

إن عدد السفن العاملة في ميناء صيدا كان، خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، في تناقص مستمر. بالإضافة إلى أن السفن الأجنبية كانت نادرة، والقسم الأعظم من السفن التي شكلت حركة ميناء صيدا كانت عثمانية (سورية أو تركية أو مصرية).

كما إن الأرقام تبرز لنا نشاطاً متزايداً في ميناء صيدا منذ مطلع القرن العشرين، وإن الحركة، بشكل عام، كانت تتزايد سنة بعد أخرى، خصوصاً بالنسبة للسفن البخارية، ولما كان معظم السفن البخارية أجنبية، فمعنى ذلك إن عدد السفن الأجنبية التي كانت تبصر إلى ميناء صيدا قد إزداد خلال مطلع القرن العشرين، ولعل أحد أسباب ذلك إن طرق العربات بين صيدا وبيروت، وصيدا وأقليم التفاح وجزين كان قد تم إنجازها، ^(٢) كذلك إزداد تبادل السلع بين صيدا ومدن الساحل (صور وعكا وحيفا) وبعض مدن الداخل (النبطية وحاصبيا وراشيا) ^(٣) منذ سنة ١٩٠٥، بالإضافة إلى أن تجار صيدا أخذوا ينشئون علاقات مباشرة، مع موانئ أوروبا، حيث تم شحن كثير من البضائع الأوروبية إلى ميناء صيدا مباشرة، دون الحاجة إلى ميناء بيروت كوسيط ^(٤).

(١) توما كيال: تجارة صيدا وزراعتها وصناعتها، المشرق، مجلد ١١، عدد ٣ في آذار ١٩٠٨، ص ١٨٠.

(٢) توما كيال: الحركة التجارية في صيدا، المشرق، مجلد ٨، عدد ٧ في ١٥ نيسان ١٩٠٥، ص ٣٢٨.

(٣) توما كيال: أهمية تجارة صيدا، المشرق، مجلد ٩، عدد ٤ في ١٥ شباط ١٩٠٦، ص ١٥٧.

(٤) مكتب الجلات العامة ف.د.و ٢١١٧/١٩٥ تقرير القنصل البريطاني العام في بيروت DRUMMOND HAY عن «التجارة والملاحة في سوريا» ١٥ نيسان ١٩٠٢.

بدأت تجارة صيدا بالتقهر منذ أواخر القرن الثامن عشر، وإستمرت كذلك مع بداية القرن التاسع عشر، بينما أخذت بيروت تزدهر تجارياً وتحتل مكانة صيدا بالتدريج^(١).

فقبل سنة ١٨٠٨ كانت صيدا تصدر أقمشتها الحريرية والكتانية إلى قبرص مباشرة، ولكنها منذ ذلك الوقت صارت تصدرها عن طريق ميناء بيروت، وأخذ إعتادها على بيروت يتزايد بمرور القرن، حتى إنه في سنة ١٨٣٣ أصبحت تجارة دمشق مع بيروت، تعادل تجارتها مع صيدا وصور وعكا معاً^(٢).

وبرغم ذلك التدهور فقد احتفظت صيدا بملاقاتها التجارية المميزة مع دمشق لسهولة إتصالها بها، وعدم إنقطاع الطريق شتاءً، كما هو الحال بالنسبة للطريق بين بيروت ودمشق. بالإضافة إلى أن كثيراً من المدن المجاورة لصيدا، إستمرت في إستخدام مينائها كمركز شحن وتوضيب لبضائعها الذاهبة إلى أوروبا،^(٣) كما إن سكان تلك المناطق كانوا يشترون ما يحتاجونه من بضائع من صيدا، لرخص أسعارها عن بيروت^(٤).

تعاملت صيدا تجارياً مع معظم موانئ الساحل السوري (بيروت وطرابلس واللاذقية وصور^(٥) وعكا وحيفا ويافا) ومع الداخل (دمشق وحلب وجبل لبنان) ومع موانئ مصر (دمياط والإسكندرية) ومع أزمير وإسطنبول،

(١) انشئت منارة بيروت سنة ١٨٦٢ وكانت أول منارة على الساحل السوري، واعطي امتياز انشاء مرافق فيها سنة ١٨٨٩، وبأشر عمله فعلاً في نيسان ١٨٩٣.

(٢) علي الحسني: ص ١٩٩.

(٣) راتب الحامي: ص ٤٩.

(٤) توما كيال: تجارة صيدا وزراعتها وصناعتها، المشرق، مجلد ١١، عدد ٣، آذار ١٩٠٨، ص ١٧٤.

(٥) في سنة ١٩٠٨ مثلاً كانت أربع مراكب شحن خروياً مبحرة من صيدا إلى صور لإفراغ حوالتها في الباخرة الإنجليزية "أستردام"، الراسية بميناء صور، لكن عاصفة واجهتها قرب شاطئه، فتلون ففرقت إحدى المراكب بمحولتها. راجع الإقبال العدد ٢٢٩، في ٦ كانون ثاني ١٩٠٨.

وقبرص والجزر اليونانية. كذلك إرتبطت مع أوروبا بطريق مباشر أو عن طريق ميناء بيروت.

ومن الموانئ التي كان لها صلة تجارية بميناء صيدا، مباشرة أو عن طريق ميناء بيروت، موانئ بنغازي وطرابلس (على الساحل الليبي) ومرسيليا (في فرنسا) وليفربول ولندن (في إنجلترا) وأوديسا (على ساحل البحر الأسود).

ومن إحصائية لحركة ميناء صيدا التجارية يتبين إن وارداتها لسنة ١٨٦٢ كانت:

من بيروت	جلود	٢٨٠٠ كيلو غرام بقيمة	٨٠ ألف فرنك
	قهوة	بقيمة	١٠ آلاف فرنك
	سكر (١)	بقيمة	٢٠ ألف فرنك
	ملح	بقيمة	٢٥ ألف فرنك
	نبلة	بقيمة	١١٠ ألف فرنك
	خام	بقيمة	٢٠٠ ألف فرنك
	قطن	١٢٠٠ بقية	٢٠ ألف فرنك
	طرايش	٩٠٠ دزينة	٢٠ ألف فرنك
	سلع مختلفة	بقيمة	٢٠٠ ألف فرنك
من صور	سلع مختلفة	بقيمة	٥ آلاف فرنك (٢)
من عكا	حنطة	بقيمة	٤٠ ألف فرنك
	سلع مختلفة	بقيمة	٢٠ ألف فرنك
من يافا	سلع مختلفة	بقيمة	١٥ ألف فرنك
من طرابلس	حنطة	بقيمة	٢٠ ألف فرنك
	سلع مختلفة	بقيمة	٢٠ ألف فرنك
من حلب	سلع مختلفة	بقيمة	١٠ آلاف فرنك
من دمشق	سلع مختلفة	بقيمة	٧٠ ألف فرنك
من قبرص	ملح	بقيمة	٧٠ ألف فرنك
	سلع مختلفة	بقيمة	٥٠ ألف فرنك
من الجزر اليونانية	سلع مختلفة	بقيمة	٥٠ ألف فرنك

(١) كان السكر المستورد أنواعاً فمنه « الدّرس الناعم » و « الشّقف » وسكر « القوالب ».

(٢) بلغ مجموع قيمة ما استوردته صيدا من بيروت ٨٣٧ ألف فرنك، ومعظمها بضائع واردة إلى بيروت من الخارج.

من مصر	ارز ^(١)	٧٥٦ الف كيلو	بقية	٢٨٠ الف فرنك
	قهوة		بقية	١٥ الف فرنك
	ملح		بقية	٣٠ الف فرنك
سلع مختلفة		بقية		٢٥٠ الف فرنك ^(٢)
من بلدان مختلفة	سلع مختلفة		بقية	١١٧ الف فرنك ^(٣)

أما صادرات ميناء صيدا فكانت بالكميات وإلى المناطق التالية:

إلى بيروت:	حرير	بقية	٣٥ الف فرنك
	موز	بقية	٥ آلاف فرنك
	زيت	بقية	١٠ آلاف فرنك
	شمش	بقية	الف فرنك
	شرايق حرير	بقية	٢١٠ الف فرنك
	قمح	بقية	٨ آلاف فرنك
	جلود	بقية	٣ آلاف فرنك
	برتقال	بقية	١٥ الف فرنك
	ليمون حامض	بقية	٧ آلاف فرنك
	تين مجفف	بقية	الف فرنك
	سلع مختلفة	بقية	٢٠ الف فرنك ^(٤)
إلى صور	حرير	بقية	الف فرنك
	جلود	بقية	الف وخمسة فرنك
	برتقال	بقية	الف وخمسة فرنك
	موز	بقية	٥٠٠ فرنك
	شمش	بقية	١٥٠٠ فرنك
	سلع مختلفة	بقية	٥ آلاف فرنك ^(٥)
إلى عكا	حرير	بقية	٣ الاف فرنك
	جلود	بقية	١٥٠٠ فرنك

(١) كان الأرز المستهلك في صيدا أنواعاً منها الرز الذواقي المخصوص (وهو أجودها) ثم عين البنت والفيومي والرشيدي والمجاويقي (الياباني) والتجاري وكذلك الإنجليزي.

(٢) بلغ مجموع وارداتها من مصر ٥٧٥ الف فرنك.

(٣) بلغ مجموع مستوردات صيدا من مختلف البلدان ١,٨٩٩,٠٠٠ فرنك.

(٤) بلغت صادرات صيدا إلى بيروت ٣١٥ الف فرنك.

(٥) مجموع صادرات صيدا إلى صور بلغت ١٢ الف فرنك.

٥ آلاف فرنك (١)	بقية	سلع مختلفة	إلى جبل لبنان
الفي فرنك	بقية	حرير	
١٠ آلاف فرنك	بقية	برتقال	
الفي فرنك	بقية	ليمون حامض	
خمسة فرنك	بقية	موز	
١٠ آلاف فرنك	بقية	شمش	
٢٥ ألف فرنك (٢)	بقية	سلع مختلفة	
٤ آلاف فرنك	بقية	حرير	إلى ياغا
الف وخمسة فرنك	بقية	جلود	
٥ آلاف فرنك (٣)	بقية	سلع مختلفة	
١٥ ألف فرنك	بقية	حرير	إلى دمشق
٨ آلاف فرنك	بقية	برتقال	
٥ آلاف فرنك	بقية	ليمون حامض	
الف فرنك	بقية	موز	
١٥ ألف فرنك (١١)	بقية	سلع مختلفة	
٥ آلاف فرنك	بقية	حرير	إلى حلب
١٢٥٠٠ فرنك	بقية	جلود (٤ آلاف قطعة)	
٩٥٠٠ فرنك (٥)	بقية	موز	
٤٠ ألف فرنك	بقية	حرير	إلى القاهرة (٦)
٢٠ ألف فرنك (٧)	بقية	سلع مختلفة	
٣٥ ألف فرنك	بقية	حرير	إلى الإسكندرية
الفي فرنك	بقية	جلود	
٥٠٠ فرنك	بقية	شمش	
الفي فرنك	بقية	تين مجفف	
٢٠ ألف فرنك (٨)	بقية	سلع مختلفة	

- (١) مجموع صادرات صيدا إلى عكا ٩٥٠٠ فرنك
(٢) مجموع صادرات صيدا إلى جبل لبنان بلغت ٤٩٥٠٠ فرنك.
(٣) مجموع صادرات صيدا إلى ياغا بلغت ١٠٥٠٠ فرنك.
(٤) بلغت صادرات صيدا إلى دمشق ٤٤ ألف فرنك.
(٥) بلغت قيمة صادرات صيدا إلى حلب ٣٢ ألف فرنك.
(٦) بلغت قيمة صادرات صيدا إلى القاهرة ٦٠ ألف فرنك.
(٧) لم تتوفر لدينا احصاءات بالعملة العثمانية، لهذه الفترة، مع العلم إن الليرة الفرنسية كانت تساوي في سوق بيروت لسنة ١٨٦٤ مبلغ ٩٧ قرشاً و ٣٠ بارة.
(٨) بلغت صادراتها إلى الإسكندرية بقيمة ٤٩٥٠٠ فرنك.

١٠ آلاف فرنك	بقية	حرير	إلى ديباط
التي فرنك	بقية	جلود	
٥٠٠ فرنك	بقية	شمس	
٣ آلاف فرنك	بقية	تين مجفف	
٢٥ الف فرنك ^(١)	بقية	سلع مختلفة	
١٠ آلاف فرنك	بقية	حرير	إلى اللاذقية
١٠ آلاف فرنك ^(٢)	بقية	سلع مختلفة	
٢٢ الف فرنك	بقية	حرير	إلى اسطنبول
التي فرنك	بقية	موز	
١٠ آلاف فرنك ^(٣)	بقية	سلع مختلفة	
٩ آلاف فرنك	بقية	حرير	إلى الجزر اليونانية
٤ آلاف فرنك	بقية	برتقال	
١٥ الف فرنك	بقية	لبس حامض	
١٥ الف فرنك ^(٤)	بقية	سلع مختلفة	
٤ آلاف فرنك	بقية	حرير	إلى قبرص
١٠ آلاف فرنك ^(٥)	بقية	سلع مختلفة	

وبذلك بلغت قيمة صادرات صيدا لتلك السنة، إلى مختلف البلدان ٧٢٣,٥٠٠ فرنك^(٦).

من الأرقام الإحصائية السابقة يمكن الخروج بالملاحظات التالية:

- ١ - إن مجموع واردات صيدا (١,٨٩٩ ألفاً) يفوق صادراتها (٧٢٣,٥ ألفاً) بحوالي مليون ومئة وستة وثمانين ألف فرنك.
- ٢ - إن استيراد صيدا كان بالدرجة الأولى من بيروت (٨٢٧ ألف فرنك) ثم من مصر (٥٧٥ ألف فرنك) ثم تأتي قبرص بالدرجة الثالثة (١٢٠ ألفاً) لكن

-
- (١) بلغت صادراتها إلى ديباط ٣٠,٥٠٠ فرنك.
 - (٢) بلغت صادراتها إلى اللاذقية ٢٠ ألف فرنك.
 - (٣) بلغت صادراتها إلى اسطنبول ٣٤ ألف فرنك.
 - (٤) بلغت صادراتها إلى الجزر اليونانية ٤٣ ألف فرنك.
 - (٥) بلغت صادراتها إلى قبرص ١٤ ألف فرنك.
 - (٦) القنصلية الأمريكية ت/٣٦٧ ج ٤ من تقرير القنصل الأميركي في بيروت عن حركة التجارة في ميناء صيدا لسنة ١٨٦٢.

تجب ملاحظة إن معظم البضائع التي استوردتها صيدا من بيروت، هي بضائع أجنبية المنشأ كانت بيروت قد استوردتها.

٣ - إن أبرز واردات صيدا هي القهوة والملح والسكر والحنطة والأرز والنيلة والجلود والقطن والحام والطرايش.

٤ - إن صادرات صيدا كانت بالدرجة الأولى إلى بيروت (٣١٥ ألف فرنك) ثم إلى مصر (١٤٠ ألفاً) ثم جبل لبنان (٤٩٥٠٠ فرنك) فدمشق (٤٤ ألفاً) لكن يجدر الذكر إن معظم الصادرات إلى بيروت ليست لاستهلاك أهل بيروت، ولكنها برسم التصدير للخارج.

٥ - إن أبرز صادرات صيدا هي: الحرير والموز والشمش والبرتقال والليمون الحامض وشرائق الحرير والتين المجفف والجلود والزيت.

وفي نفس السنة كان عدد السفن التي أمت ميناء صيدا ١٢٨٦ مركباً، حلت ٢٧٨٩٨ طناً.

وفي سنة ١٨٦٦ صدرت صيدا عن طريق الميناء تبغاً وحرير مشاقة وقطناً^(١) وتيناً مجففاً وزبيباً وشرائق وحريراً مفزولاً وأقمشة حريرية صيداوية^(٢)، وشرائح شمش مجفف، وصابوناً وجلوداً، قيمتها جميعها ٨,٣٩٠,٠٠ قرشاً، وكان مجموع حمولة السفن في ميناء صيدا ٥١٥٠ طناً. ولا شك إن هذه الأرقام لا تُصوّر صادرات وواردات صيدا تماماً، لأن كمية لا بأس بها من صادرات صيدا ووارداتها كانت تأتي براً ولا تدخل ضمن هذه الأرقام^(٣).

ويستفاد من التقارير القنصلية إن استهلاك صيدا من النفط الأميركي قد ازداد كثيراً سنة ١٨٨٠، وكان سعر صندوق الكاز الأميركي ستين قرشاً^(٤)،

(١) كان قُلْتُ القطن يصدر إلى مرسيليا والباقي يصنع في صيدا.

(٢) كانت تصنع في صيدا أقمشة حريرية من حريرها الأبيض المسمى «صيداني» وكان سعر الرطل منه يتراوح بين ١٠ - ١١ قرشاً، وهو من الحرير الخشن.

(٣) القنصلية الأميركية ت/٣٦٧ ج ٦، رسالة شلي ايلان من صيدا في ٢٥ غوز ١٨٦٧، ملحقة برسالة القنصل الأميركي العام في بيروت في ١٢ آب ١٨٦٧.

(٤) في أوائل القرن العشرين كان الحاج رجب الجبيلي وأولاده، وأحد النقيب وعلي الكشتبان أكبر مستوردي الكاز في صيدا، ففي سنة ١٩١٠ استورد رجب الجبيلي حصة آلاف صندوق كاز، =

كما استوردت كميات كبيرة من الخشب الأمريكي، لاستهلاك معامل الخشب في صيدا التي تصنع صناديق لتعبئة الحمر (القار) الذي يصدر إلى فرنسا، والحمضيات التي تصدر إلى أوديسا. أما في مجال الصادرات لهذه السنة فقد نشط تصدير الشرائق (إلى فرنسا) والتبغ (إلى مصر) ^(١).

وفي سنة ١٨٨٤ صدرت صيدا كميات كبيرة من البرتقال والليمون إلى أوديسا، كما ظلت علاقتها التجارية مع أمريكا بواسطة ميناء بيروت ^(٢).

ويستفاد من التقارير القنصلية إن السفن البريطانية العاملة على البخار بدأت ترسو في ميناء صيدا بأعداد كبيرة منذ سنة ١٨٨٣، إذ دخلته في هذه السنة ١٤ باخرة بريطانية مجموع حمولتها ٧٥٠٣ اطنان ^(٣) ويبدو إن هدف الإنكليز كان تقوية نفوذهم في بلاد الشام بعد استيلائهم على مصر.

ومنذ مطلع القرن العشرين أخذت الحركة التجارية في صيدا تزدهر وتزداد، خصوصاً منذ سنة ١٩٠٥، حيث اتسعت تجارة الأقمشة مثلاً، ويرجع ذلك إلى إزدياد عدد تجار الأقمشة فيها، وإلى إقبال أهالي المناطق المجاورة على الشراء من أسواق صيدا بدلاً من بيروت، توفيراً لمصاريف الانتقال إلى بيروت، ونظراً إلى رخص الأسعار في صيدا عنها في بيروت، بالإضافة إلى أن التجار الصيداويين أخذوا يجلبون كثيراً من السلع التي كانت متوفرة في

= وفي سنة ١٩١٣ استورد احمد النقيب وعلي الكتتيان الكاز من روسيا وبلغ ما استورده الكتتيان ١٥٠٠ صندوق. وبموجب القوانين لم يكن سموحاً لأي تاجر أن يضع في محله أكثر من ستة صناديق، ويضع الباقي في المستودع «كازخانة» الذي أنشأته البلدية لمصلحة تجار المدينة خوفاً من حدوث حرائق. راجع بلدية صيدا قرار نومرو ٧٣ في ١٩ تموز ١٣٢٦، وقرار نومرو ٧٤ في ٢٠ تموز ١٣٢٦، وقرار نومرو ٤٩ في الأول من تشرين الأول ١٣٢٩ (١٩١٢)

(١) القنصلية الأمريكية ت/٣٦٧ ج ١٤ تقرير القنصل الأمريكي العام في بيروت JOHN EDGAR رقم ١٩٠ في ١٥ تشرين الأول ١٨٨٠.

(٢) القنصلية الأمريكية ت/٣٦٧ ج ١٥ التقرير السنوي لعام ١٨٨٤ ملحق برسالة القنصل الأمريكي العام في بيروت رقم ٩٩ في ٣١ تشرين الأول ١٨٨٤.

(٣) مكتب الجبلات العامة ف. و. ١٧٢٣/١٩٥ تقرير القنصل البريطاني في بيروت ELDRIDGE للسفير في اسطنبول EARL of DUFFERIN في ٢١ آذار سنة ١٨٨٤.

بيروت فقط. حيث قام التجار الصيداويون باستيراد الرز والكاز والسكر والبن والجلود وفستق العبيد مباشرة من بلدانها دون وساطة بيروت، مما جعل أسعارها في صيدا تقل عن أسعار مثيلتها في بيروت.

وكانت واردات صيدا لسنة ١٩٠٥ كما يلي:

من باطوم	٢٣ ألف صندوق	كاز
من أميركا	٧٥٠٠ صندوق	
من الإسكندرية	١٢ ألف كيس	سكر
من الإسكندرية	٢٤ ألف كيس	أرز انجليزي
من رشيد	٢٢ ألف قفة	أرز رشيدي
من بنغازي	٢,٣٩٤,٥٠٠ كيلو	ملح
من بيروت والشام وصاسون	١٢١٥ كيساً	طحين
من صند وعكا وحيفا	١٠٠ ألف كيله	حبوب
من الشقيف وبلاد بشاره والجديدة وحاصبيا	١٧٥ ألف كيله	
من الإسكندرية	١٠ آلاف حصيرة	حصير
بطريق الإسكندرية	٨٠٠ كيس	فستق العبيد
من (الأناضول)	حولة ٥٠ قاكون	خشب
من الإسكندرية	٥٠ باله	جلود
بطريق الإسكندرية	١٠ آلاف كيس	أكياس
من عكا وحيفا	٨٠٠ سقارة	جبن عكاوي
بطريق بيروت	٣٢٥٠ كيلو	نيلة
	بقية ٢٥ ألف ليرة عثمانية	تنباك
	بقية ٢٦٠٠ ليرة عثمانية	تبغ
من طرابلس وقبرس	٢٥٢٧٢٠ كيلو	بصل
من عدن (١)	١٤ ألف كيلو	بن

أما أهم الصادرات للسنة نفسها فكانت:

إلى لبنان	٩٥ ألف كيلو	شرانق
بطريق (ميناء) صيدا	١٤٠ ألف كيلو	

(١) توما كيال: أهمية تجارة صيدا، المشرق، مجلد ٩، عدد ٤، في ١٥ شباط ١٩٠٦، ص ١٥٧.

فول وحلبة	٦٤٣٠٠ كيلو	إلى ليفربول ومرسيليا
تين مجفف	٧٢ ألف كيلو	إلى الإسكندرية
زيت	٤٨ ألف كيلو	إلى الإسكندرية
زيتون	١٦٨٠٠ كيلو	إلى الإسكندرية
زبيب	٢٤٠٠٠ كيلو	إلى الإسكندرية
ماء الزهر	٦ آلاف كيلو	إلى سوريا ومصر وإسطنبول
أكيدنيا	٣ آلاف سحابة	إلى بيروت ولبنان وطرابلس
تبغ	٦٠٠ كيس	إلى الإسكندرية
رمان	٧٥٠ قنطاراً	إلى بيروت ومصر
جوز	٣ آلاف ليرة	إلى بيروت
بيض	٤٠ ألف بيضة	إلى الإسكندرية
(من قضاء صيدا)	٤٠٠,٦٠٠ بيضة	إلى بيروت
دجاج	(من قضاء صيدا)	٧٥ ألف طير
		إلى بيروت

حمضيات يصدر منها يومياً في أوقات الموسم ١٥ ألف حبة إلى بيروت ولبنان وسوريا

٤٦٠ ألف صندوق	إلى إسطنبول وأوروبا
١٤٠ ألف صندوق	إلى ليفربول بالإنجلترا

وكمية غير محددة بواسطة المراكب الصغيرة إلى الإسكندرية وكانت قد دخلت ميناء صيدا في تلك السنة (١٩٠٥) ١٦٥ باخرة حولتها ٣٨٨٦٠ طناً، و ٧٣٨ مركباً شراعياً حولته ١٠٦٩٦ طناً^(١).

يتنبين من أرقام الصادرات والواردات، وتنوعها، إن الحركة التجارية في صيدا في هذه الفترة كانت نشطة. كما إن علاقاتها الاقتصادية مع القرى والمدن المجاورة كانت قوية وفي تحسن مستمر، فكانت حاصبيا وراشيا وجديدة مرجعيون ترسل إليها القمح والشعير والسمن والصوف والشعر، وبلاد بشارة ترسل عبرها الفحم والقمح والعدس وأصناف الحبوب والدجاج والبيض، كما

(١) توما كيال: ملاحظات عمومية على تجارة صيدا، المشرق، مجلد ١٩، عدد ٤ في ١٥ شباط ١٩٠٦،

كانت عكا وحيفا تتاجر معها بالجبن المعروف بالمكاوي، وكانت النبطية ترسل إليها كل ما كان يفيض من قمح، بعد إنتهاء سوقها الإيسوعي كل إثنين.

وفي تلك السنة إزدادت كميات الحرير المستخرج في صيدا، وكذلك كميات السمك المصاد في مياهها، وصدر معظمه إلى أسواق بيروت (١). وقد استمر تعامل صيدا مع البلدان نفسها التي كانت تستورد منها أو تصدر إليها حتى قيام الحرب العالمية الأولى، وإن اختلفت الكميات المصدرة أو المستوردة بين سنة وأخرى. كما إن حركة النقل في ميناء صيدا استمرت في التقدم، فبلغ مجموع السفن سنة ١٩٠٧ مثلاً ١٠٣٥ حلت ٥٥٤٩١ طناً (٢).

ثانياً - الصناعات والحرف:

شهد القرن التاسع عشر كساداً في الصناعة في صيدا، كبقية بلاد الشام، بسبب تدفق المصنوعات الأوروبية إليها Mass Production خصوصاً في النصف الثاني من ذلك القرن، بعد أن منحت القوانين الإصلاحية العثمانية التي أخذت بالصدور خلال تلك الفترة، الأوروبيين، تجاراً وصناعيين ورأساليين، تسهيلات وإمتيازات حفزتهم إلى التعامل الكثيف مع السوق العثماني، وحوّلتهم إلى سوق إستهلاكية ضخمة لمصنوعاتهم (٣).

فالرسوم الضئيلة على المصنوعات الأجنبية (٨٪)، ومثانة تلك المصنوعات بالإضافة إلى تلبيةها لحاجة المستهلك، ادت إلى تفوقها على الصناعات الوطنية، وعجز هذه عن منافستها. كما إن الضغط السياسي الأوروبي قيد حرية السلطات العثمانية، في إتخاذ الإجراءات المناسبة لحماية صناعاتها وحرفها الوطنية، وأدى كل ذلك إلى كساد الصناعة الوطنية في القرن التاسع عشر (٤).

(١) توما كيال: المصدر السابق، ص ١٦٠.

(٢) توما كيال: تجارة صيدا وزراعتها وصناعاتها، المشرق، مجلد ١١، عدد ٣، في آذار ١٩٠٨، ص ١٨٠.

(٣) لوتسكي: ص ٣٧٤.

(٤) RODERIC H. DAVISON: reform in the ottoman Empire 1856 - 1876 New York

1963, p. 304

ومن جهة أخرى فإن الإصلاحات الاقتصادية لم تكن كافية لتنفيذ النظام الإقتصادي القائم على أسس اقطاعية، وتطوير صناعة رأسمالية وطنية، تستطيع الوقوف أمام الغزو الإقتصادي الأوروبي للبلاد العثمانية (١).

فالرسوم الجمركية على الصناعة الأجنبية بقيت ٨% حتى سنة ١٩٠٧، ثم إرتفعت إلى ١١%، كما أن رسوم الشحن من أوروبا إزدادت. وكان ذلك حافزاً للصناعة الوطنية ان تبدأ النهوض من جديد لإستعادة مكانتها السابقة في السوق المحلي، رغم إن السلطات العثمانية لم تقدم لها الدعم المطلوب، بل إن المواطنين كانوا يلجأون إلى رشوة المسؤولين أحياناً ليفتحوا مصنعاً، أو ليبقوا آخر قيد العمل (٢).

فلما انشأ الاخوة أيبلاً، مثلاً، معملآ في صيدا لنسج الحرير وصنع الأثواب الشبيهة بالحرير الدمشقي (الألاج) سنة ١٨٦٤، لم يستمروا واضطروا بعد فترة لاغلاقه، لعدم قدرتهم على منافسة الحرير القادم من أوروبا، لعدم تقديم السلطات أي عون لهم (٣).

ويبدو أن التجارة لم تتأثر كثيراً، مثل الصناعة، لقدرة التجار على الإستفادة من التدفق السلمي الأوروبي على الشرق، فعملوا كوسطاء بين أوروبا والداخل، بالإضافة إلى إقبالهم على شراء المواد الأولية بكميات ضخمة وتصديرها إلى أوروبا التي كانت بحاجة ماسة إليها (٤).

لم تكسد الصناعة في بلاد الشام تماماً، بل بقيت بعض الصناعات التقليدية محافظة على مكانتها أمام المد الصناعي الأوروبي حتى مطلع القرن العشرين، عندما بدأت تزدهر في صيدا وفي غيرها من مدن بلاد الشام من جديد.

(١) لوتسكي: ص ١٥٢.

(٢) EDWIN PEARLS: Turkey and its people op. cit.p. 55

(٣) القنصلية الأميركية ت/٣٦٧ ج ١١ تقرير القنصل الأميركي العام في بيروت عن سوريا لسنة ١٨٧٣.

(٤) ز. ليفين: الفكر الإجتماعي والسياسي الحديث في سوريا ولبنان ومصر، ترجمة بشير السباعي، =

إن صعود الصناعة الوطنية معظم القرن التاسع عشر، حتى مطلع القرن العشرين حيث بدأت تستعيد إزدهارها، عائد إلى أنها، في البداية، كانت تركز إلى قواعد إقتصادية سليمة، حيث كانت موادها الأولية موجودة في منطقتها أو في المناطق المجاورة. لكن ما أضعفها هو إتباعها نمطاً معيناً في الإنتاج لا تحيد عنه، أمام الصناعة الأوروبية التي كانت في تجدد مستمر^(١). رغم أن الصناعة الوطنية قد تكون إنتاجها يد ماهرة توارثت فنها وحرقتها جيلاً بعد جيل. لكن النمط الجامد في الإنتاج يصبح، مع مرور الوقت، عامل كساد لا عامل رواج، لأنه لا يعود يراعي أذواق الناس المتطورة، فالأقمشة الإنجليزية، القطنية والصوفية، لم تكن أكثر اتفاقاً من مثيلتها الفرنسية، لكن هذه لم تلق الرواج الذي لاقته تلك، في أسواق بلادنا في القرن التاسع عشر، لأن الإنجليز فهموا أذواق السكان هنا وعملوا أقمشة تتلاءم معها^(٢). فالصناعة الأوروبية عموماً كانت جديدة ومتقنة وجيلة، مما جعل المواطنين يقبلون على شرائها لأنها كانت تضيء على حياتهم الشرقية راحة وجالاً^(٣).

كانت الصناعة أو الحرفة اليدوية تتوارثها الأسرة الواحدة غالباً، فيأخذ « سرّ الصنعة » الابن عن أبيه، ويحتفظ به ليعلمه، بدوره إلى ابنه. وكان من نتيجة توارث الأسرة الواحدة لصنعة أو حرفة معينة وتخصيصها بها « إن يغلب إسم الصنعة على إسمها الأصلي، ويلصق بها فتعرف به وتشتهر بين الناس باللقب الجديد. وفي صيدا كثير من العائلات التي تحمل أسماء تدل على صنعة أو حرفة كانت قد إختصت بها، ويمكن أن تعطي فكرة عن الصناعات التي كانت رائجة آنذاك.

= بيروت ١٩٧٨، ص ١٢ - ١: أسامة عانوق: الحركة الأدبية في بلاد الشام خلال القرن الثامن عشر، بيروت ١٩٧١، ص ١٩ - ٢ - علي الحسني، ص ١٩٣. ٣ - زين نور الدين زين: نشوء القومية العربية، ص ٥٠.

ومن أمثلة تلك العائلات السروجي^(١) والبنّي^(٢) والنحاس^(٣) والرؤاس^(٤) والشعار^(٥) والمغربل^(٦) والكيال^(٧) والجوهري^(٨) والزعتري^(٩) والشعاع^(١٠) والسيس^(١١) والملّاح^(١٢) والسكاكيني^(١٣) والبيطار^(١٤).

ولعل أكثر الصناعات أثراً في ترك طابعها على أسماء العائلات التي عملت بها كانت صناعة الحرير، حيث وجدت في صيدا (ولا تزال) خمس عائلات تحمل أسماء تدل على علاقة بالحرير، هي الحريري وقتال وصباغ والعقاد والحلال^(١٥)، بينما توجد في مناطق أخرى من بلاد الشام، غير صيدا، عائلات أخرى أخذت أسماءها نسبة للحرير مثل المسدي ومزايكي، والملقي، والقزّي والحايك، ومشاقة ودقاق^(١٦). وذلك راجع إلى الانتشار الواسع لتربية دودة

(١) صانع سروج الخيل ومزيناها.

(٢) المشتغل ببيع البن المدقوق.

(٣) صانع الأدوات النحاسية بطرقها ولصقها، أو بائنها.

(٤) بائع رؤوس الغنم المطبوخة (نيقة).

(٥) صانع الشعرية التي كانت توضع على النوافذ أو مداخل البيوت لرد أنظار المارة عن الداخل.

(٦) يقوم بتنقية الجيوب وغربلتها أيام الحصاد، أو قبل أن يقوم أهل المنزل بمزنها للمؤونة.

(٧) الذي كان يقوم بكيال السوائل أو الجيوب في السوق، ويأخذ مقابل ذلك رسماً بسيطاً.

(٨) الذي يعمل بالجواهر ويبيعها بالغالب، والجواهرجي كانت تطلق عموماً على صانع الخلي والجوهرات.

(٩) الذي يدق الزعفران ويضيف إليه «مخوجاته» من سمن ومق ومليح ويبيعه.

(١٠) صانع الشمع أو بائعه.

(١١) الذي يعتني بالحرير ويقدم لها علفها وينظفها ويحافظ عليها.

(١٢) بائع الملح أو جالسه من البحر أو الصخر.

(١٣) صانع السكاكين وبائنها.

(١٤) الذي يضع الحدوة لحيوانات النقل (من حير وبنال وخبول) وأحياناً لحيوانات الحراثة (البقر).

(١٥) الحريري هو بائع الحرير سواء كان خيوطاً، أو بعد صنعه اقمشة. والقتال من بلف خيوط الحرير (ويقتلها) بعد بلّها بالماء. والصباغ الذي يصبغ الحرير (وغيره من النسيج) بالألوان المطلوبة، وتنجلي مهارته في ثبات الوانه أو عدمه. والعقاد الذي يقوم بعقد خيوط الحرير (والصوف والقطن أيضاً). والحلال الذي يجل الشرائق بالخلقين (الوعاء) وكان ذلك يتم بطريقتين: حلالة عربية وحلالة افريقية.

(١٦) المسدي الذي يكمل شغل الحرير بعد القتال، والمزايكي الذي يمالج ما تقطع من طبقات الحرير أثناء صبغها (وهما من عائلات بيروت)، والملقي الذي يلقي بقطع الحرير إلى الحايك، والقزّي =

القر وصناعة الحرير في مناطق مختلفة من بلاد الشام، ففي سنة ١٩١٠ مثلاً، كان في بلاد الشام كلها ١٩٤ مصنعاً للحرير، أنتجت ٤٦٥,٨٠٠ كيلو غراماً^(١)

كان لكل صناعة شيخها (رئيسها) ويشبه «النقيب» اليوم للحرف والمهن المختلفة. وفي كل مشغل أو ورشة عمل كان يوجد صاحب المهن أو المعلم (الواسطة) ثم الصبي (أو المبتدئ بالصناعة) وقد يكون الصبي ابن صاحب الصناعة أحياناً. وفي المشاغل أو المحلات الكبيرة كان يوجد المعلم فالأجير (أو الصانع) فالصبي، وفي بعض الأحيان يكون في المعمل عدة صناع حسب حجمه وسعة شغله.

ويبدو إن الحرف والصناعات في صيدا في أوائل القرن العشرين، كانت مرتبة بدقة، ومصنفة إلى درجات أولى وثانية وثالثة، وحتى هذه الأخيرة كانت قسمين. ويحدد درجة الصانع أو الحرفي خبرته في عمله وكفاءته فيه. ومن سجلات بلدية صيدا للسنة ١٩٠٨ نورد نماذج من تلك الحرف ودرجاتها:

حسين حسن نموس صانع دباغ^(٢)

إبراهيم زكريا الصباغ طرايشي^(٣)

مصطفى بدوي عارف صانع نجار نصف الدرجة الثالثة

الشيخ عبد الوهاب جمعة

وإبراهيم حنينة مغربلون

والحاج أحمد اللبايدي

محمود يونس المرّ عجان^(٤)

= الذي يربي دودة القز، والغايك الذي يقوم بحياكة خيوط الحرير نسيجاً، ومشافة بقية الحرير بعد مشقة، والدقاق الذي يقوم بدق أثواب الحرير (آلاجا) أو القطن (ديما) والملني والحايك ودقاق من العائلات الشامية، والقزي في جبل لبنان وساحل الشوف، ومشافة في شمال لبنان.

(١) وجيه كوثراني: بلاد الشام: السكان الإقتصاد والسياسة الفرنسية في مطلع القرن العشرين، ص ١٠٩.

(٢) صانع دباغ بمعنى إنه يعمل في مدينة الجلود بأجر ولا يشارك في رأس المال.

(٣) بائع الطرايش، كما كان يقوم بتصليحها وكيها.

(٤) مهمته تحويل الطحين إلى عجين وتخميمه ليصبح جاهزاً للخبز في الفرن.

الحاج أحمد الصاوي برادعي^(١)

جميل أنيس الديراي

حسن نصار خانجي درجة ثالثة^(٢)

موسى شعادة لاوى كيالون

ومحمد وتوفيق الصفدية

محمد علي حسنا

جرجس نصار بناؤون

يوسف الزين

ديب سمان مبيض

فيصر قسطنطين نجار

وكان شيخ الحرفة يحافظ على تماسك أبناء حرفته، ويحكم بينهم، ويتقصى العمل ويمنع الفس، والإحتيال في الصنعة، ويبعد الغرباء المتطفلين عليها، ويقوم بمهمة الوساطة بين أبناء حرفته والسلطة، وبشكل عام يسعى إلى كل ما فيه تقدم حرفته وراحة حرفييه أو صنّاعه.

وفي سنة ١٩٠٩ كان شيوخ الحرف في صيدا كما يلي:

بدوي البساط شيخ التجارين

أحمد الناتوت شيخ السراميّة^(٣)

الحاج عبدو الداية شيخ القوندرجية^(٤)

محي الدين البلولي شيخ الحلاقين

الحاج إبراهيم البني شيخ باعة الخضار

(١) يصنع البردعة التي توضع على ظهر البغل أو الحمار ليسهل الركوب عليها.

(٢) يعمل في الخان، وهو قد يكون الفندق أو مركز تخزين بضائع الجملة.

(٣) الذين يبيعون الأحذية الخفيفة. ومفردها «سرامية» وهي محرفة عن «سرم» الفارسية بمعنى

الجلد. وكذلك «الرموجة» محرفة عن «سرموزه» الفارسية الأصل وهي ما كان يلبس في

القديم، من غطاء جلدي فوق الخذاء أماناً في حفظه، في البلاد الواقعة شرق خراسان.

(٤) صانعو الأحذية وبائموها، و«القوندره» غالباً كانت تطلق على أحذية الرجال

محمد حسنا	شيخ البنائين
عبدو النباطي	شيخ العتالة
الحاج إسماعيل البابا	شيخ الدباغين
عبدو نصار	شيخ البرادعية
الحاج محي الدين كشتبان	شيخ المبيضين
أحمد الشامي	شيخ القهوجية
حسين نصار	شيخ المكارية ^(١)
خليل جراي	شيخ الحماجية
الحاج إسماعيل حبله	شيخ اللحامين
سعيد السن	شيخ البحرية
خليل السكافي	شيخ صيادي السمك
كامل الصباغ	شيخ الصباغين
نقولا ضبر	شيخ الخياطين
حسن قنبريس	شيخ الحدادين
صادق الحاصباني	شيخ المرجعية ^(٢)

ومن احصاء لارباب الحرف والمهن والتجارة في صيدا الذين كان لهم محلات خاصة بهم سنة ١٨٨٨ ، يتبين انها كانت تضم:^(٣)

١٠ خياطين	٤ ساعاتية (بيع وتصلح ساعات)
٧ حدادين	١٠ صباغين
٢٦ كندرجيا	(بائع احذية) ٧٠ عطارا
٢٨ اسكافيا	(صانع احذية) ٦٠ بائع اقمشة

-
- (١) المكارية الذين يعملون على تأجير غيولهم وحبهم إلى الغير ليتنقلوا بها أو لينقلوا عليها حوائجهم أو يقومون هم بتلك المهمة لقاء «كراء» أي أجر معلوم.
- (٢) بلدية صيدا، قرار نومرو ٤ في ٢ مارت (آذار) سنة ١٣٢٦ مالية.
- (٣) يوسف ابى رزق: تاريخ مدرسة الفنون الانجيلية الوطنية، نقلا عن مجلة الحقائق، مجلة اصدرتها مدرسة الفنون الانجيلية في صيدا، العدد الأول، تشرين الثاني ١٨٨٨.

ومن أنواع المهن والحرف والذين كانوا يعملون بها:

المربجية:

الحاج إبراهيم داوود البزري، مصطفى درويش سكينى، عمر الحاج عمر
اليسن، صادق الحاصباني (وكان شيخاً للمربجية)، يوسف النقيب، محمد البربير.
السايس: علي عيدي، سميد عبد الكريم السقا، عارف بشاشة
القهبوجي: ملحم رومانوس، عبد الغني مكاوي
الترجمان (مترجم): أورفانوس.
خضرجية (باعة خضار): عبد الغني الزعتري، رشيد الزعتري.
موظف لوكانده (فندق): نقولا رومانوس.
عامل بيطار: محمد عبده سنجر.
بستاني: مصطفى حجازي الواوي، عبد الرحمن عنتر.
جّار: يونس عوكل.
فوّال: خليل حامد أبو عفرة.
تبيكجي (بائع تنباك): محمد المرقى.
جّال: محمد الدنكلأوي.

٢ - الصناعة:

ظلت صناعة الحرير وإستخراجه أبرز صناعات صيدا لفترة طويلة، كما
احتل النسيج الحريري مكانة مهمة بين صناعاتها^(١). وكانت مصانع الألاج
(المنسوجات الحريرية والقطنية) موجودة في صيدا، وكذلك في طرابلس
وبيروت^(٢). وعندما انشأ الاخوة ابيلا معملًا للحرير سنة ١٨٥٩ استحضروا

(١) بوون وجب: ج ٢، ص ١٤٢.

(٢) التبيبي وبعث: ص ٥٥.

له أحدث الآلات من أوروبا، وكان الأول من نوعه في المنطقة. وإلى جانب النسيج اخذوا يصدرون كميات كبيرة من خيوط الحرير (الشراشق) إلى أوروبا^(١).

بالإضافة إلى قيام مصانع الخشب لصنع الصناديق، لتعبئة القار والحمضيات المصدرة إلى أوروبا، وإستطاع الصيداويون في مصانعهم تلك، أن يستخدموا أحدث الطرق في تغليف الفواكه المصدرة لحفظها من الفساد والتلف، وذلك بلف كل ثمرة بورق منسوج (Tissues) رقيق كانوا يستوردونه من الخارج^(٢).

كما قامت فيها صناعة السفن والمراكب الشراعية، وإستطاع الصيداويون أن يحرزوا خبرة ومهارة في صناعة المراكب، بحيث أخذت ترد إليهم طلبات لصنع السفن من معظم مدن الساحل السوري، وفي أوائل القرن العشرين تمكنوا من بناء ثلاث سفن ضخمة كانت حولة الواحدة منها من ١٢٠ - ١٤٠ طناً.

كما أقيم فيها سنة ١٩١١ معمل لصنع السجاد الوطني من أنواع الأصنفاني والفرهاني والشيرازي، وكانت تعمل به فتيات صيداويات ويملكه أحد أفراد عائلة البزري^(٣).

وأنشئت فيها صناعة القرميد سنة ١٩٠٧ لسد حاجة صيدا والمناطق المجاورة، علماً بأن صيدا استوردت تلك السنة ٣٠٠ ألف قطعة قرميد من الخارج عن طريق بيروت.

(١) القنصلية الاميركية: ت/٣٦٧، ج ١١ التقرير السنوي العام عن سوريا ارسله القنصل الاميركي في بيروت عن سنة ١٨٧٣.

(٢) القنصلية الاميركية: ت/٣٦٧، ج ١، تقرير القنصل الاميركي العام في بيروت في ٣٠ حزيران ١٨٨٦.

(٣) توما كيال: تجارة صيدا وزراعتها وصناعتها، المشرق، مجلد ١١، عدد ٣ آذار ١٩٠٨، ص ١٧٥.

(٤) المفيد، المدد ٦٤٧، في ٢٣ آذار ١٩١١.

كما قامت فيها عدة مدايح صدرت معظم جلودها المدبوغة إلى بيروت وقبرص،^(١) كما قامت فيها قبل الحرب العالمية الأولى مصانع للصايون^(٢) أحدها لعائلة حشيشو والأخر لعائلة زهرة، وثالث لعائلة كالكو (لا يزال قائماً حتى اليوم).

وهناك صناعة « طبع الأقمشة »، حيث كانت تستورد الأقمشة الأوروبية « السادة » ثم تطبع عليها رسوم وأشكال تناسب أذواق سكان البلاد، في مشاغل بيتية، كانت منتشرة في معظم مدن بلاد الشام، وكان هذا النوع من القماش يستهلكه القرويون في صنع مناديل للرأس وأغطية اللحف^(٣).

هذا وكانت في صيدا صناعات وحرف عديدة تتألف من محل واحد، هو مشغل ومحل بيع وعرض في وقت واحد، مثل صنع القناديل، وعرف به أحد حسن البدري، وصنع الجلال للدواب، وعرف بعملها محي الدين محمود نصار، وعبد الغني نصار، وصنع الأباريق والأدوات الفخارية وعرف بها اسبر فاخوري، كذلك كان من الدباغين محمد درويش زهرة، ورشيد محمد البابا، وبالصباغة محمود أحد الصباغ.

وكان أحد الأوروبيين « مسيو مرون »، قد أنشأ معملًا لإستخراج الزيوت الطبية والعطور، من النباتات البرية الكثيرة التي تنمو في سهل صيدا وفي التلال المجاورة لها^(٤).

كما عرفت مشاغل لصباغة الحلّ من الذهب والفضة، بالإضافة إلى باعة المجوهرات (الجواهرجية)، وصناع الأدوات النحاسية المختلفة^(٥).

(١) توما كيال، المصدر السابق الصفحة نفسها.

(٢) النعمة، مجلد ٣، ج ٨، سنة ١٩١١، ص ٦٧٣.

(٣) المقتطف، مجلد ٤٣، ج ٦، كانون الأول ١٩١٣، ص ٥٧٣.

(٤) لبنان مباحث علمية وإجتماعية، ط ٢، بناية فؤاد أفرام البستاني، ج ٢، بيروت ١٩٧٠، ص ٤٣٨. ولم تذكر جنسية الرجل أو السنة التي أنشأ بها معمله، ويرجح أنها كانت في أواخر القرن التاسع عشر.

(٥) القنصلية الأميركية: ت. ٣٦٧، ج ٤ التقرير السنوي عن تجارة صيدا لسنة ١٨٦٣ أرسله القنصل الأميركي العام في بيروت.

ومن الصناعات الزراعية الرئيسية في صيدا، صناعة ماء الزهر، حيث يقطر في فصل الربيع من زهر شجرة الصفير، وقد تمتع ماء الزهر الصيداوي بشهرة واسعة في كل بلاد الشام، وأنحاء مصر وإسطنبول، وقد صدرت صيدا منه، سنة ١٩٠٥، إلى سوريا ومصر وإسطنبول، حوالي ستة آلاف كيلو^(١)، بينما بلغت كمية المصدر منه سنة ١٩٠٧، إلى البلدان المذكورة، حوالي أربعة آلاف كيلو^(٢).

وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر، قامت فيها عدة معامل لصنع الحلويات المختلفة، سرعان ما تمتعت بشهرة واسعة، لطيب مذاقها وإتقان صنمها ونظافتها، مثل معامل حلويات الدياسي والقصير والسنيرة^(٣)، وهذه العائلة الأخيرة تخصصت بنوع من الحلويات المسماة «غريبة» والتي عرفت باسم هذه العائلة سنيرة. كما قامت في أوائل القرن العشرين معامل حلويات شاكر والبساط. وتأسس هذا الأخير سنة ١٩٠٤، ولا يزال قائماً، مثله مثل الدياسي والقصير والسنيرة. وعرفت معامل البساط بإنتاج أجود أنواع الحلوة الطحينية والطحينة والسسمية وغيرها. ونورد هنا اعلاناً عن أحد هذه المعامل نشره صاحبه سنة ١٩٠٧ لدلالته على أسلوب الدعاية التجارية في تلك الفترة، ولطرافه مصطلحاته: «غريبة ومعمول المشهوران في صيدا شغل سعد الدين شاكر، بجانب القشلة العسكرية في بوابة التحتا. اشتهرت هذه الحلوى بلذيد طعمها، وحسن صنمها وخلوها من كل غش. وحباً بتوفير السؤال على الطالب عن محل بيعها يبيناً له مكان محلنا كما أعلاه، وجعلنا فوق كل علبه منها ورقة مطبوعاً عليها اسمنا. وعند التجربة يظهر صدق مقالنا»^(٤).

وعند إقامة معرض صناعي في اسطنبول لأول مرة سنة ١٩١٥، دعت البلدية في صيدا الصناع والحرفيين إلى تقديم إنتاجهم للفوز بأحدى جوائز

(١) توما كيال: أهمية تجارة صيدا، المشرق، مجلد ٩، العدد ٤ في ١٥ شباط ١٩٠٦، ص ١٥٨.

(٢) توما كيال: تجارة صيدا وزراعتها وصناعتها، المشرق، مجلد ١١، عدد ٣، آذار ١٩٠٨، ص ١٨٠.

(٣) احمد عارف الزين، ص ١٦٤.

(٤) ثمرات الفنون، العدد ١٦٣٣، في ٧ تشرين الأول ١٩٠٧.

المعرض، أو لإتاحة الفرصة أمامهم لبيع إنتاجهم في ذلك المعرض^(١).

(١) بلدية صيدا، قرار نومرو ١٥ كانون الثاني ١٣٣٢، تنفيذاً لأمر والي بيروت في مذكرة رقم ١٧٩٩/٣٢١، المؤرخ في ٣ تشرين الثاني ١٣٣٢.





«المنطور» وسيلة الانتقال الشعبية حتى الحرب العالمية الأولى!



كان للأغنياء عرباتهم الخاصة ذات الجياد الطيعة!



تم اصيغت سيارة كورد، أبو دعب، كركلايت والتقطات في اعاء البلاد

(مجموعة جان فاسي)

المواصلات

١ - القوافل وسيلة نقل وانتقال:

سأيرت وسائل المواصلات في صيدا عصرها ، وتطورت بتطورها . فعندما كانت الحيوانات هي الوسيلة الرئيسية ، في بلاد الشام ، في النقل والإنتقال ، كانت صيدا تستخدم الحيوانات أيضاً في سفر أبنائها أو في تجارتهم مع البلدان المختلفة برأ . ولما بدأ إستعمال العربات استورد الصيداويون عربات ، أو صنعوها ، وجعلوها وسيلة للحمل والنقل . ولما جاء عصر السيارات صار لدى الصيداويين بعض منها ، يستخدمونها في الإتصال بالمدن المجاورة ، بل إن صيدا كانت من أوائل بلدان الشام التي استخدمت السيارات .

كانت الحيوانات هي وسيلة الإتصال البري الوحيدة في بلاد الشام في النصف الأول من القرن التاسع عشر ، وحتى بعد إستخدام العربات ، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، فإن حيوانات النقل لم تفقد كثيراً من مكانتها ، وظلت تزاخم العربات على الطرقات ، حتى أوائل القرن العشرين عندما أخذت تنحسر عن الطرق الرئيسية ، وتنحصر في مناطق ضيقة من بلاد الشام .

كان الإنتقال يتم إما فردياً ، على صهوة جواد ، أو على ظهر جل ، وأحياناً بواسطة البغل أو الحمار ، أو يتم الإنتقال جمعياً على شكل « قافلة » ، والإتفاق على الإنخراط في القافلة ، يتم بواسطة « حجة شرعية » كانت بمثابة بطاقة سفر عصرنا الحاضر^(١) .

(١) عبدالكريم غرايبة: سوريا في القرن التاسع عشر، ص ١٥٤ .

وكانت القافلة تضم دليلاً (عادة من البدو) وعدداً من الحراس المسلحين، وقد إمتازت القافلة بتنظيم دقيق، كما كانت أشبه بمدينة متحركة. وكان لكل قافلة (شيخ) مسؤول عنها له صلاحيات مطلقة.

وقد تمتع أفراد القافلة، عموماً، بحيو إجتماعي لطيف، إذ شكّلوا مجالس أنس وشعر وتاريخ، تؤنس ليالي سفرهم الطويل أحياناً، وتعاطوا القهوة، ورحبوا بالتطفلين العابرين^(١).

وكان «المكارية» يصحبون القافلة ويخدمون أفرادها، وينقلون أحياناً رسائل لبعض التجار. وكانت صيدا تتصل بالمدن السورية الأخرى براً بواسطة القوافل، وقد بلغ عدد القوافل بين صيدا ودمشق، في الربع الأول من القرن التاسع عشر، ثلثي عشرة قافلة سنوياً بلغ مجموع بغالها ١٦٩^(٢).

وكانت صيدا ترتبط بصور وعكا، وكذلك بدمشق والداخل، ومع بيروت ومدن ساحلية أخرى بقوافل منتظمة، وكانت الرحلة بين صيدا وبيروت تستغرق من ست إلى تسع ساعات، وبينها وبين دمشق نحو أربعة أيام^(٣). وكانت الطرق قادميات تتخللها الحفر أو تعترضها الصخور، رغم إن الطريق بين صيدا وبيروت كانت مطروقة كثيراً، إلا أن اجتيازها كان صعباً، حتى على أكثر الناس حذقاً وألين الحيوانات مراساً، وقد وصفها الرحالة الإنجليزية جون كارن في الثلث الأول من القرن التاسع عشر، بأنها طريق مجهد وشارقة^(٤). وحوالي منتصف القرن. ذكر رحالة إنجليزي آخر هو ادوار روبنسون أن بعض اجزائها يكتنفه رمل كثيف، والبعض الآخر حواف صخرية^(٥) ولما اجتازها الشيخ القاياتي في أواخر ذلك القرن، شكى مما ناله من

(١) المرجع السابق، ص ١٥٥.

(٢) كان عدد القوافل بين دمشق وصور خسا بالسنة، وبينها وبين عكا ستاً، وبينها وبين بيروت إحدى وخسين سنوياً.

(٣) للمقارنة فإن الرحلة بين دمشق وطرابلس كانت تستغرق ستة أيام، وبين دمشق والقاهرة من ٢٠ إلى ٣٥ يوماً.

(٤) جون كارن: رحلة في لبنان في الثلث الأول من القرن التاسع عشر، تعريب رثيف خوري ج ١، بيروت، ١٩٤٨، ص ٣٠٣.

(٥) ادوار روبنسون: يوميات في لبنان، ج ١، ص ٦٩.

اجهاد وعناء^(١) خصوصاً وإن العابرين لنهر الدامور، كان عليهم أن يوكلوا امرهم إلى رجال مخصصين يحملونهم على ظهورهم عبر النهر^(٢).

كان المسافرون برأ يستريحون من عناء السفر، في محطات تدعى «خانات»، حيث يرجمون أجسادهم، ويرتشفون القهوة أو الشاي، ويتزودون بيمض الطعام، أو تهيأ لهم وسائل الطهي من ماء ونار. وفي بعض تلك الخانات كان يسمح للمسافرين بالمبيت، حيث تقدم لدوابهم المياه والعلف. وفي تلك الفترة كان بين صيدا وبيروت خمس خانات في الجية والنبي يونس والدامور والسعديات وخلدة لا تزال بقايا بعضها الآن (في السعديات والنبي يونس).

٢ - الطرق المعبدة:

بدأت الدولة العثمانية تهتم بتحسين طرق المواصلات منذ النصف الثاني للقرن التاسع عشر: وكان من أهدافها في ذلك السبيل أحكام قبضة الحكومة المركزية على الولايات، وتسهيل تنقل قواتها، وتنشيط التجارة الداخلية. فأصدرت في ٧ جمادي الأول ١٢٨٠ (١٨٦٣) نظام الطرق والأبنية^(٣). ثم قانون «نظام الطرق والمعابر» في ١٨ جمادي الأول ١٢٨٦ (١٨٦٩)^(٤) ويعوجب هذا النظام جعلت الطرق أربعة أصناف حسب أهميتها:

الأولى هي الجادات الكبرى التي تصل اسطنبول بمراكز الولايات. والثانية التي تربط مراكز الولايات بمراكز الألية^(٥). والثالثة الطرق التي تصل مراكز الأقضية بالمرافئ وبمخطوط السكك الحديدية، والرابعة كانت الطرق التي لا تستعملها العربات بشكل دائم.

وكان عرض الطريق من الصنف الأول تسعة أمتار (مع الجانبين) ومن الثاني سبعة أمتار، ومن الثالث خمسة أمتار ونصفاً، ومن الرابع ثلاثة أمتار^(٦).

(١) الشيخ محمد عبد الجواد القاياتي، نفحة البشام في رحلة الشام، مصر، ١٣١١ هـ. ص ٥٥

(٢) فضل الله فارس أبو حلقة: مختصر في الجغرافية، ص ٥١.

(٣) الدستور، ج ٢، ص ٤٤١.

(٤) الدستور، ج ٢، ص ٢٦١.

(٥) بمثابة الطرق الرئيسية اليوم.

(٦) نظام الطرق والمعابر في ١٨ جمادي الأول سنة ١٢٨٦ (١٨٦٩)، الدستور، ج ٢، ص ٢٦١.

وقرضت الدولة العمل المجاني أربعة أيام في السنة على الذكور من عمر ١٦ - ٦٠ سنة لأجل أعمار الطرق وشقها، أو دفع مبلغ نقدي بدل العمل.

وكانت أول طريق معبدة^(١) في بلاد الشام، تلك التي افتتحت سنة ١٨٦٣ بين دمشق وبيروت^(٢)، ثم تتابع شق الطرق المعبدة في أنحاء سوريا^(٣) خصوصاً بعد أن وضعت الدولة ١٠٪ من واردات البنك الزراعي لتعمير الطرق وشقها، في سوريا سنة ١٨٨٩^(٤). وكانت هناك غرامة تبلغ ليرة عثمانية إلى ربع ليرة على من يمتدي على الطرق بالضرر أو التخريب^(٥). وأهم الطرق التي ربطت صيدا بالمدن المختلفة خلال تلك الفترة كانت:

أ - طريق صيدا - دمشق:

بعد إنشاء طريق دمشق - بيروت، فكر مدحت باشا، والي سوريا، بربط صيدا بدمشق بطريق معبداً مائلاً، لكنه عزل من منصبه قبل تنفيذ مشروعه^(٦)، وقد قام مهندسون بالكشف على الطريق المقترح، وخططوا لسيّره من صيدا إلى جسر البرغوث فالى درب السين فجسر نهر الزهراني الأعلى، ثم يتابع الطريق الرومانية القديمة حتى النبطية^(٧)، لكن التنفيذ لم يتم، وظلت طريق صيدا النبطية ترابية حتى أوائل القرن العشرين^(٨). أما بقية الطرق من النبطية حتى دمشق فلم يحجر تعبيدها وظلت على حالها^(٩).

(١) يقصد بالطريق المعبّد آنذاك الطريق المعبّد الرصوف بالحجارة وفوقها الرمل، وكان يسمى أيضاً «الشوسّة» من الفرنسية. *Chaussée*.

(٢) وكانت قد التزمتها شركة فرنسية سنة ١٨٥٧ وبدأت العمل بها سنة ١٨٥٨، وأنجزتها سنة ١٨٦٣ بطول ١١٢ كيلومتراً.

(٣) مثل طريق طرابلس - حمص سنة ١٨٨٣، ودمشق - حوران سنة ١٨٨٨.

(٤) علي الحسي، ص ٢٤٣.

(٥) جرجي تامر، ص ١٥٣.

(٦) علي الحسي، ص ٣٤٢.

(٧) لسان الحال، العدد ١٨٥، في ٦ آب ١٨٧٩.

(٨) مكتب السجلات العامة ف. و. ٢٠٧٥/١٩٥٠ تقرير دراموند هاي DRUMMOND HAY عن الأحوال الإدارية والاقتصادية لولاية بيروت وجبل لبنان في شباط ١٩٠٢.

(٩) مكتب السجلات العامة ف. و. ١٣٠٦/١٩٥٠ رسالة القنصل البريطاني العام JOHN DICKSON =

فكرت السلطات منذ سنة ١٨٧٩، بتعبيد طريق صيدا بيروت لأهميته، ولازدحام العابرين عليه، لكن ذلك لم يتحقق عمليا الا في اوائل القرن العشرين.

ففي اواخر سنة ١٨٧٩ كتب والي سوريا الى متصرف جبل لبنان يبين له فوائد تعبيد طريق صيدا - بيروت، وخصوصا بالنسبة لجبل لبنان^(١). وفي ٣١ كانون الثاني سنة ١٨٨٠ ذهب الوالي ومتصرف بيروت الى صيدا لمعاينة موقع الطريق على الطبيعة، وطلب الوالي عند وصوله الى صيدا لائحة بالذكور من سكانها، عن تجاوز السابعة عشرة، لينفذوا فترة العمل المجاني التي فرضها القانون^(٢).

ومضت عشرون عاما تقريبا، قبل ان تم الاتفاق بين ولاية بيروت ومتصرفية جبل لبنان، على ان تدفع الاولى خمسة آلاف ليرة لتقوم الثانية بانشاء الطريق الذي يحقق فوائد لكل المدن التي يمر بها^(٣). وشمل الطريق ٣٢ كيلومترا داخل حدود متصرفية جبل لبنان واربعة كيلومترات قرب صيدا ضمن اراضي ولاية بيروت^(٤).

ولما جرى التخطيط للطريق اختلف الصيادويون حول الاتجاه الذي تسلكه. فبعضهم طالب بمرورها غرب بساتين المدينة، وبعضهم الآخر رغب بمرورها شرقها، وفريق ثالث ارتأى ان تعبر الطريق من وسط البساتين. وقد

= رقم ٤٢ للسفير HENRY LAYARD بيروت في ٣١ أيار ١٨٨٠.

(١) ثمرات الفنون، الممدد ٣٥٨، في ٨ كانون الأول ١٨٧٩.

(٢) المقتطف: مجلد ٤، ١٨٧٩ - ١٨٨٠، ص ٢٧٧.

(٣) النشرة الإيسوعية، مجلد ٣٤، الممدد ١٧٥٦، في ٢٣ ايلول ١٨٩٩، ص ٣٧٥ نقل عن جريدة «لبنان».

(٤) مكتب السجلات العامة ف. و ٢٠٧٥/١٩٥ تقرير عن الحالة الادارية والاقتصادية لولاية بيروت ومتصرفية جبل لبنان أرسله القنصل البريطاني العام DRUMMOND HAY في ٢٠ تشرين الثاني ١٩٠٠.

خطط مهندس الولاية ان تمر الطريق شرقي البساتين قرب حدود متصرفية جبل لبنان، بعد ان كان مخططا لها في السابق ان تكون غربيها نحو البحر. وبينما رفع فريق من السكان لسلطات الولاية عرائض الشكر، رفع فريق آخر عرائض الشكوى. ولا شك ان انشاء الطريق شرقي البساتين كان اقل تكلفة من انشاؤها غربيها، حيث توجد جداول القملة والسبع اعين وتحتاج الى انشاء معابر فوقها^(١).

واستمر العمل بالطريق سنة ١٩٠١، وامر الوالي بفتح طريق من جامع المصيطبة في بيروت عبر حرج الصنوبر فمقام الامام الاوزاعي، حتى قرية برج البراجنة ثم يتصل بطريق صيدا الذي كان جاريا انشاؤه، وذلك لتسهيل السير على الراغبين بزيارة الامام الاوزاعي^(٢).

وقبل ان يكتمل انشاؤه تماما، اخذت العربات تسير عليه ما بين معلقة الدامور وصيدا^(٣)، ثم افتتح رسميا في اواخر ربيع سنة ١٩٠٢^(٤). وعهد الى بشارة افندي رئيس مهندسي الولاية بالاشراف على صيانتها، واكمال تعبئته، ليصبح صالحا تماما لسير العربات عليه^(٥). وآخر اربعة كيلومترات منه جرى تلزيم عملها بمبلغ ٤٧ الف قرش^(٦).

وقد أدى انشاؤه الى نشاط حركة المرور عليه، وساهم بالتالي في تنشيط حركة التجارة بين المدينتين، وعمل يوسف فرنكو باشا متصرف جبل لبنان على وصل «الحدث» بطريق صيدا^(٧).

(١) ثمرات الفنون، العدد ١٢٦٢، في ٢٥ كانون الأول ١٨٩٩.

(٢) ثمرات الفنون، العدد ١٣٤٦، في ٩ أيلول ١٩٠١.

(٣) مكتب السجلات العامة ف. و ٢١١٧/١٩٥ تقرير عن الأوضاع الادارية والاقتصادية في ولاية بيروت عن الربع المنتهي في ٣٠ حزيران ١٩٠٣ أرسله القنصل البريطاني

DRUMMOND HAY إلى السفير باسطنبول في ١٩ تموز ١٩٠٣.

(٤) الاقبال، مجلد ١، العدد ٣ في ٩ أيار ١٩٠٢.

(٥) الاقبال، مجلد ٢، العدد ٣٢ في ١٦ شباط ١٩٠٣.

(٦) ثمرات الفنون، العدد ١٤٨٩ في ١٨ تموز ١٩٠٤.

(٧) ثمرات الفنون، العدد ١٦٤٩ في ١٠ شباط ١٩٠٨.

ج - طريق صيدا - صور - عكا:

أحيلت عمليات إنشاء طريق للعربات بين صيدا وصور على ملتزمها بمبلغ ٣٢٩ ألف قرش^(١)، وقد شيدت عبرها ستة جسور حجرية، كما رُممت أربعة جسور قديمة، وانشئت ثلاث عبارات ومنافذ للماء^(٢)، وتم انجازها في صيف ١٩٠٧. وظل قسم الطريق ما بين صور وعكا على حاله حتى تمت احالته على ملتزمه في ٣١ كانون ثاني ١٣٣٢ (١٩١٤) بمبلغ ٢٥٤ ألف قرش^(٣).

د - طريق صيدا - مرجعيون:

بدأ العمل بها سنة ١٩٠٣ بالتزام قدره ٩٤٥ ألف قرش^(٤). وحتى سنة ١٩٠٧ كان قد شيد عليها ثلاثة جسور حجرية ومنافذ للماء، واستمر العمل برصنها^(٥) كما شيد كثير من الجسور على مجاري الماء في قضاء صيدا، مثل تشييد جسري سينيقي وبلوط سنة ١٩٠٣^(٦).

٣ - العربات:

لم تكن بلاد الشام تعرف وسيلة للنقل او السفر الا الحيوانات حتى احضر قنصل بريطانيا في دمشق، مسترفون، اول عربة الى هذه البلاد سنة ١٨٣٣^(٧)، وبعدها اخذ استخدام العربات ينتشر ببطء خلال النصف الاول من القرن التاسع عشر، ولكنه اخذ بالانتشار السريع منذ النصف الثاني من ذلك القرن، خصوصا بعد ان كثر تحويل طرق «القادوميات» الى طرق ممهدة «شوسه»، تتيح للعربات سهولة السير ومرتته^(٨).

(١) الاقبال، العدد ٧٦ في ١٢ كانون الأول ١٩٠٤.

(٢+٣) لسان الحال، العدد ٥٣٨٦ في ٢٠ نيسان ١٩٠٧.

(٣) بلدية صيدا، قرار بلدي نومرو ٢١٢ في ١٦ كانون الثاني ١٣٣٢ (١٩١٤).

(٤) الاقبال، العدد ٢٣ في ٢٣ شباط ١٩٠٣.

(٦) الاقبال، العدد ٣٥ في ٢٥ أيار ١٩٠٣.

(٧) استورد ستر فرن عربيته من لندن إلى بيروت، ثم حلت على ظهور الجبال إلى دمشق مفككة، حيث جرى تركيبها، ثم سارت بها الخيل خارج دمشق فتجمع الوف الناس لمشاهدة أول عربة في

بلاد الشام. راجع أسد رستم: آراء وأبحاث، بيروت، ١٩٦٧، ص ٩١-٩٣.

(٨) كان أول من تقدم بطلب لتسيير عربات على طرقات جبل لبنان عبد الأحد طبيب في آذار ١٨٧٤. راجع أسد رستم: لبنان في عهد المتصرفية، ص ٢٠٥.

واستمر النقل غير منتظم حتى مطلع القرن العشرين، حيث تألفت شركات نقل لتسيير خطوط منتظمة بين صيدا وبيروت. ففي تشرين أول ١٩٠٢ أعلن «عبد الفتاح النعماني» تأسيس أول شركة نقل منتظمة بين بيروت وصيدا، وكانت تسيّر عرباتها من بيروت الى صيدا مرة واحدة في النهار ثم تعود، في اليوم التالي، الى بيروت. وجعلت في منتصف الطريق بين المدينتين محطة لها لاستراحة الركاب وتبديل الجياد. وكان مركز الشركة في بيروت قرب ساحة السمك، وفي صيدا قرب دار الحكومة، وكان وكيلها محمد لطفي^(١).

وفي السنة التالية شكل «جورج فرشلي» شركة نقلات جديدة بين المدينتين، كان جدول رحلاتها عربية من بيروت الى صيدا الساعة الثامنة صباح يومي الثلاثاء والخميس، وعربية في الثامنة صباح يوم الاربعاء والجمعة من صيدا الى بيروت. وفي بيروت كان مركزها مخزن جورج فرشلي قرب ساحة السمك، وفي صيدا في سوق المطران لدى وكيلها الحاج ابراهيم البزري^(٢).

وفي سنة ١٩٠٦ قامت شركة نقلات ثالثة، هي شركة الحاج زكريا فتوح واولاده، وقد اهتمت بنقل البضائع والركاب، وكان مركزها في صيدا عند بوابة السرايا، وفي بيروت في خان بيهم^(٣).

وقد أخذت الشركة تسيّر كل يوم عربتين، احداها صباحا والثانية بعد الظهر ساعتين، وكانت الرحلة تستغرق اربع ساعات، ويجري تغيير الخيول واستراحة الركاب في الدامور. وكانت اجرة الراكب نصف مجيدي، وقد تعهدت الشركة بنقل البريد العثماني بين المدينتين مجانا^(٤). وفي سنة ١٩١٠ نقل مركز شركته في بيروت عند السور، وفي صيدا عند بوابة الشاكرية^(٥).

وقد وصف مراسل جريدة لسان الحال رحلته من بيروت الى صيدا فقال «... في الساعة الثانية عشرة والنصف عربية امتطيت العربية قاصدا

(١) لسان الحال العدد ٤١١٨، في ٨ تشرين الأول ١٩٠٢.

(٢) لسان الحال العدد ٤٣٣٩، في ٢ تموز ١٩٠٣.

(٣) ثمرات القنون العدد ١٥٥٠، في ١٩ شباط ١٩٠٦.

(٤) لسان الحال، العدد ٥٩٩٨، في ٢١ نيسان ١٩٠٩.

(٥) لسان الحال، العدد ٦٢٤٩، في ١٤ شباط ١٩١٠.

صيدا... كانت العربات ذاهبة آية عليه... لكن كان يدركنا الغبار الذي يصمي الابصار.. في الساعة الرابعة وصلنا محطة السعديات واقمنا فيها ريثما اخذنا الراحة، ثم استأنفنا السير في الساعة السادسة، فوصلنا الى صيدا في نحو الساعة التاسعة والنصف...^(١)

واخذ استخدام العربات ينتشر بسرعة، سواء للنقل العام او للاستعمال الخاص. وتنوعت «موديلاتنا»، فكان بعضها مكشوفة وبعضها الآخر مستقوفا، وبعضها الثالث يصلح للصيف والشتاء معا^(٢). وكان ثمن العربة يتراوح بين ٤٠ - ٤٥ ليرة فرنسية ذهبية، كما كان ثمن سرج الخيل الخاص بالرجال يتراوح بين اربع ليرات ونصف الى خمس ليرات، والسرج الخاص بركوب السيدات من ليرة ونصف الى خمس ليرات «بأسعار مطلع هذا القرن»^(٣).

وكان المسافرون يحملون معهم زواتهم، احيانا، ليتناولوها خلال الاستراحة على الطريق. كما كان البعض منهم يرتدي ثوبا طويلا شبيها بالعباءة، ولكنه يخلع من الامام بعدة ازرار من اعلاه الى اسفله، يدعى «كشميسار» وذلك لحماية الملابس من الغبار المتطاير من تحت عجلات العربات السائرة^(٤).

وادی انتشار استعمال العربات الى وجوب ضبط اوضاعها، وتنظيم امور النقل عموما، فصدرت التعليمات بأن يكون لكل عربة رقم خاص بها مدوّن على بطاقة من نحاس، وان تظل العربات نظيفة ومتقنة الصنعة ومتينة، ومنعت استخدام الخيول المريضة او الهزيلة في جر العربات، وحددت حمولة العربة بخمسة ركاب، واعتبرت كل ولدين لا يتجاوز عمر كل منهما عشر

(١) رسالة مندوب لسان الحال الطرابلسي حكمت شريف من صيدا، لسان الحال، العدد ٥٢١٢ في ٢٦ أيلول ١٩٠٦.

(٢) إعلان نشره الشيخ سعيد الجندي من بيروت عن بيع عربته، ثمرات الفنون، العدد ١٧٣ في ١٢ آب ١٨٧٨.

(٣) إعلان التاجر كارل التانس من بيروت عن ورود عربات إليه مع لوازمها للبيع، لسان الحال، العدد ٣٢٢٨ في ٢٨ أيلول ١٨٩٩.

(٤) من مقابلة مع السيد ابراهيم الجوهري في منزله في صيدا، آب، ١٩٧٩.

سنوات بمثابة راكب واحد . وفرضت على اصحاب العربات ايقاد قناديلهم بعد الغروب بنصف ساعة . وألزمت كل حوذي ان يضع على ذراعه الايسر الرقم الخاص به ، وان يجلس قرب عربته عند انتظار الزبائن ، وفرضت غرامة نقدية وتعطيلا مؤقتا عن العمل لمن يخالف ذلك بترك عربته واقفة وحدها . كما منعت من لم يصل الحادية والعشرين من عمره من العمل حوزيا^(١) .

وفي سنة ١٩١٠ حددت بلدية صيدا اجرة العربة ليوم كامل من ايام الصيف سبعة واربعين قرشاً ونصف القرش ، وفي فصل الشتاء سبعا وخمسين قرشاً . كما جعلت استئجار رأس من الخيل ليوم واحد في فصل الصيف عشرة قروش ، وفي فصل الشتاء خمسة عشر قرشاً^(٢) .

وكانت بلدية صيدا تتشدد في قمع اية مخالفة من هذا القبيل ، اذ لما اوقف العربي (الحوذي) يوسف النقيب خيل عربته امام باب السراية العتيق ، حيث اخذت تضاييق المارة ، كما ان احدها رفس صبيا وكاد يقتله ، غرمته البلدية بدفع خمسة ارباع مجيدي^(٣) . ولما ثبت لها ان الحوذي ابراهيم الحيفاوي يسوق عربته بسرعة ويجهد دوابه ، غرمته خمسة ارباع المجيدي^(٤) ، كذلك غرمت محمد عمر الشريف خمسة ارباع المجيدي لأنه غسل عربته في الشارع العام امام الجامع البراني^(٥) .

وقد وضعت البلدية ويركو تتمتع (ضريبة دخل) على كل عربة حسب انتاجها ، فبلغ احيانا ٤٠ قرشاً بالسنة . ويبدو ان الضريبة التي وضعتها بلدية بيروت على كل عربة ، ومقدارها اربعين ريالاً مجيدياً في السنة ، أدت الى قيام اول اضراب لأصحاب العربات في بلاد الشام ، في آذار ١٩٠٩ ، لتذمرهم من

(١) الاقبال - العدد ٥١ في ١٤ أيلول ١٩٠١ .

(٢) بلدية صيدا ، قرار بدون رقم في ٢٠ كانون الأول ١٣٢٦ .

(٣) بلدية صيدا ، قرار نومرو ٨١ في ١٨ حزيران ١٣٢٥ .

(٤) بلدية صيدا ، قرار نومرو ١١٧ في ١٨ اغسطس ١٣٢٥ .

(٥) بلدية صيدا ، قرار نومرو ٢٩ في ١٩ نيسان ١٣٢٦ .

ثقل تلك الضرائب^(١)، بسبب اعبائهم المتزايدة من ائمان العلف وسوء اوضاع الطرقات، وإلى المزاحمة التي بدأت طلائعها بقدم السيارات الى البلاد^(٢). هذا وقد بلغت رسوم العربات التي حصلتها البلدية في صيدا ٦٠٤٤ قرشا لسنة ١٣٣٠ (١٩١٣)، و ٢٨٣٩ قرشا و ١٠ بارات لسنة ١٩١٤.

٤ - مشاكل السير:

لما كانت الطرق المعبدة ممهدة بتسوية ترابها ورش الرمل فوقه، او مرصوفة بالحصى والحجارة، فانها كانت عرضة للتلف السريع بسبب عجلات العربات التي كانت تمر فوقها، او بتأثير العوامل المناخية من امطار وسيول وغير ذلك. فلم تكد تمضي سنوات اربع على افتتاح طريق صيدا - بيروت، حتى تهدم الجسر المقام فوق نهر الدامور، وتعذر على العربات متابعة سيرها بين المدينتين^(٣)، ثم ازداد الامر سوءا في السنة التالية، بحادث انهيارات وحفر عديدة في الطريق^(٤). وبعد فترة طويلة شقي فيها العابرون وتعذبوا، اعيد ترميم الطريق ورفع الجسر لكنه عاد للسقوط سنة ١٩١١، فتعطل المرور عليه، وادى تعطيله الى خسارة كبيرة لتجار صيدا، الذين تعذر عليهم تلك السنة تصدير برتقالهم الى بيروت ودمشق. والزم الركاب بمغادرة عرباتهم عند نهر الدامور، ليتمتطوا عربات جديدة في الاتجاهين، وصارت الرحلة بين المدينتين تستغرق تسع ساعات ونصفا بدلاً من خمس. وكان معدل المرور على الطريق آنذاك يتراوح بين ٥٠٠ - ٦٠٠ مسافر يوميا، في الاتجاهين^(٥).

ويعود التدهور السريع في وضع هذا الطريق، الى أنه بموجب الاتفاق، كان على سلطات متصرفية جبل لبنان استيفاء رسوم على العربات المارة عليه

(١) كان الرسم على العربات في اسطنبول نفسها في تلك السنة (١٩٠٩) ليرة واحدة سنوياً عن العربة المتازة.

(٢) كان الذي قاد الاضراب باسم اصحاب العربات في بيروت سليم الخوري دريان. راجع لسان الحال، العدد ٥٩٦٧ في ١٣ آذار ١٩٠٩.

(٣) لسان الحال، العدد ٤٩٨٩ في ٥ كانون الثاني ١٩٠٦.

(٤) ثمرات الفنون، العدد ١٦٠٤، في ١٨ آذار ١٩٠٧.

(٥) لسان الحال، العدد ٦٧١٤ في ١٨ آب ١٩١١.

لتنفقا على صيانتها والمحافظة عليه صالحا لسير العربات^(١). وقد فعلت تلك السلطات ذلك طيلة سبع سنوات، لكنها توقفت بعد ذلك عن اجراء الصيانة والترميمات اللازمة، بعد ان تولت ذلك لجنة من مهندسي ولاية بيروت، مما ادى الى تلك النتيجة السيئة في وضع الطريق^(٢).

وقد احوالت نظارة النافعة (الاشغال) عمليات ترميم الطريق من جديد، واعادة بناء ما تهدم من جسر الدامور، على شركة فرنسية^(٣)، بمبلغ قدره ٤٨ الف ليرة، بمعدل ليرة عثمانية واحدة عن كل متر من الطريق، وقد ضجت الصحف آنذاك من ضخامة الالتزام، وطلبت تدخل نائب بيروت في البرلمان رضا بك الصلح، لأن الطريق عند شقها لأول مرة، وليس ترميمها، كلفت ٤٥٠ الف قرش فقط^(٤).

٥ - السيارات:

في اوائل القرن العشرين بدأت السيارات تظهر على طرقات بلاد الشام، ويبدو ان اول من احضر سيارة اليها، كان الدمشقي فيليب سكاف، بواسطة الباخرة من الاسكندرية الى بيروت، حيث قام بتجربتها على طريق صيدا- بيروت ذهابا وايابا^(٥)، وقد قطع المسافة من بيروت الى صيدا بمدة ساعتين وثلاث الساعة، واستغرق في العودة ساعة واربعين دقيقة، وتزاحم الناس بالمناكب لرؤية تلك الآلة الجديدة^(٦). كما رحبت وسائل الاعلام، آنذاك، بتلك «النقالة السريعة»، ووصفتها بأنها بقوة ثلاثين حصانا، وانها تسع لسته ركاب، وسابعهم يمكنه الجلوس الى جانب السائق. وابدى سكاف المذكور

(١) الاتحاد العثماني، العدد ٨٧٧ في ٧ آب ١٩١١.

(٢) الاتحاد العثماني، العدد ٧٧٢، في ٤ نيسان ١٩١١.

(٣) الاتحاد العثماني العدد ٧٢٣، في ١٦ شباط ١٩١١.

(٤) الاتحاد العثماني العدد ٧٦٤، في ٢٥ آذار ١٩١١.

(٥) لسان الحال العدد ٥٧٤٥ في ٢٤ حزيران ١٩٠٨. وكان عبد الكريم غرايه قد ذكر أن السيارة

عرفت لأول مرة في سوريا بوصول أحداها من الاسكندرون إلى حلب سنة ١٩٠٩، راجع

سوريا في القرن التاسع عشر، ص ١٥٦.

(٦) لسان الحال، العدد ٥٧٤٦ في ٢٥ حزيران ١٩٠٨.

رغبته بتشغيلها للنقل العام بين دمشق وتدمر، لجعل الرحلة تستغرق ثماني ساعات بدلاً من الأيام الخمسة آنذاك^(١).

بعد ذلك اخذ المواطنون باستيراد السيارات وتشغيل بعضها على الطرقات كوسيلة نقل عام مأمونة وسريعة^(٢).

وفي سنة ١٩٠٨ أُلّف «سيولوار وشركاه» من بيروت شركة نقلات لربط بيروت بكل من صيدا وطرابلس، ووعد الجمهور ببدء العمل حالما تصل سياراته من الخارج^(٣).

وفي مطلع ١٩٠٩ سَيرَ حين اغا خريرو بيارتين على خط بيروت- صيدا - صور ثلاث مرات يوميا، وتعهد بنقل البريد بين تلك المدن مجدداً^(٤).

وفي ربيع ١٩٠٩ اقام «عبد الفتاح نعماني» خطاً منتظماً للنقل بالسيارات بين بيروت وصيدا بمعدل مرتين في اليوم، وكانت سياراته كبيرة تتسع الواحدة منها الى اثني عشر راكباً، وكانت تقطع المسافة بين صيدا وبيروت بمدة ساعتين ونصف الساعة، والاجرة ريال مجيدي واحد. وكان للنعماني السبق بتسيير خط سيارات منتظم بين صيدا وبيروت،^(٥) كما كان له في الماضي فضل تسيير اول عربات بينها. وفي ربيع ١٩٠٩ عدّل «لوار وشركاه» برنامج رحلاته اليومية بين صيدا وبيروت، بحيث تبدأ من بيروت الساعة السابعة والنصف (افرنجية) صباحاً، وتعود عند

(١) الاقبال، العدد ٢٥٣ في ٢٩ حزيران ١٩٠٨.

(٢) في سنة ١٩٠٧ تقدم ماريو فريكة بطلب رخصة تشغيل سيارات للنقل بين بيروت ودمشق، كما تقدم بطلب مماثل طاهر الحسيني وشركاه للعمل بالقدس. راجع الاقبال العددين ٢٢٦ و ٢٢٧ في ١٦ و ٢٣ كانون الأول ١٩٠٧.

كما أخذ داوود توما يسير فعلاً خطاً منتظماً للسيارات بين بيروت وبرمانا سنة ١٩٠٨ بمعدل سيارة مساء كل يوم من بيروت لتعود من برمانا صباحاً. راجع لسان الحال العدد ٥٧٩ في ١٥ آب ١٩٠٨. كما افتتح عبد الفتاح نعماني خطاً للسيارات بين بيروت وبيت مري ١٩٠٩ بمعدل سيارة يومياً بأجرة ريال مجيدي واحد للراكب. راجع لسان الحال العدد ٦٠٦٨ في ١٤ تموز ١٩٠٩.

(٣) الاقبال، العدد ٢٧٥، في ٧ كانون الأول ١٩٠٨.

(٤) الاقبال، العدد ٢٨١، في ٢٥ كانون الثاني ١٩٠٩.

(٥) الاقبال، العدد ٢٩٠، في ٢٩ آذار ١٩٠٩.

الظهر من صيدا، ووعد الجمهور بزيادة رحلاته الى سيارة كل ساعتين عند وصول سيارات جديدة لشركته^(١). وفي سنة ١٩١٣ سَيَّر «سعد الدين النعماني» خطا جديدا للرحلات بين صيدا وبيروت، بمعدل سيارة واحدة كل يوم، تنطلق من بيروت صباحا، وتعود من صيدا مساء. وجعل مركز شركته في محلة السور في بيروت قرب بوابة يعقوب^(٢).

ومن الطريف ان الحاج زكريا فتوح، الذي كان من اوائل من سيروا عربات تجرها الخيول للنقل المنظم بين صيدا وبيروت، تمسك «بعرباته» ولم يعترف بمنافسة «السيارات» لها واستمر يعلن عن رحلاته بأنه «السفر السريع بين بيروت وصيدا» علما بأن عرباته كانت تقطع المسافة بينهما بمدة اربع ساعات، بينما كانت السيارات تقطعها خلال ساعتين الى ساعتين ونصف. وكان يسيّر عربتين يوميا احدهما الساعة الثانية عشرة (عربية) صباحا والثانية الساعة الثامنة بعد الظهر، بأجر قدره نصف ريال مجيدي لكل راكب. وكان يبدل خيوله في محطة في منتصف المسافة بين صيدا وبيروت، وظل، الحاج زكريا، يعد مسافريه بالتمتع خلال الرحلة بالمناظر «التي تشرح الصدر وتسرع الخاطر»^(٣). لم تمض سنوات قليلة حتى أخذ استعمال السيارات للنقل العام، يزداد بسرعة في كافة انحاء البلاد، بينما اقتصر استعمالها الشخصي على كبار الموظفين والاثرياء من التجار وغيرهم، حيث أخذوا يستخدمونها في قضاء أعمالهم أو نزاهاتهم، وكثيراً ما اتخذوا من طريق صيدا- بيروت متنفساً لهم، ومنطلقاً لنزاهاتهم، «في ربيع ١٩٠٩ زار المتصرف لبنان يوسف فرنكو باشا وعقيلته لوسيا البرامية بالسيارة تلبية لدعوة نسيب بك جنبلاط، وفي المساء عاد المتصرف ومعه جان بك بسترس إلى بيروت»^(٤). وكان معظم السيارات موجودا في بيروت، وحتى بعد الحرب مباشرة لم يتجاوز عدد السيارات في كل البلاد مئة سيارة^(٥).

(١) الاتحاد العثماني، العدد ١٧٣، في ١٦ نيسان ١٩٠٩

(٢) المفيد، العدد ١٤١٠، في ٢٥ تشرين الأول ١٩١٣

(٣) الاتحاد العثماني، العدد ١٧٨، في ٢٢ نيسان ١٩٠٩.

(٤) البرق، العدد ٣٠، في ٢٧ آذار ١٩٠٩، ص ٢٣٨.

(٥) مسعود ضاهر، ص ١٤٦.

أصبح لمصانع السيارات في أوروبا وكلاء بيع في سوريا، تركز معظمهم في بيروت، وأخذوا يعلنون عن وصول «أفضل الأوتوموبيلات باثمان منهاودة»^(٢).

ونشر فيما يلي أحد تلك الإعلانات لطرافة معلوماته ولمصطلحاته التي كانت دارجة في تلك الفترة «عربة برسم البيع تأخذ تسعة ركاب منهم واحد بجانب الوقاد، وارد بوجو Peugeot من سنة ١٩١٠ قوتها ١٨ حصاناً، ودواليبها كاوتشوك على طريقة دوكابل Ducasble ثقلها طن ونصف طن، ودواليبها زوج بسعر ١٤٠٠ فرنك وزوج ثاني بسعر ١٦٠٠ فرنك. وهذه العربة لم يصر استعمالها سوى لمسافة ٢٤ ألف كيلومتر فقط. موجودة في لارنكا (قبرص) عند الحاجة ما ثرويدي، معها أوائل وتوابع عديدة، سرعتها ٤٥ كيلو مترا بالساعة، والمخابرة مع إدارة الجريدة»^(٣).

وبدأ البعض ينشر إعلانات عن وصول «زيت البنزين المختص في الأوتوموبيل من شركة فاكوم أويل الأميركية...»^(٤) وغيرها من الشركات. ولما أصبحت السيارات وسيلة مهمة من وسائل النقل، بدأت الدولة تصدر التعليمات والقوانين لضبط أمورها، فأعلنت أنه لن يرخص بتشغيل أية سيارة ما لم تتم تجربتها ومعرفة مدى صلاحيتها^(٥).

ووضعت رسماً على كل سيارة من ١٠٠ - ٢٠٠ قرش سنوياً، كما فرضت على استيرادها رسوماً جمركية تعادل ١٥٪ من قيمة السيارة، أما السيارات العابرة بطريق الترانزيت فكان رسماً الجمركي ١٪ من قيمتها^(٦). ووضعت بلدية صيدا رسماً على السيارة الكبيرة قدره اثنا عشرة ليرة عثمانية سنوياً، وعلى السيارة المتوسطة سبع ليرات، وعلى الصغيرة خمسا^(٧).

(١) لسان الحال العدد ٧٥٢٧ في ٢٢ نيسان ١٩١٤.

(٢) لسان الحال، العدد ٧٤٧٨ في ٢٤ شباط ١٩١٤.

(٣) نشر الإعلان وكلاؤها روغانيل عون وأولاده في بيروت، لسان الحال، العدد ٦١٨٢ في ٢٥ تشرين الثاني ١٩٠٩.

(٤) لسان الحال، العدد ٥٧٥٦ في ٧ تموز ١٩٠٨.

(٥) لسان الحال، العدد ٥٩٦٣ في ٩ آذار ١٩٠٩.

(٦) بلدية صيدا قرار نومرو ٩١ في ١ تموز ١٩٢٥ (١٩٠٩). هذا وقد جعلت سلطات جبل لبنان رسماً على السيارة التي تسع خمسة اشخاص قدره ست ليرات سنوياً، وعلى السيارة التي تسع =

وقبل أن تنهي الحديث عن السيارات، فإنه قد يكون مفيداً أن نشير، إلى أن أحد زكي من مصر، قد يرجع إليه الفضل بإطلاق تسمية «السيارة» في مطلع سنة ١٩٠١، إذ إنه كتب في تلك السنة إلى مجلة المقتطف يقترح «... إن تسمى العربا الجديدة التي جاءت للبلاد المصرية باسم سيارة بدلا من أوتوموبيل...» وقد استحسن المقتطف ذلك التعبير، ووعدت بالترويج له على صدر صفحاتها^(١).

٦- النقل البحري:

أخلال النصف الأول من القرن التاسع عشر كانت حركة الملاحة في ميناء صيدا ضعيفة، لا تتناسب وأبعاد هذا الميناء العريق، بحيث كان من النادر أن ترسو على أرصفته سفينة أجنبية، واقتصرت المراكب التي تدخله على السفن الصغيرة أو المتوسطة التي استمرت في ربط المدينة، بحريا، بمدن الساحل السوري مثل بيروت وطرابلس وصور وعكا وحيفا ويافا وغزة، وفي بعض الأحيان كانت تصل إلى قبرص والاسكندرية ودمياط.

ومع بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر، أخذ ميناء صيدا يستعيد زخم حركته، وامتد نشاطه، بالإضافة إلى موانئ الساحل السوري ومصر وقبرص، إلى أوروبا أيضاً^(٢). وقد أشار تقرير لأحد القناصل في تلك الفترة إلى أن ميناء صيدا بحاجة إلى مبلغ يعادل ١٥ ألف دولار لإعادة إصلاحه ليصبح قادراً على استيعاب أكبر السفن ومنافسة كل الموانئ المماثلة^(٣).

ولم تبخل سلطات صيدا على مينائها بأعمال الترميم والإصلاح، طيلة النصف الثاني من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين.

ففي سنة ١٨٨٦ قامت البلدية بإصلاح الاسكلة (المرسى) التي تسهل شحن

= لعدد أكبر وعلى سيارة النقل اثني عشرة ليرة. راجع لسان الحال، العدد ٥٩٦٣ في ٩ آذار ١٩٠٩.

(١) المقتطف - المجلد ٢٦ - ١٩٠١، ص ٧٣٦.

(٢) الفصلية الأميركية ت / ٣٦٧ ج ٤ تقرير تجاري لسنة ١٨٦٣ أرسله قنصل أميركا في صيدا ملحق برسالة رقم ٤ من القنصل الأميركي العام في بيروت سنة ١٨٦٣.

(٣) المصدر السابق نفسه.

البضائع وتغريفها وانتقال الركاب^(١). وفي سنة ١٩٠٧ أهتم رئيس البلدية حسين الجوهري بإعادة انشاء المرسى. فأقيم على أعمدة حجرية عدة وحسن الحركة بالميناء^(٢). وفي ١٩٠٩ بناء على قرار مجلس إدارة القضاء، قامت البلدية بتلزم عمل مرسى جديد للميناء، يقوم على ست عشرة دعامة، مقابل ألف قرش اجرة للملتزم حسن عاصي، وقدمت البلدية مواد البناء^(٣). وتقااضت البلدية رسم ميناء، وجرت العادة ان تحيلها الى ملتزم يدفع مبلغا مناسباً، ومن ثم يقوم هو بتحصيلها على مدار السنة، وعلى سبيل المثال فان رسوم الميناء في صيدا لسنة ١٩٠٩ احيلت على حسن زنتوت بمبلغ ٢٢٥١٠ قروش اميرية^(٤).

وقد ظلت السفن ترسو ثم تقلع من ميناء صيدا بدون انتظام حتى سنة ١٨٨٦ عندما انشئ اول خط ملاحي منتظم للبواخر المئانية بين بيروت وصيدا، بمعدل باخرة كل اسبوعين^(٥). ثم اخذ ارتباط صيدا بخطوط ملاحية مع المدن المختلفة يزداد باضطراب، بحيث لم يكد القرن التاسع عشر يوشك على نهايته، حتى كانت صيدا قد اتصلت بشبكة واسعة من الخطوط الملاحية مع كافة موانئ البحر الابيض المتوسط، وبعض موانئ البحر الاسود والبحر الاحمر، واوروبا ايضا.

ففي سنة ١٨٩٧ سبّرت شركة «نحاس اخوان» باخرتها الصغيرة «جولي» من بيروت إلى موانئ الساحل السوري، من طرابلس شمالا الى حيفا جنوبا. فكانت تغادر ميناء بيروت كل ثلاثاء وجمعة الساعة الثانية عشرة ظهرا الى صيدا وصور وعكا وحيفا، ثم تعود منها يومي الاربعاء والسبت في الساعة السابعة صباحاً، عبر موانئ عكا ثم صور ثم صيدا^(٦).

(١) لسان الحال، العدد ٩١٣ في ١٠ تشرين الثاني ١٨٨٦.

(٢) الاقبال، العدد ١٨٢ في ٢١ كانون الثاني ١٩٠٧.

(٣) بلدية صيدا قرار نومرو ٩٤ في ٢ تموز ١٣٢٥ (١٩٠٩)، وقرار نومرو ١٠١ في ٢١ تموز ١٣٢٥.

بناء على قرار مجلس الإدارة نومرو ٩٨٦ في ١٥ تموز ١٣٢٥.

(٤) بلدية صيدا قرار نومرو ٤٢ في ١٩ آذار ١٣٢٥.

(٥) ثمرات الفنون العدد ٥٩٦، في ٢٥ آب ١٨٨٦.

(٦) ثمرات الفنون العدد ١١٣٠، في ٢٤ نيسان ١٨٩٧.

وفي السنة التالية (١٨٩٨) خصصت الشركة «الخيرية العثمانية» باخرتين من اسطولها للمرور من بيروت الى سائر موانئ الولاية لتسهيل التجارة وانتقال الركاب^(١).

وفي سنة ١٨٩٩ عدلت شركة «بسترس ونحاس» من خطوطها الملاحية، فجعلت باخرتها الصغيرة «جولي» تمر إلى الموانئ جنوبي بيروت (ومن ضمنها صيدا) يومي الثلاثاء والجمعة. وباخرتها الكبيرة المسماة نيوهفن «New Heaven» تقوم بدورة واسعة على طول الساحل الغربي للبحر المتوسط، فتقوم الاحد الحادية عشرة صباحا من بيروت الى طرابلس فالاسكندرية فمرسين فتصلها الثلاثاء صباحا، حيث تغادرها في مساء اليوم نفسه الى الاسكندرون فاللاذقية فطرابلس، حتى تصل بيروت صباح الجمعة.

وعند ظهر يوم الجمعة تنطلق الى صيدا ثم صور فعكا فحيفا فيافا ثم بور سعيد الى الاسكندرية فتصلها ظهر الاثنين، ثم تغادرها في اليوم نفسه، عبر الموانئ السابقة، فتصلها يوم الجمعة مساء^(٢).

وفي سنة ١٩٠٠ كانت الباخرة المصرية «الحديوى» تصل الى صيدا نهار الاحد، ثم تغادرها الى حيفا فيافا فالاسكندرية، لتعود الى صيدا نهار الاحد التالي^(٣).

وبالإضافة الى هذه الخطوط المنتظمة فان آلاف المراكب الشراعية لم تنقطع عن الاجار بين صيدا والموانئ الاخرى «... غرقت السفينة الشراعية «مبروك» أثناء اجارها من صيدا الى بور سعيد تجاه جبل الكرمل قرب حيفا، وكانت تحمل شحنة من البرتقال والхамض، ونجا بحارتها»^(٤).

وفي ربيع ١٩٠١ سیرت «شركة بواخر البوستة الحديوية» باخرتها «الدقهلية» على خط منتظم من بيروت الى صيدا - حيفا - يافا - بور سعيد -

(١) لسان الحال العدد ٢٩٣١، في ٣ تشرين الأول ١٨٩٨.

(٢) لسان الحال، العدد ٣٢٦٧ في ١٣ تشرين أول ١٨٩٩.

(٣) لسان الحال، العدد ٣٣٤٢ في ١٢ شباط ١٩٠٠.

(٤) ثمرات الفنون، العدد ١٣٣٢ في ٣ حزيران ١٩٠١.

الاسكندرية فميناء بيرايا اليوناني، فازمير ثم اسطنبول، وتمهدت بنقل الركاب وشحن البضائع^(١).

كما اعلن نقولا ناي ولويس راهبة وكيل شركة خطوط المانيا، الشرق عن ابحار الباخرة الالمانية «اتوس» الى قبرص - مرسين - اسكندرونة - طرابلس - صيدا - الاسكندرية - مالطا - انفرنس - هامبورغ وبعض موانئ أوروبا الاخرى ثم الى امريكا، واستعدوا لقبول البضائع للشحن، وكان مركز الشركة في بيروت في خان بستر^(٢).

وبواخر «الادارة المخصوصة العثمانية» التي كان مركزها اسطنبول، استمرت بالمرور عبر ميناء صيدا كل اسبوعين مرة، وكان وكيلها في بيروت عبدالرحمن باشا بيضون^(٣).

وفي السنة نفسها (١٩٠١) تم انشاء خط بحري بلجيكي، منتظم - Deppe Line بين ميناء انتويرب وموانئ مصر وسوريا، ومن ضمنها صيدا. وقد شاركت السفن البريطانية في هذه الحركة الملاحية، فافتتحت خطا جديدا يربط نيويورك مباشرة بالموانئ السورية تشجيعا للهجرة التي اخذت تزداد بين موانئ سوريا وامريكا^(٤).

وفي سنة ١٩٠٣ اعلن «تراكى وولده»، وكان وكيل الخط برنس البحري في خان انطون بك في بيروت، ان الباخرة «ثيرا» افتتحت خطا ملاحيا جديدا بين بيروت وصيدا وصور وعكا وحيفا، يوم الجمعة كل اسبوع لنقل الركاب والبضائع^(٥).

(١) لسان الحال العدد ٣٦٧٩ في ٢٧ آذار ١٩٠١.

(٢) كان اسم الشركة الملاحية Deutsche - levant Line راجع لسان الحال العدد ٣٨٣٨ في ٣ تشرين الأول ١٩٠١.

(٣) كانت شركة ملاحية شبه رسمية إذ للقطاع الخاص فيها نصيب، وفي سنة ١٩١٠ عدل اسمها إلى «إدارة سير السفن العثمانية الصومية» راجع الاتحاد العثماني، العدد ٦٦٧ في ٢٦ تشرين الثاني ١٩١٠.

(٤) مكتب السجلات العامة ف.و. ٢١١٧/١٩٥ تقرير عن الملاحة والتجارة في سوريا لسنة ١٩٠١، ارسله القنصل البريطاني العام DRUMMOND HAY في ١٥ نيسان ١٩٠٢ إلى السفير باسطنبول.

(٥) لسان الحال، العدد ٤٤٥٣ في ٢٥ تشرين الثاني ١٩٠٣.

كما جعلت الباخرة العثمانية «بانديرمه» اتجاه سيرها يبدأ ببيروت، ويمر عبر صيدا وصور وحيثما مرة واحدة اسبوعيا لنقل الركاب، وكانت الاجرة بين صيدا وبيروت مثلا، نصف ريال مجيدي للراكب الواحد لرحلتي الذهاب والاياب^(١).

ومن البواخر التي احتفظ لها اهل الساحل السوري بأطيب الذكريات، الباخرة الصغيرة «جولي»، التي بدأت الرسو في الموانئ المذكورة منذ اواخر القرن التاسع عشر حتى جرت اعادة ترميمها سنة ١٩٠٦، واصبحت ترسو في ميناء صيدا والموانئ الاخرى مرتين اسبوعيا^(٢). وحتى سنة ١٩٠٧ كانت لا تزال تمارس مهمتها بنجاح، حاملة بين الموانئ السورية الركاب والبضائع و«الضرر» وفي كثير من الاحيان، الرسائل والاخبار وكانت في تلك السنة قد اصبحت ملكا للشيخ ابراهيم العكي^(٣).

ونشبت فيما يلي أسعار السفر على الباخرة «جولي» كنموذج تقريبي للأسعار في أوائل القرن العشرين:

كان على الباخرة درجتان أولى وثالثة، وكانت أجرة الراكب بين بيروت وصيدا بالدرجة الأولى ثلاثة وعشرين قرشا وخمس بارات، وبالدرجة الثالثة أحد عشر قرشا وعشرين بارة^(٤).

وفي سنة ١٩١١ ربطت الباخرة «كاستليان برنس» التابعة لشركة Prince - line الانجليزية، مينائي صيدا وياقا بميناء ماطة، ثم ليفربول باجلترا^(٥). وفي سنة ١٩١٣ افتتحت شركة «وايورات»^(٦) البوسطة الحديدية «

(١) ثمرات الفنون، العدد ١٤٦٩ في ٢٢ شباط ١٩٠٤.

(٢) الاقبال، العدد ١٣٦ في ٢٦ شباط ١٩٠٦.

(٣) ثمرات الفنون، العدد ١٦١٢ في ١٣ أيار ١٩٠٧.

(٤) وكانت أجرة الراكب من بيروت الى صور بالدرجة الأولى ستة وأربعين قرشا وعشر بارات وبالدرجة الثالثة ثلاثة وثلاثين قرشا وخمس بارات. ومن بيروت الى عكا وحيثما بالدرجة الأولى أربعة وخمسين قرشا وخمس عشرة بارة وبالدرجة الثالثة ثمانية وعشرين قرشا وخمس وثلاثين بارة. راجع تقويم البشير لسنة ١٩٠٧.

(٥) المفيد، العدد ٨٦١، في ٢١ كانون الاول ١٩١١.

(٦) كانت البواخر تسمى آنذاك وايورات ومفردها وايور (أو بابور) وهي تحريف لكلمة Vapor =

خطا ملاحيا جديدا يربط بيروت بميناء « النبي يونس » اللبناني،^(١) حيث كانت تنطلق الباخرة من بيروت الساعة العاشرة من يوم الأحد، الى النبي يونس، وتمكث فيه نصف ساعة للشحن والتفريغ، ثم تتابع سيرها الى صيدا، ثم حيفا فياذا فيبور سعيد فالاسكندرية، ومنها الى بيرايا فأزمير وتنتهي في اسطنبول، لتعود من جديد الى بيروت، وكان وكيلها في صيدا والنبي يونس اسكندر كنافاكو، وفي بيروت جورج ريني. وكانت شركة الوسطة الخديوية تساهم بنقل الركاب والبضائع الى سائر موانئ أوروبا وحتى أمريكا^(٢).

وهكذا استعاد ميناء صيدا حيويته ونشاطه، وارتبط بخطوط بحرية منتظمة مع معظم موانئ البحر المتوسط وبعض موانئ أوروبا وأمريكا، دون أن يؤثر على حركته كثيرا وجود ميناء بيروت قربه، وظل وضعه في تقدم حتى قيام الحرب العالمية الأولى.

٧ - البرق والبريد والهاتف:

مثما حدث تقدم وتطور في وسائل النقل والانتقال، وكذلك كان الأمر بالنسبة لوسائل التخاطب والاتصال، وساهمت الدولة في هذا المجال ايضا بإصدار التشريعات اللازمة لضبط اوضاعها وتنظيم سيرها.

وقبل ان تصدر القوانين التي تنظم البريد رسميا، كان في سوريا مؤسستان للبريد العثماني، أولاها رسمية يقوم بالخدمة فيها سعاة رسميون (تتار)،^(٣) وكانوا ينتقلون من مكان الى آخر سيرا على الأقدام، أو ركوبا على الخيل أو الجمال.

والثانية مؤسسة محلية في كل مدينة، يقوم ساعاتها بنقل الرسائل والطرود الى مقاصدها بأمانة وسرعة. ويرئسها « شيخ السعاة »، ويحصلون مقابل ذلك

بالانجليزية أو Vapeur بالفرنسية بمعنى بخار. هذا ومن اصطلاحات تلك الأيام تسمية الرسى

أسكلة، ويبدو أنها مأخوذة عن الطليانية، وأجرة الركوب « ناولون »، وزورق التفريغ في

الميناء يدعى « ماعون ». ومن أسماء المراكب في صيدا الشختورة والفلوكة والسنيك.

(١) كان تابعا لتصرفية جبل لبنان وهو اليوم قرية صغيرة على ساحل الحية.

(٢) لسان الحال، العدد ٧٢٨١، في ٥ تموز ١٩١٣.

(٣) محمد كرد علي: خطط الشام، ج ٥، ص ٢٣٥ - ٢٣٧.

على أجر يتناسب مع المسافة أو مع أهمية الرسالة. وفي بعض الأحيان كان يستخدم الحمام الزاجل^(١).

كما كان للأجانب في الدولة العثمانية مؤسساتهم البريدية الخاصة، حيث لم تكن لهم ثقة بالبريد العثماني، حتى بعد تنظيمه^(٢). ورغم أن البريد الأجنبي كان أحد الامتيازات التي منحت للقناصل الأجانب، فقد استخدمه كل الأجانب المقيمين في الدولة العثمانية، من تجار ورجال أعمال ومبشرين وغيرهم. كما أن كثيرا من المواطنين المحليين استفادوا من خدماته كذلك أما ضامنا لعدم ضياع بريدهم. أو امعانا في حفظ سريته^(٣).

كان قانون «نظام البرق» أول القوانين التي صدرت في مجال تنظيم الاتصالات، وذلك سنة ١٨٥٩^(٤). وقد تضمن سرية المخابرات البرقية، وصيانة الأسلاك والمحافظة عليها، ومنح الأولوية في التخابر للاتصالات الرسمية، ثم للسفارات الأجنبية فالتجار وبقية المواطنين.

وفي سنة ١٨٦٣ صدر قانون الطوابع العثماني، ثم نظام البريد في سنة ١٨٦٩ (٢٦ المحرم ١٢٨٢)، وكان أول بريد تم نقله بواسطة العربات، بين دمشق وبيروت^(٥).

وبعد انضمام الدولة الى اتفاقية برن البريدية الدولية، أعلنت منذ سنة ١٨٧٧، عن قبول الرسائل والمطبوعات الى جميع قارات العالم بحرا، بواسطة

(١) عبد الكريم غرابية: ص ١٥٧.

(٢) كانت أولى مؤسسات البريد الأجنبي في سوريا، مؤسسة البريد الفرنسي سنة ١٨٤٠ ثم تبعتها المؤسسة الروسية ١٨٥٧، فالنمساوية ١٨٦٧، فالانجليزية ١٨٧٣ فالألمانية ١٩٠٠، وتم إلغاؤها جميعها سنة ١٩١٤.

(٣) القنصلية الأمريكية ت ٣٦٧/ ج ٢٢ أبلغ ضموئيل حسب الأميركي المقيم في صيدا قنصله العام في بيروت، في رسالة بعثها اليه في ١٥ نيسان ١٩٠٣، أنه فقد كثيرا من رسائله بالبريد العثماني، وأن سر وود ضاعت رسائلها لأولادها في أمريكا بالطريق، وأن ستر ادي صديقه فقد بعض شيكاته التي أرسلت بالبريد العثماني.

(٤) الدستور، ج ٢، ص ٣٠٣.

(٥) محمد كرد علي، ص ٢٣٧.

السفن الفرنسية والتمساوية التي جرى الاتفاق معها رسمياً^(١).

وفي الثلث الأخير من القرن التاسع عشر، أصبحت حركة نقل البريد العثماني بين مدن سوريا منتظمة ودقيقة، وشملت كل الموانئ وكثيراً من المدن الداخلية. ففي سنة ١٨٧٧ مثلاً كانت خيول البريد تنطلق من بيروت مساء الثلاثاء (من كل أسبوع) لتصل إلى صيدا صباح الأربعاء، ثم تغادرها إلى صور وعكا. وتغادر خيول البريد يافا لتصل إلى عكا ثم صور، وتكون في صيدا مساء الجمعة، ثم تغادرها ليلاً إلى بيروت.

ومساء الجمعة كانت تنطلق رحلة بريد ثانية من بيروت إلى صيدا، فتصلها صباح السبت، ثم تتركها إلى صور فعكا ومنها إلى سائر أنحاء فلسطين. وفي يوم الأربعاء تكون خيول بريد يافا قد قامت برحلتها الثانية إلى صيدا، حيث تغادرها إلى بيروت^(٢).

وحتى أواخر القرن التاسع عشر ظل البرنامج نفسه في نقل البريد بين بيروت والمدن الأخرى، بحيث كان يتم نقل البريد بين صيدا وبيروت يومين في الأسبوع، (الاثنين والخميس) ويومين آخرين بين صيدا والمدن جنوبها (الثلاثاء والجمعة).^(٣)

وكانت بيروت وحدها التي ترتبط بشبكة الاتصالات البريدية الدولية. وترسل بريدها إلى كافة القارات بحراً.^(٤) وكانت الرسالة بين بيروت ولندن، مثلاً، تستغرق من ١٠ - ١٥ يوماً، وكانت إدارة البريد العثمانية لا تقبل الرسائل التي لا تكون مضمونة بأحدى اللغات الثلاث: التركية أو العربية أو الإنجليزية^(٥).

وفي مطلع القرن العشرين نشطت حركة البريد في بلاد الشام، فصار ينقل

(١) لسان الحال: العدد ١٧، في ١ كانون الأول ١٨٧٧.

(٢) ثمرات الفنون العدد ١١٩ في ٢ تموز ١٨٧٧.

(٣) لسان الحال: العدد ٣٣٠٢ في ٢٣ كانون الأول ١٨٩٩.

(٤) لسان الحال: العدد السابق.

(٥) KARL BAEDEKER, Palestine and Syria, op. cit., p. 23

من بيروت الى صيدا، ومنها الى المرافىء الجنوبية أربعة أيام في الأسبوع،
الثلاثاء والجمعة بحرا والاثنين والخميس برا، كما كانت هناك رحلة بريد
خاصة من صيدا الى صور كل ثلاثة^(١).

وفي سنة ١٩٠٧ تحسن نقل البريد بين صيدا وبيروت، بحيث وضعت له
عربة خاصة تقوم برحلة يومية بين المدينتين مما ساعد المواطنين على سرعة
الاتصال والتجار على سرعة انجاز الأعمال^(٢). كما كانت البواخر العثمانية
«جولي» و«سوريا» و«بيروت» تقوم بنقل البريد بين الموانئ السورية مرتين
في الأسبوع^(٣).

وفي أوائل القرن العشرين كانت التعرفة البريدية كما يلي =

رسم ٢٠ بارة عن الرسالة داخل المدينة
رسم غرش صاغا عن الرسالة لأي من بلدان الدولة
العثمانية (شرط ألا يزيد وزنها عن
١٥ غراما)

رسم ٢٠ بارة عن الرسالة من ميناء عثماني لآخر
(بحدود ١٥ غراما)

رسم غرش صاغا عن الرسالة خارج الأراضي
العثمانية (بحدود ٢٠ غراما)

رسم ١٠ بارات عن البطاقة البريدية داخل المدينة^(٤)

كما أخذت ادارة البريد العثمانية تقبل الحوالات المالية والرسائل المحتوية
نقودا (وكانت تسميها تحارير ذات القيمة) منذ سنة ١٩٠١ في بعض مراكزها
البريدية ومن ضمنها صيدا، واشترطت ان يكون المبلغ ٤٤ ألف قرش فما

(١) تقويم البشير لسنة ١٩٠٢.

(٢) الحبة العدد ٤١١ في ٢٠ نيسان ١٩٠٧، ص ٢٠٣.

(٣) الاقبال العدد ١٩١ في ١ نيسان ١٩٠٧.

(٤) تقويم البشير لسنة ١٩١٢.

فوق. اما الحوالات المالية البريدية فلم تسمح بأن تتجاوز الفي قرش للحوالة الواحدة، وكان الرسم عليها نصفاً بالمائة من قيمتها^(١).

أما البرق (التلغراف) فقد امتدت اسلاكه، خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، الى كثير من الولايات العثمانية، بحيث لم يقارب القرن التاسع عشر نهايته، حتى كانت كل المدن الرئيسية في سوريا بها مراكز برق، كما كان لبعضها اتصال بشبكة البرق الدولية. وقد بلغ عدد تلك المراكز ٣٨ مركزاً كان مركز برق صيدا احدها^(٢).

وفي سنة ١٩١٠ كانت التعرفة الرسمية للبرقيات هي:

خمس قروش	عن كل ٢٠ كلمة داخل ولاية بيروت.
سبعة قروش وعشرين بارة	عن كل ١٥ كلمة داخل الولايات المجاورة.
عشرة قروش	عن كل ١٠ كلمات الى الولايات العثمانية الاخرى.

وما زاد عن ذلك فيؤخذ عن كل كلمة من ١٠ - ٤٠ بارة حسب بعد البلد المبرق اليه^(٣).

وفي أوائل القرن العشرين بلغ عدد مراكز البرق والبريد العثمانية ١٢٩٧ مركزاً، عمل بها ٥٧٠٤ موظفين، وبلغ عدد الرسائل التي تم نقلها ٢٠,٦٨٤,٧٤٠ رسالة خاصة ورسمية، وكذلك ١٠٣,٠٥١ برقية. كما بلغ طول اسلاك البرق ٦٣٢٦ كيلومتراً براً و ٦٧٧ كيلومتراً بحراً^(٤).

وفي مطلع القرن العشرين كان «سرى افندي» مديراً لبريد وبرق صيدا وفي سنة ١٩٠٦ أصبح المدير الحاج حسني المجدوب الذي حسن أوضاع البريد في المدينة، فنتقل مركز الدائرة سنة ١٩٠٨ من بناية قديمة في وسط البلدة، الى اخرى قرب البوابة التحتا الى جانب دار الحكومة^(٥).

(١) تقويم البشر لسنة ١٩٠١.

(٢) KARL BAEDEKER, op. cit., p. 32

(٣) عبدالباسط الأنسي، ص ٨٢.

(٤) لبنان الحال، العدد ٤٢٠٨، في ٢٧ كانون الثاني ١٩٠٣.

(٥) الاقبال، العدد ٣ في ٩ أيار ١٩٠٢.

وفي سنة ١٩٠٩ طلب من البلدية اجراء اصلاحات في البناية، فشكلت لجنة من علي خروبي ومحي الدين كالو، فأوصيا باتفاق ١٠٥١ قرشا وعشر بارات لإصلاح السقف وعمل شرفة لدائرة البريد^(١).

وفي ١٩١٠ وصلت واردات بريد صيدا الى ٣٥ الف قرش، وأصبح البريد يتنقل يوميا بين صيدا وبيروت، بعد اتفاق المدير مع احد اصحاب العربات الخاصة على ذلك. وقد سهل ذلك للتجار والمواطنين تلبية طلباتهم والحجاز أعمالهم بسهولة. كما أنشأ شعبي بريد في قريتي جون ولبعا المجاورتين لصيدا والنابعتين لحكومة جبل لبنان. وقد أوجب ذلك كله ثناء السكان ورضاهم، وقد تقدموا بطلب الى السلطات لترقية دائرة بريد صيدا من الدرجة الثالثة الى الثانية^(٢).

أما الهاتف فكان آخر ما تم ادخاله من ادوات الاتصال الى الدولة العثمانية. بسبب تخوف السلطان عبدالحميد من ذلك الاختراع ان يكون عاملا هاما في سرعة نقل الافكار بين المواطنين، أو افشاء الأسرار للأجانب. ولهذا منع استيراد أجهزته واسلاكه، أو تركيبه واستعماله تحت طائلة العقوبة الشديدة.

وبعد قيام الدستور سنة ١٩٠٨، سمح باستعماله للأمر الرسمية فقط، فمدت اسلاكه بين رئاسة الوزراء (الباب العالي) ووزارات الداخلية والعدلية والشرطة ومجلس المبعوثان في اسطنبول^(٣).

وبعد سقوط عبدالحميد، فتح المجال امام الجمهور للاستفادة من خدمات الهاتف، فأقبل الناس على استيراده وتركيبه، وبدأت تشاهد في الصحف الصادرة في بيروت اعلانات عن بيعه للجمهور، وبعد زوال كابوس الحكم الاستبدادي «... اتخذت محلا على بوابة ادريس لبيع الادوات الكهربائية على

(١) ثمرات القنون، المجلد ١٦٤٩ في ١٠ شباط ١٩٠٨.

(٢) بلدية صيدا، قرار دون رقم في ١ تشرين الثاني ١٣٢٦.

(٣) لبنان الحال، المجلد ٥٩٠٤ في ٢٩ كانون الاول ١٩٠٨.

انواعها خصوصا التليفون ولاتقان هذا الفن الذي لم تكن تقدر (على) ذكره قبل الدستور استدعيت مهندسا ماهرا من شركة التليفون الانجليزية في مصر لترويج طلبات زبائني...»^(١).

وفي سنة ١٩٠٩ أعلنت دائرة بريد بيروت عن تأسيس مركز هاتف فيها، وعن استعدادها لقبول طلبات الاشتراك فيه وكان رسم الاشتراك ثمانى ليرات عثمانية وفي سنة ١٩١١ صادق مجلس النواب العثماني على نظام عمل الهاتف، وفي نفس السنة منح امتياز انشاء الهاتف في بيروت ومتصرفية جبل لبنان^(٢). أما صيدا فقد عرفت الهاتف في بداية الحرب العالمية الأولى، ولكن استعماله اقتصر على السلطات العسكرية فقط^(٣).

(١) اعلان صاحب الخزن الكهربائي الوطني مصطفى العريس في لسان الحال العدد ٥٩٧٩ في ٢٧ آذار ١٩٠٩.

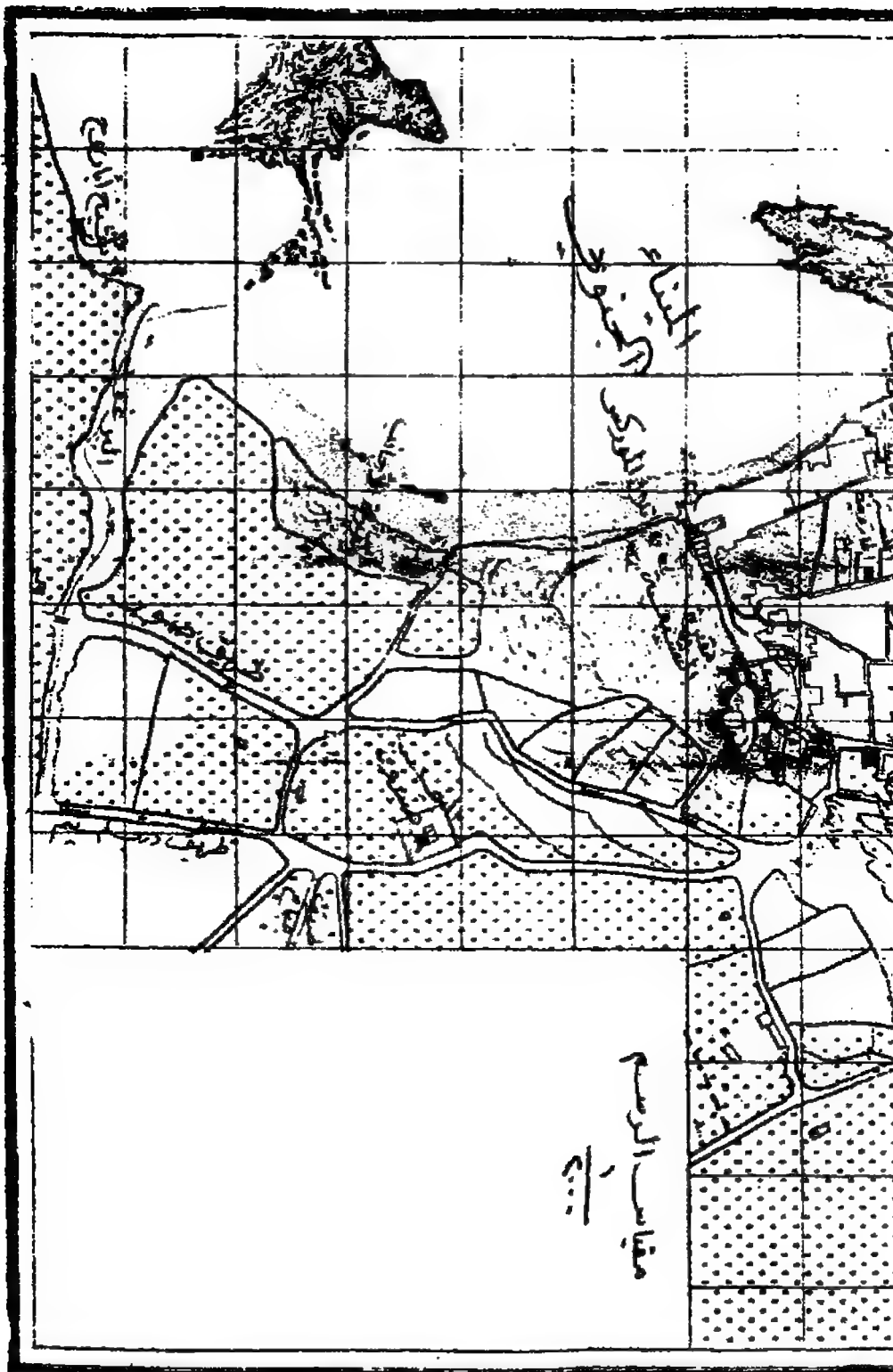
(٢) لسان الحال، العدد ٦٦٠٦، في ١٠ نيسان ١٩١١.

(٣) في طرابلس منح مصطفى عزالدين سنة ١٩١١ امتياز انشاء شبكة هاتف فيها.

خريطة صيدا

عن الدكتور جيارو Gaillardet
عضو لجنة رينان Renan للآثار الفينيقية
1864



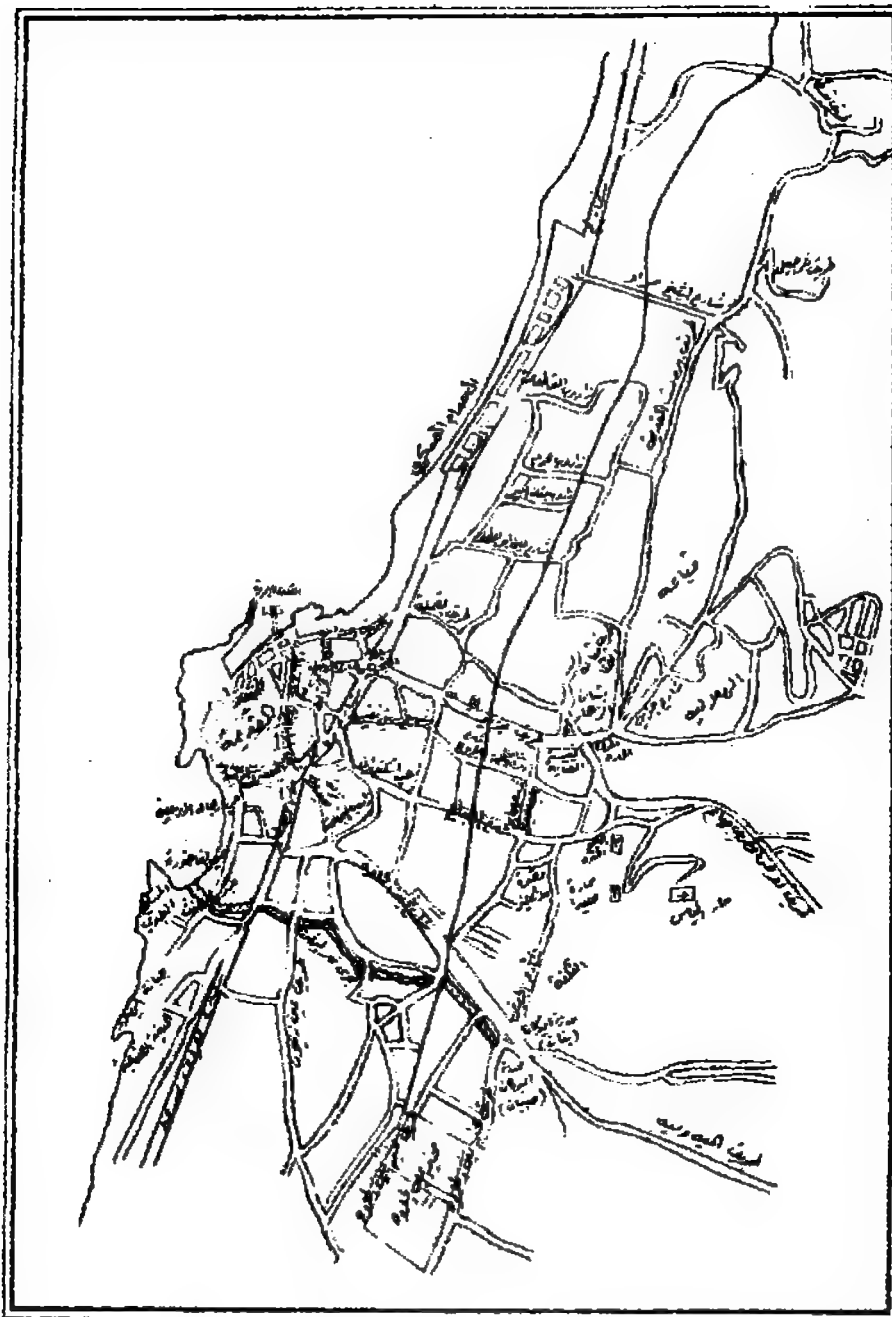


خريطة رقم (١)



خريطة صيدا وضواحيها معربة عن:

O. Hamdy Bey and T. Reinach (Une nécropole royale à sidon 1892 Atlas plate I)



خريطة صيدا الحالية مقياس ١/٥٠٠٠
(خريطة رقم ٦) المصدر بلدية صيدا

العمران

١ - الأحياء والحارات:

بدأ القرن التاسع عشر وصيدا محصورة ضمن سورها، وما عدا بعض الأبنية التي كان قد شادها الأمير فخر الدين المعني الثاني في القرن السابع عشر، خارج السور، ومنها الجامع « البراني »،^(١) فإن صيدا كانت تنام ليلاً خلف بوابات سورها المغلقة حتى صباح اليوم التالي، عندما يفتحها ضابط الحراسة، المولج بذلك، ولم يكن مسموحاً، خلال الليل، بفتحها والعبور منها، حفاظاً للأمن، وقد شاهد ذلك الرحالة الانجليزي ادوار روبنسون أثناء زيارته لصيدا قبيل مغادرة المصريين لها، وترك لنا وصفاً له^(٢).

وكان طول المدينة، داخل السور، من الشمال الى الغرب يزيد قليلاً عن الثلاثمائة متر، بينما لم يتجاوز عرضها، من الشرق الى الغرب، المئتي متر إلا قليلاً.

وبدأ تشييد الأبنية في سهلها الأخضر، ولكن بوتيرة بطيئة، حتى الثلث الأخير من ذلك القرن، عندما أخذ العمران يزحف داخل السهل الصيداوي، بنسبة بسيطة نحو الشمال والجنوب، ولكن بشكل كثيف نحو الشرق باتجاه التلال المجاورة لسهل المدينة، وهكذا نشأت منذ تلك الفترة احياء وطرق جديدة اضيفت الى خطط المدينة المريقة.

ويرجع الفضل في انتشار العمران، خارج السور، الى الارسانيات

(١) وقد عرف بالبراني لهذا السبب لأنه أول جامع بني خارج السور.

(٢) ادوار روبنسون، ج ١، ص ٥٨.

الأجنبية التي راحت تقيم المدارس والكنائس والمؤسسات بين البساتين، بالإضافة الى الأبنية العديدة التي شادها المطران باسيليوس حجار مطران الروم الكاثوليك، في شرق صيدا وشكلت، فيما اعتبره البعض، نواة صيدا الجديدة^(١).

كانت صيدا داخل السور تدعى آنذاك «باطن المدينة» كما عرف خارجها باسم «سقي المدينة»، وتألّفت المدينة، داخل السور وخارجه، من محلات (جمع محله) وأحياء (جمع حي) كانت تسمى أيضا «الحارة» أو «الصايح»^(٢). وكان كل حي بشكل وحدة عمرانية تكاد تكون مستقلة عن غيرها، إذ تضم، غالبا، مساجدها (وكنائسها)، وحماماتها وأسواقها، كما أن بعضها كانت له بوابته الخاصة تفتح وتغلق بأمره سكانه، وكان سكان كل حي يشكلون، في الغالب، وحدة متجانسة من حيث المهنة أو الأصل أو المستوى المعيشي، ولا شك أن هذا التجانس أدى الى قيام حياة اجتماعية نشيطة ضمن الحي، كما قلّل من حدوث مشاكل ومنازعات بين السكان الذين كان معظمهم يعرف بعضهم الآخر.

تألّفت صيدا داخل السور من عشر مناطق رئيسية دعيت كل منها «محلة» هي:

الدباغة، الكشك، السبيل، الشارع، الكنان، المساحية، الزويتيني، رجال الاربعين، مارنقولا، باب السرايا.

كما تألّفت خارج السور من عشر مناطق رئيسية أيضا هي:

الوسطاني، الذكرمان، القملة، البرغوت، الشمعون، مكسر العبد، الشاكرية^(٣)، السبع أعين، الفاخورة، سهل الصباغ.

(١) جرمانيوس معتمد مطران اللاذقية عند رحلته الى صيدا، المسرة، العدد ٢١ في ١ نيسان ١٩١١، ص ٦٤٩.

(٢) لعلها تعني المنطقة التي يصل اليها صياح الدلال أثناء الندادة.

(٣) كانت تدعى محلة النواخير، حتى انشأ شاكر بك، أحد القاطمين، بوابة في السور هناك فدعيت نسبة اليه بالشاكرية في أواسط القرن التاسع عشر.

والمناطق والأحياء داخل سور صيدا وخارجها تفرع منها ما يقرب من أربعين حارة ومحلة صغيرة هي:

حارة اليهود، حارة النصارى، ميزاب الخشب، حارة الكيلاني، حارة الست نفيسة، حارة الماذنة، حارة مرموش، حارة السراي القديمة، حارة ظهر المير، حارة أبي نخلة، حارة عين زيتون، حارة عين حلبون، حارة الطاحون، حارة المصلبية، حارة الموارنة، حارة القناية، حارة المزبودة، حارة الشيخ مراد، حارة الشيخ عمار، حارة عمر الجلالي، حارة البير، حارة الساحة، حارة الحوارنة، حارة عزرائيل، مكسر الجديد، حارة اللوز، حارة القشلة، حارة البوابة التحتا، حارة القبة، حارة اباطة، حارة البوابة الفوقا، بركة غزالة، حارة طنطور، حارة بوابة الخيمة، حارة الزهور، حارة البياطرة، المقصف، عين ابو اللطف، حي اسكندرا في.

كما أطلق الصيдаويون على بعض أجزاء من شاطئهم البحري إسماً يناسبه، بسبب موقعه أو طريقه استخدامه أو شكله، فكان لديهم بحر العيد، وبحر الكنان، والبحر الصغير، والبحر الكبير، وبحر البطيخ وغيرها.

ب - الطرقات والأزقة:

كانت شوارع صيدا وطرقاتها، وأزقتها، داخل السور، عبارة عن ممرات ضيقة، مستقيمة حيناً، ومعوجة غالباً، مكشوفة في بعضها، ومسقوفة أو مستورة في معظمها، بحيث لا ترى نور الشمس إلا من بعض كوى صغيرة، تسمح لقليل من الأشعة بالتسرب خلالها في الأيام المشرقة، كما كانت ضيقة عموماً،^(١) بحيث أن العابرين فيها تتقاسم مواطئ أقدامهم مع قوائم دوابهم، وعند ظهور العربات لم يسمح بجرياتها داخل المدينة، ضمن السور، لتعذر مرورها في كثير من تلك الطرقات. وكانت جميع طرقات المدينة وأزقتها داخل السور مرصوفة

(١) معظم طرقات صيدا وشوارعها، داخل السور، لا تزال على حالها الذي كانت عليه في العهد العثماني، ولقد قمت في أيار سنة ١٩٨٠ بقياس بعضها، فوجدت أن عرض معظمها يصل إلى مترين أو أكثر قليلاً، ولكن ليس بينها ما يتجاوز الثلاثة أمتار.

بالحجارة المساء (البلاط)، أو بالحصي (البحص) كبيراً أم صغيراً، المجلوب معظمه من شاطئ البحر.

وهذه الطرقات بجملها تتجه من الشمال الى الجنوب مخترة المدينة من أولها الى آخرها، كما كان بعضها الآخر يخرقها من الشرق الى الغرب حيث تؤدي الى الميناء وساحل البحر، فينشأ عن تقاطع تلك الأزقة ساحات صغيرة مكشوفة تدعى «المصليبات»^(١).

وكثيراً ما تحولت تلك المصليبات الى مواقف للباعة المتجولين، الذين يجهدون في بيع بضاعتهم، أو معظمها، قبل أن يحملوها ويسرعوا هرباً عند حضور «جاويز» البلدية، حتى لا يجرر لهم مخالفة لوقوفهم في مكان ممنوع.

وكانت أكبر تلك المصليبات «ساحة السرايا» في وسط صيدا، حيث تتقاطع ثلاثة شوارع، ومن الجهة الرابعة حائط خان الافرنج حيث البوابة الكبيرة. وكانت هذه الساحة أكثر مناطق المدينة ازدحاماً بالمارة، على صفرها، ولذا فإن المنادي أو الدلال، كان يبدأ نداءه أو اعلانه منها، ثم يطوف في بقية الأسواق والحارات، كما كانت تقام فيها الاحتفالات والاجتماعات العامة، وكان يقع في وسطها بركة ذات نافورة، وتحيطها بضعة أشجار،^(٢) ومن ساحات صيدا آنذاك ساحة الملاحة وساحة الجميزة.

لم تكن معظم طرقات صيدا داخل السور، نظيفة دائماً، رغم جهد السلطات المحلية في هذا السبيل، اذ كثيراً ما تكوَّمت فيها الأوساخ أو جرت على أرضها المياه المبتذلة^(٣). كما كانت جذرانها، ملطخة بالأسود وبالأخضر بسبب نمو الطحالب على الجدران لعدم الأبنية ولرطوبة الجو.

(١) مفرداً مصليّة، وهي تقاطع الطرق الذي يشبه شكل الصليب، ولا يزال هذا الاصطلاح دارجاً حتى اليوم.

(٢) التميمي وبهجت، ج ١، ص ١٥٤، ولا تزال الساحة حتى اليوم تحتفظ ببضع شجرات من الزلزلة من تلك الفترة، أما النافورة فقد أقيم مكانها سبيل ماء، عليه لوحة بأسماء من استشهدوا من الصيداويين خلال أحداث السنوات الأخيرة في لبنان.

(٣) JOHN MURRAY, OP. Cit. , p. 370

كانت الطريق الرئيسية تدعى «جادة»، أما الطريق الضيقة، القصيرة عموماً، والموصلة بين طريقين أكبر منها، فكانت تدعى «الزاروب»، وفي بعض الأحيان كان الزاروب مسدوداً بجائط في نهايته ولا يوجد له إلا مدخل ومخرج واحد. كما دعى الزاروب بالزقاق أو الزاقوق، وكذلك استعملت أحياناً لفظة «القناق»^(١).

وكانت تتخلل بعض الأزقة، داخل صيدا، قناطر تصل بنائين معاً، أو يقام عليها بناء كامل أو غرفة من غرف البيت، وكانت تدعى «ساباط». ومن أسماء الأزقة والطرقات داخل صيدا، التي لا يزال معظمها محتفظاً باسمه حتى اليوم:

زقاق الدهن (قرب الجبانة)، زقاق الكيلاني، قناق آغا باشا، قناق الشيخ عبدالله، زاروب الفانوس، زاقوق حمص، طريق البوستة، زاروب العتمة، زاروب طل وارجع (لا يزال قائماً بنفس الاسم) زقاق صيدون، وزقاق الجامع الكبير.

أما داخل الأسوار، فقد شقت طرقات وأزقة أكثر استقامة وأكثر عرضاً من مثيلاتها داخل السور، وأطول مسافة، لبعد الأحياء الجديدة عن بعضها، لكنها ظلت تعاني من كثرة الحفر وتراكم الحصى والحجارة، بالإضافة إلى الغبار صيفاً والوحل شتاءً، قبل أن يجري تعبيدها في أواخر القرن التاسع عشر. ومع أنها كانت تضايق المارة والعابرين، لكن أضرارها بالمزارعين على جانبي الطريق كانت كبيرة، فكانوا دائمي الشكوى مما يلحقه الغبار الكثيف المتطاير منها بمزروعاتهم من خسارة^(٢).

وبموجب نظام الطرق والأبنية الصادر سنة ١٨٦٣، فقد حدد عرض الأزقة، التي لا منفذ لها، بستة أذرع فقط، وبلصق لوحة على مدخل كل زقاق تبين عرضه، وسمح القانون ببقاء الأزقة الأقل عرضاً، أو أكثر، على حالها^(٣).

(١) تركية الأصل، بمعنى مكان الضيافة، أو بيت الجند ثم اطلقت على الأزقة اصطلاحاً.

(٢) الاقبال، العدد ٤٩ في ٣١ آب ١٩٠٣.

(٣) نظام الطرق والمعايير، في ٧ جادي الأولى ١٢٨٠هـ، المادة ١١، الدستور، ج ٢، ص ٤٤١.

وكان طريق الشاكرية أول الطرق التي شقت خارج أسوار صيدا^(١). وفي فترة وجيزة تحول إلى مركز استقطاب تجاري كبير، وانشئت على جانبه المخازن الكبيرة والأبنية الحديثة، والمقاهي والمطاعم وغيرها^(٢). ثم شقت بعد ذلك شوارع وطرق عديدة عبر بساتين صيدا لوصول الأحياء الجديدة بالمدينة، وأخذت البلدية تهتم بترميمها وصيانتها^(٣).

ففي سنة ١٨٨٨ بلّطت البلدية الطريق ما بين البوابة التحتا وبوابة القشلة بمبلغ ٧١٩ قرشاً^(٤)، وفي السنة التالية (١٨٨٩) أوكلت إلى المقاول علي حسنا تبليط بقية طريق الشاكرية بمبلغ ٤٣٠ قرشاً^(٥)، ثم أكمل تبليط الطريق من بوابة الشاكرية إلى البوابة الفوقا^(٦). وبذلك أصبحت الطريق المحاذية لسور صيدا من جهة الشرق من البوابة الفوقا حتى بوابة القشلة مرصوفة وممهدة وصالحة لسير المشاة والدواب والعربات.

وفي سنة ١٨٩٢ زرعت البلدية أشجار زلزلخت لتزيين طريق الشاكرية، ووضعت لكل غرسة سياجا من خشب يحفظها. وأنفقت في سبيل ذلك ٢٥٦ قرشاً وه بارات^(٧). كما أعادت غرس مائة شجرة زلزلخت في طريق الشاكرية، وكذلك في طريق سقي نفيسة وطريق السرايا وساحتها، ليستظل بها المارة من وهج الشمس، وكلفها ذلك أربعمئة قرش، وكان ذلك سنة ١٩٠٩^(٨).

وكان أهالي الشمعون والوسطاني قد بدأوا سنة ١٩٠٦ بإنشاء جسر على مجرى القملة وتسوية طريق «شوسه» تصل إلى عين أبي اللطف، بأموالهم الخاصة، ولكنهم سنة ١٩٠٩ شكوا إلى البلدية من تجمع المياه في الطريق

(١) شقة القاتقام شكري بك (١٨٧٠ - ١٨٧٥) ولهذا نسب إليه.

(٢) التسميى وهجت، ص ١٥٣.

(٣) ثمرات الفنون، العدد ٣٣٤، في ٦ حزيران ١٨٨١.

(٤) بلدية صيدا، قرار دون رقم في ١٥ شباط ١٣٠٤ (١٨٨٨).

(٥) بلدية صيدا، قرار دون رقم في ٨ تشرين الثاني ١٣٠٥.

(٦) - بلدية صيدا، قرار دون رقم في ٧ تشرين الأول ١٣٠٦.

(٧) - بلدية صيدا، قرار دون رقم في ٢٨ شباط ١٣٠٩.

(٨) - بلدية صيدا، قرار نومرو ١٦٥، في ٣٠ كانون الأول ١٣٢٥.

المذكور، مما يعوق المرور في فصل الشتاء، خصوصاً بالنسبة للتلاميذ الصغار. فشكلت لجنة من هاشم البزري وعلي خروبي لتقدير كلفة اصلاحها^(١). كما كانت طريق التل (قرب القلعة البرية) قد جرت تسوية أرضها وحفر خندق إلى جانبها، وشكلت لجنة من العضوين السابقين الذكر لتقدير كلفة تعبيدها بالبحص والرمل^(٢). وقد قدّم المذكوران تقريراً إلى البلدية بيّنا فيه ان كلفة اصلاح طريق الشمعون ورصف طريق التل تبلغ ٢٠٨٥ قرشا عملة صيدا، وقد اتخذت البلدية قراراً باصلاح طريق الشمعون، وبوضع رصف طريق التل بطريقة الأمانة، ورفع كتاب بذلك إلى مجلس إدارة القضاء للبتّ به^(٣).

وكانت ترش الطرقات بالماء صيفاً، منعاً للغبار المتطاير، ففي سنة ١٩٠٩ مثلاً اتفقت البلدية مع رشيد المغربي وأخيه عبدو على رش الطرقات داخل صيدا من بوابة الشاكرية إلى باب السرايا، بمبلغ خمسين قرشاً شهرياً لكل منهما، على أن يتم الرّشّ يومياً^(٤).

ولاعتقاد المجلس البلدي ان رش الشوارع بالماء يتم بسرعة بواسطة «الطنبر» فقد قام بشرائه في سنة ١٩١٠^(٥) وسلمه إلى الحاج إبراهيم البزري ليقوم برش الطرقات من أول مقبرة الشيعة حتى آخر الأبنية في منطقة الدباغة كل يوم مرتين صباحاً ومساءً «... رشاً أصولياً، تفريق على عرض الطريق» ومن قرب باب الجبانة (للسّنة)، ماراً بطريق التل إلى عمار الدباغة، ومنها إلى المدرسة الخيرية، كل يوم مرة مساءً في الساعة التاسعة، وأوكلت إلى الجاويش محمد عفارة مراقبة ذلك، على أن تدفع للحاج البزري ريالاً مجيدياً واحداً عن كل يوم، واشترطت في حال التقصير ان تخضم قيمة الجزاء النقدي من أصل بدل الالتزام^(٦).

(١) بلدية صيدا، قرار نومرو ١٥٤ في ٢٧ كانون الأول ١٣٢٥ (١٩٠٩).

(٢) بلدية صيدا قرار نومرو ١٦٠ في ٢٩ كانون الأول ١٣٢٥.

(٣) بلدية صيدا قرار نومرو ١٦٣ في ٣٠ كانون الأول ١٣٢٥.

(٤) بلدية صيدا قرار نومرو ٦٣ في ٥ مايس (ايار) سنة ١٣٢٥.

(٥) بلدية صيدا قرار نومرو ٣٠ في ١٩ نيسان ١٣٢٦ ويستخدم الطنبر للعمل والنقل ويجريه حيوان أو اثنان.

(٦) بلدية صيدا قرار نومرو ٥٩ في ٧ حزيران ١٣٢٦.

وفي تلك السنة رسا التزام رش الماء على أحد حود بقيمة ثلاثين ريالاً
مجدياً شهرياً^(١)، ولما وجدت ان الرش بالطنبر غير عملي وبطيء، فسخت
الالتزام مع حود، واعادته إلى الشقيقين الغربي بالبلغ السابق نفسه^(٢).

وكانت المحافظة على نظافة الطرق والأزقة وتسهيل المرور والعبور فيها من
مسئوليات الشرطة (الضابطة) والبلدية. فيموجب تعليمات الضابطة كان على
العمال الذين يقومون بأشغال في الطرقات، ويتركون حفرا في الطريق قبل
انجازها، ان يضعوا فانوساً مضاءاً ليلاً أمام تلك الحفر لتنبيه المارة. كما
فرضت تلك التعليمات على السكان أو أصحاب المحلات عدم القاء المياه أو
اسالتها إلى الطريق أو الزقاق أمام أبنيتهن، لأنها تسبب الازعاج والضرر
للجارة، ويغرم الفاعل مبلغاً نقدياً معيناً^(٣).

كما فرضت تلك التعليمات عدم افلات الأبقار أو الثيران لتسير وحدها، في
الأزقة والطرقات، وهددت المخالفين بالجزاء^(٤).

وكانت البلدية تحتّ عملها على ازالة الأوساخ والأتربة من الشوارع،
والطرقات، وكانت تكلفهم، في الصيف، بالعمل على ازالتها مرتين يومياً
وتدفع لهم اجراً اضافياً^(٥).

وقد أصبحت طريق التل من أهم الطرق التي تربط صيدا بالبساتين، كما
أصبحت طريق الشمعون منتزهاً لأهالي المدينة عصارى الأيام الحارة، بسبب
اتساعها، ووقوعها بين البساتين من جانب، وشاطئ البحر من الجانب الآخر.

ج - الدور والقصور:

كان معظم أبنية صيدا مبنياً بالحجر الرملي، الذي امتاز بمتانته، وبثقله
رطوبة الساحل، كما استخدمت الحجارة الرملية الدبش لتدعيم الجدران،

(١) بلدية صيدا قرار نومرو ٦١ في ١٠ حزيران ١٣٢٦.

(٢) بلدية صيدا قرار نومرو ٧٥ في ٣١ توز ١٣٢٦.

(٣) تعليمات الضابطة، في ٢٣ محرم ١٣٧٨، الدستور، ج ٢، ص ٦٧٤ المادتان ١٤ و ١٧.

(٤) المادة ٤٦ من التعليمات المذكورة، المصدر نفسه، ص ٦٧٩.

(٥) بلدية صيدا، قرار نومرو ٦٢ في ١٠ حزيران ١٣٢٦.

واللاط من الكلس العربي والرمل الأحمر . وكثيراً ما دعمت السقوف بأعمدة من الحديد المزيق ، أو من الخشب ، من نوع القطراني أو الشوح المورينا .
وبموجب نظام الطرق والأبنية ، فقد كان ممنوعاً أن تخرج عتبات الأبواب عن مستوى البناء ، إلى الخارج ، بما يزيد عن أصبع واحد ، وكذلك لم يكن يسمح بظهور براويز التوافذ إلى الخارج بطول يزيد عن مسافة أربعة أصابع ، أما مزاريب الماء فلا تتعدى ستة أصابع عن مستوى البناء ، وحتمت القوانين كذلك ألا يزيد ارتفاع أبنية الحجر عن عشرين ذراعاً من كل جانب ، وأربعة عشر ذراعاً لأبنية الخشب . كما افترض وضع لوحات بأسماء الأزقة ، وبأرقام المنازل والأبنية على مدخل كل منزل^(١) .

وكانت البلدية تمنح رخصة تشييد البناء ، بعد إجراء مهندسها كشفاً على المكان ، والتأكد من توفر الشروط المطلوبة ، وكان رسم البناء عشرين قرشاً عن كل أربعين ذراعاً مربعاً من مساحة البناء حتى المئة ذراع ، فإذا زادت مساحته عن ذلك ، يؤخذ عن كل أربعين ذراعاً مربعاً أربعون قرشاً ، كما كان يؤخذ عن كل حمام ينشأ في المنزل عشرة قروش عن كل ذراع مربع منه^(٢) .

وإذا وجدت البلدية بناء مشيداً دون ترخيص ، أو مخالفاً للشروط المعمارية فقد تحكّم على صاحبه بغرامة مالية ، وقد تأمر بهدمه إذا كان بقاؤه يشكل خطراً على الناس . ففي سنة ١٩٠٩ مثلاً ، شكّلت البلدية لجنة من عمر أبو ظهر ومحيي الدين النعماني للتفتيش على الأبنية المخالفة في صيدا ، وبعد جولة في أحياء صيدا برفقة مهندس البلدية اسكندر أفندي ، وجدت أن محمود الهواري قد أقام غرفتين في بنائه دون رخصة ، فألزمته بدفع ٣١٢ قرشاً رسم بناء وغرامة نقدية ، كما وجدت أن محمد علي حشيشو قد بنى محلاً من طابقين دون

(١) نظام الطرق والأبنية ، في ٧ جادي الأول ١٢٨٠ ، المواد ١٧ و ٢٠ و ٣٥ ، الدستور ، ج ٢ ، ص ٤٤٧ - ٤٥١ .

(٢) «نظام ما يؤخذ من كل نوع من الأبنية من الخرج والرسومات ، المادة ٢ الدستور ج ٢ ، ص ٤٥٧ . هذا وكان الرسم على الدكان ٤٠ عن كل ٢٠ ذراعاً مربعاً ، وعلى الخان ١٠٠ قرش عن كل ٤٠ ذراعاً مربعاً من مساحته ، أما الحمامات العامة فكان رسمها مثل رسم المنازل . وكانت الأبنية الأميرية والخاصة معفاة من دفع رسم البناء .

ترخيص فقرته ٧٢ قرشاً رسم بناء وجزاءً مالياً، وقد وافق المجلس البلدي على الاجرائين^(١).

وفي السنة نفسها (١٩٠٩) طلب الحاج عبدالرحمن أبو حوش رخصة لعمل سلم للطابق العلوي يشاد من خارج البناء، لكن عضو البلدية عمر أبو ظهر، ومعلم البناء بطرس بعد أن كشفوا على المكان، وجدا أن إنشاء السلم بتلك الطريقة مخالف للمادة ٣٠ من قانون الأبنية، كما أنه يكشف على منازل جيرانه خصوصاً غرفة النمامة فيها، فقررت البلدية منعه من ذلك، إلا إذا رأى فيها بعد أن يبني السلم من داخل داره^(٢).

ولم يقتصر التدخل في مخالفات البناء على البلدية، بل كان البعض يلجأ للمحكمة الشرعية فتتخذ اجراءاتها بمنع البناء، خصوصاً إذا كان في الأمر اعتداء على حق الجيران في المرور إلى أبنيتهم، أو اغتصاب لأماكن الغير، أو هتك حرمة المنازل بتشييد أبنية تشرف على داخلها، ففي سنة ١٨٩١ مثلاً، ادعى الحاج علي بن الحاج محمد سعيد البزري، على عثمان أحمد البساط أنه أحدث بناء على شاطئ البحر تجاه منزله، وأقام في الطابق الثاني منه ثلاث نوافذ وبابين وتراسينه (شرفة) وهي تكشف على مقر النساء في داره الكائنة قرب جامع البحر في باطن المدينة، وقد أقر المدعي عليه بأنه أقام المنشآت المذكورة، وتعهّد بتحويل البابين إلى نافذتين، ليصبحوا خمسة نوافذ يقوم بسترها بأباجور مسمر، ويسد التراسينة من الجانبين، وقد قبل المدعي ذلك، ورضيت المحكمة به^(٣).

وفي سنة ١٨٧٤ اشتكى خليل معتوق أن الياس الصهيوني، من سقي صيدا، اشترى منه قطعة أرض، وأخذ يشيد عليها بناء، ثم اغتصب جزءاً من أرض خليل ووالدته بالقوة وأخذ يبني عليها سلباً، وأن البناء المشيد يؤدي جيرانه ويكشف على نسائهم. وقد قام أعضاء المحكمة الشرعية، بعد سماع

(١) بلدية صيدا، قرار نومرو ٢٧ في ٤ آذار ١٣٢٥، وقرار نومرو ٣١ في ٢٧ آذار ١٣٢٥.

(٢) بلدية، قرار نومرو ٨٦، في ٢٥ حزيران ١٣٢٥.

(٣) المحكمة الشرعية، سجل ٨، ص ٢٨، نومرو ٢٠٨ في ١٥ ربيع الأول ١٣٠٩ هـ (١٨٩١).

الشكوى، بالكشف الحسي على العقار محل الدعوى، في حاكورة بني كتعان في محلة القناية، ووجدوا ان الايوان ونافذتين من الغرفة الشمالية، يطلان على ساحة بيت الجيران وعلى محل اقامة نسايتهم، كما وجدوا ان الياس الصهيوني قد اغتصب من أرض جاره ذراعاً مربعاً...^(١).

ونظام الملكية العقارية العثماني كان يسمح للانسان، بامتلاك جزء من دار أو طابق من بناية، أو حتى حصة من مجموعة حصص من دار أو منزل، فيما يشبه امتلاك الشقق في وقتنا الحاضر. وكانت تلك المرونة تسمح بتوزيع الميراث وتسهل عمليات البيع والشراء.

وكانت عملية التمليك تسجل في المحكمة الشرعية ويعطى بها «حجة شرعية»، حتى ولو سجلت في دائرة الطابو واعطي بها «سند طابو»، لأن حجة المحكمة الشرعية كانت، بنظر الناس، أقوى من سند الطابو المختوم بختم الدولة الرسمي، والمدموغ بدمغتها والموقع من قبل موظفيها، «... الحرمة... حنيفة بنت محمد الصباغ... باعت... لولدها لصدرها درويش بن مصطفى الشهير بالأكثر... جميع الحصة الشائعة وقدرها خمسة قراريط وأربعة أخماس القيراط... من كامل العلية والتخنة الملاصقين لبعضها داخل الدار المعروفة بدار الحاج محمد المنتشش في حارة مصبنة آل جلال الدين... بثمان قدره... من القروش الأسدية العامل (المتعامل) بها يوم تاريخه أدناه... ألف وخمسمائة قرش... حالاً مقبوضة...»^(٢) كما باعت صالحة بنت حسن الحلاق، إلى مريم بنت مصطفى الحلاق، ثلاثة قراريط من كامل الدار الواقعة في الزاوية البرّانية باطن مدينة صيدا، من القروش الأسدية المتعامل بها في تاريخ البيع ألفاً وخمسمائة قرش^(٣).

وكان غير المسلمين كذلك، يجري عقود البيع والشراء في المحكمة الشرعية

(١) المحكمة الشرعية، سجل ٢، في ١٦ تشرين الأول ١٢٨٩ (١٨٧٤)، ولم اعرف مضمون الحكم الذي أصدره القاضي الشرعي، لأنه تأجل إلى جلسة تالية تعقد فيما بعد، ولم أتمكن من العثور على تسجيل لنصّها، ويبدو انه كان لصالح خليل متتوق.

(٢) المحكمة الشرعية في صيدا، سجل ١، نمره ١٤ في ١٨ رجب ١٢٨٥ هـ (١٨٦٨).

(٣) المحكمة الشرعية في صيدا، سجل ١، نمره ٢٤ في ٢٧ شعبان سنة ١٢٨٥ هـ.

« ... حضر ... محمد علي كساب ... وباع ... انطوان عبدالأحد الشدياق الكرجي ... جميع كامل القبو الفالوس الواقع داخل حارة بني كساب، بحده قبلة فسحة الحارة المزبورة، وشمالاً بيت مريحاً^(١)، وشرقاً دار بني سنكحله، وغرباً ملك شقيقة البائع ... بيعاً وشراءً صحيحين شرعيين ... وقد جرى البيع صفقتين كل منهما بعقد مستقل ... فالأولى أربعة قراريط بثمان قدره وبيانه من القروش الأسدية المعامل بها يوم تاريخه ستاية قرش حالا مقبوضة... والثانية (عشرون) قيراطاً بثمان قدره وبيانه من القروش الأسدية ... ستاية (وخسون) قرشاً حالا ... حررت هذه الحروف مشعرة بذلك ومعلنة بما هنالك، ... تحريراً في اليوم الثامن من شهر جمادي الثاني سنة خمس وثمانين ومائتين وألف ... »^(٢) وحتى لو كان البائع والمشتري من غير المسلمين، كانت حجة البيع تسجل في المحكمة الشرعية وتصدر عنها، فعندما باع ميخائيل نقولا لفلوفه شقيقه ابراهيم أحد عشر قيراطاً وخمس القيراط من كامل الدار الواقعة في حارة الدباغ بمبلغ ٥٢ ليرة عثمانية، سجل ذلك في المحكمة الشرعية في صيدا^(٣).

وكان مسموحاً ببيع أي جزء من البناء، حتى ولو كان علية^(٤) أو قبواً، فقد باعت خديجة حسن الجوني، إلى أحد الجراح بن محمد المصري، كامل العليتين داخل بيت لمع بإحدى عشرة ليرة فرنسية ذهباً، في شعبان سنة ١٢٨٥ هـ^(٥).

وفي عقود البيع والشراء في «سندات الطابو» أو في «الحجج الشرعية»، كانت حدود العقار تعين بما يحيط به من جهاته الأربع، وتحدد مساحته بالقراريط نسبة «لكامل البناء»، كما كانت تعين حصص مالكيه بالسهم

(١) على الأرجح، لأن كتابتها لم تكن واضحة.

(٢) المحكمة الشرعية في صيدا، سجل ١، نمرة ٣.

(٣) المحكمة الشرعية في صيدا، سجل ١، نمرة ٢٨، في ٢٧ شعبان سنة ١٢٨٥ هـ.

(٤) غرفة صغيرة في أعلى البناء يكون مدخلها ضمن البناء أو مستقلة عنه أشبه «بالرؤف» في أياضا.

(٥) المحكمة الشرعية في صيدا سجل ١، نمرة ١٦.

الشرعية إذا اقتضى الأمر * ... حضر محمد نجيب بن الحاج درويش الشماع ...
بواجهة سامي بن محمود ابن أبو خليل أباطة، الوكيل عن شقيقته فهيدة
وزهيدة بنات المرحوم محمود أباطة البالغات الراشداً ... وادعى نجيب
المذكور أنه اشترى من سامي ٢٣٨ سهماً، ومن كل من ... شقيقته فهيدة
وزهيدة ١١٩ سهماً، من أصل ٥٢٨٠ سهماً من كامل نصف الدار الشهيرة بدار
بني أباطة الكائنة بحلة الشارع ... المشتملة على مساكن وأماكن علوي، وقبو
سفلي وعلى منافع شرعية، وعلى حوض ماء منحدر إليه من قناة الحاسكية،
يحدّها دار الخواجات دبانة شمالاً، وقشلة العساكر الشاهانية المظفرة قبلة،
وشرقاً خان أباطة، وغرباً الطريق وفيه الباب والسلم، بضمن قدره أربعون ليرة
عثمانية ذهباً ... وباقي بدمته ليرة عثمانية واحدة ... (ولكل من الموكلتين) نصف
ليرة عثمانية ...»^(١).

وكما نظمت معاملات بيع المنازل والدور، فقد نظمت كذلك معاملات
الايجار والاستئجار بموجب عقود قانونية وشرعية، وبرز ما صدر في هذا
الجال نظام القونتراتو (العقود) الصادر سنة ١٨٦٨^(٢).

وبموجبه كان من الضروري تسجيل عقد الايجار في دار البلدية وتدوين
اسم المستأجر وشهرته كاملين، في العقد، وكذلك بيان نوع عمله وجنسيته
ووضع كفيل مالي له، إذا ورد في العقد شرط وجود الكفيل^(٣).

وإذا كان المأجور من أجل السكن، تحتّم على المؤجر والمستأجر تصديق
عقد الايجار من المختار وختمه بختمه، بالإضافة إلى تصديق إمام المحلة إذا كان
طرفاً للعقد من المسلمين، أما إذا كانا من غير المسلمين، فيكفي تصديق المختار
فقط^(٤).

كما ان تعليمات الشرطة فرضت على كل من يستأجر منزلاً لاقامته، أو دكاناً

(١) المحكمة الشرعية في صيدا، سجل رقم ١١، غرة ١٢٤، ص ٦٠٤، في سنة ١٣١٨ هـ.

(٢) نظام القونتراتو في ٦ شبان ١٢٨٤ هـ، الدستور الجديد، صفحاته غير مرقمة موجود في مكتبة
الجامعة الأميركية في بيروت.

(٣) المادتان الأولى والثانية من النظام المذكور.

(٤) نظام القونتراتو، المادة ٣.

أو حماماً لعمله، أو ينزل في خان (فندق)، أو يستعمل أي مكان مأجور، أن يوقع عقداً (قونطراتو) بينه وبين صاحب البناء، وهددت المخالف بالعقاب، كما حلت الائمة والمخاتير ومشايخ (نقباء) الحرف مسئولية كل تهاون في هذا السبيل^(١).

وكان تنظيم عقود الإيجار في صيدا يجري عادة في مطلع السنة الهجرية، ونادراً ما كان يتم في الأشهر الأخرى من السنة «... بما انه قد اقترب حلول السنة الهجرية الجديدة ومن عادات البلدة وضع البيوت والدكاكين المدة للإيجار تحت المزايدة في مثل هذه الأيام... (فإن) البلدية... تضع (عقاراتها) تحت المزايدة...»^(٢)

ومن أمثلة عقود الإيجار التي سجلت في المحكمة الشرعية في صيدا ان شخصاً استأجر منزلاً من غرفة ومنافعها العامة بقيمة ٥٤٠ قرشاً سنوياً، بالعملة الرائجة في بندر صيدا آنذاك^(٣).

أما منازل صيدا فكانت ذات سقوف عالية، عموماً، كما ضم بعضها فناطر حجرية، وقد وصفها رحالة فرنسي بأنها أكثر بيوت الساحل السوري علواً، وكان معظمها يتألف من طابقين أو أكثر^(٤). وكانت النوافذ عالية عن أرض الغرفة ومشبكة بالحديد غالباً، وكان معظم تلك النوافذ يغلّق بالأواح من الخشب (الأباجور)، لأن البيوت الصيداوية التي لها نوافذ زجاجية ظلت قليلة العدد حتى أواسط القرن التاسع عشر^(٥).

وكان لكل منزل بوابة محكمة، والممر عند المدخل، كان منحرفاً قليلاً حتى لا يقع نظر الزائر على داخل المنزل. وفي بعض المنازل كانت توجد فسحة داخلية (حوش) تضم أصصاً للزهور، من حبق وياسمين وقرنفل وغيره من

(١) تعليمات الضابطة في ٢٣ محرم ١٢٧٨ المادة ٣٥، الدستور، ج ٢، ص ٦٧٧.

(٢) بلدية صيدا، قرار نومرو ٦٢، في ٧ تشرين الأول سنة ١٣٢٦ مالية.

(٣) المحكمة الشرعية في صيدا سجل ٢٦ نومرو ١٩، ص ١٤ في ١٤ شعبان ١٣٣٠ هـ.

(٤) لويس لورته، مشاهدات في لبنان، تعريب كرم البستاني، بيروت ١٩٥١، ص ٩٧.

(٥) ادوارد روبنسون، ج ١، ص ١٣٠.

الزهور التي اشتهر الصيداويون بولعهم بها^(١)، وفي بعض الأحيان توجد بضع شجيرات من البرتقال أو الاكيدنيا أو بعض اشجار الزينة، بالإضافة إلى بركة صغيرة تنفث الماء من نافورتها، وتكون هذه الفسحة متنفساً للنساء المنزل في ساعات الفراغ^(٢).

معظم المنازل كان مؤلفاً من غرفتين وثلاثة صغيرة بينها (الليوان أو الايوان)، كما يوجد رواق أو ردهة مسقوفة تفصل، في الدور الكبيرة، غرف نوم الرجال عن النساء، وفي بعض الأحيان تفصل غرف الزوجات عن بعضها، إذا كان رب البيت مزواجاً.

ويبدو ان معظم العائلات كانت تفصل الرجال عن النساء في غرف مختلفة اثناء النوم، كما يتضح من وقائع سجلات المحكمة الشرعية التي وردت غاذج منها في الصفحات السابقة « مثلاً دعوى الحاج علي بن الحاج محمد سعيد البرزي.. إن البناء الذي شيده عثمان احمد البساط... يكشف على مقر النساء في داره » وكذلك شكوى « خليل معنوق على الياس الصهيوني، وجدت اللجنة التي ذهبت للكشف على البناء انه يطل على ماحة بيت الجيران » وعلى محل إقامة نسائهم... »

وكثيراً ما ضمت المنازل الأرضية قبواً للاستعمالات المختلفة، إذ يوضع فيه الاثاث القديم، أو تخزن فيه بعض المؤونة أو الحطب، كما كان يوجد فيها تنخيته (سدة) في أعلاها تستخدم بشكل خاص لحفظ المؤونة.

وكان سكان الطوابق الأرضية يضعون على مداخل منازلهم، وكذلك على نوافذها ستائر من قماش خاص تدعى « شعريات^(٣) » لتحجب أنظار المارة عن رؤية ما في داخل المنزل، بينما يستطيع من بالداخل رؤية الخارج بوضوح^(٤).

(١) التميمي وبهجت، ص ١٦٨.

(٢) KARL BAEDEKER, op. cit., p. 12

(٣) مفردتها شرية، وتمثل من الشعر أو من أي نسيج آخر، وبها تقوب صغيرة اشبه بثقوب النخل، وصاحبها يدعى الشَّار.

(٤) التميمي وبهجت، ص ١٥٣.

وعندما بدأ تشييد الأبنية خارج أسوار صيدا، جاء طرازها مغايراً قليلاً لطراز البناء الذي كان سائداً داخل الأسوار، فمع الاحتفاظ بالآطار العام من حيث علو السقف، ووجود القناطر على الواجهة، واستخدام الحجر الرملي، غالباً إلا أن استخدام القرميد الأحمر لسطوح المنازل أخذ بالاتشار، فصارت تلك المنازل بين البساتين، شبيهة بالمنازل القرميدية في الجبال، وقد لونت جدران المنازل بالأزرق أو الأحمر، وبشكل عام كان في بنائها مسحة من الطراز المعماري الفرنسي أو الإيطالي الذي كان قد أخذ بالشيوع في مدن الساحل اللبناني، منذ النصف الثاني للقرن التاسع عشر^(١).

وقد وجدت داخل سور صيدا وخارجه مجموعتان من القصور تميّزتا بالفراة والجبال، وظلتا كنموذجين على الطراز المعماري الذي كان سائداً خلال القرون السابقة.

أما المجموعة الأولى فهي الأبنية التي شادها الأمير فخر الدين المعني الثاني وبقية الأمراء من عائلته، داخل سور المدينة، وهي القصور التي حلت أسماء مالكيها فيما بعد، مثل قصر أباطة، وقصر دبانة وقصر الغفري، ودار سليمان باشا الفرنساوي.

وامتازت تلك الأبنية بطرازها المزيج من الفن العربي والتوسكاني، وقد غطت أرضها قطع الرخام الأبيض أو الملون، وتلون زجاج نوافذها بشق الألوان. كما ضمت جدرانها وعقودها آيات قرآنية وأمثالا وحكماً بخط جميل^(٢).

والمجموعة الثانية هي القصور التي شادها آل جنبلاط على تلة البرامية المشرقة على صيدا، في القرن التاسع عشر، وقد امتازت بسطوحها القرميدية،

(١) التميمي ونجعت، ص ١٥٤.

(٢) لم يبق من قصر أباطة إلا بعض الآثار الدالة عليه، أما دار سليمان باشا الفرنساوي فقد تهدمت منذ زمن بعيد، وكذلك الحال في قصر الغفري، أما قصر دبانة فقد ظل محتفظاً بكامل رونقه ومعاليه، حيث كان يقصده السياح كأحد معالم صيدا العمرانية، لكنه أهمل خلال أحداث السنوات الأخيرة، وأصبح بحاجة إلى ترميم شامل.

وبسقوفها العالية، وبالقناطر في واجهاتها، كما غطت أرضها بالرخام الإيطالي وزرعت في جوانبها التائل والنافورات، ولا يزال معظمها بحالة جيدة يقف شاهداً على طراز البناء في القرن التاسع عشر.

د - المياه والانارة:

كان أهل صيدا يستقون من مياه نهر الأولي، الجاري إلى الشمال منها، بأنابيب من فخار، معظمها تحت الأرض^(١) وكانت المياه تصل إلى المدينة ملوثة وردئة الطعم. وعند فيضان النهر كان الأهالي يستقون من نبع «الحارة» على بعد ١٥٠٠ متر شرقي صيدا، رغم عدم نقاء مياهه^(٢).

ونحو سنة ١٨٦٩ جرت مياه نبع الباروك، قرب عين زحلنا، إلى صيدا لاستخدامها في الشرب والحاجات الأخرى، ورغم نظافة هذه المياه ونقاؤها، إلا أن جريانها بواسطة قناة مكشوفة كان يعرضها للتلوث، خصوصاً في منطقة عماطور في الشوف وقبيل وصولها إلى صيدا تجري في قناة على قناطر عالية^(٣). ثم تنوزع فيها في أنابيب حديدية إلى مركزين للتوزيع^(٤)، أحدهما في بوابة الشاكرية والآخر في البوابة الفوقا، وكانت المياه تصل عكرة غير نقية، لأنه لم يكن يجري ترسيبها ولعدم وجود مصفاة لها مثل مياه بيروت^(٥).

وكان توزيع الماء يتم بإشراف البلدية، وكان المقياس السائد هو «فرض الماء» الذي كان يعادل قيراطاً بحجم الأصبع الشاهد (المعروف بالسبابة)^(٦) وكان مجموع فروضة الماء الموزع بالأنابيب داخل صيدا سنة ١٨٦٩ يبلغ ثمانية وثمانين قيراطاً وربع القيراط^(٧). وقد قامت البلدية في سنة ١٨٩٣ برسم

(١) التميمي وبعث، ص ١٥٥.

(٢) ثمرات الفنون، العدد ١٦٠٤، في ١٨ آذار ١٩٠٧.

(٣) التميمي وبعث: المصدر السابق الصفحة نفسها.

(٤) كان مركز توزيع الماء يدعى الطالع (الحزان) وكان لكل طالع سكر لفتحته وإغلاقه.

(٥) كانت مياه نهر الكلب قد جرت إلى بيروت ١٨٧٥. راجع أي حلقة، ص ١٢٧.

(٦) يدعى الشاهد لأن السلم يرفعه أثناء لفظ الشهادة.

(٧) عثرت على تفاصيل توزيع الماء إلى مختلف أماكن صيدا في وثيقة بعنوان «صورة دفتر الماء بعدد الفروض المحفوظ بيد فضيلة عيسى أفندي المغربي» وهو مؤرخ في ١٨ شوال ١٢٨٦ هـ =

خارطة لمجاري المياه الحلوة والمالحة في باطن صيدا وسهلها وكلفها ذلك ١٠٥ قروش و ١٠ بارات^(١). كان المشرف على توزيع الماء وضبطه يدعى «القنواقي» وكان القنوائية في تلك السنة (١٨٦٩) خمسة هم: عبدالله خليل، وابراهيم

= (١٨٦٩). أما تفاصيله فكانت كما يلي: فروضة ماء صايح البوابة ١/٢ ١٤ قيراطاً موزعة على: ميزاب الخشب، قيراط واحد، وخان الدباغة قيراطان، وجامع البراني والسبيل قيراط ونصف، وقلمة البحر قيراط واحد، وخان الرز قيراطان، وخان الحمص قيراطان، وزاوية الباب قيراط، ودار البزري قيراط، ودار علي آغا السوري قيراطان وبيت محمود قيراط. وفروضة ماء صايح البحر ١٥ قيراطاً موزعة كما يلي: دار صاصي قيراط وسبيل آل صاصي قيراط، ودار دبانة قيراطان، وبيت المنيار قيراط وبيت الزكار والكيلاني قيراطان، وزاوية سوق السكاف قيراط، وبيت أبو بجرة قيراط، وسبيل الخضرية قيراط، وسبيل اللحامين قيراط، ودار الانشراح قيراط، وفروضة ماء صايح السراية كانت ١/٤ ٣٤ قيراط موزعة كما يلي:

ورايه خاصة بالحكومة قيراطان، قنطش الكاثوليك قيراط، جامع السراية قيراط، بركة السيد ديب قيراطان، قنّاق الشيخ عبدالله قيراط، حمام الشيخ قيراط ونصف، زاوية المزبودة قيراط، سبيل امام دار المجذوب قيراط، الحمام الجديد قيراطان دار دبانة قيراط، دار عساف ربع قيراط، دار ام لبي برتران قيراط، دار اسطفان شاغوري قيراط، بركة السراية قيراطان، ودار اسماعيل بك قيراط وجامع الكتخدا قيراط، والسراية الكبيرة قيراطان، ودار بيت الياني مع حارة السبيل قيراط، خان الافرنج والحان الصغير وسبيل الباشا ثلاثة قيراط، دار الوقف قيراط، دار اسطفان رزق الله وأبو نخلة قيراطان، وحمام الأمير قيراطان ودار جبور بك رزق الله قيراط، وجامع القطيشية ودار البركة قيراط ونصف، ودار أبو حمزة قيراط.

وفروضة ماء صايح القنواقي ١/٢ ١٤ قيراط توزعت كالآتي: حاكورة احمد القطب قيراط، حاكورة المجذوب قيراط، حاكورة الرهبان قيراط، حاكورة بيت حمود قيراط، دار ابراهيم نخلة قيراط، دار جبرائيل نخلة قيراط، دار عيسى المغربي قيراط وربع، دار حنا لولو قيراط، دار اليسوعية قيراط وربع، دار وقف بني لطفي قيراط وربع، دار آل خلّاط قيراط، دار آل حمود قيراطان دار خليل كشتو قيراط، دار ورثة الزكار قيراط، حمام السوق قيراطان، سبيل العم قيراط، جامع بطاح قيراط، سبيل المصلية قيراط، حمام الورد قيراط ونصف، جامع الكبير قيراط ونصف، وخستخانة (المستشفى) ثلاثة أرباع القيراط.

(١) بلدية صيدا، مضبطة غرو ١٠٤ سنة ١٣٠٩ مالية.

عطية، والسيد أحمد ومحمد الهلالي وأحمد بشناق^(١).
وفي سنة ١٨٨١ قابل الأهالي القائمقام لتحسين وضع الماء في المدينة وتوزيعه داخلها، فوعدهم بتحقيق ذلك^(٢).

وعند زيارته لصيدا سنة ١٨٨٣، أمر الوالي، بوضع أنابيب من حديد لجر الماء مباشرة إليها، وقرر وضع غرامة مالية قدرها مئتي ليرة عثمانية على كل من يعتدى على «قساطل الماء»^(٣). ولم يأت صيف تلك السنة حتى أعلن القائمقام أحمد شكري انه قد تم تركيب انابيب الحديد، وان الماء أخذ بالجرى إلى منازل الصيداويين^(٤).

وفي سنة ١٨٨٦ قامت البلدية بتحسين وتجديد شبكة توزيع الماء في الأنابيب داخل صيدا^(٥).

وفي سنة ١٨٩٠ اقتضى ترتيب توزيع الماء في صيدا ان تقسم الشبكة إلى أربع وتسعين «ماسورة» وثلاثة أرباع الماسورة^(٦)، بحيث يصل الماء إلى كافة المؤسسات (معابد وخانات ودوائر وحمامات) وإلى كافة الأحياء. واستمرت البلدية في مراقبة انابيب المياه (المواسير) ومنع التلاعب بها. ولما كثرت الشكاوى من التعديات على حقوق الآخرين في المياه، شكلت البلدية لجنة من محمود كالو وعمر أبو ظهر (عن البلدية) وراشد أفندي وأحمد أفندي (من الضباط) والحاج علي القطب وعبد اللطيف لطفي، ونجيب الشماخ وحنا زاخر وسليم صاصي وعبد الحميد النعماني لمراقبة وضبط انابيب المياه^(٧). وبعد مراجعة القيود المدونة لديها، وجدت اللجنة ان انابيب مياه التل والمقصف الفوقاني خاصة اوغستين كنافاكو، والمقصف التحتاني خاصة شكري ابيلا، وسرايا الحكومة، وانبوب مياه وقف بني قطيش، وانبوبة مياه المير مصطفى

(١) بلدية صيدا: صورة دفتر... المصدر السابق.

(٢) ثمرات الفنون: العدد ٣٣٤، في ٦ حزيران ١٨٨١.

(٣) ثمرات الفنون: العدد ٤٢٣، في ٢٨ آذار ١٨٨٣.

(٤) ثمرات الفنون: العدد ٤٤ في ٢٩ آب ١٨٨٣.

(٥) لسان الحال: العدد ٩١٣ في ١٠ تشرين الثاني ١٨٨٦.

(٦) بلدية صيدا: الدفتر المحرر به مواسير ارباب الاستحقاق بعدد القائمقام احسان بك لسنة ١٣٠٦ هـ.
مالية.

(٧) بلدية صيدا: قرار نومرو ٧٧ في ٢٥ حزيران ١٣٢٥.

كلها بنسبة اتاييب مياه البلد الخارجية، وان فرضة ماء اليعفوزي تعادل «راس المسار الشعاري الموز» فقامت بضبط ذلك كله^(١) لكن مشاكل الماء لم تنته.

وفي سنة ١٩١١ حضر المرسلون الأميركيون بشراً ارتوازية في المية ومية. اداروها بقوة الثيران أولاً، ثم بواسطة محرك بحاري بقوة اثني عشر حصاناً، لكن تدفق الماء منها كان بطيئاً، فحفروا أخرى وخرج الماء قوياً عذياً، وسحب من مياهه إلى بعض البيوت بالأنابيب، كما أقام جورج فورد «سبيلاً» فخماً واهداً للبلدية^(٢) وقد قام محمد الددا بشراء ما نسبته عشرة مواسير من ماء البشر الارتوازي في المدرسة الأميركية في منطقة المية ومية، بمبلغ ألف ليرة لجرّها إلى أملاكة الواقعة في منطقة القملة، وتعهّد باهداء نصف ماسورة منها لتعمير سبيل للماء على حسابه^(٣). وقد قبلت البلدية ذلك شرط ان يجري مد شبكة الأنابيب وانشاء السبيل تحت اشراف مهندسيها^(٤).

وقبل أن ينتهي الحديث عن المياه في صيدا، لا بد من الإشارة إلى «السبل» «أو الأشيلة» التي كانت تقام فيها لتوفير الماء للسكان، لأن كثيراً منهم لم تكن المياه تصل إلى بيوتهم، كما ظهر من دفتر توزيع «قروض الماء» السابق ذكره. وكذلك من أجل عابري السبيل، والمسافرين الغرباء، لأن انشاء السبيل كان غالباً، كما هي العادة في المدن الشرقية الأخرى، احتساباً لوجه الله تعالى، ومن الأعمال الخيرية التي تلقى الرعاية والاهتمام. وقد كثرت السبل في صيدا في الفترة التي نبحتها، ويصعب حصرها، لأننا لم نعثر على وثيقة تحصيلها، وبلغ عددها سنة ١٨٨٨ ٢٠ سبيلاً^(٥) وما عرفنا من أسمائها: سبيل الباشا - سبيل الخضرية - سبيل المجدوب - سبيل العثم - سبيل

(١) بلدية صيدا، قرار نومرو ٩٢ في ١ تموز ١٣٢٥.

(٢) الباحث، مجلد ٣، ج ٨، آب ١٩١١، ص ٧٢٦.

(٣) بلدية صيدا، قرار نومرو ٩ في ١٥ مارت (آذار) ١٣٢٦.

(٤) بلدية صيدا، قرار نومرو ٥٤ في ٢٩ أيار ١٣٢٦.

(٥) مجلة الحقائق العدد ١ في تشرين الثاني ١٨٨٨.

المصلية - سبيل اللحامين - سبيل الجامع البراني،^(١) سبيل الكشك - سبيل صاصي - سبيل القملة^(٢) سبيل اللومية، سبيل حمام الورد، سبيل البوابة الفوقا، سبيل قرب الجبانة.

وكانت البلدية تسهم في انشاء السبل كلما توافرت لديها الأموال، فهي مثلاً أنشأت سنة ١٩٠٠ سبيلاً فخماً من الرخام بمناسبة ذكرى جلوس السلطان عبد الحميد على العرش^(٣). وعندما قام بعض الصيداويين بإنشاء سبيل قرب المقبرة (الجبانة) سحبت البلدية إليه ربع ماسورة ماء على حسابها من بركة السيد ديب، ليستفيد من مياهه سكان الحي^(٤).

أما الإنارة فقد كانت تتم آنذاك، بقناديل الكاز، وظلت كذلك حتى نهاية العهد العثماني^(٥). وحتى سنة ١٩٠٨ كانت شوارع صيدا وطرقها تضاء ليلاً بمئة وخمسة وستين قنديلاً (فانوساً) وقد رأت البلدية في هذه السنة ان عدد القناديل لم يعد كافياً لإضاءة كل الطرقات في المدينة بعد امتداد عمرانها، فأضافت خمسة عشر قنديلاً آخر، وقسمتها إلى منطقتي إنارة: شرقية وبها تسعون قنديلاً، وغربية وبها عدد مماثل من القناديل.

وكان نصف القناديل من النمرة الثالثة، ونصفها الآخر من النمرة الثانية، ووزعت بالتساوي بين المنطقتين، وحددت البلدية مواقع القناديل من النمرة الثانية وتلك من النمرة الثالثة، لضمان حسن الإضاءة في كل موقع. كانت البلدية تطرح التزام إنارة صيدا بالمناقصة، وتشتترط ان يلتزمها

(١) سبيل قديم اعيد ترميمه سنة ١٩٠٩.

(٢) سبيل قديم اُصلح سنة ١٩١٢.

(٣) ثمرات الفنون العدد ١٢٩٨، في ١٠ أيلول ١٩٠٠.

(٤) بلدية صيدا قرار نومرو ٣٢٤ في ١٤ شباط ١٣٢٤ (١٩٠٨).

(٥) لم تتمتع صيدا بنور الكهرباء إلا في فترة الانتداب الفرنسي. أما بيروت فكانت قد انشئت فيها شركة للغاز الهوائي في سنة ١٨٨٥ وبدأت انارها به في سنة ١٨٨٧ وكان كل متر مكعب يعادل ست ساعات إضاءة وثمنه ٢٥ سنتاً (ربع فرنك) راجع دليل بيروت وتقوم الاقبال عبد الباسط الأنسي، ص ٩١. أما إنارة بيروت بالكهرباء فقد نال امتيازها سليم رعد سنة ١٩٠٧ لمدة ٩٩ سنة. راجع لسان الحال العدد ٥٤٣٣ في ١٨ حزيران ١٩٠٧.

أكثر من شخص حتى تمكن ائارة القناديل في الوقت المناسب. وكانت تشتط على الملتزم اضاءة القناديل، يومياً، قبل الغروب بقليل وطيلة الليل حتى شروق شمس اليوم التالي. وكذلك وجوب تنظيفها ومسحها بشكل دائم^(١).

وفي سنة ١٩٠٩ التزم ائارة القسم الغربي سعد الدين ادريس بقيمة ٦٠٠ قرش شهرياً، والتزم ائارة القسم الشرقي يوسف محمد فخري بقيمة مماثلة^(٢) وكان مفتشو البلدية يراقبون عملية الاضاءة الليلية، فلما وجدوا تقصيراً في ليلة من شهر أيار ١٩٠٩، حسمت البلدية من كل منها أجر يومين جزاءً^(٣)، وفي صيف العام نفسه وجد مفتش البلدية، في احدى الليالي، ان قنديلين احدهما في نقطة المآز والآخر عند بناءة حسين حشيشو لم يضاءا فحسمت البلدية على متعهد ائارة القسم الشرقي سبعة وثلاثين قرشا ونصف القرش^(٤).

وفي ربيع سنة ١٩١٠ حسمت البلدية نصف ريال مجيدي من الأجرة الشهرية للتمزم ائارة القسم الغربي، سعد الدين ادريس، عندما وجدت قناديله تنقص قنديلين اثنين^(٥) وكانت البلدية قد اضافت سنة ١٩٠٩ ثمانية قناديل إلى العدد السابق لأكمال ائارة كافة الطرقات التي كانت تنشأ حديثاً، وجعلتها أربعة وتسعين قنديلا للقسم الشرقي، وأربعة وتسعين أخرى للقسم الغربي من صيدا^(٦).

هـ - منشآت ومؤسسات عامة:

سوف يقتصر الحديث عن المنشآت والمؤسسات العامة على ما كان منها له طابع رسمي (كالبلدية) أو ملكاً لطائفته (كالمعابد والمقامات الدينية)، أو من القطاع الأهلي (الخاص) ويؤدي خدمة عامة (كالفنادق والحمامات).

(١) بلدية صيدا قرار نومرو ٦ في ١٧ كانون الثاني ١٣٢٤.

(٢) بلدية صيدا قرار نومرو ٤٣ وقرار نومرو ٤٤ في ١٩ أيار ١٣٢٥ (١٩٠٩).

(٣) بلدية صيدا قرار نومرو ٧٠ في ٢٦ أيار ١٣٢٥.

(٤) بلدية صيدا قرار نومرو ٧٣ في ٤ حزيران ١٣٢٥.

(٥) بلدية صيدا قرار نومرو ٢٧ في ١٧ نيسان ١٣٢٦.

(٦) بلدية صيدا قرار نومرو ١٨١ في ١٨ كانون الثاني ١٣٢٥.

١ - البلدية:

تضمن المنشور السلطاني الصادر في غرة جمادي الآخرة سنة ١٢٧٢ (١٨٥٦) مبادئ أساسية في الإصلاح في الدولة العثمانية، ومنها إنشاء البلديات في أنحاء البلاد^(١)، لكن إنشاء البلديات وتنظيمها تأخر حتى صدر قانونها في ٢٣ ربيع الأول ١٢٨٤ (١٨٦٧)، وكان هذا أول قانون عثماني ينظم إنشاء البلديات في سائر أنحاء البلاد^(٢).

كما تضمن نظام إدارة الولايات العمومية الصادر في ٢٩ شوال ٢٨٧ (١٨٧١) كيفية تشكيل المجالس البلدية. وفي سنة ١٨٧٥ صدر قانون انتخاب المجالس البلدية. وأخيراً في ٢٧ رمضان ١٢٩٤ (١٨٧٧) صدر قانون البلديات، وكانت مجالس بلديات بيروت وطرابلس وصيدا وصور، وغيرها من مدن لبنان، من أوائل المجالس البلدية التي تشكلت بعد صدور نظام البلديات في ١٨٦٧^(٣).

وفي كيفية تشكيل المجلس البلدي، فقد قضى قانون سنة ١٨٧١ بتشكيل مجالس بلدية في مراكز الولايات والمتصرفيات والقائمات. وان يتكون المجلس البلدي من رئيس ومعاون له وستة أعضاء، بالإضافة إلى أعضاء مشاورين، يكون من بينهم طبيب ومهندس ويكون للمجلس أيضاً كاتب وأمين صندوق^(٤).

كان انتخاب أعضاء البلدية يتم بالطريقة عينها التي كانت تتم بها انتخابات المجالس الإدارية في الولاية، ويكون انتخابهم لمدة سنتين، ويجري تبديل نصفهم كل سنة^(٥).

(١) صدر نظام بلدية اسطنبول في ١١ جمادي الأولى ١٢٧٤ (١٨٥٧) فكانت أول بلدية في الدولة العثمانية.

(٢) محمد كرد علي، ص ١٤٥.

(٣) كان مجلس بلدية دير القمر المؤسس سنة ١٨٦٤ أول مجلس بلدي في بلاد الشام راجع: سليم المنشي: يوميات لبناني في أيام المتصرفية، ص ٣٠.

(٤) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(٥) المادة ١١٢ من نظام البلديات، الدستور ج ١، ص ٤١٩.

(٦) كانت عضوية البلدية تعتبر خدمة عامة بدون مقابل، أما رئيس البلدية والكاتب وأمين الصندوق فكانت لهم رواتب محددة - راجع المادة ١١٧ من النظام المذكور.

وكان قانون سنة ١٨٧٧ المعدل، قد جعل انتخاب المجلس البلدي يتم باقتراع عام، يشترك فيه كافة المواطنين الذين توفرت فيهم الشروط المطلوبة^(١). كما زاد عدد اعضاء المجلس فاصبح يتراوح بين ٦ - ١٢ عضواً حسب نسبة السكان، وسمح للمدن الكبيرة ان تنشئ أكثر من مجلس بلدي فيها، على الا يقل عدد السكان الذين يشرف على خدمتهم المجلس الواحد عن أربعين ألفاً^(٢).

وكان يراعي وجود ممثلين لختلف الطوائف في المجلس البلدي حسب نسبة عددهم في المنطقة، وكمثال على عدد اعضاء المجلس البلدي في صيدا وطوائفهم فإن مجلسها البلدي لسنة ١٨٨٢ تألف من:

ابراهيم آغا الجوهري (رئيساً) وعلي البزري والحاج احمد أبو ظهر، وحنّا لطوف ومحمد صالح لطفي وجبور آغا غور اعضاء، ومن مراد (عازوري) طبيباً، ويونس أفندي كاتباً، وعبداللطيف أفندي أمين صندوق^(٣).

وفي سنة ١٨٩٤ تألف من: ابراهيم آغا الجوهري (رئيساً)، والحاج يوسف المجذوب والحاج محي الدين الجوهري، والحاج علي البزري، والحاج أحمد أبو ظهر، وعبدالحليم لطفي، ومحمد النعماني، وحسين الجوهري، ونحلة زهار، وانطوان صاصي، اعضاء ومن الكاتب الحاج حسني المجذوب، والمهندس اسكندر أفندي، والطبيب مراد عازوري^(٤).

وفي سنة ١٩١٢ تشكل المجلس البلدي من: الحاج مصباح البزري (رئيساً) ومحمود بك كالكو وعمر ابو ظهر، والحاج حسن رضا زنتوت، وهاشم البزري، وسليم بك صاصي، وعمر المجذوب، ومحي الدين كالكو، واحمد توفيق النقيب،

(١) كان يشترط بالناخب ألا يقل عمره عن عشرين سنة، والا يكون محكوماً بجناية أو جنحة وغير مطلوب للخدمة العسكرية كما منعت العاملين في القضاء والمتهمين لانشاءات البلدية ومن تقل

ضرائبهم السنوية عن مئة قرش من الترشيح لعضوية البلدية. راجع محمد كرد علي، ص ١٤٦.

(٢) وبموجب هذا القانون اقيمت في بيروت بلديتان الأولى في شرقها برئاسة بطرس داغر،

والثانية في غربها ورئيسها منح الصلح. راجع سليم على سلام، مذكرات، ورقة ٤.

(٣) سالنامه ولاية سورية لسنة ١٣٠٠ هـ.

(٤) سالنامه ولاية بيروت لسنة ١٣١١ - ١٣١٢ هـ.

وعبد الحميد النعماني، وعلي خروبي اعضاء، بالاضافة الى محمد القوام كاتباً وامينا للصندوق، ومحمد البزري طبيبا، كما كان من العاملين بالبلدية الحاج انيس المجدوب مفتشا وثلاثة جاويفية^(١).

ومما يجدر ذكره ان انتخابات تلك السنة (١٩١٢) تميزت بالحدة وتبادل الاتهامات بين الجماعات المتنافسة، اذ اتهم مصباح البزري بالتقصير في اعمال البلدية اثناء توليه رئاستها في الدورة السابقة، رغم ان واردات البلدية بلغت آنذاك ألفي ليرة عثمانية^(٢). وعندما نجح مصباح المذكور لدورة جديدة اتهمه بعض الصحف المعاصرة بالتزوير في عملية الاقتراع، وبتواطؤ القاطنات معه، ضد خصمه محمد بك اسماعيل^(٣).

وفي اواخر العهد العثماني زيد عدد اعضاء بلدية صيدا الى العشرة وصار يجري انتخاب بضعة اشخاص من قبل ائمة ومخاتير صيدا ليتم، من بينهم، انتخاب اعضاء البلدية بطريقة الاقتراع^(٤). وفي عهد رئيسها محمد جميل البزري اتخذت بلدية صيدا مقرا خاصا بها سنة ١٩٠٨ وافتتحته باحتفال كبير^(٥).

اما جلسات المجلس فقد حددها القانون باجتماعين في الاسبوع على انه يحق له الاجتماع متى شاء في جلسة استثنائية. وتكون الجلسات برئاسة رئيس البلدية وينوب عنه معاون في غيابه، وتتخذ القرارات بالاكثرية، وعند تساوي الاصوات ترجح كفة الذين صوت الرئيس معهم، ولا تتخذ القرارات الا

(١) سالنامه ولاية بيروت لسنة ١٣٣١ - ١٣٣٢ هـ.

(٢) المفيد العدد ٩١٠، في ١٧ شباط ١٩١٢.

(٣) المفيد العدد ٩٥٢، في ٩ نيسان ١٩١٢.

(٤) بلدية صيدا قرار نومرو ٢٨٩، في ١٤ كانون الثاني ١٣٣١.

(٥) جاء في بطاقة الدعوة الموجهة الى قاضي صيدا «فضيلتو اخدم حضرتلري: اعرض انه بطل الحضرة السلطانية قد تم انشاء مركز لدائرة البلدية ويعونه تعالى سيجري رسم افتتاحها نهار الاحد المصادف في ١٣ تموز سنة ١٣٢٤ الساعة الثانية والنصف للأجل اقام المرة بالاشتراك مع فضيلتكم بتقديم واجب الدعاء للحق تعالى بحفظ اللذات المقدسة الملوكانية ارجو تشریفكم في الوقت المعني، اخدم - صيدا بلدية رئيسي محمد جميل البزري، في ١٢ تموز ١٣٢٤ مالية و ١٣٢٥ هـ (١٩٠٨). محكمة شرعية صيدا سجل رقم ١٦.

بحضور ثلثي الاعضاء على الاقل ، ويقوم رئيس المجلس والكاتب بضبط وقائع الجلسات^(١).

وفي القرن التاسع عشر كانت بلدية صيدا تجتمع يوميا من الساعة الرابعة (عربية) صباحا وحتى الحادية عشرة، للنظر في كافة شؤون البلد^(٢). وفي اوائل القرن العشرين صارت اجتماعاتها مرتين في الاسبوع يومي الاثنين والخميس^(٣) واستمرت كذلك حتى نهاية العهد العثماني^(٤).

اما اختصاصات المجلس البلدي فقد حددها القانون بأنها كافة ما يتعلق بالبلدة من مراقبة الانشاءات العمرانية، وهدم المخالف منها للقوانين او الآيل للسقوط، وتحسين الطرق والمعابر في البلدة، والاهتمام بياهاها وانارتها، والحفاظ على الصحة العامة فيها، ومراقبة النظافة في مرافقها وطرقاتها، وتزيينها، وحفظ الممتلكات العامة والخاصة باقامة الحرس والضابطة، ومراقبة اجور النقل، وتحديد الاسعار، ومراقبة الاوزان والمقاييس، وضبط عقود الاجارات، واي امر آخر يعود نفعه على المواطنين عموماً^(٥).

اما واردات البلدية فكانت من:

- ١- الرسوم والمخصصات التي تقدمها لها الحكومة.
 - ٢- المبالغ التي تؤخذ من المستفيدين من تنظييات البلدية ومشاريعها كالويركو والشرفية وغيرها.
 - ٣- الغرامات النقدية المحصلة من المخالفات.
 - ٤- الاعانات والهبات وغيرها من المصادر.
- وحددت النفقات في الابواب التالية:

- ١- ايجار مركز البلدية ورواتب الموظفين والمستخدمين فيها.

(١) المواد ١٢٠-١٢٣ من النظام المذكور، الدستور، ج ١، ص ٤١٩-٤٢٠.

(٢) لسان الحال، العدد ١٤١ في ١٧ آذار ١٨٧٩.

(٣) بلدية صيدا، قرار نومرو ٣ في مارت (آذار) ١٣٢٦ (١٩١٠).

(٤) بلدية صيدا، قرار نومرو ٤٦ في ١١ نيسان ١٣٣٢.

(٥) المادة ١٢٤ من نظام البلديات، الدستور، ج ١، ص ٤٢٠.

٢ - نفقات انشاء وصيانة الطرق وتعمير الابنية وترميمها ، وسائر ما يتعلق بالمنفعة العامة .

وكان على المجلس البلدي تنظيم جدول ميزانيته الشهرية وتقديمه الى مجلس ادارة اللواء ، الذي يرفعه بعد تدقيقه الى مجلس الولاية ، وهذا يعيده الى المجلس البلدي بعد المصادقة عليه ، وفي نهاية السنة يجري المجلس البلدي ميزانية سنوية بناء على الجداول الشهرية السابقة ، ويقدمها الى وزارة الداخلية مع ميزانية السنة التالية للموافقة عليها^(١) .

ومنذ صدور قانون سنة ١٨٧٧ تحسنت واردات البلديات وزادت صلاحياتها . فقد خصص لها ٢٠٪ من واردات العقارية وضريبة المسقات لتنفقها على الانارة والتنظيف ، كذلك ١٠٪ من قيمة ضريبة ويركو التمتع لتنفقها على خدماتها المختلفة . وتشكلت هيئة عامة من اعضاء البلدية واعضاء المجلس الاداري (في القائمية) تجتمع مرتين في السنة (في نيسان وفي تشرين الثاني) للنظر في واردات البلدية ونفقاتها والمصادقة عليها ، كما اصبح من حق البلدية التملك في جميع الاراضي والعقارات الواقعة ضمن محيط البلدة ، بموجب قانون الاستملاك الذي صدر في ٢١ جادى الاولى سنة ١٢٩٦ هـ (١٨٧٩) .^(٢)

كان راتب رئيس البلدية الشهري ، وفي مطلع القرن العشرين ، نحو ٨٠٠ قرش ، والكاتب ٥٠٠ قرش والمفتش ٢٢٥ قرشا والجاويش ١٩٠ قرشا . وتراوح راتب عامل التنظيفات من ٨٠ - ١١٠ قروش شهريا ، ما عدا من كان لديه دابة ، اذ كان راتبه ٢٢٥ قرشا ليستطيع الانفاق على علفها والعناية بها^(٣) .

وكانت البلدية تشتري ملابس رسمية خاصة بمفتشيها « بما ان نذير افندي جاويش الدائرة بلا بدلة لذلك تقرر عمل بدلة له على حساب الدائرة مثل

(١) المواد ١٢٦ - ١٢٨ من النظام المذكور ، الدستور ، ج ١ ، ص ٤٢٠ و ٤٢١ .

(٢) محمد كرد علي ، ص ١٤٧ .

(٣) بلدية صيدا قرار غير مرقم - ص ١٩ تشرين الاول ١٣٢٨ (١٩١٢) .

زملائه، بمعرفة العضو محي الدين كالمو^(١). وطبقت البلدية بحق مستخدميها مبدأ الثواب والعقاب، فلما لاحظ المجلس البلدي ان «مرجان آغا» الجاويش المسؤول عن التنظيفات يبذل همه ونشاطا في عمله صرف له ربالا مجيديا مكافأة له وحنّا لزملائه^(٢).

اما الجاويش محمد عفاراه فقد وجده المجلس مقصرا في واجبه عندما غادر مركزه قرب بناية الحاج عبد الرحمن البدوي اثناء تكليفه بمراقبة تعمير الطرق، وتقرر جسم ربع معاشه الشهري عقابا له^(٣).

ونثبت فيما يلي نموذجاً لوارادات البلدية ونفقاتها لسنة ١٩١٣:

رسوم الذبجية	٣٧١/٢ بارة	و ٣٦٦٣ قرشا
رسوم الاسكلة	٢٥ بارة	و ٢٧٢٧٨ قرشا
رسوم الفايز	٢١/٢ بارة	و ٤٣٣٩٨ قرشا
رسم العربات	١٥ بارة	و ٩٤٣١ قرشا
رسم الابنية	١٥ بارة	و ١٣٠٧ قرشا
رسم القونطراتو		٥٨٥ قرشا
الجزاء التقدي		٢٨٧ قرشا
رسوم مختلفة	٢٥ بارة	و ٢٥٦٩ قرشا
امحارات املاك البلدية	١٠ بارات	و ١١٣٥٢ قرشا
الموجود بالصندوق		٢٦٥ قرشا
(رصيد) بقايا من السنين السابقة	٧١/٢ بارات	و ٧٤٣٩ قرشا
فيكون مجموع الواردات	١٧١/٢ بارة	و ١٤٠٥٤٤ قرشا

اما نفقاتها لتلك السنة فكانت:

تكاليف سفر غزناه غير قادرين على الدفع	٢٠ بارة	و ٨٦٥ قرشا
التنظيفات		٨١٣ قرشا
الانارة (التنويرات)	١٠ بارة	و ١٦٤٧٩ قرشا
ترميم واصلاح (تعميرات)	٢٧١/٢ بارة	و ٣٠٢٣٧ قرشا

(١) بلدية صيدا، قرارنومرو ٨٤، في ٨ أيلول ١٣٢٦ (١٩١٠).

(٢) بلدية صيدا، قرار نومرو ٨٨ في ٢٩ أيلول ١٣٢٦.

(٣) بلدية صيدا قرار نومرو ٢٨ في ٢٧ نيسان ١٣٢٦.

المحروقات	٣٠٠ قرشا	
المحارات	٢٠ بارة	و ١٠٢٥ قرشا
تجهيز وتكفين موتى فقراء	١٠ بارة	و ١٦٢ قرشا
نفقات احتفالات وزينة مواسم واعياد	٢٢١/٢ بارة	و ٣٤٧٨ قرشا
إيجار مستودع الكاز (غازخانة)		٨٢٠ قرشا
تأمين (سيقورطة)	٣٠ بارة	و ٢٤٧٩ قرشا
نفقات رش الشوارع بالماء		١١٥٦ قرشا
نفقات مختلفة	١٧١/٢ بارة	و ٩٨٧٧ قرشا
نفقات سابقة		٩٤٠٠ قرشا ^(١)
فيكون مجموع النفقات	٣٧١/٢ بارة	و ٨٤٤١١ قرشا

من تحليل واردات البلدية نرى ان الرسوم شكلت القسم الاكبر من دخلها خصوصا رسوم الغاز والذبيحة (الذبائح). وفي باب النفقات فان الاعمال الانشائية شكلت اكبر رقم فيها، تلتها الانارة والخدمات الاخرى. وبمقارنة الواردات بالنفقات نجد ان هناك وفرا يساوي ٥٦١٣٣ قرشا، وهو يعادل ٤٠٪ تقريبا من الواردات وهذا المبلغ كان يحول رصيذا للسنة التالية^(٢).

اما من حيث الخدمات التي كانت تقوم بها البلدية، فانها كانت من الشمول والاهمية بحيث يمكن القول ان البلدية كانت تعمل، او تشرف، على كافة الحقول العمرانية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية والصحية للسكان. وهي لذلك لعبت دورا مهما في حياة السكان ان سلباً او ايجاباً، وترجع ضخامة المهام وتنوعها الى طبيعة النظام الاداري العثماني نفسه، الذي كان قليل التدخل في

(١) بلدية صيدا، ميزانية سنة ١٣٢٩ مالية.

(٢) مثلاً كانت الميزانية لسنة ١٣٣٠ (١٩١٤) ٣٠ بارة و ١١١٨٦٨ قرشا للواردات و ٢٢١/٤ بارة و ١١١٨٥٥ قرشا للنفقات اي كانت النفقات معادلة للواردات. بينما في سنة ١٣٣١/١٩١٥ كانت الواردات ٢٢ بارة و ١٣١٤٠٢ قرشا والنفقات ٢ بارة و ١٣١٢٩٥ قرشا، بحيث كادت الواردات تتقارب مع النفقات (بفارق يعادل ١٠٠ قرش تقريباً)، أما في سنة ١٣٣٢ (١٩١٦) فقد بلغت الواردات ٢٥ بارة و ١٣٨٧٣٣ قرشا والنفقات ١٠ بارات و ١٢٢٠٤٨ قرشا والفارق الكبير بين الواردات والنفقات (نحو ١٦٦٨٥ قرشا) راجع الى جهود الحركة الاقتصادية والعمرانية بسبب الحرب - راجع التميمي ورجعت، ص ١٥٩.

شؤون السكان المحلية، تاركا لسلطات المنطقة وعلى رأسها البلديات، ان تفعل ذلك^(١).

وإذا استعرضنا غاذج مما كانت تقدمه البلدية من خدمات نرى أنه في الناحية الصحية كانت تتخذ الاحتياطات اللازمة لمنع انتشار الأمراض من المناطق الموبوءة، وتقوم بحجز المشتبه بأصابتهم (كرتينا)^(٢)، وتراقب المسافرين من المناطق الموبوءة، أو إليها، لأن الأمراض، في تلك الفترة، كثيرا ما كانت تنتشر على شكل وباء يحصد الارواح حصدا^(٣).

ففي سنة ١٩٠٢ حدثت اصابات بالطاعون في بيروت، فارعت بلدية صيدا الى وضع حاجز صحي على جسر نهر الاولي لفحص المسافرين القادمين الى المدينة، كما جرى «تبخير»^(٤) الرسائل والطرود البريدية في «كرتينا» ميناء صيدا^(٥). وفي سنة ١٩٠٩ ابلغت سلطات الولاية عن وجود اصابة بالطاعون في بيروت فأمرت البلدية طبيبها بالمرابطة عند جسر الاولي ومراقبة المسافرين القادمين من بيروت، ولما انشغل بأمره عن الذهاب الى مهمته لمدة يومين حسمت البلدية من راتبه الشهري اجرة خمسة ايام،^(٦) ولما وجدت انه

(١) يوجد اليوم مؤسسات عدة تنقسم العبء الذي كان بعهدة البلديات آنذاك، حيث لم تكن تلك المؤسسات موجودة أصلا، أو كان وجودها دون فعالية مثل وزارات الصحة والتعليم والزراعة ومجالس الانماء والاعمار، ومؤسسات الهلال والصليب الاحمر والدفاع المدني، والجمعيات والمستوصفات المختلفة.

(٢) كان ابراهيم باشا قد أراد بناء معجر صحي فيها (كرتينا) لكن سكانها رفضوا بحجة انه يفسد هواء مدينتهم- راجع احمد عارف الزين، ص ٨٠.

(٣) في سنة ١٨٥٥ مثلا انتشرت الكوليرا في كل انحاء الشام. راجع مكتب الجلات العامة ف. و ٤٧٩/١٩٥ رسالة القنصل العام في بيروت للسفير باسطنبول في ١٥ تشرين الاول ١٨٥٥. كما انتشرت الكوليرا سنة ١٨٦٦ فقتلت في صيدا ٤٤١ وفي صور ٧٥ وفي بيروت ١٢٠٠ وفي دمشق ١٠ آلاف. راجع القنصلية الاميركية ت/٣٦٧ ج/٥، رسالة القنصل الاميركي العام في بيروت بتاريخ ٢٨ تموز ١٨٦٦.

(٤) اي تطهيرها بالمبيدات.

(٥) الاقبال العدد ٦ في ٢٠ تشرين تشرين الاول ١٩٠٢.

(٦) بلدية صيدا قرار ٨٣ في ٢٥ حزيران ١٩٢٥.

كثير التغيب عن مركز عمله وان الوفاء آخذ بالانتشار^(١) فصلته وعينت بدلا منه الطبيب محمد البزري براتب قدره ريال مجيدي واحد عن كل يوم عمل.^(٢)

وفي سنة ١٨٩٤ افتتح اول مستشفى في صيدا بادرارة لجنة برئاسة المفتي^(٣) وعلى نفقة البلدية^(٤). لكن العمل به، كما يبدو، قد تعطل بعد فترة، فقررت البلدية انشاء مستشفى جديد، خصوصا بعد ان كررت وزارة الداخلية طلب انشاء المستشفى. وبعد توفر بعض المال للبلدية من بيع الرمولى لديها خصصت قطعة ارض في «ساحة الزيتونة» لبناء المستشفى بحيث يتألف الطابق الارضى من اربعة مخازن وفوقها المستشفى حرصا على راحة المرضى وحفظا لهم من الرطوبة،^(٥) ولعل ذلك يفيدنا ان مكان المستشفى كان قريبا من البحر.

وفي سنة ١٩١٠ خصصت البلدية قطعة ارض من املاكها قرب الشاطيء المسمى بحر العيد بطول ١٥ ذراعا وعرض ١٠ اذرع لبناء محجر صحي حديث (كرتينا) عليها.^(٦)

اما نظافة الشوارع، والاحياء فكانت البلدية تهتم بها وتشدد في ملاحقة كل من يخالف تنبيهاتها الصحية. فمثلا في سنة ١٩٠٩ نراها طلبت من عمال التنظيفات ان يكنسوا الشوارع ويرفعوا القمامة مرتين في اليوم خلال الصيف، منعا لتراكم الاوساخ وانتشار المهوام، ومقابل ذلك العمل الاضافي رفعت اجورهم الى ١٠٥ قروش للمنظف، و١٧٥ قرشا للمنظف الذي

(١) مكتب الجلات العامة ف. و ٢٣٤٢/١٩٥ رسالة القنصل العام للسفير في ٩ نيسان ١٩١٠.

(٢) بلدية صيدا، قرار ٨٧ في ٢٥ أيلول ١٣٢٦.

(٣) ثمرات الفنون، العدد ٩٩٣ في ٢٧ آب سنة ١٨٩٤.

(٤) بلغت تكاليف انشائه ٣١٨١ قرشا و ٥ بارات، ميزانية البلدية لسنة ١٣١١ مالية.

(٥) بلدية صيدا قرار نومرو ١٩١ في ٢٥ شباط ١٣٢٥.

(٦) كانت قد بنيت كرتينا في ميناء صيدا، وقد شغل مديريتها لفترة طويلة قيصر برنران، كما ظل لنفس الفترة مسؤولا عن خار جزيرة صيدا- راجع لسان الحال العدد ١٨٥ في ١٨ آب ١٨٧٩ والقرار الذي اتخذته البلدية لانشاء المحجر كان برقم ٦٠ وتاريخ ١٠ حزيران ١٣٢٦. وما هو جدير بالذكر ان كرتينا ميناء صيدا كانت لا تزال بنفس البناء على بحر العيد، الى ما قبل بضع سنوات عند ما جرى هدمه.

يستخدم دابة، ابتداء من مطلع الصيف (حزيران)، ونُبّهت المفتشين على تشديد الرقابة عليهم لمعرفة اي تقصير^(١).

ولم تترك المواطنين يفعلون بشوارعهم النظيفة ما شاءوا، اذ لما قدم مفتش البلدية، انيس المذوب، تقريراً ضد حنا الغفري بأنه رمى في زقاقه اقدارا تصدر روائح غير طيبة، غرمته البلدية خمسة ارباع المجيدي،^(٢) وجازت كلا من حسن المكارى- حسن نصار- احمد التاتوت- ابو حسن الزقريط بدفع خمسة ارباع المجيدي لالقائهم الاوساخ من منازلهم الى الشارع،^(٣) والامثلة من هذا القبيل كثيرة في سجلاتها.

وعند انتشار القمل، خلال الحرب العالمية الاولى، نبّهت المواطنين الى انه أساس كل الامراض الخبيثة، وان دواءه الوحيد العناية بالنظافة التامة لأجسادهم.^(٤)

واهتمت بمراقبة كافة المواد الغذائية والتحقق من صلاحيتها للأكل، وخلوها من الفش، فهي غرمت اليهودي ابراهيم الصفدي (ويحمل جنسية فرنسية ايضاً)، عشر ليرات عثمانية، وطلبت له السجن شهرين لبيعه الطحين المخلوط بالزوان، وحولته الى المتصرفية للنظر بشأن حبسه^(٥).

وقد غرمت محمد الغزاوي ستة ارباع المجيدي، بعد أن وجد لديه المفتش البلدي سليم آغا، لحماً مذبوخاً خارج المسلخ، وبعد فحصه تأكدت عدم صلاحيته للأكل^(٦).

وعندما عرفت البلدية ان بعض المارة يتخذ من زاوية من الطريق، قرب سبيل المصلبية، وملاصقة لدكان اللقمعجي، مكاناً للتبول، قررت هدم

(١) بلدية صيدا قرار نومرو ٧٢ في ٣٠ أيار ١٣٢٥.

(٢) بلدية صيدا قرار نومرو ٩٦ في تشرين الاول ١٣٢٦.

(٣) بلدية صيدا قرار نومرو ٩٧ في ٩ تشرين الاول ١٣٢٦.

(٤) بلدية صيدا قرار نومرو ٢٢٦ في ١٩ كانون الثاني ١٣٣٢.

(٥) لبنان الحال العدد ١٤١ في ١٧ آذار ١٨٧٩.

(٦) بلدية صيدا قرار نومرو ١٣ في ١٩ حزيران ١٣٢٦ (١٩١٠).

السبيل واعادة بنائه بطريقة تحفظ نقاوة مياهه، وبناء دكان صغير في تلك
المساحة من الارض لمنع استعمالها للتبول، واغادة دائرة البلدية من ريع
ايجارها، وأوكلت الى عمر المجدوب وهاشم البزري وعمر ابو ظهر تنفيذ
ذلك.^(١)

كما كانت تظهر الطرقات والأقنية بمادة «الفونيك»، لمنع تكاثر البعوض
والذباب والحشرات الاخرى، وفي كانون الاول ١٩١٢ مثلا دفعت البلدية
١٢٠ قرشا تكاليف رش الاقنية والشوارع بالمواد المطهرة^(٢).

كما كان للبلدية طبيب يشرف على الشؤون الصحية للبلدة.^(٣)
واهتمت بتنظيم المرور والمعبور وتسهيله في كافة طرق وازقة صيدا،
وكانت تعاقب بالجزاء المالي كل من يعطل حركة المرور، او يخالف تعليمات
البلدية والشرطة في الحمل والنقل، او يؤدي الى الاضرار باجساد الآخرين او
مصلحتهم.

فحسب تعليمات الشرطة كان على المكارية من حمارين وبغالين واصحاب
كُدش، ان يعطلوا يوم الجمعة من كل اسبوع، ويمتنعوا عن الشغل خلاله. كما

(١) بلدية صيدا قرار نومرو ٦٨ في ١١ أيار ١٣٢٥.

(٢) بلدية صيدا قرار دون رقم ٢٥ - من مصروفات شهر كانون الاول ١٣٢٨.

(٣) كان اول اطباء بلدية صيدا مراد عازوري الذي عمل بها ثلاثة عشر عاما، ثم الياس الزهار،
فمر الدين شهاب، فزين العابدين، ثم نجيب شامية فمحمد البزري حتى سنة ١٩١٣.
وكان اول الاطباء الصيداويين الذين تخرجوا من الجامعة الامريكية في بيروت، يوسف
ايبلا سنة ١٨٧٥، ومراد عازوري في السنة نفسها، ثم داوود قريان سنة ١٨٨٢، والياس زهار
سنة ١٨٨٦، وقد اصبحت فيما بعد من كبار الجراحين في صيدا. ومن الاطباء الصيداويين الذين
تخرجوا من الامريكية ايضا سليم اقسيس، وقيسر ايبلا، ويوسف مراد العازوري،
واسكندر بارودي. كما تخرج من الجامعة اليسوعية محمد البزري، وانطون عودة. ومن الاطباء
الصيداويين الذين عملوا خارجها، شكري رزق الله الذي عمل بالنبطية، وفريد ايبلا ونجيب
ايبلا وتبودور كشافكو الذين عملوا في مصر.

ومن الاطباء الذين عملوا في صيدا حين عودة الدمشقي، الذي خدم اهلها مدة ثلاثين
عاما. وكان من اوائل الصيادلة في صيدا ودع سليم ايوب، الذي تخرج سنة ١٩٠٢، وفي سنة
١٨٨٨ كان في صيدا خمسة اطباء فقط، واربع صيدليات.

منع عليهم استخدام حيوانات جريجة او ضعيفة في عمليات النقل والتحميل .
ويبدو من تلك التعليقات انها كانت على درجة كبيرة من الدقة والتقدم ،
بحيث تضارع التشريعات المعاصرة الخاصة بتنظيم المرور ، وبالعناية بالحيوان
والرأفة به في آن معا .

فقد فرضت تلك التعليقات على ناقلي الاخشاب والحجارة والطوب والآجر
والرمل ، والحطب والفحم ، والزباله ، وانقاض الخرائب وغيرها من المواد
الصلبة والثقيلة ، أن يستخدموا الطرق في النقل حتى الساعة الحادية عشرة
يوميا ، ثم يمنع مرور الدواب المحملة لتلك المواد الى صباح اليوم التالي ،
لتسهيل المرور للناس . وقد استثنت من ذلك الدواب المحملة قمحا او طحيناً
للأفران وللمطاحن .

كما فرضت على المكارية سوق الدواب المحملة صفا واحداً على شكل
« رتل » مؤلف من خمسة حيوانات ، فاذا زاد العدد عن ذلك ، يجري نقلهم ، فيما
بعد ، رتلا ثانيا ، ولم تنس التعليقات التنبيه على عدم ضرب الحيوانات بالسياط
او بالعصي ولا سوقها ركضاً ، سواء كانت محملة او كانت بلا حولة ، رأفة بها ،
وحفاظا على المارة^(١) .

وعندما رأت بلدية صيدا ان باعة اللبن والحطب والفحم يستمرون
بالطواف في الأزقة مع دوابهم ، دون مراعاة تعليقات المرور ، أمرتهم بعدم
التجول داخل المدينة ، والاكثفاء بالوقوف في ساحة باب السرايا لبيع ما لديهم
من حولات ، وأمرت مناديا بالطواف في الأسواق لاعلان قرارها الجديد ،
وعيّنت مفتشا بلديا للاشراف على تنفيذ ذلك القرار^(٢) .

كما انها غرّمت الحاج احمد عسيان خمسة ارباع الهجدي لوضعه الدواب
وأكياس القمح أمام دكانه رغم التنبيهات المتكررة^(٣) ، وطلبت من عدد من

(١) نظام تعليقات الضابطية في ٢٣ محرم ١٢٧٨ ، الدستور ، ج ٢ ، ص ٦٧٥ - ٦٧٦ . المواد ١٩ ،
٢٠ ، ٢٣ ، ٢٦ ، ٢٧ .

(٢) بلدية صيدا ، قرار نومرو ٢٠ في ١٤ شباط ١٣٢٤ .

(٣) بلدية صيدا قرار نومرو ٩٣ في ٢ تموز ١٣٢٥ .

الباعة رفع « طلبياتهم » التي يسيطون عليها بضائعهم، بعد ان غرمت كلا منهم خمسة ارباع المجيدي^(١)، وانذرت محمد اليعفوري برفع كومة التراب التي تركها على جانب الطريق، في محلة الدباغة، خلال ثلاثة ايام، وإلاّ أجرت بحقه العقوبة القانونية^(٢).

ولما تقدم مأمور الاوقاف بشكوى ضد النحّاسين، الملاصقة محلاتهم من الجهة الشمالية للجامع البرّاني، بأنهم يزعمون المصلين اثناء طرقتهم للنحّاس، قررت البلدية منعهم من احداث أية ضجة والاتصال بمجلس الادارة لأخذ موافقته^(٣).

لكن اطرف ما وجدته من قرارات البلدية بشأن الحفاظ على نظام السير في الطرقات ومنع اية عرقلة، قرار تغريم عبد الغني السعودي ومحمود الجبيلي بخمسة بـشالك لكل منها «... لأنها تركا الدجاج خاصتهما يرح في الطرق العامة...»^(٤).

وفي هذا المثل، على طرافته، دلالة بالغة على المستوى الرفيع الذي كانت تعالج به البلدية امور السير وتسهيل المرور في الطرقات، حتى في أدق التفاصيل.

اما في الناحية الاجتماعية والأموال الخيرية فقد كان للبلدية سهم وافر بحيث انها كانت تؤدي عمل الجمعيات الخيرية، والميائم ودور العجزة، في وقت معاً. فهي كانت تخصص للفقراء معاشات شهرية تكفيهم ذل السؤال، وكانت بمعدل ١٩ قرشا صاغاً، واحياناً اكثر او اقل. ومن سجلات البلدية يتبين ان عددهم كان بضع عشرات، وقد بلغ ما انفقته في هذا السبيل ٩١٠ قروش و ١٠ بارات سنة ١٩١٤، و ٣٣٥٠ قرشا و ١٥ بارة سنة ١٩١٥،^(٥)

(١) بلدية صيدا قرار نومرو ١١٧ في ١٨ اغسطس ١٣٢٥.

(٢) بلدية صيدا، قرار نومرو ٤٧ في ٢٤ ايلول ١٣٢٩.

(٣) بلدية صيدا، قرار نومرو ١٥٩، في ٢٨ كانون اول ١٣٢٥.

(٤) بلدية صيدا، قرار نومرو ٢٢ في ١٥ نيسان ١٣٢٦.

(٥) من ميزانية بلدية صيدا لسنتي ١٩١٤ و ١٩١٥.

ففي سنة ١٩١٠ مثلا كان من بين المحتاجين الذين عينت لهم البلدية
مخصصات شهرية لطيفة بنت احمد قنواقي ، لأنها ارملة ولديها ايتام ، ، والحاج
ابراهيم الاخضر « لأنه رجل عاجز وعديم الكسب ... » ، وكان المبلغ ١٩ قرشا
صاغا لكل منهما ،^(١) كما عينت لحسين باجقلي ٣٠ قرشا شهريا لأنه عاجز عن
كسب عيشه بنفسه ،^(٢) ووافقت على دعوى موسى اسحق لاوى (اليهودي) بأنه
فقير^(٣) .

كما كانت تساعد غير القادرين على دفع تكاليف سفرهم بتأدية ثمن التذاكر
او بدفع رسم المرور او غيره ، وكانت تقدم معونتها لانباء البلدة وللغرباء
الفقراء ، وقد بلغ ما انفقته في هذا السبيل سنة ١٩١٤ مبلغ ٨١٣ قرشا ، وسنة
١٩١٥ مبلغ ١٢٣٤ قرشا ،^(٤)

ومن ساعدتهم في ذلك آمنة محمد كبريت وابنتها عائشة بتقديم تذكري نفوس
لها ،^(٥) وكذلك تقدمت مريم قدور قباي بشهادة مصدقة من مختار محلة الكنان
، انها وولدها حلمي وابنتها سعدية فقراء وقاصدون السفر الى يافا دون ان
تكون مجوزتهم أجرة السفر ، فقررت البلدية شراء تذاكر السفر لهم^(٦) .
كما كانت البلدية تتفق احيانا على معالجة الفقراء ، او شراء ادوية لهم ،
وقد بلغ ما انفقته سنة ١٩١٤ نحو ١٤٤ قرشا و٣٠ بارة . وفي سنة ١٩١٥
وصل الى ٤٣٣ قرشا .^(٧) كما كانت ترسل المصابين بالجذام الى دمشق على
حسابها .

وكانت تقوم بتجهيز وتكفين الموتى من الفقراء غير القادرين على أداء
تكاليف الدفن ، وبلغ ما انفقته سنة ١٩١٤ حوالي ٨١٣ قرشا ، وفي سنة
١٩١٥ مبلغ ٢٣٦٥ قرشا و٢٠ بارة .^(٨)

(١) بلدية صيدا قرار نومرو ٤٠ ، في ٣ مايس (ايار) ١٣٢٦ .

(٢) بلدية صيدا ، قرار نومرو ٧٩ في ١٨ اغستوس ١٣٢٦ .

(٣) بلدية صيدا ، قرار نومرو ١٣١ في تشرين الاول ١٣٢٥ .

(٤) بلدية صيدا ، ميزانية سنتي ١٩١٤ و ١٩١٥ .

(٥) بلدية صيدا ، قرار نومرو ٦ في ٨ اذار ١٣٢٦ .

(٦) بلدية صيدا ، قرار نومرو ٥١ في ٢٦ أيار ١٣٢٦ .

(٧+٨) ميزانية البلدية لسنتي ١٩١٤ و ١٩١٥ .

أما في مجال الائتام واللقطاء فقد أدّت البلدية دورها احسن اداء وصانت ارواح الصغار الابرياء من الموت بسبب الاهمال، او من التربية غير الصالحة فينشأون عائلة على المجتمع، او ينحرفون عن الطريق المستقيم. فكانت تضع لكل لقيط مرضعا، ولكل يتيم من يكلفه « وجد لقيط قرب باب السرايا فسمي جيلا واعطي لأمانة بنت م.ع. لترضعه، وخصص لها ٢٥ قرشا صاغا شهريا^(١) وكذلك « وجد لقيط بحلة رجال الاربعين فسمي صبحي وسلم الى حسنة بنت ع.ر. لترضعه مقابل ٢٥ قرشا شهريا^(٢)، وايضا « ... وجدت طفلة على قارعة الطريق فسلمت الى كاتبة بنت أ.ب. لارضاعها، ومنحت ٢٥ قرشا صاغا شهريا لتقوم بنفقاتها .. »^(٣)

وايضا « ... وجد لقيط على قارعة الطريق فسمي محمد بن عبد الله وسلم الى المرضعة نفيسة ب. لتقوم بارضاعه وتربيته مقابل ٣٨ قرشا شهريا ... »^(٤).

اما في مجال التعمير والبناء، فقد كانت البلدية تقيم الابنية العامة وتقوم، باستمرار، بصيانتها وترميمها. ففي سنة ١٨٨٦ باعت البلدية دار الحكومة في صيدا بمبلغ ٥٤٠٠ ريال مجيدي^(٥) لاقامة دار جديدة للحكومة، وفي سنة ١٨٩٦ اقامت سرايا الحكومة خارج اسوار المدينة من طابق واحد، اضافت اليها طابقا آخر سنة ١٩١٠، وضمت مكاتب القائمات ومجلس الادارة وقاعة للاستقبال، كما اقيم أمامها حوض ماء من الرخام، في ذكرى العيد الفضي لجلوس السلطان عبد الحميد الثاني على العرش^(٦).

كما انفقت سنة ١٩١٠ مبلغ ٣٢٧٢ قرشا على تعمير وترميم المرحاض (بيت

(١) بلدية صيدا، قرار نومرو ١١، في ٢ شباط ١٣٢٤.

(٢) بلدية صيدا، قرار نومرو ٣٤، في ١٠ آذار ١٣٢٥.

(٣) بلدية صيدا، قرار نومرو ١٤١، في ٣٠ تشرين الاول ١٣٢٥.

(٤) بلدية صيدا، قرار غير مرقم في ٣٠ كانون الاول ١٣٢٦.

(٥) ثمرات الفنون العدد ٦٠٠، في ٢٩ أيلول ١٨٨٦.

(٦) احمد عارف الزين، ص ١٦٩.

الحالا والسجن (حبسخانه) في دار الحكومة بأشراف المهندس اسكندر
نمور.^(١)

٢- الفنادق والحمامات:

ضمت صيدا، في القرن التاسع عشر، أماكن لاستضافة الغرباء والمسافرين
القادمين إليها، خصوصا التجار منهم، وكانت هذه الأماكن تدعى خانات، كما
درجت تسميتها لوكانطة (لوكانده) في أواخر القرن التاسع عشر واستعملت
كلمة فندق في أواخر القرن التاسع عشر كذلك، ولكن ليس على نطاق واسع.
ومن احصاء لسنة ١٨٨٨ يتبين انه كان بها ثمان خانات ^(٢) هي:

خان الافرنج- خان الرز- خان الصابون- خان الدباغة- خان
الصغير- خان الحمص- خان اباطة (بجلة البياطرة)، خان اليهود (في حارة
اليهود).^(٣)

بالإضافة الى الخانات التي وجدت في مدخلها الشمالي (خان كنافاكو، وخان
برتران) وخان ابو شاقة قرب مصب الاولى.

ولم تبقى تلك الخانات للمسافرين فقط، بل استخدمت للتجارة كمحلات
عرض ومستودعات تخزين للبضائع المختلفة، ويبدو من اسماء بعضها نوع
البضاعة التي كانت تخزن فيها.

وقد قضت القوانين بعدم انشاء خانات لاستيعاب المسافرين الا برخصة
رسمية من السلطات، كما فرضت على صاحب كل خان (فندق)، الا يستقبل
زبائن في فندقه الا اذا كانوا مزودين بتذاكر هوية تثبت شخصياتهم، وأنذرت
المخالف بتوقيفه ومعاقبته^(٤).

(١) بلدية صيدا، قرار نومرو ١٨٨ في ١٨ شباط ١٣٢٥.

(٢) يوسف ابي رزق: تاريخ مدرسة الفنون... نقلا عن مجلة الحقائق، العدد الاول تشرين الثاني
١٨٨٨. والمصدر المذكور لم يذكر اسماء الخانات بل ذكر عددها، وقد تمكنت من استخلاص
الاسماء من مصادر مختلفة.

(٣) اضيف إليها في اوائل القرن العشرين خان البوابة العوا.

(٤) تعليمات الضابطة في ٢٣ محرم ١٣٧٨ المادة ٥٧، الدستور، ج ٢، ص ٦٨٢.

بدأ تشييد الخانات (الفنادق) الحديثة، المجهزة بأحدث الوسائل المعاصرة المعروفة آنذاك، في أواخر القرن التاسع عشر، عندما أمر القائمقام إحسان بك بتشيد فندق عصري سنة ١٨٩٤ لايواء المسافرين وتأمين راحتهم^(١).

وفي سنة ١٩٠٦ كان بها فندق «الزهور الجديدة» وكان مؤلفا من ثلاث طبقات، ومشيدا خارج اسوار صيدا، في موقع مشرف عليها وعلى بساينها^(٢).

وفي سنة ١٩١٢ كان بها ثلاثة فنادق رئيسية هي «لوكاندة المطران» وكانت اكبرها واشهرها، وقائمة في شارع الشاكرية على محاذة السور، و «لوكاندة الوطن» و «لوكاندة زنتوت» وكانتا تقعان في شارع الشاكرية كذلك. وكانت الفنادق الثلاثة قائمة ما بين البوابة التحتا وبوابة الشاكرية، وكانت اجرة المبيت فيها لليلة واحدة تتراوح بين بشليك واحد وبشليكين اثنين^(٣).

اما الحمامات فكانت لصيدا شهرة واسعة بها، حتى ان بعض الاجانب قال ان حماماتها فاقت حمامات بيروت نظافة^(٤). وبعض حماماتها يرجع الى القرن السابع عشر (ايام فخر الدين المعني الثاني)، لكن معظمها أنشيء خلال القرن الثامن عشر والتاسع عشر.

وعند زيارة الرحالة النابلسي لصيدا (مطلع القرن الثامن عشر) قال ان بها ثلاث حمامات عامة هي حمام السوق، وهو أصفرها، وحمام الشيخ (قرب جامع الكيخيا)، وحمام الامير المظل على البحر، وكان اكبرها. وقد وصف لنا النابلسي ذلك الحمام^(٥) بأنه مبلط بالرخام، وبه بركة ماء مشمسة من حجارة

(١) ثمرات الفنون، العدد ٩٦١ في الاول من كانون الثاني ١٨٩٤.

(٢) لسان الحال، العدد ٥٢١٢ في ٢٦ أيلول ١٩٠٦. وقد اثنى مراسل جريدة لسان الحال حكمت شريف على حسن الفندق المذكور وجاله، عند نزوله به اثناء رحلته الى صيدا.

(٣) احمد عارف الزين، ص ١٢٢.

(٤) J. LEWIS FARLEY: TWO Years in Syria, London, 1859, p. 191.

(٥) لا يزال هذا الحمام قائما حتى اليوم، وينسب الى عهد الامير فخر الدين المعني ويدعوه الصيداويون بحمام المير.

رخامية بيضاء، كما يوجد به مغطسان احدهما به ماء بارد والآخر به ماء حار، كما يوجد في طابقه الاول فسقية من رخام، وبه اماكن كثيرة منعزلة، ومياهه غزيرة وهواؤه معتدل لطيف^(١).

وفي اوائل القرن العشرين اصبحت حماماتها العامة خساً، هي حمام المير وحمام السوق، وحمام الشيخ، وحمام الورد، والحمام الجديد، وكان هذا الاخير اكبرها وأكثرها نظافة وعناية برواده. "وكانت العادة ان تفتح الحمامات لاستقبال الرجال من الصباح حتى الظهر، وبعد الظهر للنساء والاولاد الصغار، اذ ان الاختلاط في الحمامات العامة كان ممنوعا. وكان الصيداويون يترددون الى الحمامات العامة بكثرة، بحيث انه لم يكن يمضي اسبوع واحد حتى يكون افراد العائلة قد ذهبوا الى الحمام، في اوقاتهم المحددة، اكثر من مرة، ولعل ذلك راجع ليس الى حب النظافة فقط، بل لأن الحمام يؤمن مياهاً غير متوفرة في كثير من منازل الصيداويين، بالاضافة الى ان انشاء حمامات منزلية لم يكن شائعاً كثيراً.

وكان أول من أنشأ حماما مجريا في صيدا (بلاج) رشيد البابا على الشاطئ، قرب مخازن محمد الددا، وقد منحته البلدية ترخيصا بذلك في سنة ١٩١٠، بعد ان درست الموضوع من ناحية فوائده ومضاره، ووضعت عليه رسما قدره ١١٤ قرشا^(٢).

٣- الأماكن الدينية:

تزخر صيدا، وجوارها، بعدد كبير من المساجد والكنائس، بالاضافة الى مقامات الاولياء والقديسين التي ترجع الى عصور مختلفة، ويحترمها المسلمون والمسيحيون واليهود على حد سواء.

واذا كان كثير من تلك الأماكن الدينية قد انشيء قبل الفترة التي نببحثها، وقد يكون قبلها بعدة قرون، الا أن اعمال ترميمها وصيانتها وتعديل

(١) عبد الفتى اسماعيل النابلسي، مصدر سابق، ص ٣٤،

(٢) بلدية صيدا، قرار نومرو ١٦ في ٥ نيسان ١٩٣٦ (١٩١٠).

بنائها، استمرت تجزي خلال الفترة التي ندرسها، كما ان الاحتفالات والمواسم الدينية لم تنقطع اقامتها بها، مما جعلها، على رغم قدم بعضها، تظل تشكل جزءا من الحياة الاجتماعية في صيدا، بالاضافة الى انها كانت جزءا من عمران المدينة. وكان الحديث عنها هنا بناء على تلك الاسباب.

وكانت اهم المقامات الدينية في تلك الفترة:

- مقام النبي صيدون

كان يقع في البساتين في منطقة البرغوت، اما اليوم فقد اصبح داخل مدينة صيدا، وكانت تحيطه حديقة واسعة، ويعتقد انه كان في الاصل هيكلًا للاله الفينيقي صيدون، ومن هنا تسمية المسلمين له بالنبي صيدون، بينما يزعم اليهود بأنه ضريح زيلون من ابناء يعقوب، ولا يوجد في الضريح ما ينسب عن صحة نسبته (وتاريخ بنائه) وكان معظم زواره من اليهود وقلة من المسلمين، وكان خادم المقام الشيخ احمد عوكل حتى نهاية العهد العثماني، وكانت اوقافه كبيرة^(١).

- مقام النبي يحيى :

يقع شرقي صيدا قرب منطقة الحارة على تلة مشرفة على المدينة، تُنسب اليه فتدعى تلة النبي يحيى. ويقول المسلمون انه مقام يحيى بن زكريا المعروف بالحصور، بينما يقول المسيحيون انه ضريح مار يوحنا حيث كانت تقوم كنيسة له. ولهذا يزوره المسلمون والمسيحيون خصوصا ايام الجمعة بحيث تحولت زيارة مقامه، لا تتمتع به التلة من مناخ لطيف ومناظر جميلة، الى منتزه للصيادوين. وكانوا يقدمون اليه النذور، ويوقدون الشموع. وبناء الضريح متين، ومغطى بالقماش الأخضر وتعلوه قبة. ولا يعرف من شاد البناء، الا ان كتابة على باب الضريح نصها: «قد شاده البحر الهام اخو الهنا احمد جزار شرف بالوزارة» توحى بنسبة البناء الى احمد باشا الجزار في اواخر القرن الثامن عشر او مطلع القرن التاسع عشر.

(١) المحكمة الشرعية، سجل رقم ٣٣، عدد ١٠٨، ص ٢١٢ في ٧ ربيع الآخر ١٣٤٢.

وكان والي بيروت قد امر بترميم المقام الذي كان آيلا للسقوط و اضاف اليه غرفتين وذلك عند زيارته لصيدا سنة ١٨٩٥ . وشكل لجنة من عبد المجيد رمضان وحسين خضر ، ومحمد بكار لجمع تبرعات لتسديد نفقات اصلاح المقام . ولما جمعت ٣٧٨٠ قرشا ووجدت انها غير كافية ، شكلت لجنة من حسن بيهم وعمر رمضان لجمع التبرعات من اهالي بيروت^(١) .

(١) ثمرات الفنون العدد ١٠٤٢ في ٢٦ آب ١٨٩٥ . نشرت لائحة بالتبرعين من اهل صيدا :

القائم	٢٠ بارة و ٢٣٢ قرشا	رشيد الصلح	١٠ بارة و ٢٣ قرشا
النائب	٢٣٢ قرشا	محمد علي حنيشو	١٠ بارة و ٢٣ قرشا
الفي	١٠ بارة و ٢٠٩ قرشا	الحاج احمد كشتو	١٠ بارة و ٢٣ قرشا
ابراهيم آغا جوهرى	١٠ بارة و ١١٦ قرشا	الحاج عبده البابا	١٠ بارة و ٢٣ قرشا
سليم جنبلاط	٢١٨ قرشا	احمد عسيران	١٠ بارة و ٢٣ قرشا
محي الدين جوهرى	٢٠ بارة و ١٢٠ قرشا	اسماعيل قطب	١٠ بارة و ٢٣ قرشا
الحاج محمد شريف	١٠ بارة و ٢٠٩ قرشا	عبده الداية	١٠ بارة و ٢٣ قرشا
محمود زنتوت	٣٠ بارة و ٦٩ قرشا	محي الدين التوام	١٠ بارة و ٢٣ قرشا
عمر مجذوب واخوانه	١٥٠ قرشا	علي الواوي	١٠ بارة و ٢٣ قرشا
زينب كشتو	٣٠ بارة و ٦٩ قرشا	محمود الحاج حسين	١٠ بارة و ٢٣ قرشا
رضى الزين	٣٠ بارة و ٣٤ قرشا	اسماعيل الزين	٩٣ قرشا
عبده كنعان	١٠ بارة و ٢٣ قرشا	يوسف الزين	٩٣ قرشا
عبد السلام زنتوت	١٠ بارة و ٢٣ قرشا	مصطفى ومحمد الددا	٩٣ قرشا
حسين الجوهرى	١٠٩ قرشا	محيي نحولي	٣٠ بارة و ٦٩ قرشا
الحاج علي البزري	١٠٩ قرشا	عمر الشريف	٢٠ بارة و ٤٦ قرشا
الحاج عبد المحي لطفي	١٠٩	حسي المجذوب	٢٠ بارة و ١٢٤ قرشا
خليل البساط	١٠٩ قرشا	محمود كالمو	٢٠ بارة و ١٤٦ قرشا
الحاج رجب الجبيلي	٣٠ بارة و ٦٩ قرشا	عبد الفتي قدورة	٢٠ بارة و ١٤٦ قرشا
الحاج درويش الشعا	٢٠ بارة و ١٣٩ قرشا	الحاج احمد ابو ظهر واخوانه	١٨٦ قرشا
الحاج يوسف مجذوب وولده ٢٠، ١٦٣ قرشا	من اشخاص متعددين		٢٠ بارة و ٦٣ قرشا

- مقام مار الياس:

يقع على رأس تلة تنسب اليه، بجوار تلة النبي يحيى، في الجهة الشرقية من صيدا ومشرقة عليها. والمسلمون يعتقدون انه مقام الخضر، بينما يقول المسيحيون انه مار الياس الذي جاء الى هذا المكان، حيث كان يوجد هيكل لعبادة الشمس، فهدمه ودعا الى عبادة الله، وكان للموارنة اعتقاد خاص به، حتى انهم كانوا يدفنون موتاهم في الارض المحيطة به. كما كانوا يقيمون به القداس قبل ايجاد كنيسة لهم، وهو اليوم مهجور.

- مقام النبي شمعون:

كان يقع الى الشمال الشرقي من صيدا، على طريق بيروت، بين البساتين وغير بعيد عن شاطئ البحر. وكان اهل صيدا يتنزهون في المنطقة المحيطة به، لجمال مناظرها ووقوعها بين البساتين^(١). وعرفت منطقته بالوسطاني، وينسب الضريح الى شمعون احد انبياء اليهود. وقد انشئ فوقه مسجد سنة ١٨٩٩ يضم منارة متقنة^(٢). وقام الحاج محمد ابي بكر بن عبد الله اليميني الحضرمي بخدمته لمدة تزيد عن سبعة عشر عاما، اقام خلالها حديقة رائعة حوله، ومساحتها بلغت ٤٠٨٠ ذراعا مربعا، وقد اوقفها على المقام المذكور، وصدق القاضي محمد التحوي على ذلك^(٣).

- مقام محمد ابي نخلة:

يقع في محلة السبيل داخل صيدا القديمة، وينسب الى محمد بن الحنفية الملقب بأبي نخلة، ولا تعرف صحة النسبة، كما لا يعرف تاريخ بنائه وان كانت لوحة حجرية على بابه تشير الى سنة ١١٠٩ هـ (١٦٩٧)، والبناء قديم جدا، وتشير اليه سجلات الوقف بأنه مسجد أبي نخلة. ويتبرك البعض بزيارته ويشعلون الشموع فوق ضريحه. وكان يخدم المقام الحاج احمد مفتوق. وفي سنة ١٩٠١ اوقفت الحاجة آمنة بنت الحاج ابو جيدة، وهي مغربية من طرابلس

(١) محمد عبد الجواد القاياتي: نفحة البشام... ص ٥٧.

(٢) لسان الحال الممد ٣٢١٦، ص ١٣ ايلول ١٨٩٩.

(٣) ثمرات الفنون العدد ١٤٢٨، في ٤ أيار ١٩٠٢.

الغرب، دارها في حارة القواخرة في صيدا على زاوية الشيخ محمد أبي نخلة الشهيرة بزاوية العبيدية^(١).

- مقام أبا روح:

ينسب الى الصحابي شبيب بن ذى الكلاع الملقب بأبي الروح، ويقع المقام في منطقة البرغوت، جنوبي صيدا، قرب شاطئ البحر، وفي أجرة كثيفة الشجر^(٢) وقد وصف النابلسي المكان، عند زيارته له بأنه ملء بالزنبق الشديد البياض وقال فيه شعرا^(٣):

يا ابا الروح كلنا اولادك قد اضاءت بالنور منك بلادك
انما انت من صحابة طه سيد الرسل والعبادة زادك

ويزعم بعض الصيداويين، ان الضريح يخص الشيخ عبدالله الخراساني الذي جاء صيدا من بلاد فارس، وكان يحسن العلوم العقلية ويتعاطى الطبابة، وردّ الى كثير من مرضاهم الصحة فسموه «أباروح»^(٤).

- مقام شر حبيل:

ينسب الى شر حبيل بن حسنة احد الصحابة وكتاب الوحي، ويقع على تلة عالية في اراضي الحبابية شمال شرق صيدا، وبنائوه قديم لا يعرف تاريخه، وكان يخدمه الشيخ محمود عثمان البايا من محلة السيل، حتى نهاية العهد العثماني، ثم حلّ محله محمد محمود حنانه من محلة السرايا^(٥).

- مقام الست نفيسة:

يقع في الحي المسمى باسمه، في منطقة الدكرمان في وسط صيدا، والضريح تعلوه قبة، وكان يقع ضمن البساتين، وله نافذة صغيرة اعتاد الزائرون، ان

(١) المحكمة الشرعية في صيدا، سجل رقم ١٥، نومرو ٤٧٢ في ١٣١٩ هـ (١٩٠١).

(٢) احد عارف الزين، ص ٦٨.

(٣) عبد النبي اسماعيل النابلسي، مصدر سابق ص ٩.

(٤) احد عارف الزين، ص ١٠٧.

(٥) المحكمة الشرعية في صيدا، سجل ٣٣، ص ٢٠١، رقم ٩٦ في ٢٣ صفر ١٣٤٢.

بضموا على حافتها شموعا او تذورا مما تجود به انفسهم.

وكانت قد نسبت للسيدة نفيسة (او ستي نفيسة كما ينطقها الصيداويون) كرامات عديدة نسجت قصصها العامة ولا زالت تتداولها فيما بينها. ومن تلك الكرامات مساعدتها في انجاب العاقر، لذلك تزورها النساء العقيبات ويضئن شموعا ويقرأن ادعية لتحقيق غاياتهن في الانجاب.

كما نسجت حول ساكن الضريح قصص عدة، زعم بعضها ان الضريح لضابط فرنسي قتل ابان الحرب العالمية الاولى وكان يدعى «دونوفيس»، كما قيل انها سيدة مصرية مات عنها زوجها اثناء حملة ابراهيم باشا على بلاد الشام، وترك لها ثروة كبيرة انفقها في اعمال الخير، واشترت تلك البقعة لتدفن فيها. ولكن تلك المزاعم لا تصمد امام الوقائع التاريخية، خصوصا اذا ما علمنا ان قبة الست نفيسة كانت موجودة منذ اواخر القرن الثامن عشر على الأقل.

فقد ورد في سجلات المحكمة الشرعية في صيدا، ان الحاج سليم حود بن محمد بن حسن بن زين بن علي البيروتي نقيب السادة الاشراف، قد وقف ثلاثة ارباع البستان الكائن في سقي صيدا، المشتمل على بيت وايران مسقوفين بالاخشاب وعلى قبة عقد مقام لسقي نفيسة، وعلى بركة ماء شركة الشيخ عبد الله السليح بالربع الباقي، ويسقي من ماء قناة الحاسكية بخمسة عدادين ماء من تحت الطاحون، وذلك سنة ١٢٠٩ هـ (١٧٩٤م)^(١).

والثابت أن نفيسة كانت مربية (دادة) عند آل حود، واصلها من المغرب، وكانت امرأة تقية صالحة، فكانت اسرة. حود تعاملها كاحدى نساها، فلما ماتت اكرمتها بضريح تعلوه قبة وليس بقبر عادي^(٢).

ومن المقامات الاخرى في صيدا مقام الشيخ قاسم قرب البوابة الفوقا

(١) المحكمة الشرعية في صيدا سجل رقم ١١ ص ٩٢ نمر ١١٦ لسنة ١٣١٧-١٣١٩ هـ وردت هذه الاشارة في السجل المذكور، اما اقدم سجلات محكمة شرعية صيدا الموجودة فلا تتعدى سنة ١٢٨٥ هـ.

(٢) أكد لي اصل السيدة نفيسة بعض آل حود عن سائلهم.

ومقام الشيخ عبدالله والشيخ موسى والشيخ بطاح^(١)، ومقام الدزدار في حي السبع اعين وهو مهمل ولا يعرف تاريخ بنائه او شخصية صاحبه .
اما المساجد والكنائس القائمة آنذاك او التي شيدت خلال تلك الفترة فكانت :

- الجامع العمري الكبير :

يقع على ارض مرتفعة قرب شاطئ البحر في البلدة القديمة ، وكان اصله كنيسة بناها فرسان القديس يوحنا Les Hospitaliers في أواسط القرن الثالث عشر خلال حكم الصليبيين للمدينة . وبعد اخراج الصليبيين منها حوّلها المماليك الى مسجد ، وهو ضخم الحجارة ، متين البنيان ، جدرانها عالية سميكه ، ونوافذه عالية وطرازه صليبي عموماً^(٢) . ويعتبر اقدم مساجد صيدا ، كما انه اوسعها على الاطلاق . وكانت الانواء البحرية قد هدمته سنة ١٨٢٠ فأعيد بناؤه على نفقة الحكومة ومن تبرعات بعض المحسنين^(٣) .

وفي سنة ١٨٨٢ تبرعت والدته خديوي مصر السابق اسماعيل باشا ، بواسطة الشيخ ابي خليل اباطة ، بتكاليف اصلاح الجامع واعادة ترميمه^(٤) . وفي سنة ١٨٩١ عادت الانواء البحرية فهدمت حائطه الغربي^(٥) ، وعند زيارة والي بيروت لصيدا سنة ١٨٩٣ ، امر بصرف المبلغ الذي جرى تخصيصه لبنائه وقدره ١٨٠ الف قرش^(٦) ، وبعد ذلك بسنتين جاء الوالي نصوحي اقتدي الى صيدا على متن السفينة « أركاديا » ، وبعد تناوله المرطبات في دار البلدية ، افتتح الجامع العمري الكبير بعد انجاز تعميره مجدداً^(٧) .

(١) حولية ولاية بيروت لسنة ١٣١١ - ١٣١٢ هـ .

(٢) بل ان البعض يرجع تاريخ بنائه الى ابعد من ذلك ، فيزعم انه كان كنيسة حوّلها المسلمون عند فتح صيدا الى مسجد وسموه بالعمري نسبة الى عمر بن الخطاب - راجع احمد عارف الزين ، ص ١٠٨ .

(٣) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

(٤) محمد عبد الجواد القاياتي ، ص ٥٧ .

(٥) ثمرات الفنون ، العدد ٨١٩ ، في ٢٦ كانون الثاني ١٨٩١ .

(٦) ثمرات الفنون العدد ٩٢٨ في ٨ أيار ١٨٩٣ .

(٧) ثمرات الفنون ، العدد ١٠٢٩ في ٢٠ أيار ١٨٩٥ .

وفي مطلع القرن الثامن عشر وصفه النابلسي بأنه رفيع البناء، مشرق الأرجاء، مطلقاً على البحر، وفي فناءه بركة ذات ماء دافق عذب، تعلو وسطه قبة عظيمة وتقع خارجه « صفة » صغيرة مشرفة على البحر^(١). وكانت فيه خزائن تضم كتباً قيمة، وكان خطيب الجمعة فيه، في سنة ١٩١٣ الشيخ مصطفى كنعان^(٢).

- جامع البطّاح:

قائم في سوق المصلية في البلدة القديمة، ويعتقد ان بناءه يعود الى اوائل الفتح الاسلامي، لكن لا يوجد في البناء ما يحدد تاريخه. وصفه النابلسي اثناء رحلته المعروفة بأنه يدعى ايضاً بجامع السوق، وانه مدفون به احد الأولياء المدعو الشيخ علي الغزي. وقال انه كان مشهوراً لدى الصيداويين ان من حلف مينا كاذبة أمام الضريح اصيب بمكروه^(٣). وكان خطيبه في أواخر العهد العثماني الشيخ رشيد وهبة^(٤).

- جامع البراني:

من المساجد القديمة في صيدا، يعود بناؤه الى عهد الامير فخر الدين المعني الثاني. وعرف بهذا الاسم لأنه اول بناء اقيم خارج الاسوار في صيدا. ويقع قرب شاطئ البحر امام بوابة صيدا التحتا. وقد دفن فيه الاميران ملحم المعني (سنة ١٠٦٨ هـ) وسيف الدين المعني (١٠٠٧ هـ) وتقوم فوق القبرين قبة^(٥).

(١) عبد الغني النابلسي، رحلته، ص ٧.

(٢) احمد عارف الزين، ص ١٠٨.

(٣) النابلسي: ص ٣٤.

(٤) احمد عارف الزين، ص ١٠٨، وقيل في سبب تسميته بالبطّاح ان ضيماً كانت تحيى كل ليلة الى

صيда وتزعج سكانها، فدخلت في احدى الليالي الى الجامع المذكور، واكلت الزيت الموجود في

السراج، فوجدها المصلون صباحاً ميتة على ارض الجامع فدعوه بالبطّاح.

(٥) احمد عارف الزين، ص ١٠٤.

- جامع القطيشية:

يقع داخل صيدا، وينسب لبانيه الشيخ علاء الدين قطيش، وصفه النابلسي بأنه جديد، وان فيه بركة ماء فسقية صغيرة من رخام يجري اليها ماء عذب، وان منبره من الرخام الابيض^(١) وكان خطيبه في اواخر العهد العثماني الشيخ رشيد سليم.

- جامع الكتخدا:

او جامع الكيخيا^(٢)، وصفه النابلسي بأنه أصغر من الجامع العمري بقليل، وان به منبرا من رخام ابيض، وبركة ماء عذب^(٣). ولا يعرف تاريخ بنائه، وكانت به مدرسة لطلبة العلوم الدينية، وكان خطيبه قبل الحرب العالمية الاولى الشيخ بدوي لويبة.

- جامع السرايا:

سمي كذلك لوقوعه في ساحة السرايا داخل صيدا القديمة، وبنائه قديم، ومساحته ضئيلة، وكان خطيب الجمعة فيه، في اواخر العهد العثماني، الشيخ عبد الحميد القواص^(٤).

- جامع البحر:

وهو فسيح الارزاء يقع قرب شاطئ البحر مطلا على الميناء. ويتألف من قسمين، احدهما بوابته نحو سوق المدينة، وعلى مدخله لوحة يمكن ان يقرأ عليها «بسم الله الرحمن الرحيم، اما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر انشاء هذا المسجد حمن (ثم الكنية غير مقرأة) سنة سبعماية وخمس وسبعين (٧٧٥) هجرية. ومعنى ذلك ان البناء يرجع الى سنة ١٣٧٣ ميلادية،

(١) لنابلسي، رحلته، ص ٣٣.

(٢) الكيخيا والكاخيا والكاهيا الفاظ ثلاثة محرقة عن كلمة كتخدا التي ترجع بدورها الى اهل فارسي مركب من كد بمعنى مكان او منزل، وخدا بمعنى رب او سيد، فيصبح معناها سيد المنزل، وهي كانت لقباً عثمانياً لمن يشغل منصب مدير الباشا او الوالي او وكيل اعلاه.

(٣) النابلسي، ص ٣٣.

(٤) احد عارف الزين: ص ١٠٩.

اي الى العهد المملوكي. اما القسم الآخر المثل على البحر فهو حديث، إذ توجد على مدخله لوحة كتب عليها ان تعمیر هذا الجزء من الجامع تم بنفقة مصطفى حمود في ربيع الاول ١٣٢٩ هـ (١٩١١). وكان إمامه سنة ١٩١٣ الشيخ عبد الهادي البساط^(١).

- جامع المجدوب:

ينسب بناؤه الى الحاج محمود المجدوب سنة ١٢٩٢ هـ (كما يبدو من لوحة على مدخله) ويقع خارج سور صيدا امام بوابة الشاكرية. وكانت ملحقة به «تربة المجدوب» لدفن موتى هذه العائلة^(٢). وعند زيارة الوالي لصيدا سنة ١٨٩٣، عرض عليه الاهالي العمل على اعادة اسالة المياه الى الجامع ليعود المصلون الى اداء صلواتهم فيه، بعد ان ظل فترة دون مياه جارية وتعطلت شعائر العبادة فيه، وقد تبرع الوالي بمخمصة قرش، ولحق به ذوو الحمية والغيرة، حتى تجمع مبلغ كاف، لجرّ نصف ماسورة ماء اليه لاستعمالها في حاجات المصلين^(٣). ويبدو انه كان يضم مدرسة دينية، اذ تبين من سجلات الاوقاف انه عين للتدريس فيه الشيخ عبدالرحمن النحاس سنة ١٢٨٦ هـ، والشيخ محمد كامل المغربي سنة ١٢٩٤ هـ. والشيخ احمد الرفاعي سنة ١٢٩٥ هـ.

وحوالي سنة ١٩١٣ كان خطيب الجمعة فيه الشيخ محمد امين سليم^(٤).

كما وجد في صيدا من الجوامع القديمة جامع الشمعون المقام فوق ضريح منسوب الى النبي شمعون، وكان بناء الجامع وسط البساتين شمال صيدا، وقد حبست على الجامع المذكور اوقاف واسعة من بساتين وعقارات وجرى تجديد بنائه عدة مرات، ويعرف الآن بجامع الصديق، ويتبع دائرة الاوقاف الاسلامية.

وكان النابلسي قد ذكر ان احد الجوامع التي زارها في صيدا كانت جامع

(١) تمت بزيارة هذا الجامع ودراسة بنائه في آب ١٩٨٠.

(٢) ازيلت المقبرة (التربة) سنة ١٩٣٠ كما اخبرني بذلك بعض من قابلته من المسنين.

(٣) ثمرات الفنون، العدد ٩٢٨ في ٨ أيار ١٨٩٣.

(٤) احمد عارف الزين، ص ١٠٩.

المحتسب قرب السرايا، وانه كان اصغر الجوامع، وبه بركة ماء جارية، ولعله كان يعني جامع الكيخيا^(١).

بالاضافة الى المساجد والجوامع التي ذكرت آنفا فقد عرفت صيدا، في تلك الفترة، الطرق الصوفية والزوايا الدينية المخصصة للعبادات ولإعطاء الدروس، ولأجراء الشعائر الدينية، أو الاحتفال بالمناسبات الدينية.

وقد كان في صيدا في تلك الفترة من اواخر العهد العثماني، سبع زوايا على عدد ايام الاسبوع، حيث يجري في كل زاوية، في يوم منه الاحتفال الديني المعروف من قراءة الاوراد والتسابيح، أو احياء السيرة والذكر «النبي» وقراءة الموالد وما يتخلله من ادعية وتهليل وتكبير^(٢).

وكان الاحتفال الديني في الزاوية يبدأ بعد صلاة العصر ويستمر بعد صلاة العشاء. والزوايا التي كانت موجودة آنذاك:

زاوية جلال الدين في منطقة المصلبية قرب كنيسة الموارنة، زاوية سوق الاسكاف التي تعطي بها الدروس الدينية، وزاوية سيدي الشيخ محمد ابي نخله الشهيرة بزاوية العبيدية وكانت تقع في المصلبية ايضا^(٣)، والزاوية البرانية باطن مدينة صيدا، وزاوية الغاسلة، زاوية الشيخ السندسي قرب بوابة الجامع العمري الكبير، وزاوية البوابة، وكانت تقع قرب بوابة السور التحتا قرب القسلة.

وجميع الزوايا السبع المذكورة لم تعد موجودة، وقد زال البناء الذي كان يضم بعضها، كما ان بناء بعضها لا يزال موجودا ولكنه مهجور. وترتبط بالزوايا الطرق الصوفية، التي كان منها في صيدا، في تلك الفترة، خمس طرق هي:

الطريقة الرفاعية وكانت من اكبر الطرق واقواها في صيدا، وكان لها

(١) النابلسي، رحلته، ص ٣٤.

(٢) اخبرني بذلك الحاج احمد البني، عمره ٧٦ سنة، خلال لقائي معه في تموز ١٩٨١.

(٣) المحكمة الشرعية في صيدا، السجل ١٣، ص ٩٥٦ والسجل ١٥، مرة ٤٧٣.

اتباع ومشايخ كثيرون. والطريقة السعدية وكانت كذلك من الطرق الصوفية الواسعة الانتشار في صيدا، وكان من شيوخها محمود البعاصيري والشيخ علي حسين جلال الدين.

والطريقة الشاذلية وكان مركزها قرب جامع الكتخدا، وكان من شيوخها محمد السكافي، والشيخ يحيى سنة ١٢٩٦ هـ. والطريقة القادرية وكان من شيوخها سنة ١٨٩٩ الشيخ خليل الزعتري ثم حسن البابا. والطريقة الصاوية وكان من شيوخها الشيخ زكريا خليفة^(١).

كما كان في صيدا، مثل كثير من المدن الاسلامية، نقيب للاشراف، وهو منصب ديني فخري، يعهد به الى افراد من عائلة لها صلة نسب بالنبي، وكان نقيب الاشراف دائما من آل جلال الدين، وقد نافسهم عليها قبلاً آل حود. اما الكنائس المسيحية فكان عددها خساً. هي:

- كنيسة الموارنة:

كانت في الاصل مصبنة (معمل صابون) لآل العرقاوي، فاشتراها منهم عساف ابو طالع من بشرى سنة ١٦١٦ بخمسة عشر قرشاً، وجرى تحويلها الى كنيسة للموارنة، لذا فهي من اقدم كنائس صيدا^(٢).

- كنيسة الروم الكاثوليك:

من الكنائس القديمة ايضاً، وقد جدد بناءها المطران اغناطيوس عطية في اول القرن السابع عشر، باذن من الامير فخر الدين المعني الثاني.

وفي سنة ١٦٩٠ قرر المطران اقليموس الصيفي، مطران الروم الكاثوليك (١٦٨٢ - ١٧٢٣) تجديد بنائها، فحصل على اذن بذلك من القاضي الشرعي،

(١) كانت الطريقتان الرفاعية والشاذلية لا تزالان قائمتين في صيدا حتى احداث السنوات الاخيرة، عندما توقفت الطريقة الشاذلية عن أي نشاط، بينما لا تزال الطريقة الرفاعية قائمة، وان كان نشاطها معدوماً، او محدوداً الى درجة كبيرة.

(٢) اجد عارف الزين، ص ١٠٩ اما كنيسة الموارنة الجديدة في شارع رياض الصلح فقد شيدت سنة ١٩٥٢، وكانت كنيسة الموارنة في القنابة قد بنيت سنة ١٩٢٨.

ثم اشترى ارضا قريبا، وانشأ بها حديقة احاطها بسور كبير، وجلب اليها الماء واقام سبيلا لسقاية الناس.

وبموجب حجة مؤرخة في ذى القعدة سنة ١١٠٨ هجرية (١٦٩٧) وقف الحديقة على الكنيسة ومصلحتها.

وفي سنة ١٨١٩ اصدر قاضي عكا الاكبر الحاج محمد ابي الهدي التاجي حجة شرعية بالسماح للروم الارثوذكس بالصلاة في المذبح الشمالي للكنيسة. وفي سنة ١٨٥٠ اقيم حائط يفصل بين قسمي الكنيسة، المخصص احدهما للروم الكاثوليك، والآخر للروم الأرثوذكس في عهد المطران تاودوسيوس قيويجي^(١).

كان قدم بناء الكنيسة، ومشاركة الروم الارثوذكس في الصلاة فيها، وانخفاض ارضها بمقدار ذراع عن الارض حولها، وضيق مدخلها، واحاطة البيوت بها من كل جانب، دافعا للمطران باسيليوس حجار (١٨٨٦-١٩١٦) لبناء كنيسة جديدة لطائفة الروم الكاثوليك. فاشترى، بعد اخذ ورد طالا أشهراً، بستانا مجاورا للكنيسة يخص آل القطب. وكان في جانب منه مقبرة الافرنج من العسكر الصليبي، وكذلك آثار هيكل قديم للآلهة ميترا الوثنية. وقد بذل المطران جهودا مضية جديدة حتى تمكن من شراء القناطر التي تمر فوقها المياه لمدينة صيدا، فهدمها ووضع بدلا منها انايب تحت الارض لاستمرار جريان الماء، واستطاع انجاز بناء الكنيسة الجديدة سنة ١٨٨٧، فجاءت تحفة معمارية في اتساعها وعلوها، وخلوها من الاعمدة التي تحمل السقف والقبعة^(٢).

- كنيسة الروم الارثوذكس:

استطاعت طائفة الروم الارثوذكس القليلة العدد في صيدا، بناء كنيسة خاصة بها، وهي كنيسة صغيرة.

(١) الرسالة الخلفية، مجلد ٢، ج ١ كانون الثاني ١٩٣٥، ص ٢٥-٢٩.

(٢) جرمانيوس معقد: رحلة الى صيدا ودير الخلص، المرة، السنة الاولى، العدد ٢١ في نيسان

١٩١١، ص ٦٤٩-٦٥١.

- كنيسة اليسوعيين:

واقعة في صيدا القديمة، داخل السور، قرب خان الافرنج، ويرجع بناؤها الى زمن فخر الدين المعني الثاني^(١)، وهي صغيرة كانت كافية للجالية الفرنسية المقيمة في صيدا.

- الكنيسة الانجيلية:

تأسست في صيدا سنة ١٨٦١ لكنها فتحت امام رعايا الطائفة منذ سنة ١٨٨٣. وقد اقيم فيها سنة ١٨٩٥ تحت رعاية شبلي ايللا، نائب القنصل البريطاني في صيدا، قداس احتفالي بمناسبة العيد الستيني لجلوس الملكة فكتوريا على العرش، وقد حضره جميع الرعايا الانجليز في صيدا آنذاك، وبعض المقيمين الاجانب والسكان المحليين^(٢).

وفي ٢٣ تشرين الاول سنة ١٩١٠ جدد بناءها القس الاميركي «دولتل» فزادت مساحتها بحيث صارت تستوعب اربعمائة شخص، وسلمها للقس خليل الراسي^(٣).

اما اليهود فكان لهم، منذ القديم، كنيس واحد، داخل حارة اليهود ضمن اسوار صيدا، وكانت تقام فيه الشعائر والاحتفالات الدينية اليهودية، حتى سنة ١٩٧٨ عندما جرى اغلاقه، ولا يزال كذلك حتى اليوم، حيث لا يوجد في صيدا من اليهود الا عائلة واحدة.

(١) احد عارف الزين، ص ١١٠.

(٢) لان الحال، الممدد ٢٥٤٤، في ٣٠ حزيران ١٨٩٥.

(٣) النشرة الاسبوعية، مجلد ٤٥، العدد ٢٣٣٨، في ١٧ تشرين الثاني ١٩١٠، ص ٣٦٥.



الحاج مصباح البزري
رئيس البلدية ١٩١٠ - ١٩١٤



ابراهيم آغا الجوهري
رئيس البلدية ١٨٧٩ - ١٩٠٨



عمود (بك) كالو
رئيس البلدية ١٩١٤ - ١٩١٦



توفيق البزري
محاسب البلدية. ١٨٧٤ - ١٩٤٨



عمر أبو ظاهر
عضو البلدية ١٩١٢



الحاج أنيس المهدوب
١٨٨٤ - ١٩٥٦ مفتش البلدية



الصيديلي وديع أيوب
١٨٨٢ - ١٩٣٨ أول صيدلي في صيدا



الطبيب سليم التيموس
١٨٦٨ - ١٩٤٨ من أوائل الأطباء في صيدا

التعليم والثقافة

أولاً - التعليم

أ- تطور التعليم:

في أوائل القرن التاسع عشر كان لا يزال سيطرا التعليم الديني التقليدي، الموكول أمره الى الطوائف المختلفة، بحيث غاب دور الدولة ولم يظهر له اثر. وساعد على ثبات هذا النوع من التعليم وانتشاره، نظام الملة الذي انتهجته الدولة العثمانية، وسعت بموجبه للطوائف غير الاسلامية ان تقيم مؤسساتها التربوية وتديرها باشراف رؤسائها الروحيين. كما ان نظام الامتيازات الاجنبية سهل للدول الاوروبية المسيحية، ان تبعث بارسالياتها التبشيرية الى هذه البلاد، وتنشيء مؤسساتها التربوية وغير التربوية، وتديرها بعيدا عن رقابة الدولة واشرافها.

يضاف الى ذلك كله طبقة من رجال الدين المسلمين جهدت في العمل على ابقاء التعليم في نطاقه الديني التقليدي، وحاربت كل محاولة لبعث الروح فيه وتجديده^(١).

وقد انحصر التعليم في المستوى الابتدائي، ومثله «المكْتَب»، وفي المستوى الاعلى، ومثله «المدرسة». وبينما كان التعليم الثانوي العالي محصورا بنطاق ضيق ومقصورا على ابناء الطبقة المميزة، كان التعليم الابتدائي ينتشر مع كل خطوة اصلاحية تقوم بها الدولة، وان كانت النهضة التعليمية والتربوية قد

(١) احد سراج الدين، الحركة التربوية وتطورها في سوريا ولبنان خلال القرن التاسع عشر، الابحاث، مجلد ٤، ج ٣، ايلول ١٩٥١، ص ٣٢٦.

بدأت فعلاً، قبل صدور قوانين الإصلاح، وبالتحديد فإنها بدأت مع مجيء المصريين الى هذه البلاد وحكمهم لها زهاء عشر سنوات.

فقد اقامت الادارة المصرية مدارس ابتدائية عصرية، لأول مرة في تاريخ بلاد الشام، عرفت «بالمدارس الجهادية»، كما ألزمت هذه الادارة الجنود، على تعلم القراءة والكتابة. وفرضت على الضباط التزود بالعلوم المفيدة، كما أنها تسامحت كثيراً مع غير المسلمين، من سكان محليين واجانب، في اقامة ما يشاؤون من مؤسسات تربوية للاناث والذكور على حد سواء^(١).

وقد مثل «المكتب» او «الكتاب»^(٢) المرحلة الاولى من التعليم، وكان يعلم فيه شيخ الكتاب ويلتحق به الاطفال من الجنسين، فالتعليم مختلط، وكانت اعمار التلاميذ تبدأ من الرابعة او الخامسة، في المدن، ومن السابعة او الثامنة في القرى. ومكان «الكتاب» عادة زاوية من فناء الجامع، او غرفة ملحقة به، او في بناء الكنيسة او الدير، او في باحة الكنيسة تحت «سنديانة»، ظليلة، او في «حوش» منزل شيخ الكتاب.

وكان التلاميذ يجلسون عادة على حصيرة او بساط، او يفتشون العشب، اذا كان التدريس في الهواء الطلق. وكان التدريس يستمر من الصباح حتى المساء ستة ايام في الاسبوع، ومعظم ايام السنة، وكانت العصا، قصرت ام طالت، من مستلزمات التدريس لشيخ الكتاب او خوري المدرسة، يشير بها او ينبه التلاميذ، او حتى يعاقبهم بها.

وقد اقتصر التعليم على مبادئ القراءة والكتابة العربية ومبادئ الحساب، والقرآن الكريم في بعضها، والتعاليم الانجيلية في بعضها الآخر. كان التلميذ يستمر بالالتحاق بالكتاب حتى «يختم» القرآن اي يحفظه، وكان ذلك يستغرق بضع سنوات عادة، وكان لحتم القرآن احتفال بهيج يفرح له الاهل والاصدقاء، ويكرّم فيه التلميذ ومعلمه.

(١) احمد سراج الدين، مرجع سابق، ص ٣٢٧.

(٢) جمعها مكاتب، اما الكتاب فجمعها على كتابيب، وسماه الأتراك «معلو مكنتي» اما «المدرسة» فخصصت بها المدارس الدينية فقط، راجع ساطع المصري، ص ٨٤.

وكانت اهم اسباب عدم انتشار التعليم في اوائل القرن التاسع عشر، عائدة الى ندرة الوسائل المادية من اقلام ودفاتر وكتب، والى قلة المؤسسات التعليمية المؤهلة لأداء دورها، والى قلة وجود المعلمين الأكفاء. وكان التلاميذ يتعلمون بتكرار ما يقرأه المعلم عليهم حتى يحفظوه، بل ان استعمال «السبورة» كان نادرا، لأنها لم تكن متوفرة للعموم، وكذلك الحال بالنسبة للطباشير. وكان التلاميذ يحملون دفاترهم واقلامهم في كيس من القماش دعي «بيت الجزو» لأنه كانت توضع فيه بالأصل اجزاء القرآن الكريم.

وكانت اجرة المعلم يقدمها آباء الاطفال، وكان الدفع اسبوعيا، وكان الأب يدفع اجرة تعليم ولده حسب قدرته المالية، وليس حسب عمر ابنه او نوع صفه^(١). وكان الأجر في كتاب صيدا في اواخر القرن التاسع عشر، بشليكا واحدا اسبوعيا عن كل تلميذ في الكتاب^(٢).

ومع نشوء المدارس الحديثة، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، خفّ دور الكتاب، لكنه لم يختف نهائيا، بل ظل يؤدي هذا الدور منحصرا في بعض الاحياء الشعبية، في مدن بلاد الشام المختلفة حتى نهاية العهد العثماني.

فالتعليم بتلك الطريقة، اي أن كل طائفة كانت تعلم ابناءها في كتابها كان يعتبر حرا، أي أنه غير خاضع لرقابة الحكومة، وبالتالي كانت السلطات المحلية او المؤسسات الدينية هي التي تنفق عليه بشكل رئيسي، اضافة الى تبرعات الخيرين، وعائدات الاوقاف المحبوسة عليه^(٣).

ولما انشئت المدارس التبشيرية الاجنبية، اقبل عليها ابناء المسيحيين بحماس، بينما تقبّلها المسلمون بحذر، خصوصا وانه بعد صدور قانون المعارف سنة ١٨٦٩ منعت الدولة ابناء المسلمين من دخول مدارس الارشاليات الاجنبية، طالما كان يوجد مدرسة رسمية او اسلامية خاصة في منطقتهم، مما

J. BOWRING, op. cit, (١)

(٢) الاتحاد العثماني، المجلد ٤٦٤، في ٣٠ آذار ١٩١٠.

(٣) محمد شفيق غريال، ص ١٣٦.

أدى الى قلة اقبال ابناء هؤلاء على تلك المدارس^(١).

وقد انعكس اثر ذلك على مستوى التعليم بين الطائفتين، اذ بينما ظل التعليم التقليدي سائدا بين المسلمين، كان اكثر المسيحيين يتلقى تعليما احدث، ويلم بمعارف أوسع، ويتقن لغات اجنبية اكثر^(٢). كما كانت الأمية متفشية بين ابناء المسلمين اكثر مما هي لدى المسيحيين، للأسباب الآتفة الذكر، ولأسباب اقتصادية عدة، مع استثناء مدن الساحل (مثل بيروت وطرابلس وصيدا)، التي تمتع ابناءؤها المسلمون بفرص أوفر لتلقي العلم، وبمستوى تعليمي جيد، بسبب كثرة الكتاتيب في تلك المدن^(٣).

وبعد عودة العثمانيين الى بلاد الشام سنة ١٨٤٠، شرعوا باجراء اصلاحات تربوية استمرت حتى نهاية العهد العثماني، وأدت الى تحسن في مستوى التعليم، وتنظيم لهيكليته، وكذلك الى انتشاره في اماكن لم تكن تسمع به قبلا.

فقد شكّل العثمانيون لجانا، قامت بدراس اوضاع التربية والتعليم في أنحاء الدولة العثمانية، وقارنتها بأوضاع بعض الدول الأوروبية، وانتهت في آب ١٨٤٦ الى اصدار قانون اصلاح التعليم، الذي خوّل الدولة حق الاشراف على مراحل التعليم ومدارسه عن طريق مجلس معارف دائم، كما نصّ على مجانية التعليم، وحق تعيين معلمين من غير رجال الدين، ورغم بساطة تلك الاصلاحات، فانها كانت خطوة مهمة، على طريق تقدم التربية والتعليم وانتشارها.

ونصّ القانون المذكور على جعل التعليم ثلاث درجات ابتدائية وثانوية وعالية. واشتمل التعليم الابتدائي على القراءة والكتابة، والحساب وحسن الخط، الى جانب العلوم الدينية، كما نصّ على تشكيل المدارس الرشدية والاعدادية في المدن الرئيسية وتدرّس فيها القواعد والنحو والصرف، والخط.

(١) A. L. Tibawi: American Interests in Syria in 1800 - 1901, Clarendon (Oxford) Press, 1966, P. 287.

(٢) اسكندر لوقا: الحركة الادبية في دمشق (١٨٠٠ - ١٩١٨)، دمشق، ١٩٧٦، ص ٥١.

(٣) كمال الصليبي، ص ١٦٥.

والإنشاء، والتاريخ والجغرافيا، والحساب، والهندسة، والعلوم الدينية. أما التعليم العالي فانهصر في البداية في اسطنبول التي ضمت مدارس للطب وللزراعة ودارا للمعلمين^(١).

وفي سنة ١٨٤٧ حدثت خطوة اصلاحية جديدة بقيام «وزارة المعارف» لأول مرة. وقد عمدت الى فتح دوائر للمعارف في كافة الولايات ثم صدر في ٢٤ جمادي الاول ١٢٨٦ هـ (١٨٦٩) نظام المعارف العمومية^(٢). حيث نظمت المدارس في فئتين: الاولى العمومية (أي الرسمية) وهي التي تديرها الدولة، والثانية الخاصة وهي التي يديرها أفراد او مؤسسات وتخضع لإشراف الدولة.

واشترط القانون الجديد للمدارس الخاصة ان تحصل على اذن رسمي لقيامها، وان تتبع منهاجا مصدقاً عليه من السلطات، وان يحمل أساتذتها شهادات تعترف بها الدولة، التي كان لها ايضاً حق تفتيش تلك المدارس في أي وقت. واستمرت مراحل التعليم كما هي: رشدية واعدادية وعالية. وبعد سنة ١٨٩٢، لم يسمح لأية مدرسة خاصة بالعمل حتى تحصل على اذن رسمي^(٣).

وفي سنة ١٨٨٢ صدر نظام «مجلس المعارف» الذي نص على فتح مجلس معارف في كل ولاية واقامة شعب له في المدن الرئيسية. كما صدر في سنة ١٨٩٢ المنهاج المفصل لمواد وساعات التدريس في كافة مراحل التعليم^(٤). كما صدر في سنة ١٩٠٠ نظام الامتحانات الرسمية، وقد جعلها ثلاثة مراحل: الاولى «صنفي» وتجري آخر السنة للانتقال من صف لآخر، والثانية «مكتبي» عند الانتقال من مدرسة لآخرى. والثالثة «ملازمت رؤوس» وكان في ثلاث شعب الاولى في نهاية التعليم الثانوي، والثانية الاجازة في الآداب والحقوق، والثالثة عند الانتهاء من الآداب والطب والعلوم^(٥). وهذه الشعب الثلاث كانت في مراحل التعليم العليا التي كانت مقتصرة على العاصمة

(١) احمد سراج الدين، ص ٣٣٦.

(٢) الدستور، ج ٣، ص ١٥٧.

(٣) لسان الحال، العدد ١٣٨٤، في ٦ شباط ١٨٩٢.

(٤) ثمرات الفنون، العدد ٨٨٩ في ٢٠ حزيران ١٨٩٢.

(٥) حولية نظارة المعارف العمومية، الدفعة الثانية، سنة ١٣١٧ هـ (١٩٠٠).

وبعض مراكز الولايات، وبذلك لم يأت مطلع القرن العشرين حتى كان التعليم العثماني قد تنظّم واكتمل، واصبحت المدارس قشتين رسمية وخاصة (من اهلية واجنبية).

ب - المدارس الرسمية:

جعل قانون المعارف العمومية (١٨٦٩) المدارس الرسمية على ثلاث مراحل: رشيدي واعدادية وعالية. والاولى شابهت تعليمنا الابتدائي الحاضر، والثانية منهاجنا الثانوي، والثالثة تدريسنا الجامعي.

وقضت المادة التاسعة من القانون بجعل التحصيل الابتدائي الزاميا في جميع انحاء الدولة العثمانية،^(١) واستثنت المادة الثالثة عشرة منه الاولاد الذين لا يمكنهم الحضور لاسباب صحية، واولئك الذين لا يستغني والدوهم عن عملهم نظرا لصغرهم، ومن يكون مشغولا بالزراعة او الحصاد، ومن يكون محل اقامته بعيدا نصف ساعة أو اكثر عن اقرب المدارس.

وقد شمل التعليم الاجباري الصبيان من السابعة من عمرهم حتى الحادية عشرة، والبنات من السادسة حتى العاشرة، ومنع منعاً باتاً الجمع بينهما، كما منع اللجوء للضرب.

كانت مدة الدراسة في المرحلة الابتدائية اربع سنوات، ويقام في كل قرية او اثنتين مدرسة ابتدائية، كما جعلت الدراسة في المرحلة الرشدية اربع سنوات اخرى، وتقام مدرسة رشدية في كل بلدة يزيد عدد بيوتها عن خمائة.

(١) حددت المادة ١١ من القانون المذكور الزامية التعليم بأنه اذا لم يحضر الولد المسجل اسمه بالدفتري الرسمي فعلى المعلم « .. ان يجبر مختار المحلة ليجلب ايا الولد أو أمه أو أقرب الناس إليه إلى مجلس الاختيارية ويكلفوه بأن يرسل الولد الى المكتب » راجع الدستور ج ٢، ص ١٥٧.

كانت مواد التدريس وساعاتها في الصفوف الأربعة كما يلي:

السنة الأولى	السنة الثالثة	
الف باء عثماني	١٢ ساعة في الأسبوع	قرآن كريم مع تجويد
أجزاء شريفة	١٢ ساعة في الأسبوع	علم الحال
حساب ذهني	٦ ساعات في الأسبوع	الحساب
السنة الثانية		القراءة
	٦ ساعات في الأسبوع	الخط والاملاء
قرآن كريم	٣ ساعات في الأسبوع	السنة الرابعة
علم الحال	٢ ساعات في الأسبوع	قرآن كريم مع تجويد
حساب ذهني	٣ ساعات في الأسبوع	علم الحال
قراءة	٣ ساعات في الأسبوع	الحساب
خط	٣ ساعات في الأسبوع	الخط والاملاء

وقد يكون مفيداً، للمقارنة، أن ندوّن هنا أسماء الكتب وأثمانها التي كانت تدرّس في المدارس الرشدية في أواخر القرن التاسع عشر:

الف باء	لوهي أفندي	١٠ بارات
الأجزاء الشريفة	-	١٠ بارات
تلخيص الملخص في علم الحال	لمصطفى بك	(للسنة الثانية) ١٠ بارات
رسالة في الأخلاق	لرفعت باشا	١٠ بارات
كتاب القراءة الأول جامع للأسماء لعزمي بك		٢٠ بارات
التركية		
مشق لخط الرقعة	للخطاط ضياء الدين أفندي	٥ بارات
الملخص في علم الحال	لمصطفى بك	(للسنتين ٣ و ٤) ٢٠ باراة
مختصر في الحساب	لملي نظمي بك	١٠ بارات
زبدة التاريخ العثماني	لحقي بك	(للسنة الرابعة) ٢٠ باراة
مختصر في الجغرافية العثمانية	لسري بك	(للسنة الرابعة) ٢٠ باراة ^(١)

(١) تعليقات الدروس، ثمرات الفنون، المجلد ٨٨٩، في ٣٠ حزيران ١٨٩٢.

كما صدرت تعليمات تتضمن كيفية تدريس تلك المواد بالتفصيل^(١)

وفي هذه السنة (١٨٩٢) جرى تعديل بعض الدروس في المرحلة الرشدية بحيث وجه اهتمام أكبر للغات خصوصاً التركية^(٢). كما أضيف تعليم الفرنسية في

(١) لإعطاء صورة واضحة عن أسلوب التدريس في تلك الفترة فيما يلي موجز التعليمات التي صدرت حول كيفية إعطاء الدروس، وخلاصتها أن ينهي كتاب الفاء ويحفظ التلاميذ الحروف بأشكالها، قبل البدء بتدريس أي كتاب آخر. ثم تعلّم الحروف كتابة وليس بالنظر فقط. وتعطى دروس الفاء كل يوم مرتين صباحاً ومساءً. وبعد ذلك تدرس أجزاء عم بالتدرّج، ثم الحساب الذهني، والتلاميذ الذين ينجحون بهذه المواد يرفعون للصف الثاني. حيث يدرسون فيه أجزاء القرآن الكريم وفروض الصلاة، وتلخيص علم الحال والحساب الذهني والأخلاق والقراءة، ويتعلمون حسن الخط بتسويد الخطوط البيضاء المرسومة تحت الخطوط المطبوعة.

والتاجعون يرفعون للصف الثالث حيث يتعلمون فيه تجويد القرآن ويحفظون الأدعية الخاصة بالوضوء والصلاة، ويدرسون الملخص في علم الحال ويختصر الحساب من مسائل الجمع والطرح، ويعيدون كتاب القراءة للصف الثاني أكثر من مرة، ويستمرّون على تحسين الخط.

والتاجعون يرفعون للسنة الرابعة حيث يدرسون القرآن مع الاهتمام بالتجويد والتلاوة، ويتمّون الباقي من الملخص في علم الحال: ويدرسون في الحساب تطبيقات القواعد الأربع. ويدرسون التاريخ العثماني والجغرافيا العثمانية عدة مرات حتى يحفظوها، ويعلمّون على الخط الرقعة وكتابة الاملاء بدون أخطاء، وبعد ختم القرآن يسمح لأي تلميذ إذا أراد الدوامه على حفظه بالاستمرار في تعليمه. وأخيراً طلبت التعليمات من المعلمين تنفيذ ما ورد بها. ثمرات الفنون، العدد ٨٨٩، في ٢٠ حزيران ١٨٩٢.

(٢) أصبح ساق الدروس كما يلي:

في الأولى:

العلوم الدينية وعلم الحال المفضل والقرآن بالتجويد والحفظ	٣ ساعات اسبوعياً
العربي بالأمثلة الجديدة والبناء	٢ ساعات اسبوعياً
القراءة التركية والاملاء	٣ ساعات اسبوعياً
الحساب: تعليم الاعمال الأربعة	٢ ساعات اسبوعياً
الخط: خط الثلث	١ ساعة اسبوعياً

وفي الثانية:

العلوم الدينية حفظ المسائل الأساسية من الدرر المختار وتلاوة القرآن بالتجويد	٣ ساعات اسبوعياً
العربي: المقصود والعوامل	٣ ساعات اسبوعياً
الفارسي: التعليم الفارسي مع القواعد	٢ ساعات اسبوعياً =

الستين الثالثة والرابعة، بمعدل ساعتين في الأسبوع،^(١) لكن ذلك لم يستمر طويلاً، إذ ألغت وزارة المعارف تدريسيها في كافة مدارسها الرشدية سنة ١٨٩٩ وأحلّت بدلاً منها تدريس «علم الأخلاق وتهذيبها»^(٢).

أنشئت المدرسة الرشدية في صيدا سنة ١٨٧٣. وما لبثت أن لعبت دوراً

٣ ساعات اسبوعياً	= القواعد العثمانية والاملاء
٢ ساعات اسبوعياً	الحساب: الكسورات العادية والاعشارية
٢ ساعات اسبوعياً	الجغرافيا: (قارة) اوروبا
١ ساعة اسبوعياً	الخط: خط الرقعة

وفي الثالثة

٣ ساعات اسبوعياً	العلوم الدينية: يكمل حفظ كتاب الدريكتا والقرآن مع التجويد
٣ ساعات اسبوعياً	العربي: يقرأ النصف الاول من متن الاظهار
٢ ساعات اسبوعياً	الفارسي: القواعد الفارسية مع كتاب نصيحة الحكماء
٢ ساعات اسبوعياً	القواعد العثمانية: واللغة والاملاء: تكمل القواعد بتطبيقها وتحفظ اللغة المستعملة ٢ ساعات اسبوعياً
٣ ساعات اسبوعياً	الحساب: تعلم المقاييس والاعداد المركبة والرفع والجذر والنسبة
٢ ساعات اسبوعياً	الجغرافيا: تعلم (القارات) الاربع بالتتابع
٣ ساعات اسبوعياً	التاريخ: تاريخ الانبياء وخلاصة تاريخ الخلفاء والسلاطين الاسلامية حتى ظهور الدولة العثمانية

وفي السنة الرابعة

٣ ساعات اسبوعياً	العلوم الدينية: شرح الدريكتا مع كتاب نعمة الاسلام
٢ ساعات اسبوعياً	العربي: تكميل الاظهار والأخذ بالتطبيقات
٢ ساعات اسبوعياً	الفارسي: منتخبات كتاب الكلستان
٢ ساعات اسبوعياً	الانشاء والكتابة واللغة العثمانية
١ ساعة في الاسبوع	الحساب: يكرر تطبيقات المسائل الحسابية ويدرس كتاب مختصر الاصول الدقري ١ ساعة في الاسبوع
١ ساعة في الاسبوع	الجغرافيا: تدرس جغرافية البلاد المحروسة الشاهانية
٢ ساعة في الاسبوع	التاريخ: التاريخ العثماني
٢ ساعة في الاسبوع	الهندسة: تعلم الاشكال الهندسية البسيطة والمساحات
١ ساعة في الاسبوع	الخط: خط الرقعة

راجع: ثمرات الفنون، العدد ٨٨٩، في ٢٠ حزيران ١٨٩٢.

(١) ثمرات الفنون، العدد ٩٣٥، في ٣ تموز ١٨٩٣.

(٢) النشرة الاسبوعية، مجلد ٣٤، العدد ١٧٦٦، في ٢ كانون الاول ١٨٩٩، ص ٤٧٢.

مهما في الحياة التربوية في المدينة، إذ كانت من أولى المدارس الحديثة في صيدا، وكان مستواها جيدا وفي تقدم مستمر، بالإضافة الى استمرارها في العمل فترة طويلة. وكانت اول دفعة من التلاميذ تتخرج منها سنة ١٨٧٧.

وكان المسؤولون الرسميون، والأهالي يولون المدرسة الرشدية اهتمامهم الدائم لنشاطاتها. ففي سنة ١٨٧٨ جرى الامتحان السنوي في ١٥ حزيران بحضور القائمات صادق بك، والقاضي مصطفى عزت، والمفتي محمد البزري، وموظفي الجمارك والبرق والبريد وسائر الدوائر، وعدد من الوجهاء، فاتضحت للحضور مهارة التلاميذ في العلوم، وحسن خطهم واملائهم. ووزعت الشهادات على الخريجين، وختم المفتي الاحتفال بالدعاء، وهتف الحاضرون بحياة السلطان. وبعضهم توجه الى اسطنبول ودخل مدرستها الحربية، وبعضهم الآخر تعاظم المصالح الأميرية (سلك الوظيفة)، بينما أثر البعض منهم ممارسة المصالح التجارية^(١).

واستمر تلاميذ الرشدية يحوزون رضا المسؤولين الرسميين والأهالي، الذين كانوا يتابعون نشاطات المدرسة، ولا يفوتهم حفل التخرج في أية سنة من السنوات، ففي سنة ١٨٨٥ مثلا أعجب القائمات بنتيجة الامتحان، ووزع جوائز على ٣٥ تلميذا من المتفوقين، وافتتح الاحتفال بخطاب لممر نحولي واختتم بآخر من كامل المغربي^(٢).

وفي الاحتفال السنوي بالتخرج سنة ١٩٠١، بحضور القائمات والقاضي ونقيب الأشراف ورئيس البلدية والوجهاء، طالب الخطباء بإقامة مدرسة صناعية في صيدا^(٣).

وكانت المدرسة الرشدية قد رقيت سنة ١٩٠٩، الى مدرسة من الدرجة الأولى وأصبحت نموذجية «نغونة رشدي» بسعي ناظر المعارف نائل بك^(٤).

(١) ثمرات الفنون، العدد ١٦٧، في ١١ تموز ١٨٧٨.

(٢) ثمرات الفنون، العدد ٥٣٥، في ٣ حزيران ١٨٨٥.

(٣) ثمرات الفنون، العدد ١٣٤٦، في ١٩ أيلول ١٩٠١.

(٤) أحمد عارف الزين، ص ١٢٢.

ويبدو أن عناية السلطات بالمدرسة الرشدية لم تكن دائماً على المستوى المطلوب. إذ في سنة ١٩١٠ قدم الأهالي الشكاوى الى مدير المعارف في الولاية حول النقص في الهيئة التدريسية في المدرسة، مما أدى إلى تأخير افتتاحها ذلك العام، كما حذروا السلطات من أن التأخير في تعيين الأساتذة يجعل التلاميذ يتركونها الى المدارس الأجنبية، وهي مدارس راقية على أية حال^(١).

وحتى نهاية العهد العثماني لم تتجاوز مدارس صيدا المرحلة الرشدية، ولهذا فإن الراغبين من أبنائها بتابعة تحصيلهم، كانوا يسافرون الى بيروت ودمشق واسطنبول وقليل منهم الى مصر^(٢).

ففي سنة ١٩١٠ مثلاً تخرج من المكتب السلطاني في بيروت اثنا عشر طالباً، كان من بينهم محمد القوّاص من صيدا^(٣). وقد تقرر أن يتابعوا تحصيلهم العالي في اسطنبول^(٤). وفي سنة ١٩١٣ إنتحق بالمكتب السلطاني في بيروت ثلاثة طلاب من خريجي المدرسة الرشدية في صيدا^(٥).

(١) الاقبال، العدد ٣٣٠، في ١٧ كانون الثاني ١٩١٠.

(٢) لما كانت بيروت مركزاً متصرفية وبيوتها تزيد عن ألف بيت فقد أسست فيها مدارس اعدادية رسمية كان بعضها للذكور وبعضها للإناث. ففي سنة ١٨٩٨ كان مدير مدرسة الذكور محمد توفيق بك اما مدرسة الاناث فكانت مملكتها الاولى اسما كوثر خانم، وتعاونها فاطمة خانم وعدد تلميذاتها ١٧٦. راجع حولية نظارت المعارف العمومية دفعة اولى، سنة ١٣١٦هـ. (١٨٩٨). وعندما أصبحت بيروت مركزاً لولاية، انشئ فيها مكتب سلطاني كان يضم شعبتين، الاولى للأدب والثانية للعلوم ومدة الدراسة العالية ست سنوات، والعادية ثلاثاً. اما الدراسات التخصصية العليا فكانت في اسطنبول فقط. وتثلّت في دور للمعلمين وللمعلمات، والفنون والصنائع، ومدارس للطب والهندسة، وللحقوق، وللزراعة وللبحرية.

(٣) الاتحاد العثماني، العدد ٨٥٦، في ١١ تموز ١٩١١.

(٤) المفيد العدد ٧٣٩ في ٩ تموز ١٩١١. والطلاب الاحد عشر الباقون هم: جلال اقدي - مصطفى محمد ثاني عمر - محمد جيل لايمان - وكلهم من بيروت ومحمد راشد المقدم - محمد راسم السميتة - عبدالله قطان - وهم من طرابلس ومحمد سعيد التينة - من اللاذقية. احمد نورالدين العباسي - من بيسان.

عبدالرحمن النحوي - من صنف.

مصطفى جيل خضر - من جبلة.

(٥) الاتحاد العثماني، العدد ١٥١١، في ٢٦ أيلول ١٩١٣، ولم توضح الصحيفة اسماء المقبولين.

وخلال أربعين سنة من عمر مدرسة الرشدية (١٨٧٣ - ١٩١٤)، خرّجت أفواجا عدة من أبناء صيدا وجوارها، وازداد عدد طلابها ومعلميها، إذ بينا افتتحت سنتها الأولى بالتدريس بتسعة عشر طالبا^(١)، إذ بهم يصلون الى المئة عند قيام الحرب العالمية الأولى^(٢).

كان المتخرج من المدارس السلطانية يحصل على شهادة « ملازمت رؤوس » في الآداب أو العلوم، أما المعلمون في المدارس الرشدية فكان عليهم أن يحملوا شهادات دور المعلمين الرشدية. وكان على معلمي المكاتب السلطانية والاعدادية أن يحملوا شهادات أعلى^(٣)، وكان المعلم الأكثر خبرة أو الأعلى شهادة يصبح « معلماً أول »، والأقل خبرة « معلماً ثانياً »^(٤). وكان راتب المعلم الأول في الرشدية لسنة ١٩٠٩ مثلاً ٨٠٠ قرش شهرياً وللمعلم الثاني ٦٠٠ قرش، أما المعلم الذي يتعاقد معه على تعليم مادة معينة، لساعات محددة، فكان يدعى « معلماً سيّاراً » إذ لا يتقاضى أكثر من ٢٠٠ قرش شهرياً^(٥).

وكانت المكاتب الرشدية تفتح عموماً الساعة الثانية والنصف صباحاً^(٦) في أيام الصيف، وفي الثالثة تبتدئ الدروس وتنصرف في التاسعة. أما في الشتاء فتفتح في الثالثة والنصف صباحاً، وتبتدئ الدروس في الرابعة وتنصرف في العاشرة، وخلال نصف الساعة بين فتح المكاتب (المدارس) وبدء الدروس،

(١) حولية الدولة العثمانية، دفعة ٢٩، سنة ١٢٩٢ (١٨٧٥).

(٢) فيما يلي احصائية لبعض السنوات تظهر تطور عدد طلابها:

سنة ١٨٧٤ = ١٩ طالباً سنة ١٨٨٣ = ٥٤ طالباً سنة ١٩١٢ = ٩٢ طالباً.

سنة ١٨٧٥ = ٦٥ طالباً سنة ١٨٨٨ = ٨٥ طالباً

سنة ١٨٧٨ = ٧٧ طالباً سنة ١٨٩٩ = ٤١ طالباً

منقولة عن حوليات الدولة العثمانية، وولاية سوريا، ونظارة المعارف العمومية وكذلك عن احد

عارف الزين، ص ١٢٢، ثمرات الفنون، المجلد ١٦٧ في ١١ تموز ١٨٨٧.

(٣) اسد رستم، لبنان في عهد المتصرفية، ص ١٤٣.

(٤) النظام الداخلي لعموم المكاتب الرشدية، الدستور، ج ٢، ص ٢١٦، المادة ١٥.

(٥) الاقبال، المجلد ٣١٧، في ٤ تشرين الاول ١٩٠٩.

(٦) التوقيت العربي وبمعدل الثامنة والنصف صباحاً.

ينصرف التلامذة الى تحضير دروسهم اليومية.^(١)

وكانت المدرسة الرشدية في صيدا قد بدأت عملها في بناية مستأجرة في داخل صيدا، فوق مركز الجمرك، ثم نقلت الى سرايا سليمان باشا المعروفة بالحنسخانه أمام الجامع العمري الكبير، بعد ترميمها^(٢)، وقد جرى اصلاحها عدة مرات بعد ذلك، ففي سنة ١٩٠٣ أنفقت البلدية عليها أربعة آلاف قرش^(٣). كما أعادت اصلاحها وترميمها في سنة ١٩٠٩^(٤).

وكان قانون المعارف العمومية الصادر سنة ١٨٦٩، قد أقر في بابه الثاني، انشاء مجلس للمعارف في اسطنبول. تقام له فروع في الولايات برئاسة مدير ومعاونة عضوين احدهما مسلم والآخر غير مسلم، ومن اعضاء يتراوح عددهم بين ٤ - ١٠. ويضم كذلك كاتباً وحاسباً وأمين صندوق^(٥) لكن ذلك ظل حبراً على ورق حتى سنة ١٨٨٢ عندما صدر قانون مجلس المعارف^(٦).

(١) النظام الداخلي لميوس المكاتب الرشدية في ٢٥ جادي الأخرى ١٢٨٧هـ. (١٨٧٠)، المادة ٣١، الدستور، ج ٢، ص ٢١٨.

(٢) ثمرات الفنون، العدد ١٦٧، في ١٦ تموز ١٨٧٨.

(٣) الاقبال، العدد ٦٩، في ٧ كانون الاول ١٩٠٣.

(٤) الاقبال، العدد ٣١٧ في تشرين الاول ١٩٠٩، وقد اغلقت الرشدية في نهاية العهد العثماني، ثم اعيد افتتاحها في زمن الانتداب الفرنسي، وهي تدعى اليوم مدرسة صيدا المتوسطة الرسمية للصبيان.

(٥) اسد رستم: لبنان في عهد المتصرفية، ص ١٤٢.

(٦) قضت المادة الاولى بتشكيل مجلس للمعارف في مركز كل ولاية، يرئسه مدير المعارف فيها ويشرف عليه الوالي. وأوضحت المادة الثانية ان يكون الاعضاء من ٤ - ١٠ ومن الجنسية العثمانية. والمادتان السابعة والثامنة يثبتان اختصاصاته في انها النظر في جداول الدروس المقررة وتعديلها، وفي ايام العطلة، والعمل على فتح مدارس اسلامية في المدن والقرى وانشاء دار للمعلمين، والأشراف على المكتبات والمدارس والمطابع، وما يماثلها من الأمور الفكرية والثقافية، والعمل على اجراء الاصلاحات اللازمة للمدارس. وحسب المادة ١٦ يعين المعلمين وينقلهم ويثبتهم ويعاقبهم ويجري الامتحانات بإشرافه ويمنح الشهادات.

كما فرضت المادة ١٩ اجراء امتحانات في آخر كل سنة في كافة المدارس العمومية الرسمية بإشراف المجلس، راجع ثمرات الفنون. الاعداد ١٠٢ و ٤٠٣ و ٤٠٤ و ٤٠٥ في ١٣ و ٣٠ و ٢٧ تشرين ثاني ١٨٨٢.

ولم يكن تشكيل مجلس المعارف هدفا تعليميا اصلاحيا مجرد ذاته، بل أدى الى إلغاء جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية في بيروت وصيدا وإلحاق جميع مؤسساتها ومدارسها بمجلس المعارف الجديد، الذي صار مسؤولا مباشرة عن المدارس الرسمية والخاصة (الاسلامية)، وتشكلت أول شعبة مجلس معارف في صيدا من^(١): محمد كامل المغربي رئيسا، ومن ابراهيم القطب - علي البزري - عبدالسلام زنتوت - عثمان البزري - محمد زنتوت - محي الدين الجوهري - حسين الجوهري - عبدالله لطفي - عمر نحولي - محمد النعماني - محمد أبو ظهر - عبداللطيف لطفي - أعضاء^(٢).

بالغاء جمعية المقاصد الاسلامية، بعد انشاء مجلس المعارف، أصبح التعليم الرسمي والاسلامي في صيدا بمعهد هذا المجلس الذي سعى اعضاؤه الى تأدية المهام التي أوكلها إليهم القانون. واستمرت بذلك النهضة التعليمية حتى مطلع القرن العشرين.

ففي سنة ١٨٨٩ أقيمت مدرسة للذكور في منطقة الشمعون، وأخرى للإناث وتعين للأولى معلمان، وللثانية معلمتان لمباشرة التدريس بها. كما أقيمت داخل حديقة شعبة المعارف مدرسة أخرى من خمس غرف واسعة وتحيط بها، كما في المدرستين السابقتي الذكر، البساتين الجميلة، وقد بذل الهمة في انشاء تلك المدارس، قائمقام صيدا آنذاك رضا بك الصلح^(٣) لكن افتتاحها تأجل حتى سنة ١٩٠٠ بحضور جميل أفندي القائمقام (بالوكالة) وقاضي الشرع أيضاً^(٤).

(١) اما مجلس معارف بيروت فقد تشكل من: عبدالله جال الدين (قاضي بيروت) للرئاسة، ومحي الدين حمادة للرئاسة الثانية، وعضوية عبدالقادر الدنا - الشيخ سعيد الجندي - عبدالقادر قباني - محمد ييهم - مصباح محرم - محمود رمضان - رشيد الفاخوري - الشيخ محمد طيارة الحاج محمد المغربي راجع ثمرات الفنون، العدد ٤٠٤، في ٢٧ تشرين ثاني ١٨٨٢.

(٢) حولية ولاية سورية، دفعة ١٥ لسنة ١٣٠٠ هـ.

(٣) لسان الحال، العدد ٣٢١٦، في ١٣ أيلول ١٨٩٩.

(٤) ثمرات الفنون، العدد ١٢٩٨ في ١٠ أيلول ١٩٠٠.

وفي السنة ١٩٠١ أوقف محمد كامل المغربي (الرئيس السابق لجمعية المقاصد) المدرسة الابتدائية الخيرية، بجانب الجامع العمري، والمدرسة الحميدية، قرب مقام النبي شمعون المشتملة على أربع غرف وبئر ماء وحديقة، على مصالح ومعارف صيدا، مشروطا ان يعلم بها القرآن الكريم وأحكام تجويده، ومبادئ الدين ومقدمات العلوم العقلية، والنقلية، والخطية والحسابية ... وما يناسب الشأن والزمان بشرط أن لا يتغير تعليم القرآن وأحكام تجويده كيفما دار الزمان»^(١).

وفي احتفال أقيم في ٢٠ آب من سنة ١٩٠١ في ذكرى صعود عبد الحميد الثاني الى العرش افتتح القائم عبد اللطيف أفندي مدرسة علمية لتعليم الذكور والإناث، في موقع لطيف على شاطئ البحر^(٢).

وفي السنة نفسها، بحث القائمان وأعضاء شعبة المعارف في فتح مدرسة جديدة لتعليم الأحداث، ف تبرع الحاج محمود اسماعيل البعاصيري بإقراض شعبة المعارف خمسة آلاف قرش، ووقف دارا يملكها في محلة الدكرمان تضم عدة غرف وفسحة بينها، وأمامها ساحة، لتكون مدرسة لتعليم أبناء الفقراء من المسلمين. وقد تسلمت الشعبة الدار، وافتتحت فيها المدرسة، وعين محمود حلمي أفندي معلما فيها^(٣).

واستمرت النهضة العلمية، على المستوى الرسمي، بإنشاء المزيد من المدارس في مختلف فروع التعليم النظري والمهني، ففي سنة ١٩٠٣ مثلا أقيمت مدرسة لحياكة المنسوجات الوطنية الصّابات (ديما وحرير) وتألفت من غرفتين تضمان خمسة أنوال، وكان محلها في صيدا القديمة، في مكان مشرف على البحر جنوب الجامع العمري الكبير^(٤).

(١) المحكمة الشرعية في صيدا سجل رقم ١٣، ص ٨٠، ونومرو ١٤٧٤، في ١١ جمادي الثاني ١٣١٩ هـ (١٩٠١).

(٢) ثمرات الفنون، العدد ١٣٤٦ في ٩ أيلول ١٩٠١.

(٣) ثمرات الفنون، العدد ١٣٥٣، في ٨٢ تشرين الاول ١٩٠١.

(٤) الاقبال، العدد ٥٥ في ٢٦ تشرين الاول ١٩٠٣.

وجرى افتتاحها في ذكرى مولد السلطان عبدالحميد الثاني، بحضور القائقام وأعضاء شعبة المعارف الذين بذلوا الحمة في اقامتها، وألقى باسمهم محمد نجيب بكار كلمة، ثم تفقد الحضور المدرسة، وخلال ذلك أنجز طلابها حياكة قطعة من قماش نالت اعجاب الحاضرين. وكان محمد قواد القوام أحد معلميها. وقرر القائقام تشييد عشر محلات بجوار دار الحكومة، لينفق ايجارها السنوي على مصروفات مدرسة المنسوجات المذكورة، وتوسيع اعمالها في المستقبل^(١).

وبالنسبة لتعليم البنات فقد بدأ كذلك في وقت مبكر، ولم يتأخر كثيراً عن تعليم الذكور في المدارس الرسمية. وفي احتفال جرى في مدرسة الذكور في صيدا سنة ١٨٨٥، طالب الخطباء برصد مبالغ من خزينة الدولة لفتح مدارس للإناث، للحاجة الشديدة الى تعليمهن وتهذيبهن^(٢). وأخذت مدارس الإناث الرسمية بعد ذلك بالانتشار. وكُنَّ يتلقين الدروس نفسها التي يتلقاها الذكور عدا الرياضة، فقد كانت للبنات، بدلا منها، الأشغال اليدوية. وفي سنة ١٩٠١ عندما زار والي بيروت صيدا تفقد مدارسها وشاهد الأشغال اليدوية في مدرسة البنات^(٣).

وفي السنة ١٩٠٣ افتتحت شعبة المعارف مدرسة خياطة للإناث مع مشغل للتدريب، كان يجري التدريب والتدريس فيه على الطرق العصرية^(٤). وعندما زار مصطفى الغلاييني، أحد أدباء بيروت، مدارس صيدا سنة ١٩٠٥، ترك لنا وصفا جيلا لوضع مدارس الإناث في صيدا في تلك الفترة «... دخلت المدرسة أثناء اجراء الامتحان للتلميذات بين السادسة والسابعة... فسمعت منهن قراءة القرآن مجوَّدة مع حفظ بعض السور عن ظهر قلب... ثم... أحضرت بنت كبيرة سادلة النقاب على وجهها، وهي على ما أظن لا تتجاوز الثانية عشرة، فقرأت من القرآن الكريم في مواضع شتى، فإذا

(١) ثمرات الفنون، العدد ١٤٥٦ في تشرين الثاني ١٩٠٣.

(٢) ثمرات الفنون، العدد ٥٣٥ في ٣ حزيران ١٨٨٥.

(٣) ثمرات الفنون، العدد ١٣٥٣ في ٨٢ تشرين الاول ١٩٠١.

(٤) الاقبال، العدد ٥٥ في ٢٦ تشرين الاول ١٩٠٣.

هي متقنة التجويد علماً وعملاً... وفي الجملة فالتعليم الأساسي والابتدائي متقن في مدارس صيدا...»^(١).

ج - المدارس الخاصة:

عرّف قانون المعارف المدارس الخاصة بأنها « المكاتب التي تحدث في بعض المحلات، وتؤسس من قبل جمعيات أو أفراد سواء أكان هؤلاء من رعايا الدولة أو من الأجانب »، وعلى هذا فإن المدارس التي قامت في بلاد الشام، خصوصاً في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، تنوّعت ما بين أهلية (أنشأها مواطنون عرب مسلمون أو مسيحيون) وأجنبية (أقامتها الإرساليات الأجنبية المختلفة التي قدمت للتبشير في هذه البلاد). وكان لكل من هذين النوعين من المدارس ظروف قيامها، وأسلوب تدريسها، وبالتالي دورها الذي لعبته في النهضة التعليمية في بلاد الشام. وسنبحث في كل قسم منها على حدة، ونتابع تطوره وندرس الدور الذي أدّاه فيها بخص الحياة التربوية في صيدا.

١ - المدارس الأهلية

ومنشأ هذه المدارس سياسة الدولة العثمانية نفسها التي اعتبرت كل طائفة من الطوائف الدينية والمذهبية من غير المسلمين « ملّة » قائمة بنفسها، فمنحتها امتيازات خاصة، كان من بينها حق تأسيس مدارسها الخاصة بها، وإدارتها دون تدخل من الدولة. فكان لكل مدرسة مناهجها الخاصة، وحتى لغة التعليم التي تستخدمها.^(٢) وكانت جميع المؤسسات التعليمية الأهلية التي نشأت حتى مطلع النصف الثاني من القرن التاسع عشر مؤسسات دينية، تتبع منهجاً في التعليم، يخص الطائفة التي تنتمي إليها، بحيث اقتصرت مدارس المسيحيين، على تعليم الأطفال قراءة الكتاب المقدس ومبادئ الحساب وشيء من الكتابة بينما اهتمت المؤسسات التعليمية الإسلامية بالقرآن الكريم وشيء من الحساب

(١) مصطفى الفلايبي: التعليم الأساسي والابتدائي، الاقبال، العدد ١٠٨، ٣١، تموز ١٩٥٥.

(٢) جمانة الابوي: جملة المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت، الطروحة ماجستر في التربية،

الجامعة الأميركية في بيروت، ١٩٦٦، ص ١٦.

ومبادئ العربية. وحق التعليم في مراحلها العليا اتصف بالصفة التقليدية، فكانت أكثر المؤسسات التربوية المسيحية تنحصر في الأديرة أو ترتبط بها مشكلة ما يسمى بمدارس اللاهوت Seminaries، حيث كان يتعلم الطلاب اللغتين العربية والسريانية وعلم الآلهيات والفلسفة.

ونتيجة لصدور قانون تطوير التعليم سنة ١٨٤٦، وانتشار المدارس الأجنبية، فقد أخذت المدارس الأهلية المسيحية، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، تتحول من مدارس دينية، الى مدارس تطبق مناهج عصرية، وتدرس، الى جانب العلوم الدينية، علوما أخرى،^(١) وكما كانت الرسائل البروتستانتية الأميركية أسبق من غيرها في انشاء المدارس الحديثة في هذه البلاد، كذلك كان سكان البلاد البروتستانت اسبق الطوائف في تحويل مدارسهم الدينية الى مدارس علمانية حديثة.^(٢)

كانت «المدرسة الوطنية» أقدم المدارس الأهلية في صيدا، اذ انشأها الخوري الياس عطية وكيل النائب الاسقفي لطائفة الموارنة، بحدود سنة ١٨٧٨، ولما زار مدحت باشا صيدا بعد تعيينه واليا على سوريا، تفقد المدرسة الوطنية وأعجب بتلامذتها. وقد ساهمت هذه المدرسة في نهضة التربية في صيدا، وشارك تلامذتها في المناسبات الدينية والأعياد الوطنية المختلفة التي كانت تقام في صيدا^(٣). وبلغ عدد تلاميذها سنة ١٩١٢ من ٤٠ - ٥٠ تلميذا يعلمهم أربعة معلمين، وكانت تدرّس اللغتين العربية والفرنسية، كما كان

(١) اقدم مدارس بلاد الشام الدينية مدرسة دير سيدة حوفا انشأها البطريرك يوحنا مخلوف ١٦٣٤، ومدرسة عينطورة انشأها الأب بطرس مبارك ١٧٣٤، ومدرسة زغرتا انشأها المطران جرجس بنيامين ١٧٣٥، ومدرسة عين ورقة انشأها البطريرك يوسف اسطفان ١٧٨٩، ومدرسة عين تراز سنة ١٨١١، ومدرسة دير الخالص ١٨٢٨. ولزيادة الاطلاع راجع لبنان: مباحث علمية واجتماعية، ج ٢، ص ٥٦٧ - ٥٧٣. ومجلة المقتطف، مجلد ٧، ج ٣، سنة ١٨٨٣، ص ٣٩٠.

(٢) احمد سراج الدين، الابحاث، مجلد ٤، ج ٣، ايلول ١٩٥١، ص ٣٣٤.

(٣) ثمرات الفنون، العدد ٢٨٨، في ٥ غوز ١٨٠٠.

صحي أباطة يدرس التركية فيها من قبل الحكومة^(١). وقد أغلقت فترة ثم أعيد افتتاحها^(٢).

والمدرسة الأسقفية للروم الكاثوليك، وقد تأسست سنة ١٨٨٥ بإدارة الخوري يوسف الزّهار. ثم توقفت عن العمل خلال الحرب العالمية الأولى ثم أعيد تأسيسها سنة ١٩٣٦ ولا تزال قائمة حتى اليوم.

أما المدارس الأهلية التابعة للطائفة الاسلامية فقد تمثلت اساسا بمدارس جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية التي تأسست سنة ١٨٧٩^(٣). وكانت مقاصد بيروت قد سبقت سميّتها مقاصد صيدا بما يقرب من عام^(٤).

(١) احد عارف الزين، ص ١١٦.

(٢) اعيد افتتاحها سنة ١٩٦٣ باسم مدرسة مار الياس ولا تزال قائمة حتى اليوم.

(٣) كانت اول مدرسة حديثة للطائفة الاسلامية في بيروت هي التي انشاها حسن البنا حوالي سنة ١٨٦٣، وقد ساهم الرشديّة قبل ان تنشئ الدولة مدارسها المعروفة بهذا الاسم. وفي سنة ١٨٩٥ افتتح الشيخ احمد عباس الازهري مدرسته التي سماها «المدرسة العثمانية»، وقد دعيت فيما بعد «بالكلية العلمية الاسلامية»، واستمرت زهاء عشرين سنة، وكان مركزها في بيروت. وفيما بين الفترتين، أي ١٨٦٤ - ١٨٩٥، كان قد تم انشاء جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية في بيروت راجع نقولا زيادة، ص ١١٧.

(٤) ظل تأسيس جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية في بيروت ينسب خطأ الى مدحت باشا حتى الآن، لكن تحليل الوقائع التاريخية آنذاك، ونقدها، يجعلنا نتيقن ان لا دخل لمدحت باشا في تأسيس جمعية المقاصد الخيرية في بيروت، لأنها قامت قبل مجيئه الى سوريا واليا، لكن هذا لا يمنع ان مدحت باشا احتضن هذه الجمعية ومؤسساتها، وقدم لها كل مساعدة طيلة فترة بقائه واليا على هذه البلاد.

فقد ذكر عبدالقادر القباقي انه انبثق عن الاجتماع الذي عقد في منزله في بيروت ليلة غرة شبّان سنة ١٢٩٥ (١٨٧٨)، قيام جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية من اجل انشاء المدارس لتعليم ابناء الطائفة الاسلامية، وأن المجتمعين تبرعوا بما جادت به نفوسهم لهذا المشروع، وأن جماعة من الصيداويين شاركوا في الاجتماع وتعهدوا بتقديم المبالغ التالية شهريا:

صادق بك قائمقام صيدا سابقا	٩ قروش وباراة واحدة
مصطفى عزت قاضي صيدا	١٩ قرشا و ١٠ بارات
محمد البزري مفتي صيدا	٣٨ قرشا و ٢٠ باراة
عمود مدير جارك صيدا	٣٨ قرشا فقط
=	

وينسب تأسيس جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في صيدا إلى مدحت باشا^(١)، كما ينسبه البعض إلى سعي جمعية المقاصد في بيروت لتأسيس فرع لها

= الحاج محمود البزري ٩ قروش وبارة واحدة

عبد السلام المجدوب ٤٥ قرشا و ٢٠ بارة

الحاج عبي الدين الجوهرى ٢٢ قرشا و ٢٠ بارة

راجع: عبد القادر القباني:

الفجر الصادق لجمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت، اعيال السنة الاولى، بيروت ١٢٩٧ هـ (١٨٧٩).

وتذكر ثمرات الفنون في عددها ١٩٩، في ١٤ تشرين الثاني ١٨٧٨ نبأ تعيين مدحت باشا واليا على سوريا. وفي عددها رقم ٢٠٢ في ٢٥ تشرين الثاني ١٨٧٨ تذكر عبي مدحت باشا الى بيروت، ليسافر منها الى دمشق لتولي منصبه والياً على سوريا. ومن ضمن وصفها للاحتفال بقدومه تذكر ان تلاميذ جمعية المقاصد اصطفوا لاستقباله، وأقاموا قوساً من الازهار باسم مدرستهم ترحيباً به.

كما أورد سليم سلام في مذكراته أن مدحت باشا جاء الى سوريا، وقد مضت بضعة أشهر على تأسيس جمعية المقاصد الخيرية في بيروت. وإن كان قد ذكر خطأ أنها تأسست سنة ١٢٩٦ هـ. راجع: سليم علي سلام: مذكرات، ورقة ٥.

(١) ذكر رشاد دارغوث ان مدحت باشا بعد تعيينه والياً على سوريا، جاء صيدا زائراً، فاستقبله قاضياها كامل المغربي دارغوث في منزل صفيه الحاج محمود المجدوب، وعرضت تثيلية ألفها احد أبناء عائلة القصار، تنتقد الأوضاع الفاسدة، واستفسر مدحت باشا عن وضع التعليم في صيدا، ولما عرف انه لا يوجد فيها مدرسة اهلية لأبناء الطائفة الإسلامية أمر بتأسيس جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية فيها: وانتخب الشيخ كامل المغربي رئيساً لها. وباشرت جمع التبرعات، وتمكنت من فتح مدرسة مجانية للصبيان واخرى للبنات، ولما عجزت عن إيجاد مطعة واحدة في صيدا تبرعت ابنة الشيخ كامل بالتدريس بالمدرسة راجع: الشيخ الرئيس مؤسس جمعية المقاصد الخيرية الأولى.

مجلة العربي، العدد ٣٧، في كانون الأول ١٩٦١.

كما ورد في تقرير القائم بالاعمال البريطاني في بيروت ARDEN BEAMAN ان جمعية المقاصد الخيرية في صيدا هي فرع من الجمعية الخيرية التي شكلت في دمشق حوالي سنة ١٨٧٩، وان فرع صيدا اصبح أكبر الفروع في بلاد الشام بعد دمشق، ولعل القائم بالأعمال يقصد الجمعية الخيرية التي أسسها بدمشق العلامة علاء الدين عابدين، وفي الحقيقة لم يكن يوجد أي ارتباط بين جمعية صيدا وجمعية دمشق.

مكتب السجلات العامة ف. و ١٩٥ / ١٣٠٦ التقرير المذكور ملحق برسالة التفصل =

في صيدا وفي غيرها من مدن بلاد الشام^(١). كما يقول فريق ثالث ان تأسيس جمعية المقاصد كان بمبادرة طيبة من بعض شبابها، بعد ان حث أحدهم، وهو محمود منح الصلح، اصدقاءه على إقامة جمعية مماثلة لتلك التي قامت في بيروت، خصوصاً وأنه كان على صلة قوية ببعض الشباب المتنور في بيروت^(٢).

وفي الواقع يصعب تأكيد احدى الروايات على غيرها، لكن يمكن القول، ليس تليقاً للواقع، أو توفيقاً بين الروايات بل استناداً إلى تسلسل الوقائع المنطقي، ان جمعية المقاصد في بيروت حثت على إقامة فرع في صيدا، وإن بعض الشباب الصيداوي أخذ زمام المبادرة لفتح فرع في صيدا، وصادف مجيء مدحت باشا بزيارة إلى صيدا، فساهم في إخراج المشروع إلى حيز التنفيذ.

= البريطاني في بيروت DICKSON للسفير باسطيني، برقم ٦١ في ١٧ تشرين ثاني ١٨٨٠.
كما ورد في كتاب ولاية بيروت ان جمعية المقاصد الخيرية في صيدا أسسها مدحت باشا سنة ١٢٩٦هـ. راجع التميمي وبهجت، ص ١٦٠.

كما انه في حفلة التخريج السنوية لجمعية المقاصد الإسلامية في صيدا لسنة ١٩٠٩، التي خطب الحفلة الشيخ محمد البابا قصيدة، أشار فيها صراحة إلى فضل مدحت باشا في تأسيس الجمعية وما قاله:

أينرب عنكم ان مدحت منشي مكاتب صيدا وهو فضل يقدر
ايغني عليكم فضله وبلوغها إلى حذها المطلوب تزهو وتزهر
فمدحت باشا منشي الخير عندنا وله أثر في لوحة الدهر يذكره

راجع الاتحاد العثماني العدد ١٢٧، في شباط ١٩٠٩.

(١) كانت جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في صيدا أول جمعية خيرية إسلامية تأسست بعد جمعية مقاصد بيروت. وفي جلسة ١٠ شوال ١٢٩٦ لجمعية مقاصد بيروت ورد «... حيث انه قد وجد الآن في مدينة صيدا شعبة لهذه الجمعية، وأمول أيضاً إيجاد شعب لها في محلات أخرى. وقانون هذه الجمعية الداخلي غير معين علاقة الجمعية مع هكذا شعب وعلاقاتها معها، ووجد من اللازم تنظيم فقرات، أو ذيل لذلك القانون يعين به تلك العلاقات والمناسبات، يعرض غيب تنظيمه على الجمعية فتتقحه، وترسل صوراً عنه إلى شعبه صيدا أو إلى جمعية اللاذقية ان قبلت ان تكون شعبة، ويطلب منها ابداء ملاحظاتها عليه، بواسطة وكلاء مفوضين لهذه الجمعية بيدون تلك الملاحظات...»

(٢) أوراق لبنانية: من هم مؤسسو جمعية المقاصد الخيرية في صيدا؟ مجلد سنة ١٩٥٥، ص ١٨٦ و

١٨٧.

تأسست جمعية مقاصد صيدا في ٢٦ ربيع الثاني ١٢٩٦ هـ. الموافق ٦ نيسان ١٢٩٥ مارتية (١٨٧٩)، وورد في منشور التأسيس:
«انه بعد الاتكال على الله سبحانه وتعالى، والاستمداد من فيوض روحانية صاحب الرسالة العظمى عليه الصلاة والسلام، قد تعاهد واتفق كل من الموقعين فيه، على ان يكون كل منهم عضواً واحداً متناصرين لمنافع الوطن العمومي، والذبّ عن مضاربه بكل اقدام بما في الوسع والامكان، والله المستعان، حررت وثيقة المعاهدة بيننا».

وكان الرئيس محمد فريد خورشيد، ونائبه محمد كامل المغربي، والأعضاء عبد الله لطفي - محمد محي الدين حشيشو - ناصيف الأسعد - محمود منح الصلح - عمر نحولي - محمد منيب الصلح - عبد السلام زنتوت - محمد عبد الهادي زنتوت - محمد النعماني - محي الدين الجوهري - حسن الجوهري - عبد اللطيف لطفي - حسين الجوهري^(١).

بدأت الجمعية عملها باستملاك قطعة أرض على شاطئ البحر داخل صيدا القديمة، حيث باشرت البناء فيها، وقد سمحت لها السلطات باستخدام حجارة القلعة البرية جنوبي صيدا، كما سمحت لها ببيع الحجارة التي لم تستخدمها في البناء، مما جعلها تشيد بناءها بأقل من نصف التكاليف العادية. إذ ان البناء قبل ان يكتمل، عرض بعض الممولين الصيداويين شراءه بمبلغ الفين وخمسمائة ليرة، علماً بأن تكاليفه لم تتجاوز خمسمائة ليرة، لكن الجمعية رفضت العرض.

ان تشكيل الجمعية من مسلمين فقط^(٢)، ومساعدة مدحت باشا لها، وتساهل السلطات معها، قد احدث شكوكاً لدى البعض بأنها تخفي اهدافاً غير

(١) هكذا ذكرها احد عارف الزين في تاريخ صيدا، ص ١١٠، ومجلة أوراق لبنانية مجلد سنة ١٩٥٥، ص ١٨٧ نقلاً عن المنشور الأصلي بحوزة بهيج الجوهري. أما رشاد دارغوث فقد ذكر المؤسسين كالتالي: الشيخ كامل المغربي، محمد صالح لطفي، عثمان البزري، عبد السلام زنتوت، وعبد اللطيف لطفي، عمر النعماني، حسين الجوهري، اساميل التقيب، الحاج محمود المجدوب، راجع مجلة المري، العدد ٣٧، في كانون أول ١٩٦١.

(٢) كان جميع الأعضاء المؤسسين من المسلمين السنة، وبينهم شيعي واحد هو ناصيف الاسعد.

بدأت جمعية المقاصد عملها في صيدا بفتح مدرسة ابتدائية للذكور في نفس سنة تأسيسها (١٨٧٩) وقد ضمت اربعة معلمين والتحق بها ١٥٠ تلميذاً ولما تجمع لديها بعض المال، أخذت تشيد في أرض مهملة ملاصقة لمقبرة صيدا، ابنية تستفيد من ريع تأجيرها في زيادة دخل الجمعية، وقد اعترض بعض الأهالي على ذلك وشكوا للمتصرف، فحضر إلى صيدا، وبمعاونة القائمقام احسان بك انهى المشكلة بالسماح للجمعية بالبناء في الأرض، خصوصاً وإنها كانت تستعمل مربوطاً للدواب منذ أوائل القرن التاسع عشر. ولما كان المتصرف تركيا لا يعرف العربية، فقد ترجم بينه وبين الأهالي سعيد الجندي مدعي عام لواء بيروت^(٢).

وفي سنة ١٨٨٠ منح مدحت باشا الجمعية أرضاً أميرية شادت عليها مدرسة جديدة للذكور، وفي صيف تلك السنة، احتفلت الجمعية بافتتاح المدرسة، بحضور علي نائلي قاضي صيدا (والقائمقام بالوكالة) وموظفي الحكومة، ووجوه البلدة وأهلها، وسلم المدرسة الرشدية وتلاميذها. وخطب في الاحتفال يونس البزري، وأعلن الحاج محمود المهدوب تبرعه من ماله الخاص لبناء مدرسة للإناث في نفس المكان.

كما خطب حسين الجوهري، عضو المقاصد، عن العلم والمعارف وأهميتها وعن وجوب الاتحاد لأن به النجاح، واثنى على كرم الحاج محمود المهدوب، وختمه بالدعاء للسلطان وللوالي بالتوفيق، ثم خطب مراد عازوري طبيب بلدية صيدا. وألقى بعض التلاميذ خطاباً شكروا فيها الحاضرين، كما شكر محمد الأسير باسم مقاصد بيروت، جمعية صيدا، ثم تكلم كامل المغربي رئيس شعبة المقاصد مظهراً سروره من الاجتماع من أجل الخير. وبعد ذلك هتف التلاميذ بحياة السلطان ومدحت باشا. ثم طاف الجميع يتفرجون على المدرسة^(٣).

(١) مكتب السجلات العامة ف. و ١٩٥ / ١٣٠٦ من تقرير القائم بالأعمال البريطاني ARDEN BEAMAN سبقت الإشارة إليه.

(٢) ثمرات الفنون، العدد ٢٥٣، في ٣ تشرين الثاني ١٨٧٩.

(٣) ثمرات الفنون، العدد ٢٨٨، في ٥ تموز ١٨٨٠.

وقد تمكنت الجمعية من بناء ثمانية دكاكين وأربعة مخازن وخان، ومقهى
علوي (القهوة الخيرية)، في محلة الفاخورة القديمة، وكانت وارداتها منها ٣٧٠٠
قرش سنوياً^(١).

وفي مطلع القرن العشرين كان للجمعية أربعون عقاراً ما بين دكان وقهوة
(مقهى) ومطبعة وخان، بلغت وارداتها منها ٨٤٣٧٠ قرشاً سنة ١٩١٢^(٢).
كما كانت الجمعية تضمن المسلخ بقيمة ١١٩٠ قرش سنوياً، وكان هذا يزيد
من دخلها السنوي، بالإضافة إلى خمسة دكاكين في محلة الشهداء داخل صيدا
القديمة كانت تؤجرها وتستفيد من ريع إيجارها^(٣).

بلغ عدد مدارس الجمعية، في أوائل القرن العشرين، ست مدارس للأنثى
وللذكور. وكانت مدرستا الفيضية والخيرية للذكور في بناء جيد داخل صيدا
القديمة في محلة «ضهر المير» ومدرسة للأنثى في محلة الشارع داخل صيدا
القديمة أيضاً.

كما كانت لها مدرستان للأنثى وللذكور في محلة الشمعون بين البساتين
خارج صيدا. كذلك مدرسة للأنثى تدعى الحميدية في محلة القناية خارج
صيدا.

وبلغ عدد طلاب جمعية المقاصد في كافة مدارسها ٦١٨ تلميذاً، وعدد
التلميذات ٥٣٢ يقوم بتعليمهم ١٧ معلماً و١٨ معلمة. وكان مدير مدارس
الذكور سعيد سنو، كما كان كامل المغربي مفتشاً لمدارس الأنثى فيها.

وكانت تدرس القرآن الكريم وتجويده، والعلوم الدينية، والصرف والنحو
والاخلاق والحساب، وحسن الخط والإملاء، ومبادئ الجغرافيا والتاريخ، كما
كان صبحي اباطة يعلم التركية فيها، معيناً من طرف الحكومة، وكانت
الجمعية تهتم بالرياضة.

والبنات كن يتعلمن أيضاً الأشغال اليدوية والتطريز، وكانت السلطات

(١) احمد عارف الزين، ص ١١١.

(٢) التميمي وهجت، ص ١٦٠.

(٣) احمد عارف الزين، ص ١١٢ و ١١٣.

تعاذل شهادتها بالشهادة الابتدائية الرسمية، وأغلب الكتب التي كانت بين أيدي التلاميذ، ألفها أساتذة من المقاصد، وطبعت بمعرفة عبد الرحمن الأنصاري في صيدا.

يبدو أن إزدهار أعمال الجمعية، واتساع نشاطها، وتضخم ثروتها العقارية والنقدية، والدور المهم الذي أخذت تلعبه على صعيد الحياة الفكرية والتربوية في صيدا، قد أزعج السلطات، وجعلها تسارع إلى تطبيق قانون المعارف لسنة ١٨٦٩، بإصدار قرار بإنشاء مجلس المعارف سنة ١٨٨٢ الذي كان أول أعماله حلّ جمعية المقاصد الخيرية، في صيدا وبيروت، والحاق مؤسساتها تحت إدارته. وما يشير إلى نية السلطات في ضرب جمعية المقاصد، أن مدارسها كانت هي الوحيدة التي أصبحت تحت إشرافه، إلى جانب المدارس الرسمية طبعاً، أما المدارس الخاصة الأخرى فقد ظلت تعمل بحرية كالسابق^(١). فكان كل التغيير الذي حصل هو إلغاء جمعية المقاصد، ذاتها، وإحلال مجلس المعارف محلها لإدارة مدارسها. مما يثبت أن هدف السلطات كان إلغاء الجمعية فقط، إذ أن الجمعية كانت تتمتع في مدارسها منهاج وزارة المعارف نفسه في المواد التدريسية وساعات التدريس. كما كان مستواها هو الأرقى في كل أنحاء سوريا وليس في صيدا وحدها، بشهادة المعاصرين لتلك الفترة^(٢). وكل ما كانت تحتاج إليه آنذاك بعض التحديث لمنهجها، وزيادة مراحل التعليم في مدارسها، وهذه نواقص كانت تشارك مدارس الجمعية فيها، كثير من المدارس آنذاك.

عند إلغاء جمعية المقاصد وتحويل مؤسساتها ومدارسها إلى مجلس المعارف لإدارتها، دُعيت «جمعية المعارف الخيرية» ثم تحولت إلى «شعبة المعارف»، وظل الوضع كذلك حتى قيام الدستور سنة ١٩٠٨، عندما اتبحت الفرصة للناس ليرفعوا أصواتهم ضد المظالم، فكانت المطالبة عامة بعودة جمعية المقاصد كما كانت في السابق، فاستجابت السلطات، واعدت المؤسسات والأماكن إلى

(١) لتبرير إلغاء جمعية المقاصد، ادعت السلطات أن جمعية مقاصد بيروت كانت لها أهداف سياسية،

كما زعمت أنها ضبّطت من منزل سعيد طرياء، أحد أعضائها، سلاحاً كان قد هرب به بركبه.

راجع سليم علي سلام مذكرات، ورقة ٥.

(٢) أحمد عارف الزين، ص ١١٥.

جمعية المقاصد في كل من صيدا وبيروت^(١).

ولم يقف ضم مدارس جمعية المقاصد في صيدا إلى عهدة مجلس المعارف،
حائلاً دون استمرار تقدمها وازدياد نشاطها العلمي والثقافي وغيره. وذلك
راجع إلى ان اعضاءها ظلوا، بمعظمهم، مكوّنين من أعضاء جمعية المقاصد
انفسهم، كما ان الصيداويين استمروا في دعم تلك المؤسسة ومؤازرتها كما في
السابق^(٢). وكان الصيداويون يعبرون عن هذا الدعم، باستمرار الحاق ابنائهم
بمدارس الجمعية، ففي سنة ١٩٠٣ (أي بعد واحد وعشرين سنة من الغاء
الجمعية) بلغ عدد مدارس المقاصد (أو شعبة المعارف كما كانت تسمى) ثمانية،
أربعة منها للذكور وأربعة للإناث، تضم ١٤٠٠ تلميذاً وتلميذة^(٣). وفي السنة
١٩٠٤ حضر جمع غفير من الأهالي والموظفين الرسميين على رأسهم القائمقام،
حفل التخرج في الجمعية، وكان عدد الخريجين نيفاً وستين تلميذاً وتلميذة.
ووزعت الجوائز على المتفوقين، وكان من معلميها في تلك السنة محمد القوام
معلماً أول والشيخ بدوي والشيخ مصطفى معلماً ثانياً، بالإضافة إلى صبحي
أباظة لتعليم التركية.^(٤)

وفي السنة ١٩٠٧ جرى تخريج ١٤ من تلامذتها بحضور القائمقام ورئيسها
محمد بهاء الدين الزين وجمع من الصيداويين^(٥).

(١) لكن السلطات اعادت ضمها إلى مجلس المعارف العمومي عند نشوب الحرب سنة ١٩١٤ وظلت
في عهده حتى سنة ١٩١٨، عندما اعادت السلطات الفرنسية للجمعية املاكها ومدارسها.
راجع سليم علي ملام، ورقة ٠٦.

(٢) تألف اعضاء الجمعية سنة ١٨٨٢ من: محمد كامل المغربي رئيساً وابراهيم القطب، علي البزري،
عبد السلام زنتوت، عثمان البزري، محمد زنتوت، عي الدين الجوهري، حسين الجوهري، عبد
الله لطفي، عمر نحوي، محمد النمازي، محمد ابو ظهر، عبد اللطيف لطفي، اعضاء راجع حولية
ولاية سوريا لسنة ١٣٠٠هـ.

(٣) الاقبال، الممدد ٥٥ في ٢٦ تشرين الأول ١٩٠٣.

(٤) ثمرات الفنون، العدد ١٤٩٣ في ١٥ آب ١٩٠٤.

(٥) الاقبال، الممدد ٢٠٨، في ٥ آب ١٩٠٧.

تميز القرن التاسع عشر في بلاد الشام بنشاط الإرساليات التبشيرية المختلفة من كاثوليكية واثوذكسية وبروتستانتية، كانت تتبع دولا مختلفة أبرزها فرنسا والمملكة المتحدة، تليها ألمانيا وإيطاليا والنمسا وغيرها.

ومع ان ذوافع تلك الارساليات كانت التبشير الديني، الا ان وجودها وكثرتها من ثم، أدت إلى نتائج سياسية سلبية وأخرى تربوية إيجابية. فعلى الصعيد السياسي كانت طريقاً للتغلغل الأجنبي في الشرق العربي، اذ كانت كل ارسالية تسعى إلى بسط نفوذ الدولة التي تنتمي إليها^(١) وإلى بسط حمايتها على احدى الطوائف المسيحية التي تشكل جزءاً من سكان بلاد الشام.^(٢)

أما على الصعيد التربوي فقد حدث تطور ايجابي لمصلحة السكان، اذ أن الإرساليات المختلفة نهجت في منافستها للإرساليات الأخرى، إلى فتح المدارس وإقامة المعاهد العلمية لجلب ثقة السكان ورضاهم، وتحقيق مكاسب لها على حساب غيرها من الارساليات. وهذه المدارس والمعاهد أحدثت أثراً مهماً في الحياة العلمية والفكرية في البلاد، بما نشرته من معارف وعلوم جديدة، وبما أقامته من مؤسسات تعليمية حديثة ساهمت في نشر العلم والثقافة في بلاد الشام، كما كانت دافعاً للسكان انفسهم ليقوموا بمؤسسات تربوية مثلها.^(٣)

وكانت الارسالية البروتستانتية قد ظهرت في بلاد الشام لأول مرة في مطلع القرن التاسع عشر^(٤). وسرعان ما ثبت البروتستانت اقدمهم في هذه البلاد بما أقاموه من مدارس ومستشفيات وحتى مطابع وجامعات، واليهم يرجع الفضل

(١) لوتسكي، ص ١٥٧.

(٢) ز. ل. ليفين، ص ٤٨.

(٣) احمد سراج الدين، ص ٣٢٩.

(٤) اول مرسلين اميركيين وصلوا إلى هذه البلاد كانا بليني فاك PLINY FISK ولبني بارسونز LEVI PARSONS وذلك سنة ١٨٢٠. انظر:

A. L. TIBAWI, op. cit; p. 302

نود ان نشير إلى وجود مؤسسات بروتستانتية بريطانية في هذه البلاد لكن عدم وجود مثل تلك المؤسسات في صيدا، يجعلنا نكتفي بهذه الاشارة دون تفاصيل.

في نشر الكتب المطبوعة الحديثة، وهم أول من افتتح مدرسة لتعليم البنات في بلاد الشام^(١). كما كان لما انشاؤه من مدارس ومعاهد عليا، حافزاً لغيرهم، خصوصاً اليسوعيين، لإنشاء مثله^(٢) وكان قان ديك VAN DYCK أول من جاء صيدا من المرسلين الاميركيين وذلك سنة ١٨٥١، حيث نقل إليها من عبيه^(٣)، ورافقه في مهمته في صيدا ولیم طمس، وسرعان ما تحول بيتها قرب السور، إلى مكان يعج بالطلاب الذين كانوا يتعلمون مساء كل يوم الكتاب المقدس. وتم بعد ذلك بناء أول كنيسة انجيلية في صيدا سنة ١٨٥٦^(٤).

وفي سنة ١٨٦٢ أقيمت أول مدرسة للبنات في صيدا^(٥)، وقد جعلها الأميركيون نهائية بإدارة الأنسة ماسون Miss MASON^(٦). وكانت في بناية مستأجرة ملك جبران اييلا، ووضعت الإرسالية التلميذات القادمات

(١) اول مدرسة اميركية في الشرق افتتحها اسحق بيرد ISSAC BIRD وستر غودل W. GOODELL بيروت في نيسان ١٨٢٤ في منزلها حيث بدأت بثة تلاميذ. انظر: RAO HUMPHERYS LINDSAY: Nineteenth century american schools in levant, University of Michigan, 1965, p. 89.

أما مدرسة البنات فقد انشاها عالي سميت ELI SMITH وزوجته في بيروت سنة ١٨٣٤ وكانت أول مدرسة للبنات في بلاد الشام. راجع جورج انطونيوس يقظة العرب، ص ١٠٠.
(٢) محمد سراج الدين، ص ٣٣٢. وكان قان ديك يقول انه حينما ينشئ الاميركيون مدرسة في مكان، كان اليسوعيون يتبعونهم ويؤسسون مدرسة اخرى. وتأكيداً لهذا الواقع فإن مدرستي الاميركان والفرير في صيدا كانتا في بنايتين متلاصقتين.
(٣) عبر قان ديك عن مروره لنقله إلى صيدا. فقد سافر لأمريكا سنة ١٨٥٣ ثم عاد منها سنة ١٨٥٤ واحضر معه مجهراً صغيراً، فكان أول من استخدم المجهر في بلاد الشام لاغراض طبية راجع يوسف قزما الخوري: الدكتور كرنيليوس قان ديك ونهضة الديار الشامية في القرن التاسع عشر، رسالة ماجستير في التاريخ غير منشورة، الجامعة الاميركية في بيروت، ١٩٦٥، ص ٥٤ + ٥٥.

(٤) المرجع السابق، ص ٥٦. وكذلك A. L. TIBAWI, op. cit: p. 130.
(٥) نقل الاميركيون مدرسة البنات من بيروت إلى سوق الغرب سنة ١٨٥٨، وظلت قائمة حتى ١٨٦٠ حيث جرى اغلاقها بسبب احداث تلك السنة، ولضعف الإرسالية الاميركية ماديا بسبب الحرب الاهلية الاميركية.

(٦) HENRY HARRIS JESSUP, Fifty Three years in Syria, vol.2, N.Y., 1910. p. 516

من القرى حول صيدا، في منازل عائلات صيداوية بروتستانتية على حسابها. وبعد سنة ١٨٦٥ تسلمت ادارتها السيدتان ادى W. EDDY وفورد Mrs. FORD^(١).

وفي سنة ١٨٧١ انضمت ست تلميذات نهاريات إلى تلميذاتها الداخليات العشرين، وقد ضغط أهالي صيدا على ادارة المدرسة لعدم قبول تلميذات نهاريات غير بروتستانتيات^(٢). وخلال بضع سنوات تجاوز عدد تلميذاتها الداخليات الخمسين بينما ظل عدد النهاريات أقل. وفي سنة ١٨٨٣ ضمت مئة تلميذة تعلمن ثنائي معلمات^(٣)، وفي مطلع القرن العشرين كن سبعين تلميذة^(٤). وفي سنة ١٩١٣ بلغ عدد التلميذات ٩٥ وكان معظمهن داخليات^(٥). واستمر تقدم المدرسة وثبات مكائنها. وعلى الرغم من أن عدد خريجاتها ظل ضئيلاً حتى مطلع القرن العشرين، اذ كان عددهن سنة ١٩٠٣ مثلاً اربع تلميذات^(٦)، إلا أن الخريجات ساهمن في رفع مستوى المرأة المسيحية عموماً والبروتستانتية خصوصاً في صيدا وجوارها، وكثيرات منهن أكملن دراستهن العليا ليصبحن معلمات أو موظفات أو عاملات في شتى الحقول^(٧).

في سنة ١٨٨١ افتتحت الارسالية الاميركية مدرسة للصبيان، في بناء مستأجر ملك أيوب أبيلا، وقام بإدارة المدرسة القس ولیم كنگ ادى WILLIAM KING EDDY وبالتعليم فيها يواكيم الراسي وفارس عازوري،

(١) في سنة ١٨٦٧ تسلمتها السيدة WATSON وفي سنة ١٨٧١ الأنسان JACOMBS & STAINTON وفي ١٨٧٦ الأنسة H. EDDY وفي ١٨٩٢ الأنسة ELEN LAW حتى سنة ١٩٠٠ عندما صارت بعهدة الأنسة JESSUP.

(٢) RAO HUMPHREYS LINDSAY, op. cit., pp. 132 - 133

(٣) المقتطف، ج ٣، السنة ٧، سنة ١٨٨٣، ص ٥٣٦.

(٤) النشرة الاسبوعية، مجلد ٣٧، العدد ١٠٠١٩٠١، ١٠٠٢، ١٩٠٢، ص ٣٤٨.

(٥) التيممي وبهجت، ص ١٦٠.

(٦) هن ادال داوود، ليديا خوري، آسين كنعان، شاهينة عيد. النشرة الاسبوعية، مجلد ٣٨، العدد ١٩٥١، في ١٨ حزيران ١٩٠٣، ص ٢٣٥.

(٧) HENRY JESSUP, op. cit; p. 512

كان عدد التلاميذ أربعة، وجدت الارسالية صعوبة في إيجاد مكان لإقامتهم ومبيتهم، فأنزلتهم في بيت المعلم يواكيم الراسي في صيدا القديمة قرب المصلبية، أما التدريس فكان يتم في بناء الكنيسة الانجيلية في داخل صيدا القديمة أيضاً.

وفي السنة ١٨٨٢ وصل عدد التلاميذ إلى العشرين فاستأجرت المدرسة مقراً لها في دار الحجاز، وفي السنة التالية (١٨٨٣) انتقلت إلى دار عودة مقابل المقبرة الاسلامية. وفي السنة الخامسة كان عدد التلاميذ قد وصل إلى ٣٢^(١).

ويبدو ان اقبال الصيداويين على مدرسة الارسالية الاميركية آنذاك كان ضئيلاً جداً، بدليل ان معظم الطلاب كانوا من أبناء القرى المجاورة، ولهذا كانوا ينامون داخل المدرسة، وبعضهم كان يحضر زوادته معه^(٢) وكان أول طالب صيداوي تخرج منها يوسف جرجس سوسو سنة ١٨٩٨.

وبازدياد عدد التلاميذ فيما بعد اضطرت الإدارة، بعد عراقيل وضعتها أمامها السلطات المحلية، إلى شراء قطعة أرض تقع في بستان في حي الدكرمان شرق صيدا، وحصلت على رخصة بناء دار للسكن. وبعد اتمام البناء ١٨٨٦ انتقل تلاميذه الخمسون للإقامة فيه، غير أن التدريس استمر في الكنيسة الانجيلية في صيدا القديمة على مقربة من ساحة السرايا^(٣). ولما ازداد عدد التلاميذ ارادت المدرسة التوسع في منطقة الدكرمان، لكن جيرانها رفضوا بيع أرضهم، ومن الجهة الأخرى كانت قريبة من المقبرة الإسلامية، فكان مستحيلاً عليها التوسع، لذلك اشترى فورد أرضاً واسعة على تلال المية ومية^(٤) بخمسة آلاف استرلينية^(٥) وقد ألحقت بالمباني على تلة المية ومية المشرقة على صيدا وسهلها،

(١) احمد عارف الزين، ص ١١٧.

(٢) HENRY JESSUP, op. cit; p, 513

(٣) سميت البناية Wood Hall تكريماً للمحنة الاميركية سارة وود التي رصدت مبلغاً لإقامة البناء، كما سميت المدرسة معهد جيرارد GERARD تكريماً للسيد وود لأنه اسم عائلتها، لتبرعاتها السخية للمدرسة.

(٤) HENRY JESSUP, op. cit; pp. 516 - 517

(٥) المقتطف، المجلد ٢٠، ج ٧، في ١ تموز ١٨٩٦، ص ٥٢٧.

مزرعة تضم أشجاراً للتوت والزيتون والبرتقال، وحقلاً للقمح واستخدمت وسائل رى حديثة وبلغ دخلها ألف دولار سنوياً^(١).

ولبت الارسالية حاجة البلد إلى اليد الفنية العاملة، فافتتحت في سنة ١٨٩٥ المدرسة الصناعية أربعة أقسام: للتجارة وللخياطة وللأحذية الانجليزية، وللبناء (ثم الغيت هذه الأخيرة لقلة الاقبال عليها)^(٢) ودخلها في السنة الأولى ١٨ تلميذاً^(٣)، أصبحوا سنة ١٩١٣ نحو ٢٩٨ تلميذاً^(٤).

كما أقيم سنة ١٨٩٥ ميم لأطفال الطائفة الانجليزية البروتستانتية فقط على تلة الميه وميه أيضاً. وافتتح رسمياً سنة ١٨٩٨ بمساعدة سارة وود^(٥). وفي سنة ١٩٠٢ أصبح الأسم الرسمي لمدرسة الصبيان، الفنون الانجليزية لأنها أخذت تعلم إلى جانب العلوم صناعات وفنوناً مختلفة.

يبدو ان الصعوبة التي لاقتها الارسالية الاميركية في الاقبال على مدرستها للصبيان، في بداية الأمر، سرعان ما زالت، بدليل الازدياد المستمر في عدد تلامذتها، حتى بلغوا سنة ١٩١٣ بحدود ١٩٨٠ تلميذاً كان يعلمهم عشرون معلماً وطنياً وأجنبياً^(٦).

ولعل الإقبال الشديد الذي أخذت تلاقيه مدارس الإرسالية الأميركية في صيدا عائد إلى تجهيزاتها الجيدة، فقد كانت ابنتها حديثة ومبينة خصيصاً لتكون مدرسة، بالإضافة إلى ان مقاعد التلاميذ جلبت من أمريكا مباشرة، وكانت شيئاً لم تألف مثله المدارس الأخرى. كما ان مناهجها كانت جيدة، فهي بالإضافة إلى اهتمامها بتعليم العربية اهتمت بالانجليزية كذلك، وكان الاقبال على تعلم الانجليزية قد أخذ بالاتساع منذ الاحتلال الانجليزي لمصر، وبسبب

(١) HENEY JESSUP, op. cit; p. 516

(٢) Ibid, p. 515 وقد كان رؤساء الأقسام الأربعة هم عبد الرحمن الددا (للتجارة) وموسى

سويد (للخياطة) وبطرس خياط (للكندرجية) وفارس صوح (للبناء)

(٣) المقتطف. مجلد ٢٠، ج ٧، في تموز ١٨٩٩، ص ٥٢٧.

(٤) التسمي وبهجت، ص ١٦٠.

(٥) النشرة الاسبوعية، مجلد ٣٦، العدد ١٨٥٢، في ٢٥ تموز ١٩٠١، ص ٢٤٠.

(٦) احمد عارف الزين، ص ١١٨ - ١٢١.

ازدياد الهجرة إلى القارة الاميركية^(١).

وكانت كتب المدرسة الاميركية تطبع في المطبعة الاميركية في بيروت، وتباع في المدرسة او في مكتبات صيدا، وكان غير القادر على شرائها يدفع ثلث ثمنها ليعيدها في نهاية العام الى المدرسة^(٢). وكان رسمها الداخلي ٨ ليرات فرنسية^(٣)، واول صف تخرج منها كان سنة ١٨٨٩، وقد تألف من خمسة طلاب هم: انيس متري الحلو واخوه نسيم (من مشق الحلو) وحبيب فارس صبحية (من بلاط) وفارس نقولا حنا (من شبعاء) ويوسف حنا موسى (من مجدلونا)^(٤) اما مدرسة الصناعة التابعة للارسالية، فقد كانت الدراسة فيها احد عشر شهرا في السنة (العطلة في آب فقط).

ان الفضل بخلق جو اجتماعي وثقافي في مدارس صيدا يعود، في جزء كبير منه، الى مدارس الارسالية الاميركية، التي كانت حفلات التخرج السنوية فيها تتحول الى مهرجانات ادبية، وعروض مسرحية ومباريات خطابية وشعرية، بحيث كانت تستقطب حضورا وافرا من الصيداويين واهل القرى المجاورة.

ففي حفل التخرج السنوي لمدرسة الصناعة سنة ١٨٩٩ مثلا، احضر حاكي (فونوغراف) كانت السيدة وود قد اهدته للمدرسة، وادبرت اسطواناته على بعض الألحان الموسيقية «... فأذهلت الحاضرين لغرابتها... ثم انصرف الجميع شاكرين كما قالت احدي المطبوعات المعاصرة^(٥)».

كما اقام رجال الارسالية البروتستانتية عدة حفلات خلال سنة ١٩٠٧

(١) HENRY JESSUP, p. 519

(٢) ثمرات الفنون، العدد ١٢٦١، في ١٨ كانون الاول ١٨٩٩.

(٣) كان يدفع خمس ليرات مقدما، وثلاث ليرات في فصل الربيع. اما من يرغب بفسيل ملابسه في المدرسة فيدفع رسماً قدره نصف ليرة عثمانية. راجع النشرة الاسبوعية مجلد ٣٤، العدد ١٧٥٧، في ٣٠ أيلول ١٨٩٩، ص ٣٨٦.

(٤) يوسف ابي رزق، تاريخ مدرسة الفنون الانجيلية في صيدا، ص ١٤٦.

(٥) النشرة الاسبوعية، المجلد ٣٤، العدد ١٧٤٣، في ١٧ حزيران ١٨٩٩، ص ٢٥٧.

خصصوا ريعها لافتتاح «غرف للقراءة»^(١)، وقد تم ذلك فعلا سنة ١٩٠٨ في بناء قريب من مدرسة الصناعة^(٢). وفي السنة التالية نقلت الى بناء خاص شيد تحليدا لذكرى القس وليم ادي، ووضعت فيها نفائس الكتب والدوريات ليستفيد منها من شاء^(٣).

وفي سنة ١٩١٠ دشن بناء جديد للاحداث من تلاميذ مدرسة الفنون على تلة المية ومية^(٤). وقد اطلق على التلة التي اقيمت عليها منشآت الإرسالية الأمريكية اسم «دار السلام». وفي سنة ١٩١٤ اتحدت كافة اقسام المنشآت والابنية على تلك التلة تحت ذلك الاسم^(٥).

اما الإرساليات الكاثوليكية فكانت قد سبقت الإرساليات الاخرى بوقت طويل، اذ ان اليسوعيين JESUITES دخلوا سوريا منذ سنة ١٦٣٥^(٦) كما جاءت ارساليات كاثوليكية اخرى كالعازاريين LAZARISTS والكبوشيين CAPUSINS والدومينيكان DOMINICANS^(٧). وقاموا جميعهم بتأسيس مدارس ومستشفيات وميائم واخيرا جامعات في نواحي مختلفة من البلاد^(٨).

(١) الهبة، العدد ٤١٨، في ١٨ حزيران ١٩٠٧، ص ٣١٨.

(٢) ثمرات الفنون، العدد ١٦٤٩، في ١٠ شباط ١٩٠٨.

(٣) العرفان، مجلد ٦، في ١٩ حزيران ١٩٠٩، ص ٣٠٤.

(٤) خصص للصبيان من سن ٩ - ١٤ سنة، وكان رسمه السنوي ١٥ ليرة انجليزية. راجع النشرة

الاسبوعية، مجلد ٤٥ العدد ٢٣٢٩ في ١٥ أيلول ١٩١٠، ص ٢٩٦.

(٥) تتبع هذه المدارس اليوم السينودس الانجيلي الوطني لسوريا ولبنان.

(٦) قاموا بتأسيس المدارس المختلفة، لكن البابا ألغى جمعيتهم سنة ١٧٧٣، فعادوا سوريا حتى سنة

١٨٣١، حيث عادوا اليها وقاموا بتأسيس المدارس والمستشفيات واليائم من جديد.

(٧) احمد سراج الدين: ص ٣٣٢.

(٨) في سنة ١٨٤٣ انشأ اليسوعيون مدرسة للتعليم الثانوي في غزير، ثم نقلوها الى بيروت سنة

١٨٧٥، حيث اصبحت النواة لجامعة القديس يوسف الحالية. وفي سنة ١٨٨١ منحتها السلطات

الفرنسية حق اعطاء درجات البكالوريا والليسانس والدكتوراة. وفي سنة ١٨٤٦ انشأت

راهبات القديس يوسف من مرسيليا مدارس وميائم في بيروت وصيدا وصور وحانا وغيرها.

وانشأت راهبات الناصرة من ليون مدرسة في بيروت سنة ١٨٧٣. هذا وليس هنا مجال تتبع كل

تلك المؤسسات، ويمكن، لزيادة الاطلاع مراجعة:

لبنان بباحث علمية واجتماعية، ج ٢، ص ٥٧١ - ٥٨١. وجهينه ايوي، ص ٢٢، وكحال

الصليبي، ص ١٨٢. واحمد سراج الدين ص ٣٣٣ - ٣٣٤.

وكانت المنافسة بينهم وبين البروتستانت قوية وكثيرا ما تحولت الى عداء
سافر^(١).

وكان اليسوعيون قد هبطوا صيدا في سنة ١٦٤٢، ثم غادروها عندما الغى
البابا جمعيتهم في القرن الثامن عشر، ثم عادوا اليها بعد سنة ١٨٣١ وظلوا
فيها حتى سنة ١٩٠٩، حيث غادروها الى جزين^(٢).

كانت مدرسة « الارض المقدسة للراهبات الفرنسيسكانيات » اول مدرسة
اجنبية تقام في صيدا، وذلك سنة ١٨٥٣. وفي سنة ١٨٦٠ كان قد اصبح لديها
مئة يتيمة تعني بن مجانا. واقامت المدرسة كنيسة وديرا صغيرا لها داخل صيدا
القديمة.

وفي السنة ١٩١١ جرى الاحتفال بذكرى مرور خمسين سنة على تأسيس
فرع الاخوات المريميات في صيدا، وذلك داخل كنيسة الفرنسيسكان في صيدا
القديمة^(٣).

كما اقامت راهبات مار يوسف الظهور مدرستهن سنة ١٨٥٤ من قسمين:
الاول مدرسة تضم تلميذات داخليات وخارجيات. اما رسم الدخول للقسم
الخارجي فكان عشر مجيديات، وللقسم الداخلي من ١٢ - ١٥ ليرة فرنسية.
والثاني الميتم وكان يضم اليتيمات واللقيطات من بنات الفقراء، وكان الدخول
اليه مجانيا، اذ ينفق عليه من تبرعات المحسنين.

وفي سنة ١٩١٢ ضمت المدرسة ١٠٠ تلميذة خارجية و٢٠ داخلية، كما
كان في الميتم ٤٠ تلميذة، بالاضافة الى ٢٥ بنتا كن يتعلمن الخياطة في المشغل
الملحق بالدير، بالاضافة الى مستوصف مجاني للفقراء. وكان مركز المدرسة
والميتم والمشغل في خان الافرنج في منطقة باب السراي في صيدا القديمة.
وكانت تدرس فيها العربية والفرنسية والموسيقى والرسم والتطريز والاشغال

(١) كان اليسوعيون يحرزون الوارثة على منع البروتستانت من توزيع كتبهم، واجابا كانوا
يجمعونها ويحرقونها بأنفسهم. راجع يوسف قزما الخوري، ص ٧١.

(٢) احد عارف الزين، ص ١١٦.

(٣) لبنان الحال العدد ٦٦٤٥، في ٢٦ أيار ١٩١١.

اليودية وكان يقوم بالتدريس ست عشرة راهبة^(١).

ومدرسة القديس لويس (الفرير) اقامها اليسوعيون في بناء ملاصق لسور صيدا في سنة ١٩٠٤، وعند رحيل اليسوعيين من صيدا الى جزين، تسلمها الاخوة المريميون سنة ١٩٠٩^(٢). وقد وجهوا اهتماما لتعليم اللغة الفرنسية، فزاد الاقبال على مدرستهم بحيث ضمت في السنة الاولى تسعين تلميذا داخليا وخارجيا. وفي سنة ١٩١٢ ارتفع العدد الى ١٥٥ تلميذا كان ٤٠ منهم داخلين^(٣).

وعند استلام الاخوة المريميين لادارة المدرسة اعلنوا عن اهتمامهم بتعليم اللغات الفرنسية والعربية والانجليزية، وقبول الطلاب الداخليين والخارجيين، وتعليم الدروس العلمية والتجارية «... التي تهدي (للتلاميذ) سبيل الحصول على مركز لائق في الحياة الاجتماعية وتنبيلهم دبلوما عند ختام دروسهم...»^(٤) كما كان لليهود مدرسة «الليانس» التي كانت مخصصة لابناء الطائفة اساسا وكان مديرها سنة ١٩٠٧ روبين ليفي^(٥).

ثانيا - الثقافة

١ - المطابع:

كانت بلادنا اول بلدان الشرق التي عرفت المطابع، منذ انشاء مطبعة دير قزحيا سنة ١٦١٠ هدية من روما للرهبانية اللبنانية. ولم يكد يبدأ النصف الثاني من القرن التاسع عشر حتى اخذ عدد المطابع يزداد، في انحاء مختلفة من بلاد الشام، خصوصا بيروت.

(١) احد عارف الزين، ص ١٢١.

(٢) مركزها اليوم في الرحيلة منذ سنة ١٩٦٣، وتشتهر بمدرسة الفرير مع ان اسمها الرسمي مدرسة سيدة فاطمة للاخوة المريميين في صيدا.

(٣) جعلت الرسم السنوي للتلميذ الخارجي من ٢ - ٣ ليرات فرنسية، وللتلميذ الداخلي ٢٠ ليرة فرنسية. راجع احد عارف الزين، ص ١١٦.

(٤) من اعلان نشرته المدرسة تعلن فيه افتتاح عامها الدراسي الجديد. لسان الحال العدد ٧٠٠٤ في ١٩ آب ١٩٠٩.

(٥) كانت صفوفها حتى الشهادة الابتدائية، وظلت مستمرة حتى اغلقت ابوابها سنة ١٩٦٧.

لكن انشاء المطابع في صيدا تأخر حتى اوائل القرن العشرين. واول مطبعة قامت فيها كانت مطبعة «العرفان» سنة ١٩١٠، انشأها احد عارف الزين وداوود سجعان. وقد تمهدت بطبع لوازم التجار، والكتيب والصحف والمجلات والاوراق والبطاقات، كما ورد في الاعلان عنها^(١) وكانت تحضر حروفها الرصاصية من مسبك مركس في بيروت، وكان يمكنها انتاج عشرة آلاف نسخة في اليوم، رغم ان العمل عليها كان يدويا^(٢) وقد ساهمت هذه المطبعة في النهضة الثقافية في صيدا، بطبعها للعديد من كتب التراث، والكتيب المدرسية، كما طبعت فيها مجلة العرفان بعد ان كانت تطبع في بيروت. وقد ظلت هي المطبعة الوحيدة في صيدا حتى نهاية الحكم العثماني.

٢ - الصحف والمجلات:

بدأت الصحف العربية بالصدور منذ اوائل القرن التاسع عشر، اما في بيروت فبدأت منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر، بحيث انها في مطلع القرن العشرين كانت تعد بالعشرات.

وكانت الدولة قد اصدرت قانون الصحافة في سنة ١٨٦٥ ثم عدلته سنة ١٨٩٤، وفرضت «المكتوبي» أي الرقيب على المطبوعات من كتب وصحف ومجلات. وقد اشتهر مكتوبي بيروت بغرامة احكامه وبتشدده في الرقابة. فقد كان يمنع نشر أي خبر او تعليق فيه أي مساس بمركز السلطان العثماني وهيبته، ناهيك بشخصه، سواء كان تلميحا او تصريرا، حتى الاشارة الى «النجم» بشكل غامض كان ممنوعا لأنه قد يعني قصر يلديز (ومعناه النجم). كما كان محرما ان يشار الى هزائم الجيش العثماني، او الانتصارات التي قد يحرزها اعداء البلاد^(٣).

وبلغ من التشدد في مراقبة المطبوعات ان كل قادم الى سوريا، عن طريق اي ميناء من موانئها، كانت تفتش امتهته بدقة، فاذا عثر معه على كتاب

(١) احد عارف الزين، ص ١١٤.

(٢) من لقاء مع محمد بديع، وعمره ٧٢ سنة، وقد عمل في المطبعة اربعين سنة.

(٣) شمس الدين الرفاعي: تاريخ الصحافة السورية، ج ١، ص ١٤٧.

كان يدقق به^(١)، لمنع ادخاله اذا كان يتضمن نصا ضد الدولة او اجهزتها وشعاراتها. فكل كتاب كان يدور حول تركيا او محمد او الاسلام او السلطان كان يمنع ادخاله للبلاد^(٢).

وقد ذكر قنصل امريكا في بيروت، بيرغولز انه ارسل كتابا هدية الى الارشالية الاميركية في صيدا، بواسطة البريد، لكن مفتش البريد رفض ارساله ما لم يقرأه أولا، ويتأكد من خلوه من التهجم على السلطان^(٣).

وقد صدرت في صيدا مجلة «العرفان» في ٥ شباط ١٩٠٩، وقد طبعت أولا في بيروت، ثم صارت تطبع في صيدا، بعد انشاء مطبعة العرفان سنة ١٩١٠. وقد صدرت شهرية، في غرة الشهر القمري، وعنيت بنشر الفكر والادب والتاريخ خصوصا ما يتعلق منه بجبل عامل وصيدا، وفشحت صدر صفحاتها للكثير من الاقلام الشابة، وساهمت بما نشرته من دراسات تاريخية وادبية قيمة، في بعث نهضة فكرية مهمة في صيدا^(٤).

وفي اواخر سنة ١٩١١ اصدر الشيخ احمد عارف الزين نفسه جريدة اسبوعية باسم «جبل عامل» كانت تهتم بالاخبار والتعليقات، لكن كثرة تعطيلها من قبل الرقيب، اضطرها للتوقف عن الصدور بعد اقل من سنة من صدورها^(٥). كما قام الشيخ الزين نفسه باصدار مجلة ثالثة باسم «العلم» وكانت شهرية وتعني بالعلوم وبعد ان صدرت لمدة سنتين اضطرت للاحتجاب^(٦).

٣ - الجمعيات الأدبية والعلمية:

كانت اول جمعية ادبية في سوريا في العصر الحديث «الجمعية السورية»

(١) عبدالرحمن سامي بك: سفر السلام في بلاد الشام، ١٨٩٢، ص ٥٤.

(٢) HENRY JESSUP, OP CIT., P. 504

(٣) القنصلية الاميركية ت ٣٦٧/ج ٣٢ ملحق برسالة رقم ٣٦ من القنصل الاميركي العام في بيروت BERCHOLZ الى السفير باسطنبول LISHMAN بيروت في ٢٦ تشرين الثاني ١٩٠٥.

(٤) لا تزال تصدر حتى اليوم. وكان يشرف عليها نزار الزين، ابن الشيخ احمد عارف الزين حتى وفاته في تموز ١٩٨١، حيث اصبحت بعهدة فؤاد زيد الزين.

(٥) احمد عارف الزين، ص ١٥٣.

(٦) العرفان، ج ١٥، في ٢٧ تموز ١٩١١، ص ٧٣٥.

التي تشكلت سنة ١٨٤٧ من اعضاء محليين واجانب، وبعد ان استمرت حتى مطلع سنة ١٨٥٢، عقدت خلالها اثنتين وخمسين جلسة، حلت نفسها خوفا من السلطات، وكان الهدف من انشائها الاهتمام بالثقافة العلمية^(١). وكانت مكتبتها قد احتوت على ٥٠٠ مجلد^(٢)، كما كان اعضاؤها من مختلف المدن السورية، ومن صيدا كان يوسف كتافكو عضوا، وابراهيم نخلة عضوا مراسلا^(٣).

كما قام اليسوعيون في بيروت بانشاء «الجمعية الشرقية» سنة ١٨٥٠ من اجل تحقيق الاهداف العلمية والادبية، وكان وراء انشائها الأب هنري دوبرونيير اليسوعي^(٤) ومن دخلها من الصيداويين ايوب ابيلا^(٥).

ولم تعرف صيدا الجمعيات العلمية والادبية قبل بداية القرن العشرين^(٦) وبالتحديد منذ سنة ١٩٠٨ بعد ان اسقط حكم الاستبداد، واعيد الدستور من جديد وابيح للناس تأسيس الجمعيات والانخراط فيها في كافة الولايات، وقد اقبل الصيداويون على انشاء الجمعيات والانضمام اليها حتى لفت ذلك اهتمام صحف تلك الفترة، فتوهت به وأسمته بالحركة المباركة الصيداوية^(٧).

ففي سنة ١٩٠٨ تألفت في صيدا «الجمعية الوطنية العثمانية» وكانت غايتها انشاء المدارس والملاجيء الخيرية للمحتاجين، وضمت في عضويتها خمسين شخصا^(٨). كما شكلت في نفس السنة «الجمعية العلمية» للنهوض

(١) بطرس البستاني، اعمال الجمعية السورية، ١٨٥٢.

(٢) المقتطف، سنة ٧، ج ٣، سنة ١٨٨٢، ص ٣٨٧.

(٣) بطرس البستاني، اعمال الجمعية السورية، ١٨٥٢.

(٤) جورج انطونيوس، ص ١١٨.

(٥) لبنان، مباحث علمية واجتماعية، ج ٢، ص ٥٧٥.

(٦) كانت جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية التي انشئت في اواسط القرن التاسع عشر، جمعية مدرسية، كما كانت جمعية كوكب الصبح التي انشأتها الطائفة البروتستانتية في صيدا في اواسط القرن التاسع عشر، جمعية دينية.

(٧) مثل المفيد، العدد ١١٣٨، اول كانون الاول ١٩١٢ والاقبال العدد، ٢٧٠، في ٢ ت ٢ ١٩٠٨.

(٨) ملحق الاقبال، العدد ٣٦٢، في ٥ أيلول ١٩٠٨.

بالتعليم ومساعدة الاهالي على تعليم ابنائهم في منطقة صيدا.

وفي السنة نفسها قامت جمعية « الشبان الاحرار »^(١) التي كانت لها مقاصد سياسية، اذ عندما ساءت العلاقات بين الدولة العثمانية وامبراطورية النمسا والمجر، ارسل رئيس هذه الجمعية في صيدا، مصطفى محمد الاسير، برقية الى احدى الصحف يعلمها بها ان الصيداويين سوف يقاطعون كل البضائع الواردة من النمسا، وسيمنعون تفريغ اي باخرة نمساوية في ميناء صيدا بالقوة^(٢). لكن تلك الجمعية لم تستمر طويلا، ولم تلعب دورا بارزا في حياة الصيداويين.

كما تشكلت في سنة ١٩١٠ شعبة لحزب الاتحاد والترقي في صيدا. افتتحت ناديا تابعا لها. غير ان الالتحاق بها اقتصر على قلة من الصيداويين.

وفي اواخر سنة ١٩١٢ قامت جمعية « نشر العلم » من احدى عارف الزين (صاحب العرفان) وتوفيق البساط (موظف في معية ولاية الشام) واحمد اسماعيل القطب (من التجار) ومحمد علي حشيشو (معلم ثالث في رشدية صيدا) وعبد الغني عبد السلام الساعاقي، واحد عمر الحلاق^(٣).

وجاء في بيانها ان هدفها العمل على ترقية المدارس الابتدائية الاهلية في صيدا، بارسال التلاميذ على نفقتها الى دار المعلمين ليقفوا على احدث الاصول في التربية والتعليم العمليين، ليتولوا، بعد نيلهم الشهادة، امور التربية والتعليم في تلك المدارس.

كما كان من اهدافها ارسال المتفوقين من الطلاب الفقراء الى المدارس العالية، عندما تشتد مالية الجمعية وتتنوع مواردها. كما عملت على مساعدة التلاميذ متوسطي الحال على اكمال تحصيلهم العلمي. وعملت على نشر العلم والمعرفة بكل الوسائل التي توفرت لها. وحرمت على اعضائها القيام بأي نشاط سياسي.

(١) الاقبال العدد ٢٧٠ في ٢ تشرين الثاني ١٩٠٨.

(٢) لسان الحال، العدد ٥٨٨٨، في ٨ كانون الاول ١٩٠٨.

(٣) الملفيد، العدد ١١٣٨، أول كانون الاول ١٩١٢، وازاف احدى عارف الزين، ص ١٢٣، اسم محمد سعيد ابو ظهر كواحد من الاعضاء.

وكانت عضويتها مفتوحة لكل عثماني بلغ العشرين من عمره واتصف بالخلق الحميد والسلوك الجيد، وكان رسم الدخول ريالاً مجيدياً واحداً، والاشتراك الشهري ثلاثة قروش. وشدّت على اعضائها بالطرد اذا ما تدخلوا بالسياسة وانحرفوا عن مبادئ الجمعية^(١).

وقد وصل عدد اعضائها الى الخمسين، وانتخبت هيئتها الادارية من احمد عارف الزين رئيساً، ومحمد علي حشيشو كاتباً، واحمد اسماعيل القطب امين صندوق. وقد مثل اعضاؤها عدة مسرحيات حتى تمكنوا من جمع اربعين الف ليرة لتحقيق اهداف الجمعية^(٢).

(١) المفيد، المعداد، ١١٣٨، في أول كانون الأول ١٩١٢.

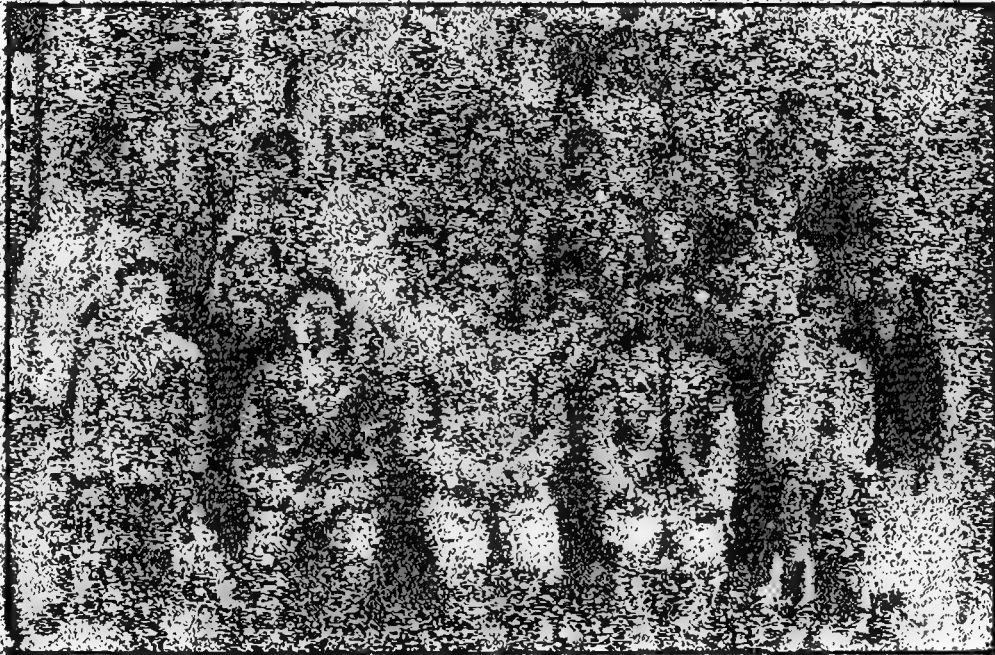
(٢) احد عارف الزين، ص ١٢٣.



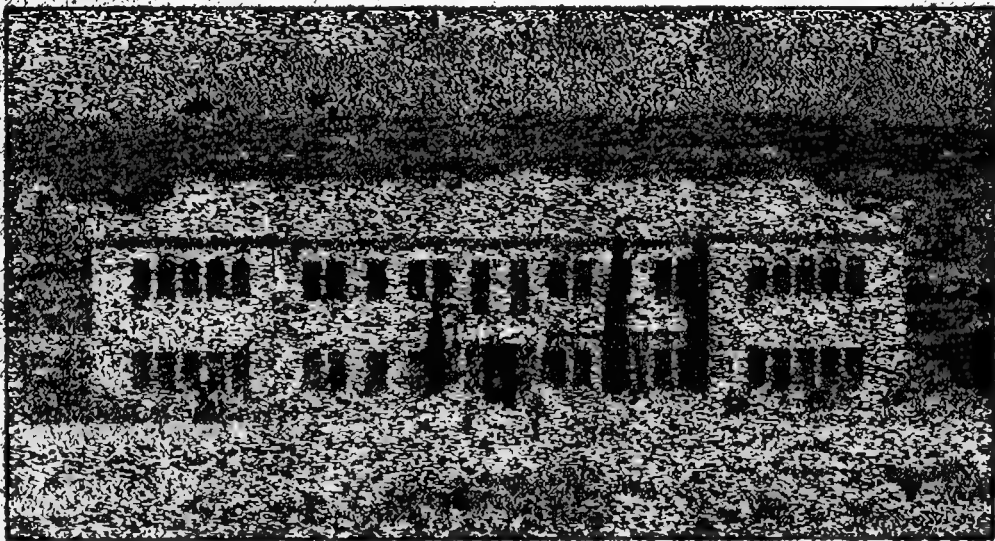
بعض مؤسسي جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في صيدا: مع الصلح - ناصيف الأسعد
رضا الصلح - منيب الصلح - حسين الجوهرى.



قسم من بناء مدرسة المقاصد الخيرية الإسلامية في صيدا



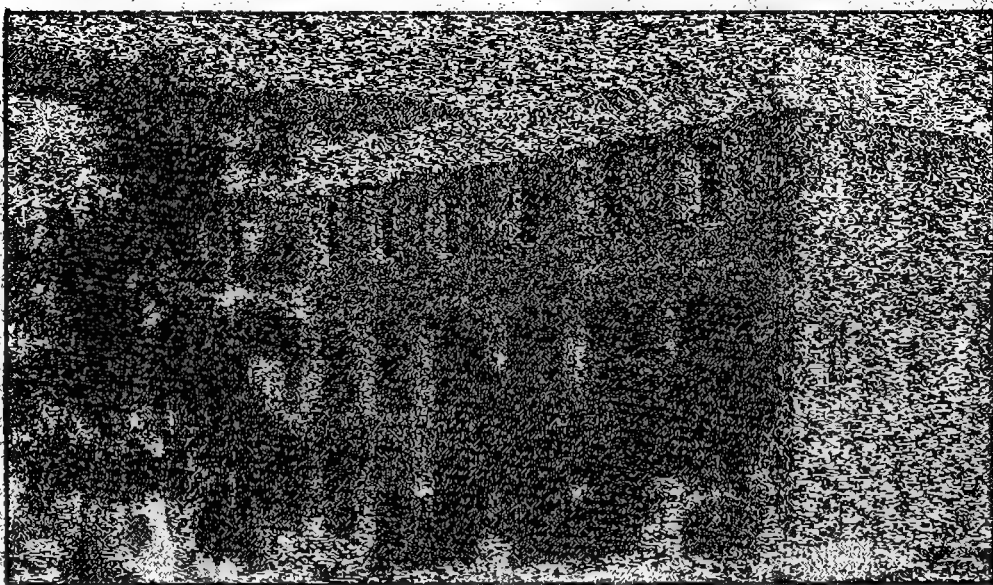
طلاب واساتذة من مدرسة المقاعد للصبيان في الربع الاول من القرن العشرين.



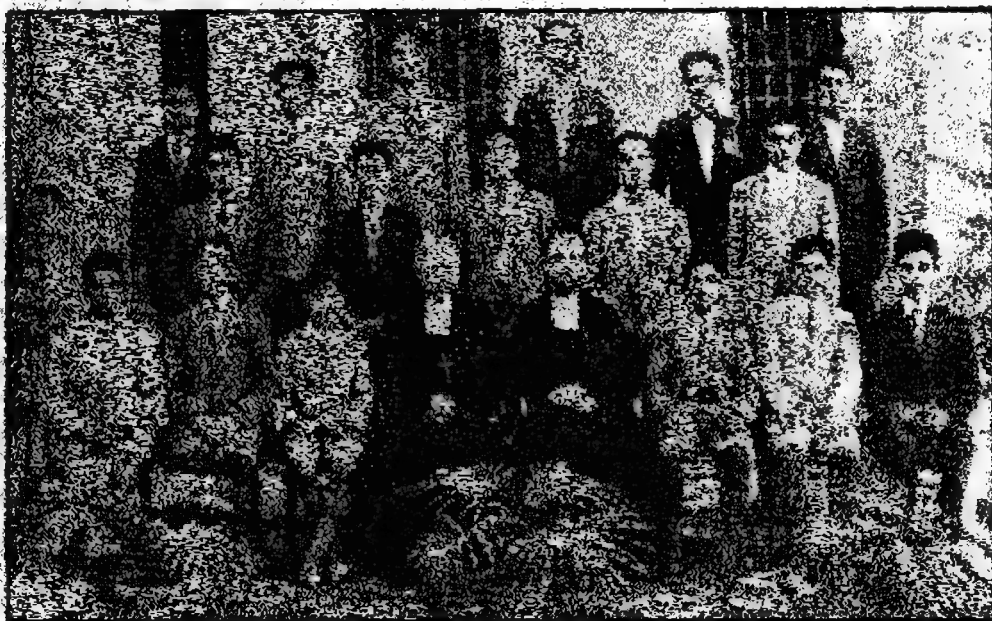
مدرسة الفنون الاعمالية للبنات مطلع القرن العشرين.



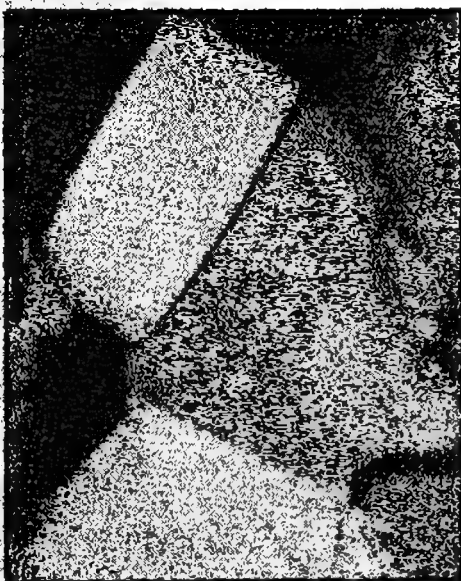
خريجو مدرسة الفنون الايجيلية للصبيان (١٩٠٦).



مدرسة القديس لويس (الفرير) في عجلة البوابة الفوقا في صيدا.



طلاب وأهائنة من مدرسة القديس لوي في صيدا الربع الاول من القرن العشرين



الشيخ احمد عارف الزين
مؤسس « العرفان » وعالم .



صبي اباظة
معلم اللغة التركية ومؤلف .

السكان

أ- التطور السكاني:

ظَلَّت صيدا خلال القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين بلدة صغيرة تعدّ بضعة آلاف من السكان، وحتى الحرب العالمية الاولى ظَلَّت تأتي بالمرتبة الثالثة بعد بيروت وطرابلس^(١).

فحوالي منتصف القرن التاسع عشر تراوحت تقديرات سكان صيدا بين سبعة الى تسعة آلاف^(٢) وفي سنة ١٨٦٠ تأرجح العدد حسب المصادر المختلفة من ستة الى تسعة آلاف ونيف^(٣). كما ذكر تقرير قنصلي لسنة ١٨٧٢ ان عددهم بلغ عشرة آلاف^(٤). وفي تقرير اخر وصل العدد الى اثني عشر الفا سنة ١٨٨٧^(٥)، غير ان مصدرا معاصرا آخر لم يجعل عدد السكان يتجاوز عشرة

(١) ذكر مصدر معاصر ان سكان صيدا عند نشوب الحرب العالمية الاولى كانوا ٢٥ ألفا، وبيروت ١٣٠ ألفا وطرابلس ٤٠ ألفا، وبغض النظر عن الرقم المبالغ به كثيرا بالنسبة لسكان صيدا، فانه يوضح لنا مرتبتها بالنسبة لبيروت وطرابلس من حيث عدد السكان. راجع اوغست اديب باشا: لبنان بعد الحرب، تعريب الشيخ فريد حبيش، مصر، ١٩١٩، ص ١٣.

(٢) ذكر علي الحسيني، ص ١٩٨ و١٩٩، ان سكان صيدا لسنة ١٨٤٦ كانوا تسعة آلاف بينما ذكر عبدالكريم غرايبة، ص ٨٨ انهم كانوا سبعة آلاف، في حين ان احمد عارف الزين، ص ٥٤، قال ان عدد الذكور فقط لتلك السنة كان ٤٢٥٠ شخصا.

(٣) ذكر غرايبة ان عددهم تناقص الى سبعة آلاف، بينما ورد في تقرير قنصلي ان العدد كان ٩٣٧٠ شخصا. راجع: مكتب السجلات العامة: ف ٦٥٩/١٩٥٠ تقرير قنصل بريطانيا العام في بيروت دوفرين DUFFERIN في ٣٠ نيسان ١٨٦١ للسفير في اسطنبول.

(٤) القنصلية الاميركية ت ٣٦٧/ج ١١: ص ٢١٧، تقرير القنصل الاميركي العام في بيروت لسنة ١٨٧٢.

(٥) القنصلية الاميركية ت ٣٦٧/ج ١٧ تقرير سري للقنصل الاميركي في بيروت في ٢٠ آذار ١٨٨٧ عن آثار صيدا.

آلاف نسمة بعد ذلك بثلاث سنوات^(١).

وفي سنة ١٨٩٤ ذكرت حولية ولاية بيروت الرسمية ان عددهم ناهز عشرة آلاف نسمة^(٢). ولذا فان تقرير القنصل البريطاني قد بالغ كثيرا عندما ذكر ان عددهم سنة ١٨٩٦ وصل الى خمسة عشر ألفا^(٣)، لانه ورد في تقديرات سنة ١٩٠١ ان عدد سكان صيدا لا يتجاوز عشرة آلاف نسمة^(٤) وفي سنة ١٩٠٢ قدر عددهم بمحدود ١٥ ألفا^(٥) لكن تقديرات السنة ١٩٠٣ لم تتجاوز رقم ١٢ ألفا^(٦) وفي سنة ١٩٠٨ وصل العدد الى ١٣١٨٤ شخصا، حسب تقديرات دائرة النفوس آنذاك، مع استثناء الاجانب والملاحقين بجنسيات اجنبية، مما يجعل العدد يكاد يناهز اربعة عشر ألفا^(٧)، وفي مطلع الحرب العالمية الاولى (١٩١٤) تجاوز عددهم اربعة عشر ألفا^(٨) وظل كذلك حتى سنة ١٩١٦ اذ وصل آنذاك الى ١٤١٣٧ شخصا^(٩)، وبعد ذلك اخذ بالتناقص بسبب احداث الحرب، بحيث ان العدد لم يتجاوز تسعة آلاف بعد الحرب العالمية الاولى مباشرة^(١٠).

من الارقام السابقة يمكننا استخلاص النتائج التالية:

اولا - ان ارقام السكان تقريبية حتى سنة ١٩٠٨ عندما بدأت تظهر

(١) فضل الله فارس ابي حلقة، ص ١٢٨.

(٢) حولية ولاية بيروت لسنة ١٣١١ - ١٣١٢ هـ، ص ٣٩٤.

(٣) مكتب السجلات العامة ف. و. ٤٨٣٤/٧٨٠ تقرير عام عن سوريا وفلسطين لسنة ١٨٩٦ ارسله القنصل البريطاني العام في بيروت DRUMMOND HAY ملحقا برسالته السرية رقم ١٦ في ١٠ أيار ١٨٩٧ للسفير باسطنبول.

(٤) النشرة الاسبوعية، مجلد ٣٦، العدد ١٨٦٠، في ١٩ أيلول ١٩٠١، ص ٣١٣.

(٥) الاقبال، العدد ٢ في ٢٤ نيسان ١٩٠٢.

(٦) WILLIAM ELEROY CURTIS: TODAY IN SYRIA and Palestine, 1903, p. 188

(٧) احمد عارف الزين، ص ١٥٤.

(٨) العرفان: مجلد ٨٠، سنة ١٩٢٢، ص ٥.

(٩) - التميمي وهجت، ص ١٥٧.

(١٠) - العرفان: المرجع السابق، الصفحة نفسها.

احصاءات دائرة النفوس في الولاية، وحتى هذه اعوزتها الدقة في احیان كثيرة.

ثانيا - ان الفرق الكبير في تقدير عدد السكان في بعض السنوات، راجع الى تعدد المصادر من جهة والى اختلاف المقاصد السياسية والاقتصادية في تقليل شأن عدد السكان او المبالغة به، من جهة أخرى.

ثالثا - ان اعتماد مصدر واحد لتتبع تطور سكان صيدا خلال الفترة التي نببحثها، او معظمها، كان امرا غير ممكن، لعدم توفر ذلك المصدر، سواء كان عثماني او اجنبيا.

رابعا - ان الارقام السابقة، على رغم عدم دقتها احيانا، او تضاربها احيانا اخرى، رسمت لنا، بصورة اجمالية، خط تطور عدد السكان، حيث نفهم منه انه كان تطورا طبيعيا، لم يعرف هبوطا حادا (بسبب القحط والمجاعة او الامراض الوبائية) او تصاعدا فجائيا (بسبب النزوح الى صيدا) حتى السنوات الاولى من الحرب العالمية الاولى. ولقد كانت الزيادة في عدد السكان طبيعية في الحدود المعروفة في علم الديموغرافيا اذ كانت محدود ٢٣,٥ بالالف فقد ذكر مؤلفا كتاب ولاية بيروت ان سكان صيدا ازدادوا في اواخر العهد العثماني ٣٥٦٦ شخصا خلال ست سنوات (من ١٣٢٥ - ١٣٣١) هـ. أي بمعدل ٥٩٤ شخصا في السنة الواحدة^(١)، وكان عدد الذكور اكثر قليلا من عدد الاناث.

ب- التوزيع الطائفي:

ضمت صيدا سكاناً من جميع الطوائف، اذ كان فيها مسلمون ومسيحيون ويهود. وبشكل عام فقد شكل المسلمون ثلثي سكانها، بينما تألف الثلث الباقي من غير المسلمين من المسيحيين واليهود.

وفيا يلي جدول بتوزيع السكان المسلمين وغير المسلمين لبعض السنوات، خلال الفترة من اواسط القرن التاسع عشر وحتى اوائل الحرب العالمية الاولى:

(١) التميمي وبهجت، ص ١٥٦.

السنة	السكان المسلمون	السكان غير المسلمين
(١) ١٨٦١	٦٩٥٠	٢٤٠٠
(٢) ١٨٦٨	٧٠٠٠	٢٠٠٠
(٣) ١٨٩٤ - ١٨٩٣	٨٢٨٧	٢٤٤٨
(٤) ١٩٠٨	١٠٥٦٣	٢٦٢٣
(٥) ١٩١٥ - ١٩١٤	١١٣٩٨	٢٧٦٩

اما تفصيل التوزيع حسب الطوائف للسنة ١٩١٤ - ١٩١٥ مثلا فقد كان كما يلي =

المسلمون (كثرة من السنة وقلة من الشيعة)	١١٣٩٨ شخصا
المسيحيون (بين فيهم ٤٧ من الاجانب المسيحيين)	١٨٨١ شخصا
توزعوا كما يلي:	
٩٦٣ من الكاثوليك	٧٣ من البروتستانت
٦٥٠ من الموارنة	١٧ من اللاتين
١٣١ من الارثوذكس	٤٧ مسيحيا اجنبيا (من طوائف مختلفة)
كما كان عدد اليهود ٨٨٨ شخصا.	

وبين السكان المسلمين ظل الشيعة قلة، وجاء معظمهم من منطقة جبل عامل، بينما تشكل السنة غالبية السكان المسلمين، والعائلات السنية في صيدا قديمة العهد، يرجع معظمها الى العهد المملوكي، خصوصا في فترة القرن الرابع عشر حيث اخذ السنة يتمركزون بكثافة في مدن بيروت وطرابلس وصيدا، وبرزت من بينهم خلال القرن التاسع عشر، عائلات عدت تسلمت مناصب

-
- (١) مكتب الجلات العامة ف. و. ١٩٥٩/١٩٥٠ رسالة دفرين وكالينوي، CALENBOYE, DUFFERIN في ٣٠ نيسان ١٨٦١ الى السفير البريطاني في اسطنبول.
- (٢) A hand book for travellers, op. cit., p. 376
- (٣) حولية ولاية بيروت لسنة ١٣١١ - ١٣١٢ هـ، ص ٣٩٤.
- (٤) احد عارف الزين، ص ١٥٤.
- (٥) التميمي وبهجت، ص ١٥٦ - ١٥٧.

حكومية بارزة، او احتلت مواقع اقتصادية مهمة مثل عائلات بيهم والداعوق والمجذوب والصلح^(١). كما جاءت عائلات سنية عديدة من المغرب، مثل حمود والمجذوب والمقري والبزري.

اما غير المسلمين فقد كان معظمهم من المسيحيين (حوالي الثلثين)، وقلة من اليهود. وشكلت طائفة الروم الكاثوليك اعلى نسبة بين المسيحيين في صيدا، وتلتها طائفة الموارنة، فالروم الارثوذكس، ثم الطوائف الاخرى من لاتين وغيرهم. اما البروتستانت فكانوا آخر الطوائف المسيحية التي استقرت في صيدا، بسبب تأخر ظهور هذه الطائفة في بلاد الشام، حتى مجيء المرسلين الاميركيين والانجليز اليها في اوائل القرن التاسع عشر. واول مرة ورد ذكر البروتستانت في صيدا كان في حولية الدولة العثمانية لسنة ١٨٧٣، حيث جاء فيها ان عدد المنازل التي يقطنها بروتستانت صيداويون هي ستة^(٢). وفي سنة ١٩١٥ كان عددهم قد وصل الى ٧٣ شخصا من سكان صيدا^(٣).

وفي احصاء لسنة ١٨٦١ ورد ان عدد الروم الكاثوليك في صيدا كان ١٨٠٠ والموارنة حوالي الالف، والروم الارثوذكس نحو مائتين^(٤). وفي احصاء لسنة ١٩٠٣ ان الروم الكاثوليك صاروا ٢٥٠٠ والموارنة كذلك ٢٥٠٠، بينما بلغ عدد البروتستانت ٣٠٠ شخص^(٥) اما في تقديرات سنة ١٩١٥ - ١٩١٦ فقد ورد فيها ان عدد الروم الكاثوليك كان ٩٦٣ شخصا، والموارنة ٦٥٠ وبقية المسيحيين ٢٢١ شخصا فقط^(٦).

ويرجع اصل كثير من عائلات صيدا المسيحية الى طرابلس وعكار

(١) وجه كوثراي: الاتجاهات الاجتماعية - السياسية في جبل لبنان والشرق العربي ١٨٦٠ - ١٩٢٠، بيروت. ١٩٧٢، ص ٣٢.

(٢) حولية الدولة العثمانية لسنة ١٢٩٠ (١٨٧٣).

(٣) التميمي وبهجت، ص ١٥٧.

(٤) اوغست اديب باشا: ص ١٢٨.

(٥) WILLIAM ELEROY CURTIS, OP. CIT., P. 188

(٦) التميمي وبهجت: المصدر السابق: الصفحة نفسها. وان تراجع السكان خلال تلك الفترة بسبب احداث الحرب، لم يقتصر على المسيحيين وحدهم بل شمل كافة الطوائف.

وبعلبك، ومناطق أخرى من شمال لبنان. كان الامير فخر الدين المعني الثاني قد استقدمها من تلك المناطق الى صيدا للاستفادة من خبرة افرادها في الحرف الصناعية وفي الزراعة، عندما جعل صيدا مركزا لحكمه. وعند مجيء هذه العائلات الى صيدا اقامت في جهة منعزلة منها عرفت فيما بعد بحارة النصارى. اما المزارعون منهم فقد اقاموا في محل مرتفع في ضواحيها، يضاهاي قبة النصر في طرابلس لذلك عرفت فيما بعد بالقبة او حارة القبة^(١).

وفي القرن الثامن عشر استطاع المطران اقليموس الصيفي، مطران الروم الكاثوليك (١٦٨٢ - ١٧٢٣) ان يحصل على اذن من السلطات الشرعية المحلية، بأن يكتب الى من اراد من النصارى خارج صيدا يدعوهم اليها للاقامة والعمل فيها، وبحضور وجهاء الطائفة في صيدا استكتب المطران القاضي الشرعي عهدا بذلك ليكون حجة بيده واشهد الحضور على ما فيه^(٢).

وبموجب دعوة المطران تلك، قدمت الى صيدا عدة عائلات مسيحية من طرابلس وضواحيها، ومن اميون ودمشق للاقامة فيها^(٣).

اما اليهود فقد شكلوا طيلة القرن التاسع عشر واولئل القرن العشرين، جالية صغيرة في صيدا، ظل عددها يزداد باستمرار. اذ بينا كان عددهم ٢٥٠ شخصا فقط حوالي منتصف القرن التاسع عشر^(٤) تضاعف هذا العدد سنة ١٨٦٨ فبلغ ٥٠٠ شخص^(٥).

اما في السنة ١٨٩٣ - ١٨٩٤ فقد وصل عددهم الى ٦٠٤ اشخاص^(٦) وفي

(١) الرسالة الخلفية، مجلد ١، ج ١، كانون الثاني ١٩٣٤، ص ٣٩ و٣٨ ولما كثر عدد الروم في صيدا طلبوا من الامير (فخر الدين) التوسط لدى بطريركهم يواكيم زيادة ليقع لهم مطرانا اسوة بطرابلس، كما جرت العادة سابقا.

(٢) الرسالة الخلفية، المجلد ٢، ج ١ - ٢ كانون الثاني ١٩٣٥، ص ٢٢.

(٣) جاء جرجس مشاقة من طرابلس، ووالد الخوري حنا من اميون وآل صاصي ودبانة ونقاش وغلط وزكا من دمشق. راجع الرسالة الخلفية: المرجع السابق.

(٤) احمد عارف الزين: ص ٥٤.

(٥) JOHN MURRAY, OP. CIT., P. 376.

(٦) حولية ولاية بيروت ١٣١١ - ١٣١٢ هـ. ص ٤٦٥.

سنة ١٩٠٨ كانوا ٨١٩ شخصا^(١). وبعد سنة ١٩١٤ قارب عددهم ٨٨٨ شخصا^(٢).

ولما كان اليهود قد اقاموا في صيدا منذ قرون طويلة، فقد استطاعوا الاندماج التدريجي في المجتمع الصيداوي، وشكلوا جالية مستقرة فيها، وغما عددهم بشكل طبيعي دون حدوث ما يعوق ذلك، من عوامل طائفية او سياسية، اذ ان المصادر المعاصرة لم تشر الى حدوث أي منها ضد اليهود باعتبارهم مجموعة اتنية صغيرة.

اما الاجانب فقد ظل عددهم في صيدا ضئيلا حتى نهاية العهد العثماني. وكان معظمهم من الاميركيين والبريطانيين والفرنسيين، ثم من الجنسيات الاوروبية المختلفة. والقسم الاكبر منهم كان يعمل ضمن الإرساليات التبشيرية، في الحقل الكنسي والتربوي والخيري، او في السلك القنصلي. وبينما كان عدد الاميركيين في صيدا سنة ١٨٦٣ نحو ١٣ شخصا^(٣)، فان عدد البريطانيين سنة ١٨٩٠ وصل الى ٧٠ شخصا، كان من ضمنهم عدد كبير من سكان البلاد المتمتعين بالجنسية البريطانية^(٤).

ج- موقف الادارة العثمانية من غير المسلمين:

تألف سكان الدولة العثمانية من مسلمين وغير مسلمين. اما المسلمون من رعايا الدولة العثمانية فكانوا يسمون «تبعة» وتسري عليهم قوانين الدولة ضمن احكام الشريعة الاسلامية.

اما غير المسلمين من المسيحيين واليهود، فكانوا اما من العثمانيين، وفي هذه الحال يدعون «رعية» ويخضعون لنظام «الملّة» أي نظام الطائفة التي ينتسبون اليها. او من الاوروبيين الأجانب الذين اعتبروا «مستأمنين» أي

(١) احمد عارف الزين: ص ١٥٤.

(٢) التميمي وبهجت، ص ١٥٧.

(٣) القنصلية الاميركية، ت ٣٦٧ ج ٤: تقرير عام عن سوريا وفلسطين سنة ١٨٦٣.

(٤) مكتب الجلات العامة ف. و١٩٥٠/١٧٢٣ رسالة الاشقاء ايلا لوزير الخارجية البريطاني صيدا ٢٢ نيسان ١٨٩٠.

الذين طلبوا الأمان فمنحوه، كما تمتعوا بنظام الامتيازات الاجنبية الذي اضحى، في فترة عجز الدولة العثمانية، سيفاً مصلتها تهدد به الدول الاوروبية الدولة العثمانية كلما تطلبت مصالحها ذلك.

ونظام الملة منح قدراً كبيراً من الاستقلال الديني والثقافي والاجتماعي لكل طائفة تمارسه باشراف رؤسائها الروحيين. وكانت اهم الملل ملة الروم التي شملت جميع الروم الارثوذكس من رعايا السلطان، ثم تأتي بعدها الملة الارمنية والملة اليهودية^(١). وقد بلغ من سلطان بعض البطريشيات على ابناء طائفاتها انها كانت اشبه « بدولة داخل الدولة »^(٢).

لقد عاملت الدولة العثمانية رعاياها من غير المسلمين معاملة جمعت التسامح ونقيضه، والمساواة وعكسها، فهي اعفتهم من الخدمة العسكرية وأخذت مقابلها البديل العسكري النقدي، وهي منحتهم امتيازاً جركياً اعفت بموجبه كل اديرتهم وكنائسهم ومدارسهم ومؤسساتهم الخيرية، وكذلك مستشفياتهم ولوازم الرهبان الشخصية من كافة الرسوم الجمركية^(٣).

كما فرضت، منذ قانون تشكيل الولايات سنة ١٨٦٤، اشتراكهم في مجالس دعاوى الاقضية بعضو او اكثر، وفي مجالس تمييز الألوية بثلاثة اعضاء، وفي ديوان تمييز الولاية بثلاثة اعضاء ايضاً^(٤).

ومع ان الخط الهايوني الصادر سنة ١٨٥٦ قد ألغى « رسمياً » أيّ تمييز بين عثماني وآخر بسبب طائفته او مذهبه، فقد ظل نظام الملة معمولاً به طيلة القرن التاسع عشر.

لكن من ناحية اخرى كانت الدولة تعامل رعاياها من غير المسلمين معاملة مواطنين من الدرجة الثانية، فهي لم تكن تعترف بشهادة غير المسلم ضد المسلم اما محاكمها. كما كانت تفرض على غير المسلمين ألاّ يشيدوا بيوتاً اعلى من

(١) زين نور الدين زين: نشوء القومية العربية، ص ٣٩.

(٢) ساطع المصري، ص ٨٩.

(٣) الدستور، ج ٢، ص ٥٤٣ - ٥٥٠.

(٤) الدستور، ج ١، ص ٣٨٤ - ٣٩٠.

بيوت جيرانهم المسلمين، ولا شك ان هذه الامور وامثالها احدثت عدم استقرار في التعامل بين السكان وافرزت نتائج سيئة فيما بينهم^(١). وكان المسيحيون العثمانيون يحسون بالغبن في كثير من الاحيان، ومن هنا تطلع بعضهم الى عون الدول الاوروبية وحمايتهم لهم. اما الاجانب فقد تمتعوا بنوعين من الامتيازات: الاول الذي منح للتجار الاجانب على الاراضي العثمانية. والثاني الامتيازات القنصلية التي اعطيت للقناصل الاجانب بموجب القوانين الدولية وتطبيقا للمعاملة بالمثل. وكان الهدف من الامتيازات التجارية تشجيع التجار الاوروبيين على التعامل مع الدولة العثمانية والاقامة فيها، واستثمار رؤوس الاموال فيها^(٢)، كما كانت الامتيازات القنصلية تطبيقا للقوانين الدولية التي تمنح ممثلي الدول الاجنبية حصانة وامتيازات تمكنهم من اداء مهامهم في توثيق العلاقات بين الدولة التي يمثلونها والدولة التي يقيمون على ارضها، ورعاية مصالح رعاياهم وتأمين حقوقهم.

ولم تكن الامتيازات التجارية بدعة ابتدعها العثمانيون، فقد كانت معروفة قبلهم، وجرى العمل بها في اكثر من بلد، وفي فترات مختلفة، كما انها لم تشكل خطرا على الدولة العثمانية، يوم كانت هذه الدولة مرهوبة الجانب، مسموعة الكلمة. لكن خطرها اخذ يظهر منذ القرن الثامن عشر، وازداد في القرن التاسع عشر بازدياد ضعف الدولة العثمانية، وبروز عجزها عن دعم سياستها بالقوة العسكرية، مما ادى الى استغلال التجار الأجانب لتلك الامتيازات بحيث اصبحت نقمة على أهل البلاد ولم تستطع الدولة العثمانية الخلاص من شرور تلك الامتيازات الا بقيام الحرب العالمية الاولى حيث ألغتها دفعة واحدة^(٣).

(١) ساطع الحصري: المرجع السابق، ص ٨٩.

(٢) للمعلومات الاضافية عن تلك الامتيازات راجع: الامتيازات الاجنبية في الممالك العثمانية، المقتطف، مجلد ٤٥، ج ١، تشرين الاول ١٩٠٤، ص ٤٥٧-٤٦٣.

(٣) فصلنا تلك الامتيازات ومخالفات بعض التجار الاوروبيين للقوانين العثمانية في الفصل السادس وقد انفقت البلدية ١٧١ قرشا و ١٠ بارات على احتفال صيدا بتلك المناسبة، بلدية صيدا سنة ١٣٣٠ مائة.

فقد كانت الرسوم الجمركية التي يؤدونها على بضائعهم ٣٪ بينما كان التجار العثمانيون يؤدون رسوما تصل الى ٨٪، وفي كثير من الاحيان تتجاوزها، كما كانوا لا يمثلون امام المحاكم العثمانية الا بحضور قناصلهم، وحتى جلبهم للمحكمة لم يكن يتم مباشرة بل بواسطة قنصلهم^(١). وبالتالي كانوا يخضعون، بشكل عام لقوانين البلاد التي يحملون جنسيتها، رغم وجودهم على الاراضي العثمانية واقامتهم فيها^(٢).

هذا بالإضافة الى ما كان يقوم به اولئك القناصل، احيانا، من دسائس ومنازعات من اجل تثبيت نفوذ دولهم، او لاضعاف سلطة الدولة الشرعية على رعاياها. فمثلا عندما مر القنصل البريطاني العام في بيروت بمدينة النبطية، زار كنيسة الروم الكاثوليك فيها، بناء على إلحاح الخوري وحضر قداس الاحد، ولقد أثار ذلك العمل غضب القنصل الفرنسي في صيدا، فاعلم رؤساءه بذلك، فتم طرد الخوري من مركزه^(٣) لانه استقبل قنصلا اجنبيا بمراسم لا تليق الا بالقنصل الفرنسي، وقد أدت المظاهرات التي قام بها المسيحيون في كل من النبطية وصيدا الى تدخل بطريرك دمشق لاعادته لمنصبه^(٤).

وكانت الدول الاجنبية التي تربطها علاقات سياسية بالدولة العثمانية تقيم الى جانب سفاراتها في اسطنبول، قنصليات عامة «General Consulate» وقنصليات، ونيابات قنصليات «Vice - Consulate» في المدن الرئيسية أو الموانئ المهمة.

وكان قد صدر قانون سنة ١٢٨٠ هـ (١٨٦٣)، ينظم تعيين القناصل الأجانب، ويحدد مهامهم، وقد سمحت السلطات، بموجب هذا القانون للقنصل

(١) مكتب السجلات العامة ف. ١٣٦٨/٢٩٥٠ رسالة متصرف بيروت الى القنصل البريطاني العام في بيروت، ملحقة برسالة القنصل الى السفير في اسطنبول رقم ٢٦ في ٦ ايار ١٨٨١.

(٢) EDWIN PEARSON, OP CIT. P. 334

(٣) مكتب السجلات العامة ف. ١٩٣٧/١٩٥٠ رسالة القنصل العام للسفير رقم ٨٩ في ٢١ كانون اول ١٨٩٦.

(٤) مكتب السجلات العامة ف. ١٩٨٠/١٩٥٠ رسالة القنصل العام DRUMMOND HAY للسفير رقم ١١ في ١٠ شباط ١٨٩٧.

العام استخدام اربعة مترجين (ترجمان)، واربعة مرافقين (قوَّاس) كحد اقصى .
اما القنصليات الفرعية فتستخدم ثلاثة مترجين، وثلاثة مرافقين، اما نيابات
القنصليات فلا يتجاوز عدد موظفيها مترجين اثنين، وقوَّاسين اثنين ايضا،
ومنح اولئك الموظفون الحماية القنصلية، على الا تسرى الى اقاربهم، وتزول
عند تركهم العمل بالقنصلية^(١).

كما اصدرت الدولة في سنة ١٨٦٩ قانونا يحدد كيفية اعفاء اغراض
وبضائع الاستهلاك الشخصي للقنصل من الرسوم الجمركية، شرط ألا يكون
عاملًا بالتجارة، وكانت البضائع المعفاة بمحدود خمسة عشر الف قرش سنويا
لوكيل القنصل^(٢).

وكان تعيين المترجين والقوَّاسين يتم بعد الحصول على «براءة» التعيين
من السلطات العثمانية، فمثلاً لما اختار القنصل البريطاني العام في بيروت،
حبيب ابيلا، لنيابة القنصلية في صيدا، ارسل الى السفير باسطنبول، يطلب
منه الحصول من السلطات على براءة التعيين^(٣).

وعند استقالة انيبال ابيلا من نيابة قنصلية صيدا، للتفرغ للتجارة في
يافا، عينت بريطانيا يوسف ابيلا بدلا منه، سنة ١٩٠٤^(٤)، وقد ظل ينتظر
براءة التعيين من السلطات العثمانية حتى تسلمها اواخر ١٩٠٥^(٥).

وفي اواخر القرن التاسع عشر، كان في صيدا، ست عشرة نيابة قنصلية^(٦)

(١) من نظام الادارة الخارجية المتعلق بتنظيم قنصليات الدول الاجنبية الدستور ج ١، ص ٥٢٧.

(٢) نظام معاقبة الاشياء التي ترد الى القناصل ووكلائهم الدستور ج ٢، ص ٥٥١ - ٥٥٣.

(٣) مكتب السجلات العامة ف. و١٩٥/١٠٢٧ رسالة ELDRIDGE للسفير EARL GRANVILL LARRING برقم ١٨ في ٢٠ شباط ١٨٧٣.

(٤) مكتب السجلات العامة ف. و٥٣٤٨/٧٨ رسالة DRUMMOND HAY الى السفير LANSDAWNE رقم ١٧، بيروت في ٦ تموز ١٩٠٤.

(٥) مكتب السجلات العامة ف. و٥٤٦٥/٧٨ رسالة وزير الخارجية البريطانية إلى القنصل العام في بيروت برقم ٢٤، في ١٨ كانون أول ١٩٠٥.

(٦) كانت جميعها بدرجة نيابة قنصلية، ما عدا ممثلة ايران فقد كانت قنصلية.

تمثل دولا مختلفة اوروبية وامريكية وآسيوية وغيرها^(١).

وكانت القنصلية الفرنسية اقدم مثيلاتها في صيدا، اذ يعود تأسيسها الى القرن السادس عشر، وكان القنصل الفرنسي، منذ ايام فخر الدين المعني الثاني، يقيم في خان الافرنج داخل صيدا القديمة، حيث كانت تملكه الدولة الفرنسية.

وكان القناصل جميعهم من الفرنسيين، وكان جان دوريكيللو قد تولى ادارتها فترة طويلة (١٨٧٣ - ١٩٠٩) ثم حل محله جان لايبيار^(٢).

اما القنصلية البريطانية فقد انشئت سنة ١٨٣٣، ومنذ انشائها، وحتى اغلاقها عند نشوب الحرب العالمية الاولى، كانت في عهدة افراد من عائلة ايبلا^(٣) واتبع الانجليز سياسة اكثر انفتاحا من زملائهم الفرنسيين وغيرهم، فاستخدموا في قنصليتهم في صيدا موظفين من مختلف الطوائف^(٤).

وبعد وفاة القنصل حبيب ايبلا سنة ١٨٨٣، اغلقت بريطانيا قنصليتها في صيدا حتى سنة ١٨٩١، عندما اعادت فتحها بتوصية من قنصلها العام في بيروت الدريدج وعينت شبلي ايبلا قنصل فيها^(٥). وكان افراد من عائلة ايبلا قد بعثوا الى السلطات البريطانية رسالة يوضحون فيها فائدة وجود قنصلية لبريطانيا في صيدا، حيث المصالح التجارية البريطانية في ازدياد، وحيث

(١) كانت تسع دول: فرنسا - بريطانيا - الولايات المتحدة - روسيا - ايطاليا - المانيا - النمسا - اسبانيا - البرتغال - هولندا - بلجيكا - الدانمرك - السويد والنرويج - اليونان - ايران - نيوزيلندا.

(٢) عمل ترجانا فيها بشارة رزقالله وحناء لطوف منذ سنة ١٨٧٣، وفي سنة ١٨٨٣ حل روفائيل دبانة بدل لطوف.

(٣) شغل نيابة القنصلية يوسف ايبلا (١٨٣٣ - ١٨٤٤) ثم ابنه يعقوب (١٨٤٤ - ١٨٧٣) ثم حبيب (١٨٧٣ - ١٨٨٣) حيث اغلقت بعد وفاته، وبعد افتتاحها مجددا عين فيها شبلي ايبلا (١٨٩١ - ١٩٠١) ثم انيبال (١٩٠١ - ١٩٠٤) ثم يوسف (١٩٠٤ - ١٩١١) ثم فرديناند.

(٤) في سنة ١٨٧٣ عمل فيها عبد الحليم لطفي ويوسف توما ترجمانين. وفي سنة ١٨٨١ عين خليل البساط (بدل لطفي). كما عمل ترجانا فيها ايضا الياس حوا ثم يوسف توما عبيد وغيرها.

(٥) مكتب الجلات العامة ف ٤٣٨٥/١٩٥٠، رسالة القنصل العام في بيروت للسفير في اسطنبول، بيروت في سنة ١٨٩٠.

أخذت السفن البريطانية تؤم ميناء صيدا أكثر من السابق، بالإضافة الى وجود سبعين من الرعايا البريطانيين بحاجة الى خدمات قنصلية مستمرة^(١).

أما القنصلية الأميركية فمع أنها انشئت في وقت مبكر (حوالي سنة ١٨٣٢) إلا أن الحكومة الأميركية لم تكن توليها الاهتمام اللازم، ويرجع ذلك الى السياسة الأميركية في عدم الانغماس في علاقات وطيدة، أو متشعبة في الشرق، فهي كثيرا ما كانت تطلب من القناصل الانجليز رعاية المصالح الأميركية في المدن التي لا توجد بها قنصليات أميركية، وكان الرعايا الأميركيون يلجأون الى اقرب قنصل انجليزي، في حالة عدم وجود قنصل أمريكي، لحل مشاكلهم أو بسط الحماية عليهم^(٢) بل أن القناصل الأمريكيين كانوا إذا ما ذهبوا الى بلادهم في اجازة، أو لأي سبب آخر، طلبوا، برسائل رسمية، أن يقوم القناصل البريطانيون بمهامهم^(٣).

بعد عشرين عاما من فتح القنصلية الأميركية في صيدا، أغلقتها الحكومة الأميركية سنة ١٨٥٣^(٤)، ثم أعادت فتحها في الستينات على الأرجح، ثم أعادت غلقها لفترة قصيرة سنة ١٨٨٩^(٥). وكان القناصل فيها جميعهم من الصيداويين ومن عائلة ابيلا بشكل خاص. كما استخدمت موظفين، تراجمه وقواصين، من طوائف مختلفة^(٦).

ومما يلاحظ أن عائلات صيداوية عديدة قد توارثت مناصب القنصليات

(١) مكتب الجلات العامة ف. و١٩٥٥/١٧٢٣ رسالة الاخوة ابيلا الى الخارجية البريطانية، صيدا في ٢٢ نيسان ١٨٩٠.

(٢) اسد رستم: لبنان في عهد المتصرفية، ص ١١٢.

(٣) القنصلية الأميركية ت/٣٦٧، ج٣ رسالة القنصل الأمريكي في بيروت HENRY WOOD الى زميله البريطاني N. MOORE في ٢ نيسان ١٨٥٧.

(٤) القنصلية الأميركية ت/٣٦٧، ج٢ رسالة القنصل الأمريكي في صيدا للقنصل العام، ٢٤ كانون اول ١٨٥٣.

(٥) القنصلية الأميركية ت/٣٦٧، ج١٨ رسالة شبلي ابيلا للقنصل العام ٢٨ حزيران ١٨٨٩.

(٦) عمل فيها سنة ١٨٧١ جبران النقاش وعمود غزال وجبران نخلة تراجمه. ومحمد الددا وكبلا للارسلية، ومحمد ابو ظهر ومحمد خباز قواصين. وفي سنة ١٨٨٦ كان داوود زهار ترجانا وعبد الحى نعاقي ومحمد الدفن زعترى واحمد ابو ظهر وعبد اللطيف ابو ظهر قواصين.

المختلفة، بحيث كان الابن يحل محل الاب بعد وفاته، او تحول الى اقرب الناس اليه. فقد توارثت قنصلية النمسا عائلة كتفاكو^(١). كما توارثت عائلة رزق الله قنصلية روسيا^(٢) بالإضافة الى قنصلية السويد والنرويج لفترة طويلة^(٣).

كما شغل انطون خلاط قنصلية ايطاليا ما يزيد عن عشرين عاما، وكذلك عمل فيها عمر مجذوب وعمر نحولي مترجمين الفترة نفسها تقريبا. وظلت قنصلية ايران مع آل عيران^(٤) بينما تولى آل رزق الله قنصلية اليونان فترة طويلة^(٥).

اما اكثر العائلات التي لعبت دورا هاما في الحياة القنصلية، ليس في صيدا فحسب، بل على طول الساحل السوري، فقد كانت عائلة ابيلا، ففي الوقت الذي كان فيه حبيب قنصلا لبريطانيا في صيدا، كان شلي ابيلا قنصلا لاميركا فيها، وشغل ايوب ابيلا قنصلية المانيا^(٦)، وجبران ابيلا قنصلية البرتغال^(٧) ويوسف ابيلا قنصلية اسبانيا^(٨). كما تلم يوسف ابيلا قنصلية

-
- (١) كان اسكندر كتفاكو قنصلا لما (١٨٧٣ - ١٨٨٢) ثم لويس (١٨٨٢ - ١٨٩٣) ثم البيرو. وكان من القراصة والقواسين فيها جرجس قنوالي وعبد الرحمن بدوي وجواد غندور ويوسف حمصي.
 - (٢) تولاهما فضول رزق الله (١٨٧٣ - ١٨٩٢) ثم حبيب (١٨٩٢ - ١٨٩٨) ثم فاضل (١٨٩٨ - ١٩٠٠) ثم بشارة رزق الله الذي شغل ايضا منصب قنصل هولندا.
 - (٣) شغل تقولا رزق الله القنصلية (١٨٧٣ - ١٨٨٠) ثم نخلة رزق الله (١٨٨٠ - ١٨٨٩) ثم ميشال رزق الله.
 - (٤) تولى قنصلتها الحاج علي عيران (١٨٥٢ - ١٩٠١) ثم تولاهما بعد وفاته عبد الله عيران، وقد شغل الحاج علي عيران عادة الملك القنصلي في صيدا وكان لقبه شهيندر ايران. ومن عمل مترجما بالقنصلية الابوانية لفترة طويلة جيبور كاترون، وعبي الدين الجوهرى، وحسين الجوهرى..
 - (٥) تسلمها فضول رزق الله من سنة ١٨٧٣ حتى اواخر القرن التاسع عشر عندما عين قنصل يوناني يدعى اندريا اشيلبياكوف. ومن عمل مترجما فيها ميخائيل لفوف ويسقوب جاماقي.
 - (٦) عمل قنصلا فيها من سنة ١٨٧٣ حتى سنة ١٨٩٧. ومن عمل مترجما فيها حنا خياز، وحنا عودة، ومحمد ابو ظهر.
 - (٧) كان قنصلا للبرتغال احد أبناء عيران حتى سنة ١٨٧٧، عندما تسلمها جبران ابيلا. ومن عمل مترجما فيها جبران خياط. ومحمد زنتوت، وعبد العزيز لطفي.
 - (٨) كان قنصلا لاسبانيا حبيب ابيلا ١٨٧٣ - ١٨٨٠. ثم يوسف ابيلا. وعمل مترجما فيها يعقوب نقاش، وقاسم الزين، ويوسف حمصي، وعمر نماني.

طرابلس^(١) في اواخر القرن التاسع عشر، وبيترو ايلا قنصلية بريطانيا في حيفا^(٢).

لم يكن كل القناصل، في صيدا، متفرغين للعمل القنصلي وحده، بل انشغل معظمهم بالتجارة، خصوصا افراد عائلة ايلا. ولما كانت مكافآتهم السنوية ضئيلة عادة، فقد كانوا كثيري الشكوى من ذلك، والتقارير القنصلية لتلك الفترة تحفل بأمثلة عديدة منها^(٣).

ومن المشاكل التي عانى منها القناصل كذلك موقف سلطات بلادهم غير المبالي احيانا،^(٤) او عرقلة السلطات العثمانية لأعمالهم.^(٥)

(١) مكتب الجلات العامة: ف. و ٥٠٠٦/٧٨ رسالة القنصل البريطاني العام في بيروت DRUMMOND HAY للسفير في اسطنبول رقم ١٧، في ٧ آب ١٨٩٩.

(٢) كان شبلي ايلا قد أرسل الى وزير خارجية بريطانيا يعلمه برغبته في ان يتقدم ابنه الذي كان على وشك التخرج من كلية الطب بالجامعة الامريكية في بيروت، الى الامتحان، الذي تعده هيئة بريطانية خاصة بقبول المترجمين، للخدمة في قنصلياتها في انحاء الشرق، ليتسنى له العمل بالسلك القنصلي، بعد تخرجه من الجامعة. مكتب السجلات العامة ف. و ٤٥٥٤/٧٨ صيدا في ١٣ نيسان ١٨٩٤.

(٣) كان شبلي ايلا، مثلا، يعمل بالإضافة الى القنصلية في التطبيب، وفي ادارة املاكه الواسعة. وكانت المكافأة السنوية للقناصل البريطانيين في صيدا خسة جنيهات استرلينية فقط. ونائب القنصل البريطاني في بيروت، اسير شقير، طالب الحكومة البريطانية بزيادة راتبه لارتفاع مستوى المعيشة في بيروت وحاجته لتعلم اولاده بشكل لائق. راجع مكتب الجلات العامة ف. و ١٠٦٧/١٩٥ اسير شقير للسفير بأسطنبول، كانون اول ١٨٨٠. وقد وصل الراتب السنوي للقواص سعد الدين قدورة الى ٣٦ جنيها استرلينا بعد خدمة في القنصلية استمرت اثنتين وخسين سنة.

والقنصل الاميركي في بيروت ارسل الى حكومته لائحة برواتب القناصل العاملين في بيروت، ووضع امام رقم راتبه علامة تعجب لعل ذلك يكون دافعا لحكومته لزيادة راتبه. القنصلية الامريكية ت/٣٦٧/٥ تقرير القنصل الاميركي العام لسنة ١٨٦٥ وجاء فيه ان راتب القنصل الفرنسي العام يبلغ ١١٥٠٠ دولار سنويا، والبريطاني سبعة الاف دولار، والتمساوي ٦٥٤٠ دولارا، والروسي ٦٧٠٦ دولارات والاسباني ٥٦٠١ دولارا، والاطالي ٥٦٤٠ دولارا، اما الاميركي فكان ٢٥٠٠ دولار فقط.

(٤) في الوقت الذي كان القنصل حبيب ايلا يطالب الحكومة البريطانية بزيادة عدد موظفي قنصليته سنة ١٨٨٢، ابلغته وجوب تخفيض عددهم الى ترجمان واحد، وقواص واحد فقط =

وكان القناصل يزودون سلطات بلادهم بتقارير مفصلة عن الاوضاع في مناطقهم، من كافة نواحيها السياسية والادارية والاقتصادية والاجتماعية، وفي كثير من الاحيان، ضمت تلك التقارير معلومات ثمينة قلما احتوت مثلها المصادر المعاصرة.

كان القناصل يتسلمون جوازات السفر من القادمين، ثم يعيدونها اليهم مع الاذن بالتجول في الولاية،^(١) ويدفع السائح رسماً لذلك خمسة قروش صاغ، بالإضافة الى ثلاثة قروش للقواص او الترجان الذي ينجز معاملة جواز سفره، فاذا اراد التجول في ولاية مجاورة دفع رسماً آخر قدره قرشين ونصف القرش^(٢).

وكانت سلطات ولاية بيروت تحصل عشرين قرشاً غرامة نقدية من كل سائح يدخل اراضي الولاية دون الحصول على تأشيرة (VISA)^(٣) وكانت سلطات الولاية تشدد على القناصل الطلب من رعايا دولهم عدم التجول بين الولايات العثمانية، دون الحصول على اذن بذلك (PERMIS DE VOYAGE) حتى لا يتعرضوا للملاحقة رجال الضبطية لهم (الشرطة)، بالإضافة الى احتمال وقوعهم بأيدي رجال القبائل، الذين قد لا يتركون لديهم شيئاً من مال او مجوهرات^(٤).

= راجع مكتب السجلات العامة ف. و ١٤١٠/١٩٥. رسالة حبيب ايلا للسفير باسطنبول، ٩ تشرين الثاني ١٨٨٢.

(٥) عندما طلب شبلي ايلا تعيين ترجمان في القنصلية بصيدا، رفض السفير ذلك بحجة عدم الضرورة. راجع مكتب السجلات العامة ف. و ١٧٢٣/١٩٥ رسالة شبلي ايلا رقم ٢٠ في ٢٧ تشرين ثاني ١٨٩١ ملحقه برسالة القنصل العام HENRY TROTTER للسفير WHITE بيروت في ٧ كانون الاول ١٨٩١.

(١) J. L. FARLEY, op. cit., p. 77

(٢) KARL BAEDEKER, op. cit., p. 30

(٣) القنصلية الاميركية ت/٣٦٧ ج ١٨ رسالة وكيل والي بيروت حسين بن عثمان رقم ٣٦ في ٩ شعبان ١٣٠٦ هـ. الى القنصل الاميركي العام في بيروت BISSINGER ملحقه بالرسالة رقم ٢٥٨ في ١١ نيسان ١٨٨٩.

(٤) مكتب السجلات العامة ف. و ١٤١٠/١٩٥ رسالة وكيل متصرف الشام ابراهيم في ٢٧ الحرم ١٢٩٩ ملحقه برسالة القنصل البريطاني ELDREDGE للسفير رقم ١ في ١٠ كانون الثاني ١٨٨٢.

وكان القناصل يحضرون جلسات المحاكمة لرعايا دولهم، ويسهلون امور التجارة لبلادهم، وبشكل عام يعملون كل ما فيه قضاء مصالح رعايا دولهم، وتثبيت نفوذها^(١).

كما كان القناصل يشكلون جزءا من الحياة العامة في البلد، ويشاركون بالمناسبات العامة كممثلين لبلادهم. وكانت القواعد المتبعة تقضي بقيام القناصل بزيارة الوالي عند قدومه لصيدا زائرا، ممثلين لبلادهم، ويقوم الوالي بردها في اليوم التالي، فهكذا فعل القناصل عند زيارة الوالي لصيدا سنة ١٨٩٣^(٢).

وكانوا مثلا يشتركون بالاحتفال بالاعياد المحلية، او التي تخص بلادهم، ففي ذكرى يوبيل الملكة، احتفل القنصل البريطاني بمنزله، وبحضور القناصل الاجانب والاهاالي، حيث اطلقت الألعاب النارية، ووزعت الحلوى والمرطبات على مئات المدعوين، وعزفت الموسيقى ألحانها^(٣). وعند وفاة الحاج علي عسيران قنصل ايران، جرى له مأتم رسمي وشعبي شارك فيه القناصل الاجانب، الذين نكست اعلام بلادهم على دور قنصلياتهم^(٤)، وعند نشوب الحرب العثمانية الروسية، اغلق فضول رزق الله دار القنصلية الروسية، واعتزل الحياة السياسية والاجتماعية، حتى نهاية تلك الحرب، حيث اعاد افتتاح دار القنصلية، وتقاطر الصيداويون لتنهئته^(٥).

وكانت تحدث بين القناصل خلاقات سياسية حادة، لكن العلاقات كانت جيدة عموما، وكان بعض الدول يعين قناصله من جنسيات مختلفة^(٦).

(١) من رسالة شبلي ابيلا لحكومته يشرح فيها اهمية قنصليته، مكتب السجلات العامة ف. و ١٧٢٣/١٩٥ ملحقة برسالة HENRY TROTTER للسفير WHITE في ٧ كانون الاول ١٨٩١.

(٢) ثمرات الفنون، العدد ٩٣٨، في ٨ أيار ١٨٩٣.

(٣) لسان الحال العدد ٢٥٤٤، في ٣٠ حزيران ١٨٩٥.

(٤) ثمرات الفنون، العدد ١٣٦١ في ٣٠ كانون الاول ١٩٠١.

(٥) لسان الحال، العدد ١٢٢ في ٩ كانون الثاني ١٨٧٩.

(٦) سنة ١٨٩٤ كان قنصل بريطانيا في حيفا JOHANN SCHMIDT وهو الماني، وفي صيدا شبلي ابيلا وهو مالطي يحمل جنسية بريطانية، وفي بيروت نائبا للقنصل اسبر شخير وهو سوري، =

د- العائلات:

١- التوزيع الطائفي والمواطن الاصلية:

تألف سكان صيدا آنذاك، من عائلات مسلمة (سنية وشيعية) ومسيحية (مارونية وكاثوليكية واثوذكسية واخيرا بروتستانتية) ويهودية.

وبعد مطالعة وتدقيق سجلات ووثائق تلك الفترة، من حجج شرعية بالاملاك والاقواف، ومن سندات البيع والشراء، ومن سجلات المحاكم الشرعية والبلدية، ومن مراجعة الارشيفات في دير الخلد ومطرانية الروم الكاثوليك وغيرها، امكن الوصول الى تحديد اسماء العائلات التي استقرت في صيدا، وشكلت سكانها في الفترة من ١٨٤٠ - ١٩١٤، وبصورة قريبة جدا من الواقع.

لقد قارب عدد تلك العائلات ٥٩٩ عائلة من مختلف الطوائف، واذا كان كثير من تلك العائلات لا يزال مقيما في صيدا حتى اليوم. فان بعضا من العائلات التي ستذكر لاحقا، غير موجود اليوم في صيدا، اما بسبب هجرة افرادها الى اماكن اخرى، او بسبب انقراضها. كما ان بعض العائلات الصيداوية اليوم، لم تكن موجودة خلال الفترة الآتفة الذكر، اذ قدمت الى صيدا بعد الحرب العالمية الاولى^(١).

وكانت العائلات الاسلامية، مرتبة هجائيا:

اباطة^(٢) ابريق ابو حمزة ابو حوش ابو دحروج

ومحمل جنسية بريطانية كما كان قنصل بريطانيا في طرابلس سنة ١٨٩٨ THESDOR CATZEFFIS وهو روسي، وفي صند JOSEPH HIKLASIEG وهو نمساوي.

(١) كان عدد العائلات المسلمة التي هاجرت من صيدا قليلا، بينما هاجرت منها عائلات مسيحية عديدة، بالإضافة الى ان جميع العائلات اليهودية غادرت صيدا تدريجيا، منذ النصف الثاني من هذا القرن، ولم يبق اليوم الا عائلة يهودية واحدة هي عائلة ليفي.

(٢) شركية الاصل. قدمت من مصر في عهد احد باشا الجزائر، وقد توصل كثير من افرادها الى تولي مناصب ادارية وعسكرية هامة، مثل احد باشا اباطة الذي تولى عدة متصرفيات، وصبحي اباطة الذي درّس التركية في عدة مدارس في صيدا، وألف كتابا في التاريخ ساه «كشف الأستار عما لحقوا الدول من الاسرار» وقد تمكن بعض افراد هذه الاسرة من جمع ثروة مهمة. وبنوا دارات فخمة في صيدا ولكن لم يكد يأت القرن العشرون حتى كانوا قد فقدوا معظم ثروتهم. وقد هاجر بعضهم الى فلسطين، وانقرض الآخرون.

ابو دراع	ابو درعة	ابو زينب	ابو الشامات	ابو شامة
ابو ظهر (١)	ابو عفرة	ابو عقدة	ابو علفا	ابو عدة
ابو غليون (غليون)	ابو فجلة	ابو قطور	ابو القطع	ابو قميص
الاتب	الاخضر	ادريس	ادلبي	ارناووط (ارناووط)
ازدجد	ازهر	الاسطة	اسكندراي	الاسلك
الأسير (٢)	الأشبه	الأظن	الأقشر (الأكشر)	الانجبار
انصاري	الانقري	الانكيشي	البابا	باحفلي (باح اوغلي)
باشو	باكير	بيو	بتكجي	البخاري
بدرا	بدري	البدوي	بديري	بدع
برير	بركة	برماوي	البرزي (٣)	البساط (٤)
بشاشة	بشاق	بظاظو	بظان	بعاصري
بغدادى	بكار	بكداشلي	بكري	بلبل
بلنك	بلحس	بلطجي	بلولي	بني
بلوان	بواب	بوجي	بوز	بوظ

(١) من العائلات القديمة في صيدا، وقد تكون منحدره من شعبان عبدالله الارناووط الذي اشتهر بأبي ظهر، وقد توصل بعض افرادها الى جمع ثروة كبيرة، مثل الحاج محمد في القرن التاسع عشر، كما تملك بعض افرادها عقارات وبناتين واسعة في سهل صيدا. وعرفت هذه العائلة بكثرة زواج افرادها من بعضهم، وللعائلة حي خاص في سهل صيدا كان يجمع كثيراً من افرادها فيه. وعمل كثيرون منهم في التجارة.

(٢) توطنت منذ القديم في صيدا، عرف افرادها بالاعمال التجارية. كما برز بينهم العلامة يوسف الأسير الذي ولد سنة ١٨١٥ ودرس في الازهر، وتولى مناصب عديدة في بيروت واسطنبول. وحرر في عدة صحف، واشترك في تهذيب ترجمة الكتاب المقدس للعربية.

(٣) يعتقد ان اصلهم من بلاد المغرب، جاءوا إلى بلاد الشام حوالي القرن التاسع عشر ويعتقد بنسبتهم للحسين بن علي. عمل كثيرون منهم في التجارة والحرف المختلفة. كما كان لهم املاك واسعة وبناتين. وصل بعض افراد هذه الاسرة الى مناصب مهمة، فكان منهم القاضي يونس ورئيس البلدية الحاج مصباح، والطبيب محمد، وذلك في اواخر القرن التاسع عشر واولائل العشرين.

(٤) من عائلات صيدا القديمة، عمل معظم افرادها بالصيرفة والتجارة، كما برز منهم توفيق البساط الذي تخرج من اسطنبول واصبح مفتشاً مالياً لتصرفية حوران ثم اعدم سنة ١٩١٦.

بيضاوي	بيضون	بيزقदार	بيطار	بيلاي
بيومي	ترجمان	الترك	د. ترياقي ^(١)	ترجي
جابر	جباي	جيبلي ^(٢)	جرادي	الجردان
الجردي	المردون	جلال الدين ^(٣)	جمال الدين	جمعة
الجوفي	جوهر	جوهرى ^(٤)	الجويدي	حاجو
الحارثي	حامد	الحايك	حلي	حبوشي
حبيب	المحتوت ^(٥)	حجازي	حرب	الحريري
حزبوز	حنا	حسونة	حشيشو ^(٦)	الحضرة
حفوضة	الحكواتي ^(٧)	حلاق	حلاوة	حلبون

(١) من العائلات الصيداوية القديمة. عمل معظم افرادها في البحر كصيادين او تجارة، وكانت لهم مراكب شراعية، ثم بواخر لحسابهم، تجوب موانئ المتوسط، كما كان بعضهم وكلاء سفر لشركات النقل المختلفة، وبرز من بينهم «رئيس بحر» معروفون كالحاج عبده الترياقي، واحد حسن الترياقي.

(٢) عائلة صيداوية قديمة. اشتغل معظم افرادها بالزراعة والتجارة، وبرز بينهم الحاج رجب الجيبلي وولده احمد وعمر من كبار تجار الجملة، حيث كانوا يتاجرون بالحبوب وبالكاز وبغيره. وكان الحاج رجب من اوائل تجار صيدا الذين ارتبطوا بعلاقات بحرية مباشرة مع اوربا.

(٣) يقولون بنسبتهم للحسين بن علي، وقد تولوا منصب «نقيب الاشراف» فترة طويلة من القرن التاسع عشر واول القرن العشرين. وكانت لهم زاوية داخل صيدا على الطريقة الرفاعية، واشتهر منهم في اواخر القرن التاسع عشر احمد نقيب الاشراف.

(٤) عائلة صيداوية قديمة، أحرز كثير منهم ثروة كبيرة، مالية وعقارية، في النصف الاول من القرن التاسع عشر، اشتهر منهم يوسف آغا الجوهرى الذي نزل عنده الأمير بشير الثاني في طريقه الى المنفى سنة ١٨٤٠. كما تولى ابراهيم آغا الجوهرى رئاسة بلدية صيدا فترة طويلة، كما تولى قانقامية صيدا بالوكالة، اكثر من مرة.

(٥) في اواخر القرن التاسع عشر لقب محمد احمد الشامية بالمحتوت، ثم اصبح علماً على هذه الأسرة. وكان معظم افرادها حرقين واصحاب محلات تجارية.

(٦) اختلف في اصل نسبتهم فقبل انهم من الصرقد، وقيل انهم من الحجاز قدموا بلاد الشام منذ قرون. وقد برز من بينهم علماء وادباء مثل الشيخ حامد حشيشو الذي تولى الافتاء في عجلون (في الاردن اليوم). والشيخ كامل حشيشو من كبار علماء الدين، ومحمد علي حشيشو الاديب المعروف في مطلع القرن العشرين، وعمل بعضهم بصناعة الصابون في صيدا.

(٧) اخذوا اسمهم من جدهم حكواتياً ولا تزال هذه العائلة موجودة في صيدا.

الحلي	الحلو	حمدان	حمود ^(١١)	الحناوي
حنغير	حوا	الحوت	حوشو	حيدر
الحيفاوي	خانزاده	خجاز	خربوطلي	خروي
خضر	خضري	الخطيب	الحلي	خوردهلي
الحولي	الخطاط	الدالي بلطة ^(١٢)	الداية	الداين
دياح	الدياغ	الدح	الدا	دردوك
الدرزي	الدرة	دقنو ^(١٣)	دقور	دمر
الدين	دندشي	الدهني	دياب	دياري
ديب	الديرافي	ديشاري	الديك	الدياسي
رازيان	الراس	الراعي	الرز	رستم
الرشدي	الرافعي	رمضان	الرملاوي	الرواس
الرئيس	رئيس المينا ^(١٤)	الزغري	زغيتر	زقليط
الزقم ^(١٥)	زكا	زنتوت	زهرة	زوييا ^(١٦)
الزيباوي	زيدان	الزين ^(١٧)	زين العابدين	زينة

(١) وجدت هذه الاسرة في صيدا منذ القديم، ويرجح قدومها من بلاد المغرب في حوالي القرن السادس عشر. وقد امتلكت ساحات واسعة من بساتين صيدا، كما كانت لهم اوقاف واسعة، وشيدوا دوراً فخمة. وظهر بينهم علماء وفقهاء وتولوا الاقضاء ومنصب نقيب الاشراف لبعض الوقت.

(٢) ورد في بعض وثائق من المحكمة الشرعية في صيدا تعود الى منتصف القرن التاسع عشر، اسم عبيدي باشا الشهير بالدالي بلطة. ولعل هذه العائلة تنسب اليه.

(٣) لقب به سعد الدين آغا شاعر الارناؤوط في اواخر القرن التاسع عشر، كما تشير الى ذلك وثائق المحكمة الشرعية في صيدا. ثم حلت اللقب اسماؤه من بعده.

(٤) ينتسبون الى جدهم التركي الذي شغل منصب رئيس لبناء صيدا. وكان ذلك في مطلع القرن العشرين. كما اخبرني بذلك محمد. أحد افراد هذه الاسرة لدى مقابلتي له.

(٥) لقب به محمد المرعي. ثم صار علماً لأسرته. لكن هذه العائلة لم تستمر طويلاً وانقرضت.

(٦) حمل هذا اللقب احد افراد اسرة البيق (ابراهيم البيق) كما تشير الى ذلك سجلات المحكمة الشرعية.

(٧) تحمل الاسم نفسه اسرتان احدهما شيعية كان موطنها الاصلي شعور في قضاء صور. وفي بداية القرن التاسع عشر ارتحلت الى صيدا واستقرت بها، واشتهر من افرادها الشيخ احمد عارف

زينو	زَيُون ^(١)	سبانخ	المبسي	السبع اعين ^(٢)
ست ابوه (تَبُوهُ) ^(٣) ست امه (ست امو) ^(٤) سحمرافي			السروجي	السريدار
سعد	السعودي	السكافي	السقا	السكاكيني
سكيني	السمره	سمهون	المن ^(٥)	ستينا
سنجر	سكحلحله	السنوسي	السنيرة ^(٦)	السوحافي
السوسي	السيد	السيد الحلاق	شاكر	شامدين
النامي	ثاميه ^(٧)	شحاده	شرارة	شرف الدين
شرفج	الشريف	الشعار	شعبان	شميب
الشباع	شمس	شمس الدين	شعير	شهاب
الشيخة	الشيخ عمار	صابوغي	الصاحب	الصافي
صالحافي	الصاوي	الصباغ	صرصار	صروعة
الصغير	الصفاوي	الصفاوي الديرافي ^(٨) صفدية ^(٩)		صفي الدين

الزين. والاسرة الثانية سنية يعتقد بانتسابها للامام زين العابدين، وقد ظهر بين افرادها علماء وفقهاء، كما حازت منصب الاقناء وتقابة الاشراف فترة معينة، ومن عرف من افرادها الشيخ بهاء الدين الزين، والشيخ عثمان الزين.

- (١) واشتهر بالسعودي، كما ظهر من سجلات البلدية في صيدا.
- (٢) حلوا هذا اللقب لزوجهم عند نبع السبع اعين القائم شال صيدا، ولا يزال قسم كبير من هذه العائلة يقم في المكان نفسه.
- (٣) هكذا وردت اسماء افراد هذه العائلة في سجلات الشرعية والبلدية وغيرها من وثائق تلك الفترة ولا اظن ان احداً من افرادها موجود اليوم.
- (٤) لقب به احد افراد عائلة البزري.
- (٥) عمل معظم افرادها بالبحر كصيادين ومجارة. وعرف منهم الشيخ عبدالرحمن السن الذي كان عالماً فاضلاً، وتقع باحترام كبير لدى السلطان عبدالحميد الثاني.
- (٦) اشتهرت بعمل الحلويات وماء الزهر، وكان لها معمل حلويات من اوائل القرن التاسع عشر.
- (٧) تحمل الاسم نفسه اسرة مسيحية من مجدليون.
- (٨) الصفاوي عائلة، والديرافي عائلة اخرى، وكان احد افراد عائلة الديرافي امه من عائلة الصفاوي، فأخطأ مأمور النفوس ودوّن كنية ذلك الشخص الصفاوي الديرافي جامعاً اسم عائلة امه وعائلة ابيه، وهكذا صارت العائلة تعرف بالصفاوي الديرافي، اخبرني ذلك شريف الصفاوي الديرافي وهو نجار لا يزال يعمل، وعمره ٧٦ سنة، وقد قابلته في قوز ١٩٨١.
- (٩) لقب جده ديب عبداللطيف محمد العتال، واصبح عالماً على أسرته من بعده.

صقلون	الصلح ^(١)	صلوح	الصوم	الصيد
الصبداني	الصيص	الضابط	ضافر	ضاهر ^(٢)
طالب	طرابلسي	طقطق	طنبور	طنطاوي
طنطش	الطنيش	الطويل	الظريف	عابدون
العاصي ^(٣)	عاري	عبدالمال	عبد النبي	عبود ^(٤)
العتال	عتيق	عجوز	عجينة	العر
عراي	العربي	عرونوس	عزام	عزالدين
عصاف	عيران ^(٥)	العش	عفارة	عقاد
عكاوي	عكرة	علاطي	علباوي	علوان
عمر اوي	عنتر	عواد	عواضة	عوجي
عوكل ^(٦)	عبد	عيساوي	عيلاني	غبورة
غدار	الغربي	غرمقي	غزال	غزاوي
فاخوري	فاعور	فتال	فتوح	فخري
فوشوخ	فريدي	فلفل	قادري	قاروط
القاضي	قياني	قبرسلي (فبرسلي)	قدورة	قديح
قراكلي (قرهكلي)	قرص ^(٧)	قرقدان	قرماني	قريطم

(١) عائلة صيداوية قديمة. تسلم أفرادها مناصب مهمة في الدولة العثمانية. فقد تولى احمد باشا الصلح عدة منصرفيات. كما كان ابنه كامل بك رئيس محكمة استئناف دمشق. كما صار رضا بك الصلح قائمقاماً لصيدا في اواخر القرن التاسع عشر.

(٢) تحمل الاسم نفسه عائلة مسيحية أيضاً.

(٣) توجد بالاسم نفسه عائلة سنية واخرى شيعية.

(٤) تحمل الاسم نفسه عائلات سنية وشيعية ومارونية.

(٥) من العائلات الشيعية المهمة في صيدا. عمل أفرادها في التجارة. كما برز منها الحاج علي عيران الذي تولى منصب قنصل ايران في صيدا مدة نصف قرن. وتلاه الحاج عبدالله عيران. وبعد جلاء الاتراك عن هذه البلاد كان مير عيران اول قاضي شيعي في صيدا الى جانب القاضي السني. يعتقد ان اصلهم عربي من بني اسد.

(٦) اطلق على يونس المبد لقب عوكل في اواسط القرن التاسع عشر كما تشير الى ذلك سجلات المحكمة الشرعية.

(٧) عائلة تركية الاصل غير موجودة في صيدا اليوم.

قصار	قصير	قطب	قطيش	قعدان
قلعاوي	قميريس	القنواقي	قهبجي ^(١)	القواص ^(٢)
قوام ^(٣)	قياعا	القيمي	كاعين	كالو
كبريت	الكبش	كربلا	كرجيه	الكردي
كزبر	كساب	كشتبان	كشتو	الكلبان
الكلش	كتانة	كتمان	كتفاني	الكوز
كوسا	كولاه ^(٤)	كيلاني	كيلو	لبابيدي
لطني	لنمجي (النمجي)	اللقواط	لمح	لوييه
اللوط	المارديني	ميدر	المتشش	متولي
المجدرة	المجذوب ^(٥)	المجذوب الصباغ ^(٦)	المجذوب	مخلاتي
المدقة	المرقي ^(٧)	مرجان	مرعي	المرقي ^(٨)
المزبودي	مزوق	مستو	منلاني	مشلوط
المصري	مطر	معتوق	معصراني	المعضم

- (١) تحمل الاسم نفسه عائلة مسيحية أيضاً.
- (٢) يمتدق بنسبتهم الى مصطفى باشا الذي ولى صيدا سنة ١٧٤٩. ولقب بالقواص لمهارته في اصابة الهدف. عمل بعضهم بالزراعة. كما ظهر بينهم علماء وقهلاء، وكان ابو الخير القواص من اوائل الصيداويين الذين تلقوا علوماً عالية في اسطنبول.
- (٣) لقب به علي احمد البابا ثم اصبح علماً على أسرته.
- (٤) تعني « القبعة » ويبدو انها عائلة تركية توطنت في صيدا. وهي غير موجودة اليوم.
- (٥) اصلها من المغرب. قدم جدها الاعلى الى بلاد الشام حوالي القرن السابع عشر وانتشر ابناؤه في صيدا وبيروت وطرابلس ودمشق. وفي صيدا عمل بعض افرادها في التجارة، كما تولى البعض الآخر مناصب مهمة كالافتاء والبرق والبريد واقام احد افرادها مسجداً قرب بوابة الشاكرية لا تزال حتى اليوم. كما عرف الحاج محمود المجذوب في اواخر القرن التاسع عشر بثروته الكبيرة واعماله الخيرية العديدة. وكان الحاج يحيى المجذوب قد تولى متسلمية بيروت سنة ١٧٩٩.
- (٦) تفرعت عن عائلة المجذوب بعد ان لقب ابراهيم المجذوب بالصباغ وكنيته ابو رجب، وذلك في اواخر القرن التاسع عشر. كما تشير الى ذلك سجلات المحكمة الشرعية.
- (٧) لقب به حسن ابراهيم البزري في اواخر القرن التاسع عشر. ثم اصبح علماً على أسرته، كما تشير الى ذلك سجلات المحكمة الشرعية.
- (٨) لقب به احد ابناء عائلة البزري. ولا تزال هذه العائلة موجودة حتى اليوم.

مغربية	مغربيل	مغربي ^(١)	المكاري	مكاوي
الملا	الملاح	الملا المجدوب ^(٢)	متو	مهنار
المهتدي	المولى	الميس	النابلسي	الناثوت
ناجيا	الناعماني	نباطي	نجار	نخاوي
نحولي	نسب	نصار	نصر	نضر
نعمة	نعوس	نفوزي	التقييب	نكب
النوباني	النوام	هيش	هرت	هرمز
همدر	هنداوي	هوارى	واوي	وزان
الوزير	وهي	باسين	يافاوي	اليعفروري
الياني	اليمن			

اما العائلات المسيحية فقد كانت:

ابوزيد	ايلا ^(٣)	اسير	اسطفان	اقتيموس
اورفانوس	ايوب ^(٤)	بارودي	البعاش	بربور
برقران ^(٥)	برشا	اليس	البستاني	بسترس ^(٦)

- (١) قدموا من المغرب في القرن التاسع عشر، وظهر بينهم كامل المغربي وكان من العلماء.
- (٢) تفرعت عن عائلة المجدوب بعد ان لقب عبداللطيف الحاج يوسف عمر المجدوب بالملأ، وهو احد مراتب الصوفية، وقد تولى احدهم منصب الاقناء في صيدا.
- (٣) لعبت دوراً سياسياً وتجارياً هاماً في حياة صيدا. اصلها من مالطة، جاء جدها يعقوب الى عكا في زمن ظاهر العمر وعمل بالتجارة وفي اوائل القرن التاسع عشر انتقل يوسف ايلا الى صيدا. وجعل قصره منتدى للأدباء والشعراء. وبرز من افرادها يوسف (تخرج من الجامعة الاميركية طبياً) وانيبال (صاحب مجلة الاقتصاد البيروتية) والاب شارل (درس بجامعة القديس يوسف) وشيلي (طبيب وقنصل) وفريد (عمل طبيباً بصعيد مصر) ورفول وجريس (وكانا كفيفين، نظماً شعراً جيداً وتساخلا مع اليازجي والأسير).
- (٤) ترك معظمهم صيدا في مطلع القرن العشرين الى القدس ودمشق. وعرف منهم الطبيب اسعد (الذي عمل ضابطاً بالجيش المصري في السودان) ووديع (كان اول صيداوي يتخرج صيدلياً).
- (٥) من اصل فرنسي، قدم جدهم برتلموس برقران الى صيدا سنة ١٦٤٨، واخذ بمعالجة مرضاها، ورحل آخر فرد منهم الى المغرب سنة ١٩٢٠.
- (٦) لم يبق منهم احد في صيدا اليوم، وقد غادروها الى بيروت.

بيطار ^(١)	ثابت	جاماتي	جاموس	جبور
جدعون	جرمانوس	جيز	حداد	حرب ^(٢)
حريصي	حريق	حزقيا	حسيني	حكيم
الحلي	حليس	حموضة	حوا	خباز
خطار	خياط ^(٣)	خليل ^(٤)	خوري	داغر
داية ^(٥)	ديانة ^(٦)	رزق	رزق الله ^(٧)	رغول
رومانوس	زاهر	زبال	زريق	زعرع
زقليط ^(٨)	زكار	زهار ^(٩)	زيني	سمعان
سوسو	الشاب	شاغوري	شالوحة	شامي ^(١٠)
شباط ^(١١)	شختورة	شدياق	شعيا	شلهوب

- (١) يوجد عائلة مسلمة تحمل الاسم نفسه.
- (٢) يشتركون بالاسم نفسه مع عائلة مسلمة.
- (٣) جاءوا صيدا من دمشق، ثم نزحوا اوائل القرن العشرين الى بيروت، عرف منهم نقولا (مدير الرميحي في صيدا) وانطون (قنصل ايطاليا في صيدا لفترة طويلة).
- (٤) توجد عائلتان بالاسم نفسه من الطائفتين الاسلامية والمسيحية.
- (٥) تحمل الاسم نفسه عائلة مسلمة أيضاً.
- (٦) من عائلات صيدا الكاثوليكية المعروفة، هاجر بعضهم الى دمشق (اواخر القرن التاسع عشر) وإلى بيروت (مطلع القرن العشرين) ولم يبق الا بضعة افراد منهم في صيدا. عرفوا بالثراء الواسع، وكانت لهم تجارة واملاك مهمة، وملكوا قصرأ فخأ في صيدا لا يزال قائماً حتى اليوم. عرف منهم رفة (بتجارته الواسعة) ويوسف (باستلامه قسضية نابولي في صيدا) ومخايل (مؤلف كتاب التقويم العام لخمسة آلاف عام).
- (٧) من العائلات التي تولت ادارة قنصلية روسيا واليونان فترة طويلة. انتمى افرادها الى المارونية والارثوذكسية.
- (٨) حملت الاسم نفسه عائلة مسلمة أيضاً.
- (٩) عائلة ارثوذكسية وكاثوليكية معروفة، اذ يتبع قلة من افرادها الارثوذكسية ويمتقي الباقون بالكاثوليكية. ويشتدق انهم جاءوا صيدا من شمال لبنان، عرف منهم الياس كأبرع الجراحين في صيدا في مطلع القرن العشرين، ومخلة الذي تولى عضوية مجلس ادارة القضاء.
- (١٠) تشترك بالاسم نفسه عائلة مسلمة أيضاً.
- (١١) عائلة ارثوذكسية اصلها من القدس، نزحوا في اوائل القرن العشرين الى كسروان ودمشق.

صايونجي	صاحبة	صاصي	صفدي	صهيوني
صوصة	ضبر	طعمة	طباط	عازوري
عسمي	عبود	عجرم	عساف	عطا
عكاوي	عواد	عودة ^(١)	غفري	غباشة ^(٢)
فاخوري	فارس	فران	فرنانة	فرنسيس
فضول	قبرصي ^(٣)	قربان	قزي	قسطنطين
قباطي	قنواقي ^(٤)	قهبجي ^(٥)	كاتافاكو ^(٦)	كاترون
كرم	كمان ^(٧)	كونتي	كيال ^(٨)	كيوان
لطوف	لفلوفة	لولو	مامو	مبيض
مقي	مجدلاني	مرقس	مشاقة ^(٩)	مصوبع ^(١٠)

(١) عائلة صيداوية قديمة عملوا بالتجارة والصيرفة وكانت لهم املاك واسعة، اشتهر حنا بتراته الواسع، وانطون (تخرج بالطب من الجامعة اليسوعية).

(٢) عرف منهم جورج (مدير الدفتر الحاقاني في الكرك في الاردن) وفريد (طبيب بلدية عجلون بالاردن).

(٣) اصلهم من قبرص، وهم من العائلات الكاثوليكية.

(٤) تشترك بالاسم نفسه مع عائلة سلمة.

(٥) تحمل الاسم نفسه عائلة سلمة ايضاً. ومذهب هذه العائلة الكاثوليكية.

(٦) من العائلات اللاتينية، تولوا العمل القنصلي والتجاري، وكان لهم خان شمال صيدا على الطريق الى بيروت.

(٧) يلتفون بالاسم نفسه مع عائلة سلمة.

(٨) اسرة كاثوليكية معروفة، عرف منهم توما الذي عمل فترة طويلة مدرساً في الفرير والرشدية، والى عدة كتب في الزراعة والاقتصاد، ويوسف الذي انشأ بنك الرهونات في مصر. وفي مطلع القرن العشرين هاجر معظمهم الى بيروت ومصر.

(٩) اصلهم من جزيرة كورفو اليونانية، وهم من الروم الارثوذكس كانت عائلتهم تدعى «بترامي» وكان جدهم يوسف قد جاء طرابلس في منتصف القرن الثامن عشر، وعمل بالتجارة بالمشافة (هي خيوط الحرير الفليضة التي تبقى بعد مشقتها) فصار هذا الاسم علماً على أسرته، نزع ابنه جرجس الى صيدا سنة ١٧٥٢ وانخر بالتبغ مع مصر، ثم اعتنق الكاثوليكية، ووقف املاكاً واسعة على دير المخلص. وانتقل الى صور وكان اول مسيحي يسكنها بعد نزوح المسيحيين منها، وبنى فيها مسجداً وكنيسة. والى ابنه غنايل كتاب «الجواب على اقتراح الاحياء» في التاريخ. وعدم الامير بشير الثاني. ثم عمل بالتجارة حتى وفاته في دمشق سنة ١٨٨٨.

(١٠) اصلهم من الشوف، عرف منهم سليمان الذي عمل بالمحاماة وتولى عضوية مجلس ادارة القضاء في

معماري	منصور	ميخا	منياش	نحاس
نحلة	نديرة	نصار	نصر	نعمان ^(١)
النقاش ^(٢)	نور ^(٣)	نوفل	هرمس ^(٤)	هندي
الوزير ^(٥)	اليازجي	يعقوب	يونس ^(٦)	

اما العائلات اليهودية فكانت:

ابراهيم	برزلآي	بليانو	بصل ^(٧)	بولتي
حديد	خياط ^(٨)	ديوان ^(٩)	زيتون	شعيا
شلمس	شكري	شموئيل	فوري	كوهين

صيدا، وألف كتباً قانونية مهمة.

(١) عائلة قديمة جاءت صيدا من حوران، وتعتنق الكاثوليكية.

(٢) عائلة مارونية صيداوية قديمة، هاجر الياس النقاش الى بيروت سنة ١٨٢٥ وهناك نشأ ابنه الطفل مارون الذي عرف فيما بعد بأنه اول من اوجد فن المسرح في بلاد الشام. اول رواياته «البخيل» مثلها في منزله سنة ١٨٤٧ بحضور أركان حكومة الولاية، وتوفي في طرسوس سنة ١٨٥٥، وكان مولده في صيدا سنة ١٨١٧.

(٣) عائلة كاثوليكية يعتقد ان موطنها الاصلي شمال لبنان عرف منها المحامي بشارة، ومدير الريجي في مرجعيون حبيب. وكان شاعراً حاضراً البديعية. نظم سنة ١٩٠٨ قصيدة ملحمة طويلة تؤرخ عهد السلطان عبد الحميد كان مطلعها:

لواء شكري بسد العسكدر ناصره
والمسبح سؤلي بسدر القول ناصره
كما اشتهر فرج الله بالشعر وقد ولد بصيدا سنة ١٨٦٨ وتوفي في البرازيل سنة ١٩٢١، وكان قد غادر صيدا الى مصر، ثم الى تونس حيث انشأ فيها جريدة «البصيرة» ثم انطلق الى المغرب فأسس في طنجة صحيفة «لسان المغرب» ثم هاجر الى البرازيل وظل فيها حتى موته.

(٤) عائلة كاثوليكية ظهر منهم المحوري نقولا هرمس في اواخر القرن التاسع عشر.

(٥) عائلة مارونية، تشترك بالاسم نفسه مع عائلة مسلمة.

(٦) تشترك بالاسم نفسه مع عائلة مسلمة.

(٧) تفرعت من عائلة لاوي، بعد ان حمل احد افرادها لقب بصل.

(٨) اشتركت بالاسم نفسه مع عائلة مسلمة، وعرف افرادها بالعمل المصرفي والمالي.

(٩) عرف منهم ابراهيم كمختار للطائفة اليهودية، وقد غادروا صيدا الى بيروت سنة ١٩٧٩.

٢- معاني اسماء العائلات:

حلت كل عائلة صيداوية اسما عرفت به وتوارثه افرادها، ويمكن حصر معاني اسماء العائلات الصيداوية ودلالاتها في اربع فئات رئيسية هي:

١- النسبة الجغرافية الى بلد او مكان: مثل الاسكندراني (اسكندرية) والبعاصري (بعاصر) والحريصي (حريصا) والحلي (حلب) والديماسي (الديماس قرب دمشق) والرملاوي (الرملة) والصفدي (صفد) والقبرصلي (قبرص) والسبع اعين (نعم السبع اعين).

ب- النسبة الى الحرفة او المهنة مثل:

السايس (الذي يعتني بالخليل) والبنّي (بائع البن) والبيطار (الذي يعالج الخيل) والترياقعي (بائع الادوية العشبية وصانعها) والجوهري (صانع الجواهر) والحكواتي (الذي يحكي الحكايات في المقاهي) والخروبي (بائع الخروب) والخياط والترجمان والحلاق والحريري والعتال والقران والقواص والقهوجي والزعتري (بائع الزعتر) والسقا (الذي ينقل الماء في قرية من الجبل الى البيوت بالأجر) والسوسي (بائع السوس) والسكاكيني (صانع السكاكين) والسروجي (بائع السروج) والكيال (ملتزم الكيالة في السوق) والقنواقي (موزع الماء) والمشرع عليها) والفاخوري (صانع الفخار) والملاح (بائع الملح) والنحاس (الذي يطرق النحاس ويصنع منه الادوات المختلفة) والرواس (بائع الرؤوس المطبوخة نيئا)

(١) يعرفون اليوم باسم ليشي، وقد عرف بعض افراد هذه الاسرة بالثراء، كما ان آخر حاخام في العهد التركي كان مراد لاوي احد افراد هذه الاسرة (١٩٠٩)، كما كان شعون لاوي حاخاماً في ١٨٩٩. واليوم تشكل عائلة لاوي (ليني) العائلة اليهودية الوحيدة الباقية في صيدا.

ج- النسبة الى لقب يجعل مدحاً او ذماً او صفة مثل:

الاسير والأكثر والأزعر، وابو غدة، وابو عقدة، وابو ظهر، وابو حوش،
وابو زينب، وابو فطور، وابو غليون، والبوز، ودقنو، والمرتي، والجردون،
والجردلي (اصلها جرده لي بمعنى العامل بالجرده اي الحملة العسكرية) وبشاشة،
والبابا، والبيو، وأبو الثامات وست امه، وست ابوه، والطنيش (اي
المتفاضي عن الامور) والصوص، والبتكجي (المتنمل بالنحل او النحال)
والظريف، والنوام والقوام والنعمان، والدرزي (لقب به محمد الاسمر)
والصيص (لقب به درويش المصري) والمجذوب (الذي لحقته جذبة الرحمن وهي
حالة روحية عند الصوفيين).

د- النسبة الى اداة او نبات او حيوان او شيء مثل:

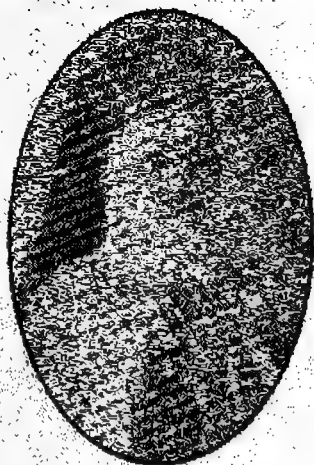
الابريق، والبساط والكوز، والكشتبان، والكبريت، والكوسا، والبصل،
والمجدرة، ودبانة، ومدقة، ونخلة وصرصار، والجردون، وسبانخ، وعجينة،
ولوبيه، وجاموس، والجيز وغيرها.



قنصل ایران
عبدالله صوران
۱۸۶۵ - ۱۹۱۷



مخلة رزق الله
قنصل السويد والنرويج
۱۸۸۰ - ۱۸۸۹



ياسينوس حجار
مطران الروم الكاثوليك
١٨٨٦ - ١٩١٦



تاودوسوس قيوحي
مطران الروم الكاثوليك
١٨٣٦ - ١٨٨٦



الحاجام
اسحق ليثي
١٨٨٢ - ١٩١٨



الدكتور جورج هورد



القس وليم كنج إدي
رعاة الكنيسة البروتستانتية
١٨٦١ - ١٩٠٥

أسرة صيداوية مسيحية
في زى مطلع القرن العشرين
(مجموعة جان ماضي)



أسرة صيداوية مسيحية
في زى الربع الأول من القرن العشرين

سيحة صيداوية
في ثياب الفرس مطلع القرن العشرين
(مجموعة جان حاضي)



عروسان صيداويتان سلحان
في الربيع الاول من القرن العشرين

الحياة الاجتماعية

أ - الحياة العائلية

١ - الزواج والطلاق

الزواج غاية كل شاب وفتاة، والهدف منه الإستقرار المادي والنفسي، وتشكيل أسرة جديدة، « فالعيلة » مرادفة للزواج، ومرتبطة به، حتى إن الصيداي يشير إلى زوجته، أحياناً، على أنها « العيلة » حتى ولو لم يكن قد أنجب بعد.

وقد قوي الاعتقاد، في ذهن الصيداي، إن الزواج هو فعلاً انشاء عائلة جديدة، منذ أن صار الأولاد المتزوجون، في أواخر القرن التاسع عشر، يقيمون في بيوت مستقلة عن بيوت أهلهم، وتضمهم وزوجاتهم، وتشعرهم، بالتالي، بأنهم قد أسسوا بهذا الزواج، عائلة جديدة فعلاً، لأن العادة جرت عند كثير من الصيدايين، خلال شطر كبير من القرن التاسع عشر، أن يقيموا، بعد زواجهم، في بيوت أهلهم، حيث يشغل الواحد منهم غرفة مستقلة من المنزل، أو « شقة » من البناية، إذا كان البيت واسع الأرجاء، أو كانت البناية كبيرة من التي كانت تعرف « بالحارة » أحياناً.

وتكوين أسرة جديدة كان، ولا يزال، ضرورة فردية وأخرى إجتماعية. أما الفردية فهي تحقيق شخصية الشاب المستقلة، وإثبات قدرته على القيام بأعباء انشاء أسرة جديدة، وتوكيد رجولته. أما بالنسبة للفتاة فكانت أقل بروزاً، وأما ضرورتها الإجتماعية، فإن الوالدين كانا يعتبران مسؤوليتها لم تنته بعد، حتى يتم تزويج أولادها، بالإضافة إلى أن المجتمع الصيداي المحافظ

عموماً، كان يرحب بالمتزوج أكثر من العازب للإندماج في الحياة الإجتماعية العامة.

لدى رغبة الشاب بالزواج «لاكمال نصف دينه» كما كان يقال، كان يلجأ، غالباً إلى أمه، أو أية سيدة مسنة من أسرته لتبحث له عن عروس المستقبل، إذا لم يكن في ذهنه فتاة معينة، أو لم تكن أسرته قد «علّمت» له إحدى الفتيات من الأقارب أو المعارف.

وكانت الأم تبدأ بالبحث عن عروس تناسبه من حيث الطباع والمستوى الاجتماعي، وعندما كان الاختيار يقع على احدها، كانت الاسئلة تنهال على الفتاة وامها بحثاً عن «ماضيها»، من حيث سلوكها الشخصي والاجتماعي، وصحتها الجسدية والأمراض التي قد تكون اصابتها، ويكون نصيب الأم (أم الفتاة) اسئلة حول طباعها، وعملها كربة بيت، لأن كثيراً من تلك الطباع والتصرفات والخبرة تنتقلها الفتاة عن أمها، حيث يقول المثل «طُبَّ الجرة عاتياً بتطلع البنت لأماً».

أما أسئلة أهل الفتاة عن الشاب فتدور معظمها حول «حاضره»، من حيث طاقته الجسدية، وقدرته المالية، ومركزه المهني، ومستواه الاجتماعي، ومدى جديته في بناء أسرة جديدة وتحمل مسؤولياتها.

فاذا تم الإتفاق جرى عقد «الخطبة» فتقرأ الفاتحة، لدى المسلمين، وتوزع الحلوى أو الشربات، وتتطلق أدعية الرجال بالتوفيق وزغاريد النساء باعلان الفرحه، ولا يشترط حضور رجال الدين أو تسجيل الخطبة خطياً.

أما لدى المسيحيين فالخطبة تكون كذلك ممهدة لعقد الزواج فيما بعد، حتى يضمن الشاب والفتاة زواجاً موفقاً في المستقبل، خصوصاً وإن الزواج هو سر من أسرار الكنيسة، وبه يتم اتحاد الرجل والمرأة اتحاداً شرعياً، ليتعاونوا معاً على حمل أعباء العائلة، ولا يجوز الطلاق فيه، لدى كثير من الطوائف المسيحية.

وعند تفاهم الأسرتين المسيحيتين على زواج ولديهما، تم الخطبة بأن يضع الشاب «العلامة» من خاتم أو غيره، ويصلي الكاهن صلاة قصيرة، وتدفع

البائنة أو المهر، وهي ما يتعهد بتقديمه والدا الفتاة، أو الفتاة نفسها، في سبيل زواجها^(١)، والبائنة أو «الدوطة» ليست شرطاً من شروط الزواج المسيحي، بل هي اختيارية.

أما عقد الزواج فكانت كل طائفة تجريه حسب تعاليمها وتقاليدها الخاصة، فالمسلمون كان يجري عقد زواجهم في المحكمة الشرعية، أو في أي مكان آخر يتم الاتفاق عليه، وغير المسلمين يجري عقد زواجهم في كنائسهم طبقاً لشعائهم الدينية، لكن في جميع الأحوال، كان لا بد من حضور القاضي، أو نائبه. مهما كانت ديانة الزوجين أو طائفتها.

ففي أواخر القرن التاسع عشر، حددت التعليمات الرسمية التي أصدرتها الدولة، ابلاغ المحكمة الشرعية، على كل من رغب بالزواج، مهما كانت ديانتها أو طائفتها. وأن يقوم مختار المحلة أو إمامها، أو الرئيس الروحي فيها (لغير المسلمين) بتعليق إشعار في مكان بارز من باب الجامع، أو الكنيسة، أو في مكان عام مطروق من الناس، يتضمن اسمي المرشحين للزواج، وابقائه فترة معينة، لإتاحة المجال لأي اعتراض قانوني أو شرعي على ذلك الزواج.

وقد فرضت التعليمات، الحبس من شهر إلى ستة لكل من يعقد زواجاً دون حضور القاضي الشرعي أو نائبه.، والحبس من اسبوع إلى شهر لشهود ذلك العقد، كما فرضت الحبس من ستة أشهر إلى ثلاث سنوات للعريس ووكيله وللشهود ولما قد الزواج، إذا تمَّ على امرأة لا تزال على ذمة زوجها^(٢). وكان على رجال الدين من غير المسلمين تسجيل وقائع الأحوال الشخصية لدى طوائفهم، من زواج وولادة ووفاة، وغيرها، وإرسالها أولاً بأول إلى دائرة النفوس، ففي سنة ١٨٩٢ مثلاً تبادل القائمقام ومطران الروم الكاثوليك في صيدا الرسائل بهذا الشأن. اذ أرسل الأول إلى الثاني يحذره من التهاون في

(١) لبنان مباحث علمية وإجتماعية، نشر بهمة اساعيل حقي، سنة ١٣٣٤ هـ. حققه إبراهيم البستاني، ج ١، ١٩٦٩، بيروت، ص ١٧٤.

(٢) إعلان عن بعض شروط النكاحات والفارقات للمسلمين وغير المسلمين، المواد ١ - ٨، غير مؤرخ ويرجع صدوره سنة ١٣١٠ هـ (١٨٩٢)، أرشف مطرانية الروم الكاثوليك، صيدا.

إرسال تلك المعلومات إلى دوائر النفوس دون تأخير^(١).

وكان الزواج من الأقارب شائعاً، خصوصاً من ابنة العم، إلى درجة أن الزوج صار يشير إلى زوجته على أنها « ابنة العم » حتى ولو لم تكن ابنة عمه حقيقة، وبالمقابل كانت الزوجة تلقب زوجها « ببن العم » وبالتالي كانت الحماة « امرأة العم » وكان الحمى « عمّاً » ولا تزال هذه المصطلحات دارجة لدى عامة الصيداويين اليوم.

في بداية القرن العشرين كان سن الزواج للشباب الصيداوي، من المسلمين يتراوح بين عشرين إلى تسع وعشرين سنة، وللفتاة من عشر إلى عشرين سنة غالباً، كما كان الزوج عادة أكبر من المرأة من سنة إلى خمس عشرة سنة^(٢). من المعطيات السابقة، يتبين، أن نسبة كبيرة من الشباب الصيداوي، من المسلمين، كان يتم زواجها قبل بلوغها الثلاثين، وإن ما يزيد عن الثلثين كانوا يتزوجون قبل بلوغ الأربعين من العمر.

كما يلاحظ إن نسبة كبيرة من « المرائس » من الصيداويات المسلمات كنّ

(١) رسالة الطران باسيلوس حجار إلى قائمقام صيدا في ٢٣ كانون أول ١٣٠٨ (١٨٩٢)، أرشيف مطرانية الروم الكاثوليك، صيدا.

(٢) من تحليل لعينة من ثلاثين عقد زواج تمت في صيدا خلال سنتي ١٩٠٦ - ١٩٠٧ تبين ما يلي = بالنسبة لعمر الزوج: في حالة واحدة كان عمره ١٧ سنة، وفي ١٢ حالة تراوح عمره بين ٢٠ - ٢٩ سنة وفي ٩ حالات كان عمره ٣٠ - ٤٠ سنة، وفي ٣ حالات تراوح عمره بين ٤٠ - ٥٠ سنة. وفي ٥ حالات تجاوز عمره ٥٠ سنة. وبالنسبة لعمر الزوجة: في ٦ حالات كان عمرها من ١٠ - ١٥ سنة، وفي ١٣ حالة منها تراوح عمرها بين ١٦ - ٢٠ سنة، وفي ٧ حالات كان عمرها بين ٢١ - ٣٠ سنة، وفي ٣ حالات بلغ عمرها بين ٣١ - ٤٠ سنة، وفي حالة واحدة فقط كان عمرها ٤٣ سنة. وبالنسبة للفرق بين عمري الزوجين: في ١٠ حالات تراوح الفرق من سنة إلى عشر سنين، وفي ١٠ حالات أخرى كان الفرق بين ١١ - ٢٠ سنة، وفي ٣ حالات أيضاً تراوح الفرق من ٢١ - ٣٠ سنة. وفي جميع الحالات السابقة كان الرجل أكبر سناً من المرأة. أما في الحالات الأربع الباقية فكانت المرأة أكبر سناً من الرجل، وفي ثلاث من هذه الحالات كانت المرأة ثيباً. وفي الحالة الرابعة كانت عذراء، راجع سجلات المحكمة الشرعية سجل ١٩ لسنة ١٣٢٥ - ١٣٢٦ هـ.

من القاصرات، وبالتالي فإن ما يزيد عن ثلثي المتزوجات من المسلمات
الصيдаويات كانت أعمارهن لا تزيد عن العشرين سنة.

ولا شك أن نتائج مثل ذلك الزواج كانت سيئة على الصعيدين الصحي
والاجتماعي، فمثل تلك الفتيات الصغيرات كانت أجسادهن لم تنضج تماماً
بعد، فكأن يمتن عند وضع مواليدهن الأوائل، كما إن نسبة كبيرة من أولئك
المواليد، كانت تقضي نحبها لسوء رعاية الأمهات لمن لقله خبراتهن، وعدم
قدرتهن على تحمل أعباء الزوجية، وأترابهن ما زلن يلعبن في الطرقات.

ورغم مخاطر ذلك النوع من الزواج المبكر بالنسبة للفتيات، فإن الأهل لم
يهتموا بها، لأن همهم الأول كان تزويج أولادهم، خصوصاً البنات منهم،
بسرعة قبل أن تدب فيهم الشيخوخة أو يدركهم الموت، فالفرحة الكبرى للأهل
أن «يزوجوا أولادهم بحياتهم» كما تقول الأمثال الشعبية الدارجة.^(١)

ويبدو أن الأهل غالوا في المهور في النصف الثاني من القرن التاسع عشر.
بما دفع الدولة إلى إصدار تعليمات تحدد فيها فئة الزواج وقيمة المهر ونوع

(١) لدى تحليل عينة عشوائية من ثلاثين عقد زواج لدى طائفة الروم الكاثوليك، كنموذج تقريبي
للطوائف المسيحية، تبين ما يلي:

أولاً - بالنسبة للزوج:	ثانياً - بالنسبة للزوجة:
- حالة واحدة كان عمره فيها ١٨ سنة	- ١٠ حالات كان عمرها من ١٥ - ١٩ سنة
- ٢١ حالة تراوح عمره بين ٢٠ - ٢٩	- ١٦ حالة كان عمرها ٢٠ - ٢٥ سنة
- ٦ حالات تراوح عمره بين ٣٠ - ٣٨	- ٣ حالات تراوح عمرها بين ٢٧ - ٣٠ سنة
- حالة واحدة كان عمره ٤٥ سنة	- حالة واحدة كان عمرها ٤٥ سنة
- حالة واحدة كان عمره ٥٢ سنة	

ثالثاً - بالنسبة للفارق في العمر بين الزوجين، تبين إن ٢٥ حالة كان الزوج فيها أكبر من
الزوجة بفارق تراوح من سنة واحدة إلى ٢٣ سنة، وفي حالتين كانت الزوجة أكبر بفارق سنتين
إلى خمس سنوات وفي الحالات الثلاث الباقية تساوت أعمار الزوجين. والملاحظة الأخيرة المهمة
إن عمر الزوجات لا يقل عن ١٤ سنة وعمر الأزواج لا يقل عن ١٦ سنة، وهما الحدان اللذان
تفرضها الكنيسة ليكون الزواج صحيحاً.

راجع: مطرانية الروم الكاثوليك في صيدا، سجل الأكايل سنة ١٩١٠.

« الجهاز » وذلك حسب ثروة العريس المالية، ومكانته الاجتماعية. وهددت المخالفين بالعقوبات.

فقد حددت التعليمات الزواج بأربع فئات تبعاً لقدرة الرجل المالية، فخصصت عقد الفئة الأولى بالأثرياء وذوي القدرة المالية الجيدة، بحيث لا يزيد المهر المؤجل عن عشر ليرات مجيدية، وحددت ما يقدمه الزوج لعروسه شوب واحد من الحرير (دون قصب أو تطريز) وفراش من الدمسقو، ومراة من الفضة (لا يزيد وزنها عن ٢٥٠ درهماً فضة) وغطاء لوجهها من البرنجك الخالص (لا يتعدى ثمنه مئة قرش).

كما بينت « جهاز » العروس الذي تحضره معها إلى بيت الزوجية بألبسة من الدمسقو والقطن، ومن بساط واحد وفراش، وفوط حمام و« طاقم » قهوة من الفضة، ومبخرة فضية، وقمقم (يوضع به ماء الزهر أو ماء الورد) واثني عشر صحناً من النحاس، وخمسة طناجر وثلاث طاسات، وصينية واحدة، وغلاية وبكرج، ومنقل وطشت حمام، وثلاث شمعدانات، وثلاث مشربيات أو أربع، وطشت وإبريق وثلاث صناديق (للملابس)، ولا يجوز أن يتعدى الجهاز اثني عشر ثوباً مع المحارم و« الدكك » و« الشورابات »^(١).

وجعلت المهر المؤجل لعقد الزواج من الفئة الثانية خمس ليرات مجيدية فقط، لمن هم أقل في القدرة المالية، وفصلت أنواع وأعداد الجهاز الذي يقدم بحيث يكون من أنواع أرخص، وعدد أقل، مما هو مسموح في زواج الفئة الأولى، وكذلك من الفئة الثالثة لا يزيد عن ثلاث ليرات مجيدية، أما الفئة الرابعة فهي أولئك الفقراء وغير القادرين مالياً، وقد حددت التعليمات مهرهم المؤجل بثلاثين قرشاً كحد أدنى، وليرة ذهبية واحدة كحد أقصى، وأعفتهم من تقديم أي نوع من الجهاز^(٢).

(١) إعلان مجتوي تنبيهات بحق الزواج والتناكح، ودون تحديد تاريخ صدوره وارجع أن ذلك تم بين سنة ١٨٧١ و ١٨٧٥، الدستور، ج ٢، ص ٤٩٤.

(٢) وحتى هذا المهر البسيط حثت التعليمات السابقة على جمعه من أبناء الحي إذا لم يكن في قدرة العريس دفعه، كما شجعت أهالي كل محلة على التعاون لتسهيل زواج كل فتاة في محلتهم، تصل إلى سن السابعة عشرة أو الثامنة عشرة، بعريس يناسبها.

عند تحديد موعد الزفاف، تستحم العروس ذلك اليوم، في منزل أهلها أحياناً أو في الحمام العام غالباً، وتزّين باستعمال الحناء والأصباغ والمطيبات، وكذلك العريس، يقص شعره، ويشذب شاربيه ويستحم في الحمام العام غالباً، ويرتدي أفخر ملابسه، وتكون جديدة غالباً، ويكون طربوشه.

والعرائس المسيحيات، كذلك، كن يتحسّن ويتزّين، وتعتني «الماشطة» بزينة، ويرتدين ثوب الزفاف فيما يعرف «بالبرزة» وتحضر لها النسوة من أهل العريس جهازها^(١). وكذلك اليهوديات كان زفافهن يتم، عادة في الكنيس بعد أن يتزّين، ويحضر حفلة الزواج شهود، ويقدم العريس مهراً مؤجلاً، كما عند المسلمين. لكن تقديم العروس «دوطة» كما تفعل المسيحية، كان نادراً^(٢)

كانت حفلات الزفاف تبدأ عادة قرب ساعة الأصيل، وتستمر حتى الليل، وقد لا تنتهي قبل منتصفه. وكانت تستمر أحياناً عدة أيام حسب قدرة العريس المادية، ولما كان في ذلك مضیعة للوقت، وهدر للمال، وإزعاج للجيران، فقد حددت التعلیمات التي سبق ذكرها، حفلة الزفاف (العرس) بيوم واحد، أو يومين على الأكثر، ومنعت الفقراء من إقامة حفلات زفاف، كما إنها تدخلت في تفاصيل الحفلة، فعينت ماذا يقدم فيها من طعام وشراب وحلوى للمدعوين، حسب فئة الزواج المناسبة مع مقدرة العريس المالية^(٣).

وكانت العادة دارجة على أن يطاف بالعروس، ليلاً، في عربة تضمها والعريس تتبعها عربات (حناطير) الأهل والأصدقاء، في شوارع البلدة وأزقتها، فيما يعرف «بالزفة»، وينطلق الجميع، خلال ذلك، بالتهليل والتكبير، وبالغناء و«الردّات» معبرين عن فرحتهم بالعروسين، لكن ذلك كان يسبب الإزعاج للآخرين، فكان من تعلیمات الزواج السابق الذكر أنها

(١) كان يمكن للعروس أن تقدم دوطة أو أن يقوم أهلها بجهازها، لكن ذلك ليس شرطاً تفرضه الكنيسة، من مقابلة مع الأب ميشال حبيب.

(٢) مقابلة مع عائلة ليفي اليهودية في صيدا.

(٣) إعلان يحتوي تنبيهات بحق الزواج... سبق ذكره، الدستور، ج ٢، ص ٤٩٥ - ٤٩٧.

أُلحِت على منع ذلك الطواف الليلي حرصاً على راحة بقية السكان^(١)، كما منعت إطلاق النار الذي كان يرافق حفلات الزفاف، وهددت المخالف بالضرب مئة عصا مقابل كل رصاصة يطلقها^(٢). ويبدو إن السكان لم يحفلوا بتلك التعليلات واستمروا يحتفلون بأعراسهم على هواهم.

وجرت العادة، عند السنّة في صيدا، أن تتلى السيرة النبوية الشريفة عند إتمام مراسم عقد النكاح مباشرة^(٣). كما كان زواج المتعة معروفاً لدى الشيعة، ولكن يبدو انه كان قليل الانتشار بينهم، لأنه من خلال مطالعتي لسجلات المحكمة الشرعية في صيدا لفترة أربعين سنة تقريباً، لم أعتز إلا على قضية واحدة تتعلق بهذا النوع من الزواج، وجاء حكم المحكمة مناقضاً له «... فقد تقدمت نفيسة على خليل من صيدا بشكوى إلى المحكمة الشرعية، ضد زوجها داوود بك تامر الحسيني من انصارية، بأنها تزوجته على صداق (مهر) قدره خمس وعشرون ليرة ذهبية واحدة، وبقي لها بذمته ١٩ ليرة، وإنه دخل بها دخولاً شرعياً... لكن المدعى عليه، مع إقراره بصحة النكاح زعم انه نكاح متعة حسب مذهب الأمامية، وإن المهر المعجل عشرون ليرة قد وصل للمدعية، وإن مدة العقد كانت محددة بثمانية أشهر، جرى تجديدها، بعد نفاذها، لمدة شهرين آخرين، بعقد نكاح جديد مهره ثلاث ليرات مجيدة، وصلت فعلاً للمدعية ولم يبق لها شيء بذمته. لكن المدعية، عند سؤالها، ردّت بأن العقد دائم غير مشروط بوقت معين... فصدر حكم القاضي بصحة العقد، ويبطلان دعوى عقد المتعة، وبحق الزوجة في نفقة قدرها قرش واحد يومياً...»^(٤)

أما الطلاق فكان معترفاً به لدى الطائفة الإسلامية، ولم يكن يحدث إلا نادراً لدى بعض الطوائف المسيحية، بينما لا يسمح به بعضها الآخر. ولقد كان لدى المسيحيين بدل الطلاق، الهجر، وهو مؤقت لدى الارثوذكس لكنه دائم

(١) المصدر السابق، ص ٤٩٧ - ٤٩٩.

(٢) البرق، العدد ٣٩، في ٥ حزيران ١٩٠٩، ص ٣١٤.

(٣) التمسبي وبهجت، ج ١، ص ١٦٤.

(٤) المحكمة الشرعية، سجل ١٣، نومرو ٤٥٥ في ١٣١٩ هـ (١٩٠١).

لدى الكاثوليك لأن الطلاق لديهم محرم تماماً^(١). وعندما يحدث الطلاق لدى المسيحيين فإن عدته كانت أربعة أشهر، بينما تزيد عدة الوفاة عن ذلك عشرة أيام عند وفاة الزوج.

وكما فعلت الدولة في حالات الزواج، كذلك نظمت الطلاق، فالقرار الصادر بشأن المناكحات والمفارقات، وقد سبق ذكره، طلب من كل راغب بالطلاق أن يعرض ذلك على المحكمة الشرعية، خلال خمسة عشر يوماً، مهما كانت طائفته وديانته، وحذر كل من لجأ إلى الطلاق، دون اطلاع المحكمة الشرعية، ضمن المهلة المحددة، بالحبس من إسبوع إلى شهر^(٢).

وكان على المطلق أن يدفع لمطلقة مهرها المؤجل (المؤخر) بالإضافة إلى نفقة شهرية تسد حاجاتها المعيشية، وكان تقدير النفقة يرتبط بقدره الرجل المالية، وبحسب حاجة المرأة، وسجلات المحكمة الشرعية تحتوي على العديد من القضايا من هذا النوع وسترد هنا نماذج منها تختلف من حيث قيمة النفقة، أو مقدار المهر، لتعطي صورة عن قيمة المهور والنفقة الشرعية التي كانت شائعة في سنوات مختلفة من تلك الفترة: «... فرضت المحكمة... على أحمد محمد الجويدي... لمطلقة خديجة (...). ان يدفع مؤخر صداقها وهو ٤٠٠ قرش... ومبلغ أربع ريات مجيدية ونصف ليرة فرنسية ذهباً كانت لديه أمانة، وإن تكون نفقتها الشهرية ثلاثة وثلاثين قرشاً وثلاثين بارة، بمعدل خمسة وأربعين فضة (بارة) يومياً^(٣)».

ولما طلق حسن الزين زوجته مريم (...). فرضت المحكمة نفقة لها ٤٠ فضة (بارة) عملة رايح بندر صيدا^(٤). بينما فرضت المحكمة عشرة قروش نفقة يومية للسيدة كلفدان، عند طلاقها من أحمد باشا بن خليل آغا أباطة^(٥)، وهو

(١) حنا مالك: الأحوال الشخصية وعماكمها للطوائف المسيحية في سوريا ولبنان، دار النهار، بيروت ١٩٧٢، ص ١٧٠.

(٢) قانون المناكحات والمفارقات، المواد ٩٤ و٩٥، ارشيف مطرانية الروم الكاثوليك، صيدا.

(٣) المحكمة الشرعية في صيدا، سجل ٣، نمرة ٧ في ١٨ ذي الحجة ١٣٠٠م (١٨٨٢).

(٤) المحكمة الشرعية صيدا، سجل ٨، ص ٥٤، نمرة ٢٣٨، في ١٢ جندي الآخر ١٣٠٩ هـ.

(٥) المحكمة الشرعية صيدا، سجل ٣، نمرة ٦٩، سنة ١٣٠٢ هـ.

مبلغ كبير نسبة لمستوى المعيشة في تلك الأيام: إذ في حالة أخرى فرضت المحكمة أربعة متاليك يومياً نفقة للطفلة الصغيرة ^(١). بينما في قضية غيرها ألزمت الرجل بدفع مؤخر الصداق لمطلقته وقدره خمسون قرشاً، وتقديم قرش وربع القرش لكل واحدة من بنتيه القاصرتين ^(٢).

وعند طلب الزوجة للطلاق يسقط حقها في الصداق المؤجل «... عند طلاق عائشة (...). من زوجها درويش السوحاني، أبرأته من مؤخر صداقها وقدره مئة قرش... لكن المحكمة فرضت لها نفقة يومية قدرها ٤٠ فضة..... لطعامها وسكنها وسائر حاجاتها...» ^(٣).

كما كان يلجأ أحياناً، غير المسلمين، للمحكمة الشرعية لترتيب نفقة، كما حدث مثلاً عندما «تغيّب طنوس حنا... من أهالي القناية بسقي صيدا، عن عائلته مدة ثمانية أشهر في القاهرة، وتركها بلا نفقة، فتقدمت الزوجة حنه جرجس (...) من المحكمة الشرعية بشكوى ضده، ففرض لها القاضي الشرعي عشرين بارة نفقة يومية، وعشر بارات أخرى لولدها حنا البالغ من العمر أربع سنوات...» ^(٤).

ولتخفيف وطأة زواج القاصرات، أباح القانون لمن بلغت سن الرشد منهن أن تطلب فسخ عقد زواجهما، لكن عندما تقدمت زكية (...) من صيدا من المحكمة الشرعية تطلب فسخ عقد زواجهما الذي عقد عندما كانت قاصراً، رفض القاضي (وكان الشيخ محمد نشأت) سماع دعواها قبل أن تبلغ العشرين من العمر ^(٥).

ولا يمكن تحديد أسباب الطلاق الذي كان يحدث آنذاك في صيدا، لأن سجلات المحكمة الشرعية التي بحثت قضايا الطلاق وحددت النفقة كانت تكتفي بالقول انه عائد لصعوبة التفاهم بين الطرفين، وهي جملة عامة.

(١) المحكمة الشرعية صيدا، سجل ١٧، شعبان ١٣٣٥ هـ.

(٢) المحكمة الشرعية صيدا، سجل ٢١، ص ٣، نومرو ٤، في ٥ جادي الثاني ١٣٣٠ هـ.

(٣) المحكمة الشرعية صيدا، سجل ٣، نمرة ٦٥ في ٦ ربيع الآخر ١٣٠٢ هـ.

(٤) المحكمة الشرعية صيدا، سجل ١٠ في ١٩ جادي الأول ١٣١٦ (١٨٩٨).

(٥) المحكمة الشرعية صيدا، سجل ٢ في ٢٥ ربيع الأول ١٢٩١ (١٨٧٤).

وقد تبين من دراسة قضايا الزواج والطلاق لجزء كبير من تلك الفترة، إن نسبة الزواج الناجح، في صيدا، كانت كبيرة جداً، وإن معظمها عائد إلى إكتفاء المسلمين بزوجة واحدة^(١)، لأن الصيدائين الذين تزوجوا مثنى وثلاث ورباع كانت نسبتهم ضئيلة، بالإضافة إلى أن المسيحيين، الذين شكلوا جزءاً من المجتمع الصيدائي، لم يكن مسموحاً، بشكل عام، بالطلاق فيما بينهم. وكان الزواج بين أفراد من الأديان المختلفة شبه معدوم، كما كان الزواج بين أفراد من الطوائف المختلفة نادراً.

٢ - الإرث والوصية:

كان نظام الإرث الإسلامي والوصية يسري على كافة العثمانيين مسلمين وغير مسلمين، وتنظر به المحاكم الشرعية، دون المساس بحقوق المحاكم الروحية في النظر في كافة قضايا الأحوال الشخصية، وما ينتج عنها من ارث ووصية وغيرها لأبناء طائفتها، فيما إذا رضي الطرفان بالإحتكام إليها، اذ نص خط التنظيمات الصادر سنة ١٨٥٦ على أن تنظر المحاكم الروحية في «... الدعاوى الخاصة ويقصد بها الأحوال الشخصية مثل الحقوق الارثية في ما بين شخصين مسيحيين وباقي التبعة غير المسلمة...»^(٢) وفي ٤ نيسان ١٨٨٣ أصدرت وزارة العدل العثمانية بلاغاً تفسيرياً، أجازت بمقتضاه للمحاكم العثمانية النظر في جميع الخلافات الناشئة بين الرعايا المسيحيين والمتعلقة بالوصية والتركه، عندما يرفض أحد الخصوم في الدعاوى قضاء المحاكم الطائفية، وظل الحال كذلك حتى سنة ١٩١٤.^(٣)

ومن نماذج قضايا الإرث للمسلمين إنه عند وفاة درويش حسين أبو صالح (من قرية بعاصير) في صيدا، كان وراثؤه زوجته مريم علي مكى، ووالدته مريم السيد أحمد، وأشقأؤه محمد وعلي ومرعي وفاطمة وقد بلغت قيمة التركة الف قرش وزعتها المحكمة الشرعية كما يلي:

(١) التميمي وبهجت، ج ١، ص ٢٢٧.

(٢) حنا مالك، ص ٣٨٠.

(٣) المرجع السابق، ص ٣٨١.

مهر الزوجة المؤجل مثلاً قرش، ثم من المبلغ الباقي (٨٠٠ قرش) نصيبها الربع (٢٠٠ قرش) فيكون المبلغ الذي نالته ٤٠٠ قرش. وللأم السدس (١٣٣ قرشاً و $\frac{1}{3}$ ١٣ بارة) وللشقيقة فاطمة ٩٥ قرشاً و ٩ بارات، ولكل من الأشقاء محمد ومرعي وعلي ١٩٠ و ٩ بارات (١).

وعندما أعلم الرئيس الروحي لطائفة الروم الكاثوليك، الخوري نقولا هرمس، المحكمة الشرعية إن مخائيل صاصي قد توفي، وأكد ذلك مختار محلة التحتاني، وزعت المحكمة الإرث على ولديه شكري وسليم، وبناته مريم وإميليا وجوليا واديل وزكية، بحيث كانت حصة كل ولد سهمين، وكل من بناته سهماً واحداً، والمجموع تسعة أسهم أو أنصبة (٢).

كذلك عند وفاة سوسان الزهار الارثوذكسية انحصر ارثها بأولادها قيصر وسليم ومريم، فاعتبر من خمسة أسهم، لكل ولد سهمان وللبنات سهم واحد. (٣) وكذلك وزعت تركة شلهوب جرجس شلهوب، بعد وفاته، على اشقائه باسيلا وعساف والياس، وشقيقتيه خاتون وستوت، وبنسبة سهمين لكل شقيق، وسهم واحد لكل شقيقة تطبيقاً للفرض الشرعي بأن للذكر مثل حظ الأنثيين، كما ورد في نص القضية (٤).

وكذلك كان الأمر بالنسبة لليهود، إذ عندما أبلغ مختار الطائفة اليهودية في صيدا المحكمة الشرعية بوفاة حاييم لاوي، اعتبرت ميراثه من ستة أسهم، لولده يوسف اثنان، ولكل من بناته سمحا ولونا ورفقة ومريم سهم واحد حسب الفريضة الشرعية (٥).

ووزعت تركة إبراهيم الشماس (اليهودي) بعد موته بنسبة ثنائي حصص لابنه حاييم، وحصة لزوجته نظلة، تطبيقاً للفريضة الشرعية. (٦)

(١) المحكمة الشرعية صيدا، سجل ١، غرة ٣٩، لسنة ١٢٨٥ هـ. (١٨٦٨).

(٢) المحكمة الشرعية صيدا، سجل ١٦، ص ١٥، نومرو ٢٤، في غرة ربيع الأول ١٣٢٨ هـ.

(٣) المحكمة الشرعية صيدا، سجل ٢٣، نومرو ٧ في ٩ ربيع الأول ١٣٢٣ هـ.

(٤) المحكمة الشرعية صيدا، سجل ٦، نومرو ٢١، في ٢٠ ربيع الثاني ١٣١٨ هـ.

(٥) المحكمة الشرعية صيدا، سجل ١٩، ص ٢، نومرو ٨ في ٩ ذي الحجة ١٣٢٧ هـ (١٩٠٩).

(٦) المحكمة الشرعية صيدا، سجل ٦، نومرو ١٤، في ٧ صفر ١٣١٨ هـ (١٩٠٠).

وكثيراً ما لجأ غير المسلمين إلى المحكمة الشرعية لتعين لهم حقوقهم، أو تبين لهم حصصهم وانصبتهم إذا ما شجر بينهم خلاف، أو إذا ما عجزوا عن توزيع الميراث بينهم. فقد تقدمت هثريت كنافاكو وشقيقتها ادليل من المحكمة الشرعية لتعطيها حصة شرعية بحقها في تلك البستان الواقع في محلة القملة، الذي ورثته عن والدتها كتيينا فضول رزق الله، بعد وفاتها. ^(١)

وعندما عجز يوسف أييلا عن معرفة كيفية توزيع تركته أخيه المتوفي ويليام لكثرة وارثيه، وتعدد جنسياتهم، بين عثمانية وبريطانية وروسية، رفع عريضة بذلك إلى مشيخة الإسلام في اسطنبول، يرجو الحل من عندها. ^(٢)

كما كانت المحكمة الشرعية تشرف على الوصية، فتسجلها لديها وتتابع تنفيذها، سواء كان ذلك للمسلمين أو لغير المسلمين، فعند مغادرة اليوزباشي حسين آغا علي شرف الدين مع قطعته العسكرية، موقع صيدا إلى مكان آخر، أوصى بأن يكون الحاج غنوم الضناوي، من أهل طرابلس ومقيم في صيدا، وصياً على أولاده القاصرين، يتكفل برعايتهم وتلبية مطالبهم، حتى يعود إليهم، سالماً، أو يقضي نحبه، وقد قبل الضناوي ذلك، وشهد الشهود بواقع الحال. ^(٣)

كذلك حضر إلى المحكمة الشرعية محمد علي درويش حشيشو، من أهالي محلة الكرمان، وأوصى بأن يكون عمه عبد السلام عبد الكريم زنتوت، من أهالي محلة الشارع وكيلاً عنه في إدارة أملاكه، وفي «التداعي والخصام» وأن يجهزه ويكفنه ويوريه التراب (يدفنه) حسب السنة والكتاب، وكذلك ينفق للفقراء والمساكين وحلة القرآن الشريف في صيدا وعابري السبيل، تكفيراً عما فاتته من صلاة وصوم، ومن أجل الثالث والإيسوع والأربعين بعد وفاته، مبلغ ثلاثة آلاف قرش...» ^(٤)

(١) المحكمة الشرعية سجل ٢٧، ص ٣٤، في ١٧ أيلول ١٣٣٣.

(٢) مكتب السجلات العامة ف.و ٢٣٤٢/١٩٥ ملحق برسالة القنصل البريطاني العام في بيروت

WILKIE YOUNG لحكومته برقم ٣٨ في ٢٢ تموز ١٩١٠.

(٣) المحكمة الشرعية، سجل ٤ في ٢٤ ذي القعدة ١٣٠٣ (١٨٨٥).

(٤) المحكمة الشرعية، سجل ٢٠، ص ٣٤، نومرو ٣ لسنة ١٣٣٤ مالية.

وعند وفاة روفائيل يوسف أبيلا من الجنسية الإنكليزية عن زوجته عفيفة عيسى الفران، وعن أولاده منها فيليب وانطوان وادلايد القاصرين، ولم يكن لهم وصي شرعي، عين الأمير حبيب أبيلا، قنصل انكلترا في صيدا، وصياً عليهم الدكتور يوسف يعقوب أبيلا، حسب تعليمات قنصل بريطانيا العام في سوريا، وأرسل إلى المحكمة الشرعية طلباً بتثبيت تلك الوصاية، وبعد مداولة القاضي الشرعي مع أهل الخبرة «تبين أن يوسف المذكور موصوف بالاستقامة والعفة والأمانة... فتثبت وصياً على أولاد عمه القصر... على أن يرعى مصالحهم، ويعلمهم القراءة والكتابة، ويصرف عليهم بتقوى الله بلا اسراف ولا تقتير» (١).

٣ - الولادة والوفاة

لا يكاد الشاب يتزوج حتى يسمع المهنئين له بالزواج يدعون الله أن يرزقه الأولاد عموماً، ويفرحه «بعريس» على وجه الخصوص (٢). وإذا طال الوقت ولم تحبل الزوجة، اضطربت الأسرة، ولا سيما الأم والحماة وعملتا الذرائع والوسائل لضمان حملها، من نذور وحجب وتعويذات، حتى إذا حبلت تحمّل الزوج وأهلها واهله، دلتها بالوحام بكل سرور، ووضعوا لها «الماسكة» تعلقها في رقبتها، و«حصوا» لها القمح، لمنع إجهاضها. حتى إذا ولدت ذكراً عم البيت فرح، وشمل الأهل كلهم، سرور بالغ، أما إذا كان الوليد أنثى، خيم على البيت انقباض وجود، هذا إذا لم يتحوّل إلى أسى وحزن يستمران طويلاً.

ذلك إن الذكر ليس كالأنثى، رغم أن الله «ذكر» وأنثى خلقهم «اذ كانت «القابلة»، عند ولادة الذكر، تنال البشارة (الحلوينة) الكبيرة، ويأتي الأهل والأصدقاء للتهنئة، وقد يحضر بعضهم هدايا مناسبة (نقوطة) وتوزع الحلوى

(١) المحكمة الشرعية صيدا سجل ٢، دون رقم، في ١٧ شوال ١٢٩٢ هـ (١٨٧٥).

(٢) ليس من تفسير لإطلاق لفظة «العريس» على الولد الذكر، حتى قبل أن يولد بعد، إلا الرغبة الشديدة لرؤيته «عرياً» فلا.

والشربات، ويقدم «المغلي» «أي الكراوية بالجوز واللوز، كما كان البعض يقدم «القينار» من القرقة المغلية جيداً والحللة بالسكر، وفوقها الفستق والصنوبر^(١) وقد تطول الأفراح أياماً.

أما عند ولادة الأنثى، فلا يكلف الرجال أنفسهم عناء الزيارة، بل تقوم النسوة من قريبات الأسرة بزيارة الأم لتهنئتها بسلامة الوضع ويعزينها بأن «من تلد البنت تلد الصبي» وإن «من أسعدها زمانها جاءت بيناتها قبل صبياتها». ^(٢) ولا تقام الأفراح بهذه المناسبة عادة، وتنال «القابلة» أجرتها فقط.

ليس معنى ذلك أن كل أسرة كانت تنجب الإناث كانت فرحة الولادة تتحول لديها إلى مأتم، بل إن كثيراً من الأسر كانت تفرح لولادة البنات، كما كان بعض الآباء يفضل البنات على الأبناء، لكن الرغبة بإنجاب الذكور وتمييز هؤلاء عن الإناث، كانت هي الأكثر شيوعاً لدى الصيداويين، ولدى غيرهم من أهل الشرق عموماً، بدليل العادات التي وصفت، والأمثال التي ذكرت آنفاً.

كانت الولادة تتم بواسطة «القابلة»، وقد منعت القوانين عمل القابلات مسلمات أو مسيحيات، دون الحصول على إذن رسمي من المدرسة الطبية. ^(٣) وتظل القابلة تحتلف إلى بيت الوليد كل يوم على مدى اسبوع كامل، لتغطسه بالملح وتطليه بالزيت والريحان، كما تظل «النساء» أربعين يوماً لا ترح منزلها، وتعتني بصحتها، ثم بعد ذلك تغتسل، وتكون قد عادت لها عافيتها وزال الخطر عنها.

وكان يتم «تقييط» الوليد، أي شدّه باللفائف وربطها بزنار، لحفظ يديه وساقيه، وتسمى «لقافة» أو «كافولة» وكانت الأم ترضع طفلها من ثديها فإن عجزت، لمرض أو وهن، سقته حليب الماشية الطازج، أو تولت امرأة أخرى إرضاعه، إذ أن الحليب المحفوظ في العلب، بأنواعه المختلفة الموجودة اليوم،

(١) التميمي وبهجت، ص ١٦٤.

(٢) الأب يوسف تاتي: الموائد اللبنانية، المشرق، مجلد ٢، العدد ١، سنة ١٩٩٩، ص ٢٤.

(٣) تعليمات الضابطة، في ٢٣ محرم ١٢٧٨ هـ. الدستور ج ٢، مادة ٤٨، ص ٦٨٠.

على شكل مسحوق أو سائل، لم يكن معروفاً آنذاك. ويظل الطفل يرضع من ثدي أمه حتى يكاد يبلغ السنة الأولى من عمره فيفطم، ولكن بعض الأمهات كن يرضعن أطفالهن حتى يبلغ عمر الواحد منهم عاماً وبعض العام، حيث الإعتقاد الشعبي السائد انه كلما طالّت فترة رضاع الطفل، كلما كان ذلك أكثر فائدة لبناء جسمه وصحته تأكيداً للمثل القائل «إن فلاناً شبعان من حليب أمه»^(١) في مجال المدح والثناء.

والمناسبة الثانية في حياة الطفل الذكر التي يجري الإحتفال فيها، بعد ولادته، هي مناسبة ختانه، والختان يجري لأطفال المسلمين واليهود، تطبيقاً للتعالم الدينية. وكانت فرحة الختان والإحتفال به تستمر أكثر من يوم، أحياناً، حسب قدرة الأب المالية، ومدى رغبته في الإنفاق على مثل هذا الأمر، ذلك أن الختان، مع كل الأسباب الأخرى، هو مظهر آخر من مظاهر تمييز الذكر والإحتفاء بقدمه، وكانت العادة ان توزع الشربات والمغلي، ويقراً المولد الشريف في تلك المناسبة لدى المسلمين، وعندما ختن الحاج مصباح البزري أولاده في أحد الأيام أمر ان يختن معهم عدد من أولاد الفقراء، ووزع عليهم الألبسة الجديدة^(٢) وكان بعض اليهود القادرين يحتفل بختان ولده مدة سبعة أيام كاملة^(٣) و«عندما ختن يعقوب معتوق شكري، أحد يهود صيدا، ولده، احتفل بمنزله بهذه المناسبة بتلاوة الأدعية الدينية المناسبة وألقى موسى ديوان عضو الجمعية الخيرية الإسرائيلية خطاباً وتليت الترانيم»^(٤).

ومما يجدر ذكره إن الدولة كانت تمنح أهل التوأم الفقراء راتباً شهرياً حتى يبلغا الخامسة عشرة من عمرهما^(٥).

أما عند الوفاة فكان تجهيز الميت وتكفينه ودفنه يتم حسب التعالم

(١) الأب تاتي، المشرق مجلد ٢، العدد ١١، سنة ١٨٩٩، ص ١٥١٠.

(٢) ثمرات الفنون العدد ١٦١٢ في ١٣ أيار ١٩٠٧.

(٣) مقابلة شخصية مع أسرة لبيبي اليهودية في صيدا.

(٤) لسان الحال العدد ١٦٠١، في ١١ نيسان ١٨٩٤.

(٥) بلدية صيدا، قرار بلدي نوسرو ٣٦ في ٢٨ نيسان ١٩٢٦، بناء على أمر من نظارة الداخلية برقم ١٥ في ١٤ آذار ١٩٢٦.

الدينية، والتقاليد التي تسير عليها طائفته، وكان لكل طائفة مداخنها الخاصة بها، فكانت مقبرة السنة أمام البوابة الفوقا خارج السور (لا تزال قائمة حتى اليوم وقد أصبحت وسط مدينة صيدا الحاضرة) ومقبرة الشيعة كانت (ولا تزال) إلى الجنوب من القلعة البرية، على مسافة قصيرة جنوب البوابة الفوقا، على تلة مشرفة على البحر. أما مقبرة اليهود فكانت تقع جنوب منطقة البرغوت، قرب الشاطئ (ولا تزال حتى اليوم) وتجمعت مقابر المسيحيين في منطقة الحارة (كاثوليك وموارنة وارتودكس ولاتين) وسهل الصباغ (بروتستانت).

بالإضافة إلى أنه في العهد التركي ضمت صيدا مقابر مختلفة، أزيل بعضها تماماً، فيما بعد وبقيت آثار، أو أجزاء، من بعضها الآخر دالة عليها^(١). وسمى أهل صيدا المقبرة «تربة» تارة و«جبانة» أخرى^(٢).

وكانت السلطات قد أصدرت أمراً بعدم دفن أي ميت، في منطقة صيدا، قبل أن يجري عليه طبيب البلدية كشفاً حياً، ومن ثم يأذن بدفنه^(٣) وأنذرت المخالفين الذين يدفنون موتاهم دون تصريح بذلك العقاب الشديد^(٤).

وكان تشييع الجنازة، عند المسلمين، تتخلله قراءة القرآن الكريم بصوت عال، أثناء عبور موكب التشييع لطرقات صيدا وأزقتها، ولما كان في ذلك التصرف حظاً من قيمة القرآن، لأن تلاوته تتطلب خشوعاً وإنصاتاً لا يتوفران في الطرقات حيث الضجيج، وإنشغال كل واحد بأموره، منعت

(١) كانت تربة العسكر موجودة قرب البوابة الفوقا مقابل كنيسة الموارنة الحالية. وكانت تربة الشهداء تقع قرب الدباغة في مدخل صيدا الشمالي ولا أثر لها اليوم، كما كانت توجد قريباً من أبا روح مقبرة الأجانب، وهي من العهد الصليبي. كذلك وجدت في سهل صيدا مقبرة الإفرنج من العهد الصليبي أيضاً.

(٢) تعني التربة في اللغة أساساً المكان الكثير التراب، بينما تعني الجبانة أصلاً الأرض المرتفعة المستوية التي لا شجر فيها.

(٣) هكذا وردت في الأصل دون تحديد جنس الميت، لكنني أعتقد إنها تنطبق على الموتى من الذكور فقط.

(٤) بلدية صيدا قرار نومرو ٢١٣ في ١٧ كانون الثاني ١٩٣٢.

وسمحت بالتهليل والتكبير فقط طيلة مسيرة التشيع. ^(١) وكانت للموت حرمة وللميت هبة، فكان الصيداويون يسرعون بإغلاق أبواب محلاتهم والوقوف أمامها أثناء مرور جنازة أحد الصيداويين، تاركين البيع والشراء هنيهة، وما كانوا يفرقون في إن الجنازة العابرة لمسلم أو لغير مسلم. ^(٢)

ويبدو إن بعض الصيداويين، من المسلمين، كان يببالغ كثيراً في إظهار حزنه على ميته، مما لفت نظر مؤرخين معاصرين، فقالوا إن تلك المبالغة تتجلى في قيام أولئك الأشخاص بضرب خيمة فوق قبر المتوفي حديثاً، حيث يأخذون بنديه وإظهار مشاعر الحزن على وفاته، طيلة أيام ثلاثة، قد تمتد إلى إسبوع كامل، وقد تطول أحياناً، لتصبح شهراً كاملاً، ويقرأ خلال ذلك سور من القرآن. وتلى الأدعية. ويضيف المؤرخان ملاحظة مهمة هي إن المبالغة في الحزن وندب الميت من عادات الشيعة المعروفة، لذا فهي يرجح أن يكون بعض الصيداويين قد نقل تلك العادات عن الشيعة المجاورين لصيدا. ^(٣)

كما كان يقام المآتم للميت المسلم عادة ثلاثة أيام متوالية، ثم تليه ذكرى الإِسبوع (وتكون في عصر اليوم السادس للوفاة)، ثم ذكرى الأربعين وأخيراً الذكرى السنوية ^(٤) وكذلك كانت لبقية الطوائف عوائدها الخاصة في مآتمها.

٤ - أسماء الصبيان والبنات ودلالاتها:

لدى تدقيقنا بالأسماء التي عثرنا عليها في الوثائق الصيداوية، من سجلات شرعية وبلدية وأرشيفات اديرة وكنائس، ومصادر غيرها، تبين لنا أن أسماء الصبيان التي كانت شائعة آنذاك، لا تختلف كثيراً عما هو معروف اليوم باستثناء ملاحظتين اثنتين:

(١) المحكمة الشرعية صيدا، سجل ٩ نومرو ٧٧ في ٧ ميس (أيار) ١٣١٩.

(٢) أخيراً بذلك بعض الممرين الصيداويين الذين قابلتهم.

(٣) التسمي وبهجت، ص ١٦٥.

(٤) في السنوات الأخيرة هذه أخذ بعض الصيداويين يعلن إنه يتقبل التعازي في ميته يوم الدفن فقط، ولا يقم مجلس عزاء في الثالث أو الإِسبوع أو الأربعين استجابة للتعاليم الدينية التي نهت عن كل تلك المآتم، وإنجماً مع الأوضاع الحاضرة وقد كثرت القتل بين الناس.

الأولى إن أسماء الصبيان التي تحمل معنى دينياً كانت كثيرة الشيوع، كأسماء الأنبياء والقديسين (مثل محمد وعيسى وموسى وإبراهيم ويونس واسحق والياس وبطرس وبولس) وأسماء الأشهر (رجب شعبان ورمضان).

والثانية: كثرة الأسماء المركبة سواء المبدؤة بلفظة «عبد» (عبد السلام، عبد الرحمن، عبد العزيز، عبد اللطيف، عبد الغني، عبد العال، عبد القادر... الخ) أو المملوكة بلفظة «الدين» (عز الدين، سعد الدين، بدر الدين، نور الدين، محي الدين، برهان الدين، شرف الدين، شمس الدين... الخ).

أما أسماء البنات فقد تميزت بخصوصيتها الدالة على تلك الفترة، بدليل إن كثيراً من تلك الأسماء غير شائع اليوم، أو هو محصور في نطاق ضيق جداً بين بنات صيدا. ويمكن ذكر الملاحظات الأربع التالية حول أسماء البنات.

أولها: إنها كانت تحمل معنى جيلاً ولفظها، غالباً، جرس موسيقي مثل: حسناء، حُسن، محاسن، بهية، صفية، زهية، هنية، حبوبة، ظريفة، غنوة، عريفة، خيرية، آسية (أي المواسية) ميرة، عنبرة، أكابر، زمزم... الخ

وثانيتهما: نسبة كبيرة من الأسماء المركبة تحمل في اعطافها الإعجاب بالبنات، أو تعريض جالها، أو المستقبل الطيب لها مثل: دام العز، ست البنات، ست الإمارة، ست النصر، سيجان الخالق، بدر الدجى، منار السناء، ماشاء الله، ذا النور^(١)، زيد الكريم... الخ.

وثالثتها: إن نسبة الأسماء ذات الاصول التركية أو الفارسية كانت كبيرة مثل: قادون^(٢)، خاتون^(٣)، شهربان^(٤)، كلفدان، سهجنان، كليياز^(٥) ملكناز^(٦)

(١) من عائلة أباطة وقد ورد أسماها مرة واحدة في سجلات الشرعية.

(٢) محرفة عن «قادين» التركية وهي لقب كرام السيدات.

(٣) عن التركية بمعنى السيدة الجليلة.

(٤) محرفة عن شهربانو الفارسية بمعنى سيدة المدينة.

(٥) عن التركية بمعنى الوردة البيضاء.

(٦) عن الفارسية بمعنى ملكة الدلال.

بولنده^(١)، سوسان، تقيدة، صدوده، روشنة^(٢)...

ورابعتها: إن بعض الأسماء عرفت لوقتها، ولا نسمع بها الآن إلا في أسماء بعض جداتنا مثل ستوت، ثلجة، رياسة، نتيجة، نهاية، ديبة، شاهينة... الخ.

٥ - الخدم والرقيق:

لا شك إن استخدام الفتيات، أو الأولاد، للخدمة في المنازل وقضاء حوائج سكانها، كان معروفاً في تلك الفترة، ولا توجد معلومات واقية عن الموضوع، لكن قضية واحدة، نظرت بها المحكمة الشرعية آنذاك، قد تلقي تفصيلاتها ضوءاً على أوضاع الخدم، في تلك الفترة، من حيث المعاملة والإجزة وغير ذلك.

ففي سنة ١٩٠٠ حررت، في محكمة شرعية صيدا، حجة شرعية، تم بموجبها تأجير قاسم الحاج محمد سلامه من عدلون، لابنته زينب البالغة من العمر ثمان سنوات، للخدمة في منزل مظهر بك ميمر محاسبة ولاية بيروت، لمدة خمس سنوات بأجر قدره ست ريات مجدية عن كل سنة، بشرط أن تقوم زينب المذكورة بالخدمة بكل أمانة وصدق، وأن يقبض أبوها الأجرة عن السنوات الخمس مقدماً، وقدرها ثلاثون ريالاً، وتم بمعرفة فضل الله بشاره طعمة أمين صندوق صيدا وبشهادة الشهود وبتصديق القاضي^(٣).

وكان استخدام الرقيق، ذكوراً (عبيداً) وإناثاً (جوارى) شائعاً ومعروفاً في العهد التركي، وكانوا يستخدمون للخدمة في البيوت والقصور، وفي الإشراف على تربية الأولاد ورعايتهم (دادة) وفي الأعمال الأخرى، وكان وضع الرقيق، جيداً على العموم، لأن العبد أو الجارية يضمن بقاءه عند سيده فيشمر بنوع من الإستقرار، على خلاف الخدم الذين كانوا معرضين للطرد من الخدمة في أي وقت.

(١) صيغة تأنيث عربية للنقطة يُلند الفارسية بمعنى طويل.

(٢) صيغة تأنيث عربية للنقطة روشن الفارسية بمعنى منير.

(٣) المحكمة الشرعية، سجل ١١، ص ١٣١، نومرو ١٨٧ في ١٢ رجب ١٣١٨ هـ.

وقد مثلت اسطنبول والقاهرة السوق الرئيسي لتزويد بلاد الشام بالرقيق وكان العبيد، عادة، من ذوي البشرة السوداء الذين يجرى جلبهم من مختلف أنحاء أفريقيا.

أما الجواري فكان سوداوات (زنجيات) وخلاسيات (باللون الزيتوني كالحبشيات) وبيضاوات (شركسيات وكرجيات).^(١) ولما كانت معظم الجواري الشركسيات والكرجيات ذوات حسن وجمال، فقد كن الأعلى سعراً في سوق الرقيق، خصوصاً بعد سنة ١٨٧٨، عندما استولى الروس على قسم كبير من بلاد الشركس، نتيجة الحرب الروسية - العثمانية، فانقطع الاتجار بهن، إلا القليلات منهن، اللواتي لم يعد قادراً على شرائهن إلا كبار الأغنياء من باشوات وأمراء وتجار.

وكان الصيداويون يشترون الرقيق من بيروت غالباً، وكان تجار الرقيق في بيروت يجلبونهم بدورهم من دمشق عادة، وأحياناً من مصر، وكثيراً ما اشترى الصيداويون العبيد ليقدموهم للخدمة العسكرية بدلاً منهم، حيث كان ذلك النوع من البديل مسموحاً به لدى السلطات.

ومن الطبيعي إنه كما كان سوق شراء الرقيق وبيعه رائجاً، فكذلك كان التهادي به، وعتقه رائجاً أيضاً. وتطالعنا مصادر تلك الفترة بأمثلة من هذا القبيل.

ففي سنة ١٨٧٨ اهدى صادق بك، قائمقام صيدا، جارية بيضاء إلى صالح آغا الدمشقي، فتزوجها شرعاً، وحضر حفل الزفاف الموظفون وبعض الأعيان في صيدا^(٢).

وفي تقرير للمقنصل البريطاني في بيروت لحكومته، يخبرها ان جهوده ادت إلى حصول «قدم الخير» وهي جارية بيضاء عمرها خمسة عشر عاماً، على حريتها من سيدها درويش الغزاوي من بيروت^(٣).

(١) نسبة إلى بلاد الشركس (قفقاسيا) وبلاد كرجستان (جورجيا السوفياتية).

(٢) ثمرات الفنون العدد ١٦٥، في ٢٧ حزيران ١٨٧٨.

(٣) مكتب السجلات العامة ف. و٨٠/٤٦٤٣ أفريقيا - ١، رسالة DRUMMOND HAY إلى السفير باسطنبول، بيروت في ٩ آذار ١٨٩٥.

وكان عتق الرقيق، أي منحه حريته دون مقابل، يتم بموجب « حجة » في المحكمة الشرعية وبشهادة شهود، وتذكر في « حجة العتق » الأسباب الموجبة، والشروط اللازمة، وصفات « المعتوق ».

ففي سنة ١٨٦٨ اعتق اسماعيل بك اميرآلاى بالجيش العثماني في موقع صيدا جاريته البيضاء « عايشة خانم » حيث « ... حررها من قيد العبودية اعتاقا صحيحاً شرعياً ... منجزاً غير معلق ولا موقت حسبة لله تعالى ... رجاء ان يعتق الله بكل عضو منها عضواً منه من نار جهنم ... لقوله صلى الله عليه وسلم من اعتق رقبة مؤمنة اعتق الله بكل عضو منها عضواً منه من النار حتى الفرج بالفرج ... » ولم يكتف اسماعيل بك بعتقها فقط، بل وهبها جميع حليها (وفصلها في حجة العتق) ومنحها كذلك خمسين ليرة عثمانية^(١).

كما اعتق، في السنة نفسها، مصطفى الكردي، جاريته السوداء حسبة لوجه الله^(٢)، وكان الحاج محمود المذبذب قد اعتق عبده الزنجي فرج بن عبدالله^(٣)، وكذلك اعتق ابراهيم آغا الجوهري عبده مرجان.

وبما يجدر ذكره ان بعض الجواري اعتقهن أسيادهن الصيداويون ثم تزوجوا بهن، فصرن، فيما بعد، جدات لبعض الأسر الصيداوية العريقة، ونكتفي بهذه الاشارة دون ذكر الأسماء والتفاصيل.

ب - أثاث المنزل:

كما اختلفت بيوت الصيداويين بطرز بنائها وبسعتها أو ضيقها حسب طاقة اصحابها المالية ومستوى معيشتهم، كذلك اختلفت نوعية الأثاث الذي كانت تفرش به، من حيث الفخامة أو البساطة، تبعاً لغنى أو فقر أصحابه.

وعلى العموم فان أغنياء الصيداويين كانوا يقيمون في دارات جميلة احسنت زينتها، وفرشت بالأثاث الفخم، وبالتحف الجميلة أحياناً. كما تميزت

(١) المحكمة الشرعية، سجل ١، غرة ٨١ في ١٤ ذي الحجة ١٢٨٥ هـ.

(٢) المحكمة الشرعية، السجل نفسه.

(٣) المحكمة الشرعية، سجل ٣، غرة ١١ في ٥ صفر ١٣٠١ هـ. (١٨٨٢).

منازل المسيحيين بحسن تأثيثها ولعل ذلك راجع، كما يقول مؤرخان معاصران لذلك العهد، إلى كثرة اختلاطهم بمسيحيي بيروت^(١)، وبالأجانب.

كانت حجرة النوم تضم، عادة، سريراً واحداً بفراشين، أو سريرين من الخشب أو الحديد، ويوضع على الفراش جودل (لحاف) من القطن، وفوقه شرف (ملاءة) من الدمسقو (الحرير الشامي) المطرز أو دون تطريز، أو تكون الملاءة، في البيوت الأقل مستوى، من الصوف أو الكتان دون تطريز.

ويوجد في المنزل صندوق أو أكثر، من الخشب الملبس بالثنيك والمزّين بالرسوم، تحفظ الملابس به، لأن الخزائن ظلت غير شائعة حتى أواسط القرن التاسع عشر، وكانت العروس تحضر الصندوق، عادة، ضمن جهازها يوم الزفاف. كما كانت الملابس المتائلة تلف وتطوى وتحفظ في «البقجة» لتبقى نظيفة ومطوية لحين استخدامها.

أما غرفة الجلوس، أو غرفة الاستقبال (لدى الأغنياء)، فكانت تضم كراسي من الخشب المحفور أو المطعم بالعاج أو الصدف أو بماء الذهب، أو تكون من الخيزران أو القش، إلى جانب «دوشك»^(٢) توضع عليه المساند و«الطارايح» من الصوف المنطى بالحرير أو بالكتان، وتعلو سطحها الرسوم والنقوش، أو تكون بدونها. كما يمكن وضع الطارايح على الأرض وتوضع فوقها سجادة صغيرة، أو ملاءة، ليجلس عليها من يرغب «متربعا» وهي جلسة مريحة عادة.

كما يمكن أن تضم الغرفة «اسكمالات»^(٣) وطاولة صغيرة يعلوها ابريق من فخار، أو مزهرية تضم زهوراً، أو أصيصاً فيه «حبّ» أو أي نوع آخر من

(١) شكلت الطبقة المتوسطة نسبة كبيرة من الصيداويين، وظلت نسبة الفقراء والأغنياء قليلة، وتراوحت ثروات بعض الأغنياء الصيداويين، من ٣٠ - ٤٠ ألف ليرة، والذين تراوحت ثرواتهم من ألف إلى خمسة آلاف ليرة بلغوا ٢٢ شخصاً كان عشرة منهم من السنة وأربعة من الشيعة وثمانية من المسيحيين، ومعظم الأغنياء المسلمين كانوا ملاكاً وتجاراً، والمسيحيين كانوا تجاراً وصناعيين: راجع التميمي وبهجت، ص ١٦٢.

(٢) من «دوشك» الفارسية بمعنى فراش، ودرجت اليوم تسميتها «صوفة».

(٣) من SCAMNUM اللاتينية بمعنى طاولة صغيرة لوضع الأشياء عليها.

الزرع الأخضر، إذ ان غرام الصيداوين بالزهور معروف ومشهور، ولعلّ مرّد ذلك إلى الطبيعة الساحرة الجميلة التي تحيط بمدينة صيدا.^(١)

وكانت ارض المنزل تفرش بالسجاد، والعجمي كان أجوده، أو بالبساط، والرشواني كان أفضله، أو بالحصير، والعكاوي كان احسنه، وذلك حسب امكانات رب البيت المالية^(٢)،

وضم المطبخ من الأثاث والأدوات علاّقة خشبية، توضع عليها الصحون والملاعق والسكاكين. وكان معظم الصحون من النحاس، وبعضها من الفخار أو التوتياء والقليل منها من الصيني. كما كانت «الطناجر» من النحاس، وكان بعضها مستديراً، وبعضها الآخر مستطيلاً ويعرف بالاسطنبولي.

كما ضم المطبخ الطشت (من النحاس غالباً) والصواني^(٣) والطاسات والأباريق (معظمها من الفخار أو التنك والقليل منها من الزجاج). و«الخواري» من الفخار لحفظ الماء أو السوائل الأخرى (كالزيت مثلاً) و«البرنيات» لحفظ الطحين، وجرن الكبة أحياناً، وكان من الرخام أو الحجر العادي.

وكان تبريد الماء يتم «بالمشربيات» أو الأباريق من الفخار، وافضلها ما كان مصنوعاً في «عيتا» وفي «راشيا». كما كانت ادوات القهوة من النحاس أو الفضة، كما كانت «الفناجين» من الفخار أو الصيني، وقد يكون مطعماً بالذهب أو الفضة، حسب قدرة أهل المنزل على اقتنائه، وكانت «الركوة» تستعمل لصنع القهوة.

وفي معظم البيوت كان ابريق الشاي، وفي بعضها «الشاور»^(٤) لصنع الشاي، واستعملت الفناجين أو الاقداح لارتشاف الشاي.

(١) المصدر السابق، ص ١٦٨.

(٢) العجمي المجلوب من بلاد المعجم (إيران) وهو غني عن التعريف، والرشواني نسبة إلى راشيا، والعكاوي نسبة إلى عكا.

(٣) مفردتها صينية وهي معرفة عن «سني» الفارسية.

(٤) روسية الأصل تطلق على اناء كبير من النحاس مقلق من أسفله حيث توضع النار، وبه فتحة من أعلاه يوضع بها وعاء صغير به منقوع الشاي، وفي وسطه الماء ينقي.

ووجدت في كثير من بيوت الصيداويين مبخرة (لحرق البخور خصوصا ايام الجمعة) وقمقم (لحفظ ماء الزهر أو ماء الورد به) وكانا من الفضة أو النحاس، حسب مستوى أهل المنزل.

وكان الطبخ يتم بواسطة «الوجاق»^(١) وكان من الحديد أو القرميد، واستخدم لاشعاله الحطب أو الفحم، واستمر استخدامه حتى اواخر القرن التاسع عشر، عندما اقبل الصيداويون على استخدام الطباخات الجديدة المستوردة من اوربا، وانحصر استعمال الوجاقات في بيوت قليلة.

واستخدم «المنقل» أو «الكانون» للتدفئة، وكان من «النحاس» وهو أغلاها، أو من الحديد أو التنك أو القرميد. وقد تفنن النحاسيون في تزيين المناقل وزخرفتها بالأشعار والحكم والآيات القرآنية، وكان الفحم يستخدم غالبا للاشغال، والحطب في بعض الأحيان.

وكسمودج على الأثاث الذي كان موجودا في معظم البيوت الصيداوية نذكر تركة الحاج رشيد بن الحاج يوسف بن عمر المجدوب من سكان محلة السبيل، وقد جرى بيعها بواسطة الحراج (المزاد):

عدد ٤	طنجرة نحاس كبيرة وصغيرة	عدد ٣
عدد ٥	صينية صغيرة ومتوسطة	عدد ٢
عدد ٣	مدر نحاس احمر كبير	عدد ١
عدد ١	حلة وماعون نحاس	عدد ٢
عدد ٢	طبق من النحاس	عدد ١
عدد ٥	مقلى من النحاس	عدد ١
عدد ٥	صحن نحاس صغير	عدد ٤
عدد ٧	صحن من الفيشاني	عدد ٤
عدد ١	جاط سادة	عدد ٦
عدد ١	كؤوس من الفيشاني	عدد ٧
عدد ٤	منقل نحاس اصفر	عدد ١
عدد ٤	فراش من الصوف	
عدد ٥	لحاف	
عدد ٣	حرام من الصوف	
عدد ١	بساط رشواقي	
عدد ٢	سجادة عجمية	
عدد ٥	وسادة (مخدة) صغيرة وكبيرة	
عدد ٥	طراحة مقعد	
عدد ٧	مسند قش	
عدد ١	سريد (نحت) من الحديد	
عدد ١	غزاة من الحديد	
عدد ٤	كبة	

(١) تركية بمعنى مكان النار، حيث كانت توضع ثلاثة أحجار وتشعل بينها النار، ويعلق فوقها قدر الطعام.

عدد ٢	شمعدان	عدد ٢	كرسي خيزران
عدد ٢	اركيعة	عدد ١	بوفيه
عدد ١	طبلية	عدد ١	ساور للشاي
عدد ١	شوبك	عدد ٦	فنجان للشاي
عدد ٤	خاية افرنجية صغيرة وكبيرة	عدد ٣	براد مختلف
عدد ١	برنية صغيرة	عدد ١	معلقة
عدد ١	برميل توتياء	عدد ١	جرن بلاط مع مدقته
عدد ١	جردل (سطل)	عدد ٣	قطرميز
عدد ٦	ستارة (بردابة) مع اطارها	عدد ١	ساعة حائط كبيرة

وقد بيعت كلها بالميزاد بمبلغ ٣٤٦٥ قرشا^(١).

وتوفر السلع الأوروبية، الذي كان عاديا في أسواق بلاد الشام، اتخذ، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، شكل غزو سلعي كثيف اخذ يلاء أسواق بلاد الشام، خصوصا مدنها الساحلية، ويحدث، بالتالي، تحولا عميقا في اسلوب الحياة اليومية في حياة الناس. وكما هي العادة دائما، فقد أخذ دعاة القديم يحاربون الجديد المستورد من الخارج، فقد سرت الاشاعات بأن الموقد الجديد (بريموس الكاز) يفقد الطعام نكهته، وان مصابيح الكاز الجديدة تؤذي العينين.

لكن سرعان ما أخذت وسائل المعيشة القديمة تفسح الطريق للوسائل الحديثة القادمة من أوروبا، التي أخذ الناس يعتادون عليها، وقد ارتاحوا إليها، بعدما رأوا أهميتها في سرعة الخدمة، وسهولة الانجاز، بالإضافة إلى جمال شكلها ومتانة صنعها.

وفي صيدا أقبل المواطنون على استعمال النفط بكثرة منذ أواخر القرن التاسع عشر، حيث استخدموه في الاضاءة وفي النواحي المنزلية الأخرى، حتى ان القنصل الأمريكي فيها، اشار في احد تقاريره، إلى ازدياد استهلاك الصيداويين للنفط الأمريكي^(٢).

(١) المحكمة الشرعية في صيدا، سجل ٢٧، ص ٧٦، نومرو ٢٢٢ في ٤ جمادي الأول ١٣٣٦ هـ.
(٢) القنصلية الأمريكية ت ٣٦٧/ ج ٧، تقرير قنصل أمريكا في صيدا شبلي ابيلا، في ٣٠ أيلول ١٨٧١.

وفي أواخر القرن الماضي بدأت تنتشر الطباخات الأوروبية الحديثة «... التي تأخذ نصف المقطوعة من الفحم، ولها قرن وصندوق للماء الساخن... وارد فرنسا...»^(١) وانتشرت المواقد النفطية (البريموس) المصنوعة من النحاس، وكان بعضها يعمل بلا صوت^(٢).

واستمرت السيدات، في هذه البلاد، يغسلن الملابس بأيديهن، باستعمال الماء والصابون و «النيلة»، وانتظرن حتى أوائل القرن العشرين عندما بدأت تنزل إلى الأسواق «الفسالات» المستوردة من أوروبا التي كانت توصف بأنها «...تفصل في ربع ساعة من ١٥ - ١٦ قميصاً» وأنه «يمكن لولد صغير أن يشغلها...»^(٣).

وفي الإضاءة استخدمت الشمعدانات ومصابيح الكاز، وانتظر الصيادون حتى خروج الأتراك من هذه البلاد لينعموا بنور الكهرباء.

ج - الزي:

كانت للزي، في معظم تلك الفترة، قيوده وقواعده، بحيث أنه لم يكن يدل، كما جرت العادة، على وضع الإنسان الاجتماعي فقط، وإنما حدد ما هو مذهبه، وماذا تكون مهنته، ثم أخذت تلك القيود تخف تدريجياً، بحيث لم يعد لها أثر في مدن بلاد الشام الساحلية منذ بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وأصبحت في نطاق ضيق جداً في مدن بلاد الشام الداخلية^(٤). حتى أخذ الزي

(١) اعلان فرعون وعيسى شقير وشركاهما في بيروت، لسان الحال، العدد ٣٣٣٠ في ٢٩ كانون الثاني ١٩٠٠.

(٢) اعلان عبدالكريم فاضل وشركاه في بيروت، لسان الحال العدد ٣١٣٨ في ١٢ حزيران ١٨٩٩.

(٣) لسان الحال، العدد ٦٣٤٦ في ٨ حزيران ١٩١٠.

(٤) في مطلع القرن التاسع عشر كان مفروضاً على أهل الذمة أن يرتدوا «الغيار» وهو اللباس الخاص بهم لتمييزهم عن المسلمين، إذ كان غير مسموح إلا للمسلمين بارتداء العباءم البيضاء، وكانت باللون الأخضر للاشراف، وبالألوان الأخرى للمسيحيين واليهود، وكان المسيحيون يحاولون التفلت من تلك القيود ليشعروا بالمساواة مع المسلمين.

وعندما انتشر «القاوق» كان المسلمون يلقونه بشاش، أبيض والنصارى بلون كحلي واليهود بالأحمر، ثم بطل استعماله فيما بعد، راجع: ميخائيل مشاقفة: تاريخ حوادث جرت بالشام وساحل بر الشام ١٨٠٠ - ١٨٨٨، مخطوطة ورقة ١٤.

الأوروبي بالانتشار منذ أواخر القرن التاسع عشر، خصوصاً في المدن الساحلية لانفتاحها، بواسطة البحر، على أوروبا وسهولة اتصالها بها.

وقد عرف الصيداويون بنظافة لباسهم والتأنق به، واشتهرت الصيداويات بالتفنن في التزيّن وارتداء أنواع الحلي^(١).

ولوصف أنواع اللباس الذي كان شائعاً آنذاك نبدأ بغطاء الرأس للرجال، وكان «العمامة» غالباً، وكانت تدعى أيضاً «اللفّة» لأنها تلف بقماش من الشاش أو الموصلين يصل طوله أحياناً إلى عشرين متراً^(٢). كما كانت تلبس على الرأس أيضاً «الطاقية» وكانت خفيفة تستعمل في المنزل غالباً، أو في مكان العمل، ومثلها «العرقية»^(٣).

وكان الطربوش معروفاً في بلادنا منذ عهد فخر الدين المعني الثاني، خصوصاً في مدن الساحل، صيدا وطرابلس وبيروت، غير أن انتشاره الواسع بدأ منذ عام ١٨٣٨^(٤)، وبينما كان «الطربوش العسكري» لباس الأمراء الشهابيين، أقبل العامة على ارتداء «الطربوش المغربي» ذي الذؤابة (الشراية). ويبدو أن هذا الطربوش قد تسرب إلى لبنان مع المغاربة العاملين كجنود في قوات المنطقة منذ عهد فخر الدين^(٥).

وانتشر الطربوش حتى صار لباساً لرأس الرجل والصبي، التلميذ والموظف، الفني والفقير، مع اختلاف ألوانه وأنواعه وأسعاره، وكان الطربوش المغربي طويلاً مسترسل الذؤابة الزرقاء وشكله مستدير.

وبعد سنة ١٨٦١ ظهر الطربوش «العريزي» نسبة للسلطان عبدالعزيز، الذي كان أول من ارتداه، وكان شكله اسطوانياً، يطن بالقش، وذؤابته من خيوط حريرية سوداء، وتراوح لونه ما بين الأحمر الفاقع والخمري الداكن.

(١) التميمي وبعث، ص ١٦٤.

(٢) عبدالكريم غرايبة، ص ١٣٨.

(٣) لحد خاطر: العادات والتقاليد اللبنانية، ج ٢، بيروت، ١٩٧٧، ص ٣٧٨.

(٤) إذ في هذه السنة أشار إبراهيم باشا على الأمراء الشهابيين أن يطرحوا عمامتهم الثقيلة ويرتدوا الطرابيش.

(٥) اسد رستم: آراء وأبحاث، ص ٩١.

وكان الطربوش يستورد من اوربا، خصوصا من النمسا وفرنسا، «قد استحضرنا طرايش اكثرا صالون افخر جنس، حرايري الملمس، صيفي الملبس، لا يضيّق ولا يزم، ثابت اللون»^(١)

وفي عهد السلطان عبد الحميد الثاني انشئ معمل «هركه السلطاني» لصناعة الطرايش، وقد ابدى السلطان رغبته بأن ينتج المصنع طرايش تكفي الاستهلاك المحلي، وتغني العثمانيين عن استيراد الطرايش الأجنبية، خصوصا وان الطربوش صار «علامة فارقة» للعثمانيين، كما أشارت إحدى صحف تلك الأيام.^(٢)

وفي أوائل القرن العشرين أمرت السلطات بطرح الطربوش وارتداء «القلبيق»، وارتدى الجنود القلبيق وكذلك فعل الموظفون، وكان الأتراك والأرمن أكثر عناصر السكان العثمانيين اقبالا على غطاء الرأس الجديد^(٣)، أما الصيداويون فان كثيرين منهم من طرحوا طرايشهم، لم يقبلوا على ارتداء القلابق، بل تركوا رؤوسهم حاسرة، فكان ذلك بداية شيوع الرأس الحاسرة لدى الرجال، في صيدا، وفي غيرها من مدن بلاد الشام.

وعندما شاع ارتداء الطربوش، استحضر بعض الصيداويين «قوالب» من نحاس لصنع الطرايش، وكانوا يجلبون القماش والقشّ والذوائب من اوربا ويقومون بصنعها، واشتهر بذلك بعض الحلاقين في صيدا. كما عرف من صانعيها ابراهيم زكريا الصباغ. وقد بلغ من رواج الطرايش ان صيدا استوردت سنة ١٨٦٢ مثلا ٩٠٠ دزينة طرايش عن طريق بيروت بقيمة ٢٠ ألف قرنك^(٤).

أما لباس الرأس للنساء فكان الشائع، في صيدا «الطرحة»، وهي ما

(١) اعلان علات حبيب سعادة في سوق سرسق وتويني في بيروت عن وصول طرايش جديدة، لسان الحال، العدد ٤٢٥٠ في ١٨ اذار ١٩٠٥.

(٢) لسان الحال، العدد ٤٩٧٠، في ١٢ كانون أول ١٩٠٥.

(٣) لسان الحال، العدد ٥٨٩٧ في ١٩ كانون أول ١٩٠٨.

(٤) القنصلية الأميركية ت ٣٦٧/ ج ٤ تقرير القنصل الأمريكي في صيدا عن تجارتها لسنة ١٨٦٢.

يطرح على الرأس لتغطيته، و « المندبل »، ويمكن أن تتدلى منه مشابك من الحرير والفضة، بينما يكون مندبل المرأة الغنية مقصبا تعصب به رأسها. وبينما شاع ارتداء « الطنطور » لدى نساء جبل لبنان، ظل نادرا في صيدا، فكانت صيداويات قليلات يرتدينه في المناسبات فقط، وكان ارتداؤه مقتصرًا على المتزوجات، وابطل سنة ١٨٤٨^(١).

أما على أجسادهم فقد ارتدى الصيداويون قميصاً فوقه درّاعة مزركشة، وسروالا كبيراً مزركش الجوانب حريراً في الصيف، ومن الجوخ شتاءً. أو ارتدوا جبّة من الحرير أو الجوخ، أو مضرّية (جبة مطرزة).

أو كانوا يرتدون « قنباراً » يمتد من الرقبة إلى ما تحت الركبتين، وقد يكون من قماش السّكروزة^(٢)، أو من القطن أو الخام أو « القباي » (قماش مطرز خاص بالقناييز)، ويكون له غالباً جيبتان على جانبيه أو بدونها.

كما كان البعض من الصيداويين يرتدي الصّاكو (الجاكيت) فوق القنبار، أو فوق القميص. أو يرتدون الدّامر (شبيه بالصدرية وله أزرار)، كما ارتدى بعضهم المنتيان (مثل القميص وله أكمام وأزرار) من الديما أو من القطن، كما ارتدوا البنطلون.

وبدل الشروال ارتدى البعض الشتّيان، وكان السروال الواسع معروفاً « بالزيقلي »، والضيّق « بالمزموم »، وكانوا يشدّون على أوساطهم الزنانير العريضة من الحرير أو الصوف يوكزون بها خنجرأ^(٣)، أو يضعون فيها نقوداً

(١) كان يدعى أيضاً « طرطورا » و « طاسة »، ويقال إن اللواتي كن يرتدينه كن لا يخلعنّه ليلاً أو نهاراً، وقد أصدر البطريرك الماروني يوسف حبّيش أمراً بتحريم ارتدائه، فطاف طوبيا عون، رئيس امارقة بيروت، نحو سنة ١٨٤٨ في قرى الأبرشية يحض النساء على خلعها، ومنذ ذلك اخذ امره يهمل، راجع لحد خاطر، ص ٣٩٤.

(٢) حرير بلدي شغل المهند، وقد استقيت معظم المعلومات عن الملابس التي لا توجد اشارة إلى مصدرها، من محمد الحكواتي وهو خياط الملابس العربية الوحيد في صيدا الآن، وله في هذه الصنعة ٥٥ سنة، وهو من مواليد ١٩٠١، ولا يزال يعمل بنشاط.

(٣) منير الخوري، ص ٣٤.

وأحياناً محابر من نحاس لحفظ الأقلام^(١).

وكذلك ارتدت المرأة لباساً شبيهاً بلباس الرجل، فهو سروال طويل يكاد يصل إلى قدميها، يملوه رداء طويل يصل حتى القدمين، وكانت عند خروجها من البيت تغطي رأسها بثوب طويل يلف جسمها كله بحيث لا يكاد احد يتعرف إليها، وتغطي وجهها بنقاب سميك عادة من البرنحاك الخالص، أو من المولدين أو الشاش... احضرت لنا تلميذة كبيرة سادلة النقاب على وجهها وأظنها لم تتجاوز الثانية عشرة من عمرها...^(٢) وكذلك «... حضرت... الحرمة حنيفة بنت الحاج محمد الصباغ القائمة من وراء ازار...»^(٣) مما يدل على ان النقاب على الوجه كان شائعاً لدى كثيرات من الصيداويات، سيدات وقتيات، حتى أواخر العهد العثماني.

ولبس الرجال في أقدامهم الحذاء الذي دعي «المداس» أو «المركوب» وفي الشتاء ارتدوا الأحذية السمكة «جزمة» أو «بوط».

وارتدت النساء في أقدامهن «السكربينات» أي الأحذية النسائية، وكذلك «الصَّرْمَاية» أما في داخل المنزل فاستعملت «المشاية» أو «البابوج»^(٤)، وقد يكون من الجلد العادي بلا زخرفة، وقد يزين بالريش والذهب وبالوان زاهية عدة، وكانت الأحذية النسائية لا كعوب لها، وذات رؤوس محددة.

وكان على الرجال والنساء خلع الأحذية بمجرد دخول المنزل، قرب العتبة، وارتداء «المشايات» في اقدامهم واقدامهن^(٥). واستعمل القبقاب للحمام عموماً.

(١) لحد خاطر، ص ٣٧٠.

(٢) مصطفى الغلاييني من بيروت عند زيارته لمدارس صيدا، الاقبال، العدد ١٠٨ في ٣١ تموز ١٩٠٥.

(٣) المحكمة الشرعية، سجل ١، غرة ١٤ في ١٨ رجب ١٢٨٥ هـ.

(٤) البابوج اصلها فارسي من پا بمعنى ساق وبوش بمعنى غطاء: لأنه كان يغطي قسا من الساق..

(٥) EDWIN PEARSON, op. cit., p.

وتجلّت زينة الرجال في طرايبشهم المكوية اللهاة^(١)، وفي شواربهم المشدّبة، المكوّفة للأسفل أو المرفوعة للأعلى، أو المستقيمة باتجاه الخدين، وكانوا يستعملون مشدّات خاصة للشوارب تباع في الأسواق^(٢).

كما برزت زينة النساء في حلاهن، بالعقود في الأعناق، والاقراط في الآذان، والخواتم في الأناامل، وأحياناً الخلاخيل في الأرجل والشكة أو الصفية، وهي قطعة قماش مستطيلة تصف عليها النقود وتربط على الجبين. كما تطيّن بعطر الورد والمسك والعنبر، وخضبن شعرهنّ، وأحياناً أيديهن وأقدامهنّ بالحناء، واكتحلن بالكحل الأسود، واستعملن المرآة، عادية أو فضية.

ومنذ أواخر القرن التاسع عشر أخذت تشيع الأزياء الأوروبية (الافرنجية) للرجال وللنساء على حد سواء، حيث أقبل على ارتدائها كبار التجار، والموظفون والمثقفون، ثم تبعتهم عامة الناس، بالتدريج^(٣). وأخذت تنشأ محلات الخياطة الافرنجية الى جانب الخياطة العربية، وقد كان في صيدا سنة ١٨٨٨ عشرة خياطين^(٤)، وكان نقولا ضبر شيخ الخياطين في صيدا سنة ١٩٠٩^(٥).

ولاعطاء صورة عما كانت تمتلكه الأسرة، عموماً، من أنواع الملابس وأسماؤها، نستخلص من تركة غالب عبدالله، بعد وفاته، ما تركه من ملابس، دون ذكر الحاجات الأخرى، وقد جرى بيعها في المزاد بمعرفة أمين بيت المال عبدالرحمن أحمد وهبة: بعد أن أمره بذلك قائمقام صيدا علي رضا بك:

(١) كان عند معظم الحلاقين قوالب من نحاس لكوي وتنظيف الطرايبش، ويوجد حلاق واحد في صيدا اليوم لديه مثل هذه القوالب.

(٢) لبنان الحال، العدد ٤٩٢٥ في ٣٠ تشرين اول ١٩٠٥.

(٣) J. L. FARLEY, op. cit., p. 30

(٤) الحقائق، العدد ١، تشرين ثاني ١٨٨٨.

(٥) بلدية صيدا، قرار نومرو ٤، في ٢ آذار ١٣٢٦ مالية.

عدد ١	دكة وعقال حرير	عدد ٣	مشتيان
عدد ١	كبيوت (معطف)	عدد ٢	بنطلون وسدرية
عدد ١	مضربية	عدد ٢	بنطلون أبيض
عدد ٣	صاكو (جاكيت سترة)	عدد ٢	قميص أبيض
عدد ١	قلشين جلد ^(١)	عدد ٥	قميص فضيلة
عدد ٢	طربوش	عدد ٤	قميص كهنة (قديم)
عدد ٥	بقجة	عدد ٣	بنطلون كهنة (قديم)
عدد ٢	لستيك (حذاء)	عدد ١	سدرية
عدد ١	جزمة (حذاء شتوي)	عدد ١٠	قبة (ياقة) كهنة (قديم)

وقد بيعت جميعها (مع بقية الأدوات والأثاث الذي لم نذكره) بمبلغ ١٤٠٦ قروش ونصف القرش، وبعد دفع تكاليف تكفين المتوفي ودفنه ورسوم المزاد وسداد ديونه للآخرين والدولة، بقي لورثته مبلغ ١٤٦ قرشا فقط.^(٢)

د - وسائل التسلية والترفيه:

عاش الناس، في القرن التاسع عشر، في بلاد الشام، حياة تقليدية رتيبة، اكتنفتها البساطة، وسيطرت عليها العقلية المحافظة، على العموم، بالرغم من ان المدن الساحلية تمتعت بقدر من الحرية والانفتاح اكثر من المدن الداخلية، بسبب موقعها الجغرافي (على البحر) وعلاقتها التجارية (مع الأجانب).

لكن ذلك لم يستمر طيلة ذلك القرن، إذ شهدت أواخره بداية انهيار المجدران الاجتماعية القديمة، أمام موجة الزحف الأوروبي الطاعني، الذي لم يشمل الأزياء والأثاث فقط، بل تعداها إلى المأكل والمشرب، والمسكن، وكذلك وسائل الترفيه والتسلية^(٣)، ودخلت وسائل ترفيه وتسلية أوروبية جديدة، إلى جانب الوسائل القديمة التي ابتكرها السكان لملاء أوقات الفراغ، والترفيه عن أنفسهم، ومن هذه الوسائل التي كانت شائعة في صيدا آنذاك.

(١) القلشين هي الجوارب (الكلسات).

(٢) المحكمة الشرعية، سجل ١، غمرة ٥٣ سنة ١٢٨٥ هـ.

(٣) عبدالكريم غرايبة، ص ١٣٦.

كانت المقاهي أكثر أماكن التسلية، وتمضية أوقات الفراغ، انتشارا في معظم مدن بلاد الشام، في القرن التاسع عشر، ومنها صيدا، وكانت المقاهي الصيداوية ضمن السور، فلما بدأ العمران ينتشر خارجه، انتشرت معه المقاهي بحيث انه كان في صيدا ١٩ مقهى سنة ١٨٨٨^(١).

وقد نظمت السلطات وضع المقاهي، فأوجبت تعليمات الشرطة بأن « قهاوى الحارات والأسواق ودكاكين الحلاقين وباعة الشاي لا يفتحون بعد الساعة الخامسة من ليالي الشتاء، وبعد الساعة الرابعة من ليالي الصيف »^(٢)، وكان الصيداويون يسمون المقهى « قهوة » وتجمع على « قهاوى ».

وقد وصف أحد الرحالة الانجليز، مقهى في صيدا في النصف الأول من القرن التاسع عشر بأنه كان مطلقاً على البحر، وانه كان يعج برواده الذين ارتدوا أحسن ملابسهم، جالسين على المقاعد والدكك الوثيرة يدخنون الغلايين أو الاراكيل، وان كل من يحترم نفسه من الرجال يحمل معه كيس تبغ، كما يحمل الانجليزي العريق ساعة جيبه^(٣).

وهكذا فان المقهى كان مكانا للثروة، ولا حياء القهوة، ولتدخين الغليون والأركيلة، في النصف الأول من القرن التاسع عشر، ثم جاءت « السجارة » تزامم الغليون والأركيلة منذ النصف الثاني من ذلك القرن، وقد انتشر تدخينها بين الرجال والنساء بسهولة حملها واشعالها^(٤).

وكانت غلايين تلك الأيام ذات انبوبة طويلة جدا، مصنوعة من الخشب، واجودها ما كان من خشب الياسمين أو الورد أو الكرز، أما الغليون نفسه

(١) الحقائق، العدد ١، تشرين ثاني ١٨٨٨، سبق ذكرها.

(٢) تعليمات الضابطة الصادرة في ٢٣ محرم ١٢٧٨ هـ. الدستور، ج ٢، ص ٦٧٨، المادة ٤٤، والمقصود بالساعة الخامسة بالتوقيت العربي الساعة الحادية عشرة ليلا بتوقيتنا الحاضر، وكذلك الساعة الرابعة تعادل العاشرة ليلا.

(٣) جون كارن، ص ٢٠٤.

(٤) J.L. FARLEY, op. cit., p. 199

فكان من الخزف، وأشهر أنواعه الطرابلسي، وكان يتم استيراده من المانيا، وعرف الغليون كذلك باسم الشبق^(١).

ودخن الناس، في تلك الأيام، الأركيلة (أو الشيثة)^(٢)، في البيوت وفي المقاهي على حد سواء. وكان يوضع فيها «تنباك» مطيب بالعود والند، وكان التنباك المعجمي والاسطنبولي خفيفا طيب النكهة، اما البلدي فكان ثقيلًا لاذعًا^(٣).

وعرفت هذه البلاد لفائف التبغ (السجاير) منذ سنة ١٨٥٥^(٤) او قبلها. وكانت السجاير في أسواق سوريا أما صناعة حكومية أو أجنبية، وهذه اما تكون مستوردة أو مهربة، وبسبب رداءة السجاير الحكومية، فان تهريب السجاير الأجنبية كان واسع الانتشار^(٥).

ومن الطريف أنه قامت في مطلع القرن العشرين حركة واسعة لمقاطعة كل

(١) من cubuk التركية بمعنى الأنبوب أو القصبه والفنن، ثم اطلقت اصطلاحا على الغليون، ولفظه غليون معرفة عن «قليان» الفارسية بمعنى القضيب.

(٢) يعتقد ان اصلها من ايران ثم دخلت الى حلب في منتصف القرن الثامن عشر، ومنها انتشرت الى بقية مدن بلاد الشام، راجع: غرايبة، ١٥٣.

وأركيلة معرفة عن نارجيل، وهي جوزة الهند، لأن اول استعمالها بدأ بجوزة الهند بعد افراغها، ووضع انبوبة القصب فيها، ثم استعمل وعاء من الزجاج ومن هنا تسميتها احيانا شيشه لأن معناها الزجاج بالفارسية.

(٣) في أواخر القرن الماضي كان التنباك الذي يباع في اسواق صيدا سبعة اصناف يتراوح سعر الكيلو الواحد منها بين خمسة قروش ونصف إلى عشرين قرشا، اما التبغ (التن) البلدي فكانت الاقة منه ٦٠ قرشا، واشهر انواعه الشقيفي والكوراني والجيبلي، نسبة للشقيف والكورة وجبيل، راجع:

ثمرات الفنون، العدد ٩٢٧ في ١ أيار ١٨٩٣. وكذلك

KARL BAEDEKER, op. cit., p. 39

(٤) أما انواع السجاير التي كانت معروضة في أسواق صيدا آنذاك فقد كانت «اكسترا» و «نومرو ١» و «نومرو ٢» و «نومرو ٣» وكان هذا الأخير اكثرها رواجا وكان سعر علبة الاكسترا سبعة قروش، وكانت علبة السجاير تحتوي على ٢٥ سجارة عادة.

KARL BAEDEKER, p. 39 راجع

(٥) كانت السجاير المهربة متوفرة بكثرة في اسواق بيروت والقدس ومنها تنتقل للمدن الأخرى.

انواع التدخين، حفظا للصحة وتوفيرا للمال، وشملت مدنا عديدة^(١).

اما أشهر المقاهي في صيدا في أواخر العهد العثماني، فقد كان مقهى باب السراي (في ساحة باب السراي) وكان ملكا للبلدية وتجري مزايدة سنوية لتأجيرها، وكان مستأجره سنة ١٩١٤ الحاج عبي الدين كشتبان. والمقهى المعلقة في محلة خان الافرنج، مقهى المهندس^(٢) مقهى الحاج محمد البلبل، ومقهى أبو دحروج، ومقهى بني لطفي، ومقهى أبو زيت، وجميعها كانت تقع داخل أسوار صيدا، ومقهى البوابة الفوقا، ومقهى الشاكرية (عند مدخل بوابة الشاكرية)^(٣) ومقهى القزاز (داخل السور كذلك) ومقهى الخيرية وكان اجل مقاهي صيدا وأهمها، وكان واقعا خارج السور، شمال بوابة بيروت (قرب الحسبة الحالية)، وقد أقامته شعبة المعارف الخيرية بأمر من القائماق احسان بك لتحسين وضع المدينة، وقد وصف مندوب احدى الصحف الجلسة فيه بأنها بمنفعة حيث من جانب البحر وزرقة مياهه، ومن الجانب الآخر السهل وخضرته^(٤).

ومن القهوجية عبدالغني مكاوي، وكان شيخ القهوجية أحمد الشامي^(٥).

٢ - الحكواتي:

كان من اسباب التسلية والترفيه المهمة، وتطلق هذه التسمية على من يحفظ الحكايات، ويلقيها عن ظهر قلب، أو من كتاب بين يديه، وتدور الحكايات حول البطولة والشجاعة، والاخلاص والوفاء في الحب، واحتمال المذاب في سبيل محاربة الظلم، وأشهر تلك القصص كانت تدور حول عنقرة

(١) مثل دير القمر وجبيل وجزين، وقد صدر بيان عن جزين يعلن ان المدينة ستوفر ٥٠٠ ليرة بالنسبة إذا ظلت بمنفعة عن التدخين في كافة انواعه من غلايين وأراكيل وسجاير. لسان الحال، العدد ٣٨٨٠، في ٢٣ تشرين الثاني ١٩٠١.

(٢) هكذا ورد اسمه في سجلات المحكمة الشرعية والبلدية. والمقصود بالطبع المهندس.

(٣) قبل بضع سنوات عُلقت لافتة كبيرة عند مدخله، لا تزال موجودة حتى الآن، تشير إلى انه مستمر بالخدمة منذ ما يزيد عن مئة سنة.

(٤) ثمرات الفنون، العدد ٩٦١ في ١ كانون ثاني ١٩٩٤.

(٥) بلدية صيدا، قرار نومرو ٤ في ٢ آذار ١٣٢٦.

العبيسي والملك الظاهر بيبرس، وسيف بن ذي يزن، وأبي زيد الهلالي وغيرهم. وكانت العادة أن يبدأ الحكواتي عرضه الليلي في المقهى بعد الغروب، أو بعد العشاء، وقبل شروعه بالحكاية الأصلية يحكي اقصوصة سريعة تتضمن طرائف وحكمًا يهدى بها حلقة تلك الليلة. وكان يتوقف عن الالتقاء عند موقف مشير، ليكمل الحكاية في الليلة التالية، مما يشوق سامعيه ويزيد من رغبتهم في معرفة بقية الحكاية^(١).

وكان الحكواتي يجري عرضه كل ليلة في مقهى معين، أو ينتقل كل ليلة الى مقهى مختلف، مما يجعل الزبائن يلحقون به الى المقهى الجديد حتى لا تفوتهم حلقة من الحكاية المسلية التي يتابعونها. وكانت شروط الاتفاق ان يقتسم الحكواتي وصاحب المقهى غلة تلك الليلة، وكان الزبون يدفع عادة عشر بارات لقاء الجلوس في المقهى وسماع الحكواتي. واشتهرت قهوتا الخيرية والقزاز بالحكواتية فيها،^(٢)

٣ - خيال الظل:

وكان مشهوراً بالكراكوز (الاراجوز)، وكان الكراكوزاتي يتفق مع صاحب المقهى على أن يخصص له زاوية في المقهى، يضع عليها ستارا وقنديلا، ويجرك دمي بطريقة تجعل ظلها ترسم خيالات تكون شخصيات العرض، حيث يصاحب حركاتها أصوات متنوعة يصدرها الكراكوزاتي، من حوار وبكاء، وضحك يناسب العرض.

وكانت حفلة خيال الظل تجري عند الغروب تماماً ليتمكن أكبر عدد من الأطفال من مشاهدتها، قبل ذهابهم الى النوم في منازلهم، كما كان بعض الرجال يحب مشاهدتها، وكان موسم عرضها المفضل فصل الشتاء، حيث يطيب الجلوس في المقهى الدافئ، وكان الكراكوزاتي كالحكواتي، يتقاسم غلة المقهى مع صاحبه^(٣).

(١) يقدم كل ليلة حلقة من حكايته على طريقة المسلسلات التلفزيونية الحالية.

(٢) و (٣) معظم هذه المعلومات استقيتها من الحاج احمد البتي وعبد الحكواتي وعبد النعاني. ومن المعروف ان مهنة الحكواتي ظلت نائمة في صيدا حتى أواخر العهد العثماني، وتحمل إحدى عائلات صيدا اسم الحكواتي بسبب اشتغال افراد منها في هذه المهنة.

كما سمي ايضا صندوق الدنيا، وكان مُشغله يلف بين بكرتين صورا مختلفة، على شكل شريط عريض، ويضعها داخل صندوق مغلق، به عدة فتحات زجاجية، يتطلع منها الأولاد إلى الداخل، بينما يدير الرجل إحدى البكرتين ببطء، لتسر المناظر امام أعينهم فتثير دهشتهم وتجلب السرور لنفوسهم.

وكان صاحب صندوق الفرجة يحمله على كتفيه، ويطوف به في الشوارع والأزقة، ناديا بنغم حلو « اتفرج يا سلام، شوف احوالك بالتام، شوف قدامك عجائب، شوف غرايب... » فيهرع إليه الأطفال، بنين وبنات، ليأخذ كل منهم دوره في مشاهدة العجائب نظير بضع بارات يدفعها^(١).

كما تلهى الرجال بلعب الورق (الشدة) والنرد (طاولة الزهر) والدامة والشطرنج، في المقاهي أو المنازل، بينما تسلى النساء بلعب « البرجيز » حيث كان يستغرق «الدق» أحيانا بضع ساعات، كما امضى الأولاد نهارهم باللعب في الشوارع والأزقة العابا منتشرة على نطاق واسع مثل «العسكر والحرامية» و «الغميضة» أو تطيير طائرات الورق وغير ذلك.

كما انتشرت هواية صيد السمك (بالصنارة)، ولما اخذ البعض يلقي الديناميت بقصد صيد أكبر كمية من السمك، اصدرت الدولة امرا بمنع ذلك تحت طائلة العقوبة^(٢).

كما انتشرت عادة صيد الطيور، ولما خشيت السلطات من كثرة الصيد، اصدرت امرا بمنع صيد العصافير الصغيرة وأندرت المخالفين بالعقاب^(٣). وكذلك أخذ الأهالي يقتنمون أيام العطلة الأسبوعية (وكانت نهار الجمعة) ليخرجوا في نزعات في الهواء الطلق تستغرق النهار كله أو معظمه.

(١) معظم هذه المعلومات من حسن الرازيان ورشاد الزين خلال مقابلاتي لها.

(٢) الاقبال، العدد ١٦٤ في ١٠ أيلول ١٩٠٦.

(٣) الاقبال، العدد ٧٨ في ٦٢ كانون الأول ١٩٠٤.

أما وسائل التسلية والترفيه الأخرى مثل لعب البلياردو^(١) وعرض الصور المتحركة^(٢)، والفانوس السحري^(٣) وكذلك السينما، فإن صيدا لم تعرفها حتى سنة ١٩١٤، بينما كانت آخذة بالانتشار في بيروت.

٥ - المسرح:

لم يعرف الصيداويون التمثيل المسرحي، في القرن التاسع عشر، إلا من خلال المدارس التي اعتادت القيام ببعض التمثيليات القصيرة في حفلاتها المدرسية التي كانت تقيمها خلال العام الدراسي أو في نهايته.

لكن بواكير العمل المسرحي، في صيدا، بدأت مع اعلان الدستور سنة ١٩٠٨، وكانت تبشر بنهضة مسرحية جيدة، لولا نشوب الحرب العالمية الاولى، التي أطفأت شعاع تلك الحركة المسرحية نهائياً.

ففي سنة ١٩٠٨ أَلَفَ صبحي بك اباطة رواية « خذلان الظالم وانتصار المظلوم » صُوِّرَ فيها نهاية عهد الاستبداد وقيام عهد الحرية، وقد مثلت في عدة عروض وخصص ريع حفلاتها لصالح الجمعيات الخيرية^(٤).

وفي ربيع سنة ١٩٠٩ شكَّلت مجموعة من الشبان الصيداويين جمعية « احياء التمثيل العربي » من أجل رفع مستوى التمثيل المسرحي في صيدا والنهوض به، وتخصيص عائدات التمثيليات المسرحية لصالح الأعمال الخيرية.

وقد قام أحد أعضاء الجمعية عمر نحوي بتأليف رواية « المتوكل » وكانت رواية أدبية تاريخية فكاهية من ثلاثة فصول، وقد حضر عرضها الأول الفاتح مقام وأركان السلطة والعلماء وعديد من أهل صيدا^(٥).

وفي خريف السنة نفسها مثلت الجمعية رواية « السموأل » من تأليف

(١) ذكر ذلك J. L. FARLEY, p. 28

(٢) عرض للصور كوكا سنة ١٨٩٩ صوراً متحركة على قهوة الطوح في بيروت، لسان الحال، العدد ٣٣٠٢ في ١٠ كانون الثاني ١٨٩٩.

(٣) لسان الحال، العدد ٤٥٩٢ في ١٣ أيار ١٩٠٤.

(٤) لسان الحال، العدد ٥٨٣٧ في ٩ تشرين الأول ١٩٠٨.

(٥) الاقبال، العدد ٢٩٧ في ١٧ أيار ١٩٠٩.

انطوان الجميل، فأثارت اعجاب المشاهدين، وساهم في تنظيم العرض المسرحي نجيب بكار، كما قامت الجمعية بعرض مسرحية جديدة باسم « صلاح الدين الأيوبي »^(١).

أما جمعية نشر العلم فقد مثلت رواية « الصارخ المظلوم » في مقهى الخيرية، وجعلت حفلتها المسرحية ليلة الجمعة من كل اسبوع، وكان الاقبال على رواياتها شديداً، خصوصا من العلماء والموظفين وغيرهم^(٢).

كما كانت تقام حفلات الفناء ليحضرها العموم، بعد أداء رسم خاص للبلدية، ففي سنة ١٨٩٢ مثلا كان دخل البلدية من اقامة حفلات الفناء في صيدا ١٨٥ قرشا و ١٠ بارات^(٣). وكانت الفرقة الغنائية تدعى « جوق عوالم »، ففي سنة ١٩٠٩ مثلا طلب عبدالغني مكاوي اذنا من البلدية لتشغيل جوق عوالم لمدة ١٥ يوما، فمنحته البلدية الاذن ودفع رسما قدره ريالين ونصف الريال^(٤)، ولم يوضح القرار مكان العرض، لكن يبدو أن الفرقة الغنائية عملت في المقهى الذي يديره مكاوي المذكور.

كما طلب يوسف ابراهيم سليمان سنة ١٩١٠ ترخيصاً بعمل جوق عوالم في فندقه (لوكندة الوطن) لمدة خمسة أيام، فمنح الترخيص ودفع رسما خمسة ارباع المجيدي^(٥).

٦ - الأعياد والمناسبات الدينية والوطنية:

لا شك أن الأعياد الدينية والوطنية في ذاتها ليست من وسائل التسلية والترفيه، لكنها تذكر هنا، لأن ما احاط بها من مظاهر الاحتفال، ووسائل الترفيه، جعلها جزءا من نشاطات الترفيه والتسلية.

فشهر رمضان، بالإضافة الى جوه الروحاني والتعبدي، كانت تقام في

(١) الاتحاد العثماني، العدد ٣٧٥ في ١١ كانون الاول ١٩٠٩.

(٢) الاتحاد العثماني العدد ١٣٢٥ في ٦ شباط ١٩١٣.

(٣) بلدية صيدا، من ميزانية سنة ١٣٠٨.

(٤) بلدية صيدا، قرار نومرو ١٣٧، في ٢٤ تشرين الاول ١٩٢٥.

(٥) بلدية صيدا، قرار دون رقم، في ١٣ كانون الثاني ١٩٢٦.

نهاراته الاستعراضات والألعاب، وفي ليلائه حلقات الذكر، ورقصات الدراويش، والسهرات العامرة حتى ساعة متأخرة من الليل.

وكان اثبات حلول شهر رمضان المبارك يتم امام القاضي الشرعي بشهادة بعض الشهود العدول، وبعد التأكد من ذلك يبعث القاضي الى القائمقام يبلغه ببداية شهر رمضان، ويطلب منه اجراء المراسم المعتادة. ومثلا حجة اثبات دخول شهر رمضان لسنة ١٣٠٣ (١٨٨٥) كانت كالتالي: وهي عبارة عن رسالة من القاضي الى القائمقام:

«معرض الداعي بدوام الدولة العلية العثمانية، وبطول عمر سيدنا ومولانا السلطان الأعظم، والحقان المفخم، السلطان عبدالحميد خان، خلد الله أركان دولته، الى آخر الدوران، بحرمة سيد الاكوان صلى الله عليه وسلم، انه ثبت بشهادة كل من ابراهيم بن علي السكاكيني، وسليمان بن احمد الترك، وابراهيم بن محمد حنيئة، وحمد بن يوسف ابو زيد وابراهيم بن عمر البيلاي، واحمد بن سعيد الشيخ عمار، وسعدالدين بن الشيخ درويش الرواس، اولية شهر رمضان المبارك من هذا العام صباح يوم الخميس برؤية هلاله بعد الغروب شمس يوم الأربعاء، ختام شهر شعبان المكرم، فاستحسن الأمر باطلاق احد عشر مدفعاً لإعلان ذلك. اعاده الله على سعادتك ومن ثبوت سنين عديدة باليمن والتوفيق، وبكل الأحوال الأمر لوليه افندم، ختام شهر شعبان ١٣٠٣ هـ. شهود الحال...»^(١).

وكان يطلق احد عشر طلقة اعلاناً ببداية شهر الصوم، وكان المدفع على القلعة، وفي سنة ١٩١٠ مثلاً عيّنت البلدية عيد الواحد شهاب لاطلاق مدفع رمضان بأجر قدره خمسة عشر مجيدياً، على أن تقدم البلدية ثمن البارود.^(٢) وعندما رأت أنه لا يستطيع أداء مهمته في أوقات الافطار والسحور والامساك، عينت جميل البزري لمعاونته مقابل ستة مجيديات^(٣).

(١) المحكمة الشرعية، سجل ٣، غرة ١٥٥ في ختام شعبان ١٣٠٣ هـ.

(٢) بلدية صيدا، قرار نومرو ٧٨ في ١٨ اغسطس (آب) ١٣٢٦.

(٣) بلدية صيدا، قرار نومرو ٩١ في ٤ تشرين الأول ١٣٢٦.

وكان لاعبو السيف والترس يقدمون عروضهم في شوارع صيدا نهاراً، كما يطوف حملة المشاعل ليلاً، أو يقوم الدراويش بإحياء حفلات الذكر والتواشيح الدينية، ويتردد اسم الله كثيراً بين قرع الطبول وتكبير المكبرين.

وفي الليل يطوف السحر وهو يدق على طبلة، وكان لكل « حارة » المسحر الخاص بها، ومن نداءات السحر تلك الأيام « لا إله إلا الله يا نايـم وحـد الدايـم » وايضاً « يا نايـم بدوركم، قوموا السحوركم، جاي النبي يزوركم ».^(١)

اما عيد المولد النبوي الشريف فقد بدأ الاحتفال الرسمي به لأول مرة في الدولة العثمانية سنة ١٩١٠، وأمرت الدوائر الرسمية بالتعطيل في هذه المناسبة، وفي بيروت شكّلت لجنة أهلية للاحتفال به، وقد طلبت من المسلمين عدم اطلاق النار احتفالاً بهذه المناسبة^(٢).

وفي صيدا كان الاحتفال بهذه المناسبة يجري منذ القديم، حيث تنار الشوارع، والمناظر ليلاً، وتقرأ سيرة المولد النبوي، كما كانت تكثر في هذا اليوم حفلات الزفاف وعمليات الختان تبركاً^(٣).

وكان القاضي يصدر حجة اثبات ليلة المولد النبوي رسمياً، وهذا نموذج لها للسنة ١٨٨٦:

« انه ثبت باخبار الثابت من الموحدين، ان اولية شهر ربيع الأنور من هذا العام كان يوم السبت المبارك، فيكون ليلة الأربعاء (الأربعاء) هي الليلة الثانية عشرة من ليلة مولد المشرف الكون صلى الله عليه وسلم، فأستحسن صدور الأمر بضرب المدافع وايقاد القناديل في المساجد، والمناداة حسب المعتاد، للتوسل الى العزة الإلهية ان يطيل ايام وعز سيدنا ومولانا أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين، السلطان ابن السلطان عبد المجيد خان، ادام الله سير سلطنته الى آخر الدوران، آمين اللهم آمين، اعاده الله على سعادتك سنين عديدة وأيام (اياما) مديدة بالاقبال والتوفيق بجرمة كل نبي ورفيق، وبكل

(١) معلومات اخذتها من اشخاص عاصروا تلك الفترة.

(٢) الاتحاد العثماني، العدد ٤٥٧ في ٢١ آذار ١٩١٠.

(٣) ثمرات الفنون، العدد ١٦١٢ في ١٣ أيار ١٩٠٧.

الأحوال الأمر لوليه افندم»^(١).

وكانت البلدية في صيدا تشترك مع أبناء الشعب في الاحتفال بهذه المناسبة حتى قبل ان يصبح الاحتفال به رسمياً ، ففي سنة ١٩٠٩ عيّنت عضويتها محمود كالو وهاشم البزري ، لإجراء اللازم من زينات واناة بهذا المناسبة^(٢) . وكانت قد انفقت على الاحتفال بهذه المناسبة ٢٧٥ قرشا و ٢٠ بارة سنة ١٣٠٨ (١٨٩٢) ارتفعت سنة ١٨٩٣ الى ٥٠٠ قرش^(٣) .

كما ان مغادرة الصيداويين للحج ، ثم عودتهم منه كان يحتفل بها بشكل كبير ، يشترك به عدد كبير من أهل المدينة ، وكان يجري رش ماء الورد وماء الزهر ، وتوزيع الحلوى والشربات احتفاء بعودة الحجيج الصيداوي سالما معافى ، بعد رحلة الحج المرهقة ، حيث لم تكن السيارات معروفة ، كما لم يكن ممكنا ركوب العربات الى مكة .

أما وداع الحجاج فكان يجري عند الشمعون ، حيث ينطلق موكب الحجيج من هناك باتجاه بيروت لاتخاذ طريقه الى مكة .

وخلال عيدي الأضحى والفطر ، كانت تقام المراجيح ووسائل التسلية الأخرى للأطفال ، كما كانت تقام حفلات الألعاب النارية ليلا ، ليتحول العيد الى بهجة للصغار والكبار على السواء .

كما كان يحتفل بعيد ميلاد السلطان عبد الحميد على الصعيدين الرسمي والشعبي ، فيقام الاحتفال في دار الحكومة (السرايا) في صيدا حيث يحضره القائمقام وكبار الموظفين وأعيان البلدة ، والرؤساء الروحانيون وقناصل الدول الأجنبية ، كما يحضره أحيانا تلاميذ المدارس ، وتعزف الموسيقى ألحانها ، وتقدم الحلوى وغيرها^(٤) .

فعلى سبيل المثال ، أقام القائمقام عبداللطيف أفندي احتفالا بهذه المناسبة

(١) المحكمة الشرعية، سجل ٤ ، نومرو ٢١ في ١٠ ربيع الأول ١٣٠٤ هـ .

(٢) بلدية صيدا، قرار نومرو ٤٦ في ١٩ آذار سنة ١٣٢٥ مالية

(٣) بلدية صيدا، من ميزانية سنة ١٣٠٨ و ١٣٠٩ .

(٤) ثمرات الفنون، العدد ١٣٥٨ في ٢ كانون الأول ١٩٠٦ .

سنة ١٩٠٢ في دار الحكومة، وأثيرت الدوائر الرسمية ليلا، وأطلق حسن بك خضر اسمها نارية، كما أشرف باشكاتب البلدية حسني المجدوب على إقامة حفلة ألعاب نارية متنوعة^(١). وقد وصف مراسل إحدى الصحف صيدا في تلك الليلة بأنها تشع بالأنوار^(٢). كما كانت ذكرى جلوس السلطان عبد الحميد على العرش من الأعياد الوطنية. ففي سنة ١٨٩٠ مثلا انفقت البلدية ٤٩٥ قرشا على إقامة الزينات وإضاءة الأنوار. كما انفقت في السنة التالية ١٠٤٦ قرشا^(٣) وكانت ذكرى الدستور في ٢٤ تموز عيداً يحتفل به العثمانيون كل سنة^(٤).

-
- (١) الاقبال، العدد ١١ في ٢٤ تشرين الثاني ١٩٠٢.
(٢) ثمرات الفنون، العدد ١٤٥٦ في ١٦ تشرين الثاني ١٩٠٣.
(٣) بلدية صيدا، من ميزانية سنة ١٣٠٦ و ١٣٠٧.
(٤) البرق، العدد ٤٠ في ١٢ حزيران ١٩٠٩، ص ٣٣٢.



كان «السيف والترس» اللعبة الشعبية الأولى في صيدا، وكان لها أبطالها ومتفرجوها!



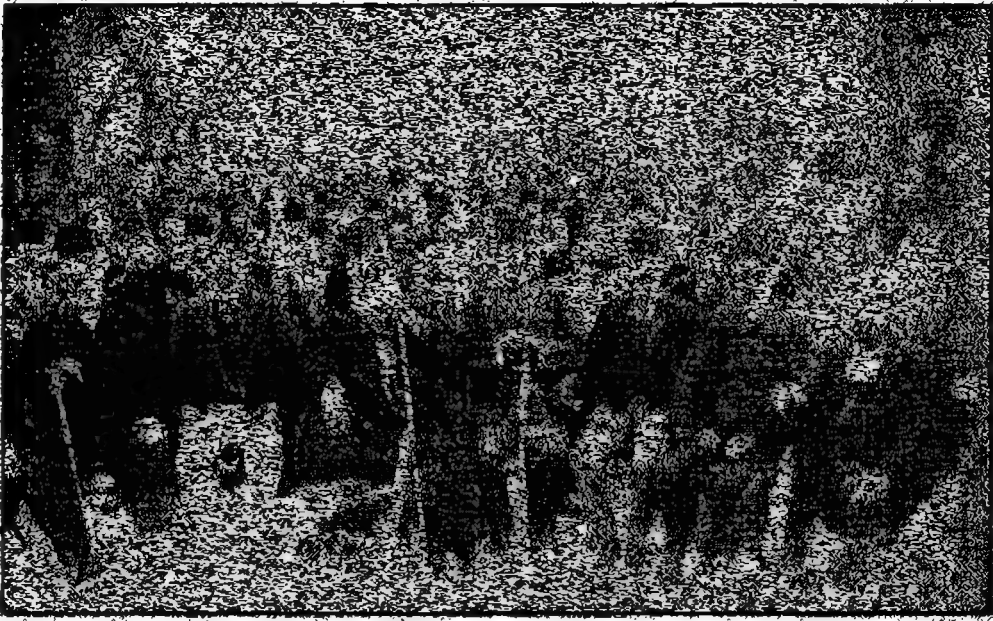
كان «المحكواقي» سمر ليالي الصياديين حتى نهاية الربع الأول من هذا القرن!



الاحتفال بالعيد في الجامع الصوري الكبير بعيدا مطلع هذا القرن



الاحتفال بذكر المولد النبوي الشريف في الثلث الاول من هذا القرن
(مجموعة الحاج احمد النبي)



استقبال في باحة كنيسة الكاثوليك هم شخصيات من كل الطوائف: المطران باسيليوس سيمار
 حنا صاصي - حنا زاخر - انطون عودة - حني المذوب
 عبي الدين الجوهرى - حسين الجوهرى - حنا عودة.
 (مجموعة صاصي)



حفلة ختان احد اطفال اليهود في صيدا الربع الاول من هذا القرن!

الفصل الثامن

۱۰۰
 ۱۰۱
 ۱۰۲
 ۱۰۳
 ۱۰۴
 ۱۰۵
 ۱۰۶
 ۱۰۷
 ۱۰۸
 ۱۰۹
 ۱۱۰
 ۱۱۱
 ۱۱۲
 ۱۱۳
 ۱۱۴
 ۱۱۵
 ۱۱۶
 ۱۱۷
 ۱۱۸
 ۱۱۹
 ۱۲۰
 ۱۲۱
 ۱۲۲
 ۱۲۳
 ۱۲۴
 ۱۲۵
 ۱۲۶
 ۱۲۷
 ۱۲۸
 ۱۲۹
 ۱۳۰
 ۱۳۱
 ۱۳۲
 ۱۳۳
 ۱۳۴
 ۱۳۵
 ۱۳۶
 ۱۳۷
 ۱۳۸
 ۱۳۹
 ۱۴۰
 ۱۴۱
 ۱۴۲
 ۱۴۳
 ۱۴۴
 ۱۴۵
 ۱۴۶
 ۱۴۷
 ۱۴۸
 ۱۴۹
 ۱۵۰
 ۱۵۱
 ۱۵۲
 ۱۵۳
 ۱۵۴
 ۱۵۵
 ۱۵۶
 ۱۵۷
 ۱۵۸
 ۱۵۹
 ۱۶۰
 ۱۶۱
 ۱۶۲
 ۱۶۳
 ۱۶۴
 ۱۶۵
 ۱۶۶
 ۱۶۷
 ۱۶۸
 ۱۶۹
 ۱۷۰
 ۱۷۱
 ۱۷۲
 ۱۷۳
 ۱۷۴
 ۱۷۵
 ۱۷۶
 ۱۷۷
 ۱۷۸
 ۱۷۹
 ۱۸۰
 ۱۸۱
 ۱۸۲
 ۱۸۳
 ۱۸۴
 ۱۸۵
 ۱۸۶
 ۱۸۷
 ۱۸۸
 ۱۸۹
 ۱۹۰
 ۱۹۱
 ۱۹۲
 ۱۹۳
 ۱۹۴
 ۱۹۵
 ۱۹۶
 ۱۹۷
 ۱۹۸
 ۱۹۹
 ۲۰۰
 ۲۰۱
 ۲۰۲
 ۲۰۳
 ۲۰۴
 ۲۰۵
 ۲۰۶
 ۲۰۷
 ۲۰۸
 ۲۰۹
 ۲۱۰
 ۲۱۱
 ۲۱۲
 ۲۱۳
 ۲۱۴
 ۲۱۵
 ۲۱۶
 ۲۱۷
 ۲۱۸
 ۲۱۹
 ۲۲۰
 ۲۲۱
 ۲۲۲
 ۲۲۳
 ۲۲۴
 ۲۲۵
 ۲۲۶
 ۲۲۷
 ۲۲۸
 ۲۲۹
 ۲۳۰
 ۲۳۱
 ۲۳۲
 ۲۳۳
 ۲۳۴
 ۲۳۵
 ۲۳۶
 ۲۳۷
 ۲۳۸
 ۲۳۹
 ۲۴۰
 ۲۴۱
 ۲۴۲
 ۲۴۳
 ۲۴۴
 ۲۴۵
 ۲۴۶
 ۲۴۷
 ۲۴۸
 ۲۴۹
 ۲۵۰
 ۲۵۱
 ۲۵۲
 ۲۵۳
 ۲۵۴
 ۲۵۵
 ۲۵۶
 ۲۵۷
 ۲۵۸
 ۲۵۹
 ۲۶۰
 ۲۶۱
 ۲۶۲
 ۲۶۳
 ۲۶۴
 ۲۶۵
 ۲۶۶
 ۲۶۷
 ۲۶۸
 ۲۶۹
 ۲۷۰
 ۲۷۱
 ۲۷۲
 ۲۷۳
 ۲۷۴
 ۲۷۵
 ۲۷۶
 ۲۷۷
 ۲۷۸
 ۲۷۹
 ۲۸۰
 ۲۸۱
 ۲۸۲
 ۲۸۳
 ۲۸۴
 ۲۸۵
 ۲۸۶
 ۲۸۷
 ۲۸۸
 ۲۸۹
 ۲۹۰
 ۲۹۱
 ۲۹۲
 ۲۹۳
 ۲۹۴
 ۲۹۵
 ۲۹۶
 ۲۹۷
 ۲۹۸
 ۲۹۹
 ۳۰۰
 ۳۰۱
 ۳۰۲
 ۳۰۳
 ۳۰۴
 ۳۰۵
 ۳۰۶
 ۳۰۷
 ۳۰۸
 ۳۰۹
 ۳۱۰
 ۳۱۱
 ۳۱۲
 ۳۱۳
 ۳۱۴
 ۳۱۵
 ۳۱۶
 ۳۱۷
 ۳۱۸
 ۳۱۹
 ۳۲۰
 ۳۲۱
 ۳۲۲
 ۳۲۳
 ۳۲۴
 ۳۲۵
 ۳۲۶
 ۳۲۷
 ۳۲۸
 ۳۲۹
 ۳۳۰
 ۳۳۱
 ۳۳۲
 ۳۳۳
 ۳۳۴
 ۳۳۵
 ۳۳۶
 ۳۳۷
 ۳۳۸
 ۳۳۹
 ۳۴۰
 ۳۴۱
 ۳۴۲
 ۳۴۳
 ۳۴۴
 ۳۴۵
 ۳۴۶
 ۳۴۷
 ۳۴۸
 ۳۴۹
 ۳۵۰
 ۳۵۱
 ۳۵۲
 ۳۵۳
 ۳۵۴
 ۳۵۵
 ۳۵۶
 ۳۵۷
 ۳۵۸
 ۳۵۹
 ۳۶۰
 ۳۶۱
 ۳۶۲
 ۳۶۳
 ۳۶۴
 ۳۶۵
 ۳۶۶
 ۳۶۷
 ۳۶۸
 ۳۶۹
 ۳۷۰
 ۳۷۱
 ۳۷۲
 ۳۷۳
 ۳۷۴
 ۳۷۵
 ۳۷۶
 ۳۷۷
 ۳۷۸
 ۳۷۹
 ۳۸۰
 ۳۸۱
 ۳۸۲
 ۳۸۳
 ۳۸۴
 ۳۸۵
 ۳۸۶
 ۳۸۷
 ۳۸۸
 ۳۸۹
 ۳۹۰
 ۳۹۱
 ۳۹۲
 ۳۹۳
 ۳۹۴
 ۳۹۵
 ۳۹۶
 ۳۹۷
 ۳۹۸
 ۳۹۹
 ۴۰۰
 ۴۰۱
 ۴۰۲
 ۴۰۳
 ۴۰۴
 ۴۰۵
 ۴۰۶
 ۴۰۷
 ۴۰۸
 ۴۰۹
 ۴۱۰
 ۴۱۱
 ۴۱۲
 ۴۱۳
 ۴۱۴
 ۴۱۵
 ۴۱۶
 ۴۱۷
 ۴۱۸
 ۴۱۹
 ۴۲۰
 ۴۲۱
 ۴۲۲
 ۴۲۳
 ۴۲۴
 ۴۲۵
 ۴۲۶
 ۴۲۷
 ۴۲۸
 ۴۲۹
 ۴۳۰
 ۴۳۱
 ۴۳۲
 ۴۳۳
 ۴۳۴
 ۴۳۵
 ۴۳۶
 ۴۳۷
 ۴۳۸
 ۴۳۹
 ۴۴۰
 ۴۴۱
 ۴۴۲
 ۴۴۳
 ۴۴۴
 ۴۴۵
 ۴۴۶
 ۴۴۷
 ۴۴۸
 ۴۴۹
 ۴۵۰
 ۴۵۱
 ۴۵۲
 ۴۵۳
 ۴۵۴
 ۴۵۵
 ۴۵۶
 ۴۵۷
 ۴۵۸
 ۴۵۹
 ۴۶۰
 ۴۶۱
 ۴۶۲
 ۴۶۳
 ۴۶۴
 ۴۶۵
 ۴۶۶
 ۴۶۷
 ۴۶۸
 ۴۶۹
 ۴۷۰
 ۴۷۱

ΣΤΕ

نصّ الحجّة الشرعية بوقف بستان الخياط وغيره في صيدا

بسم الله الرحمن الرحيم:

الحمد لله الذي رفع قدر من وقف ببابه وأعلا له الدرجات وضاعف أجر من أقرضه قرضاً حسناً من المتصدقين والمتصدقات وأوقف عليه النعم بالشكر فسبحانه من الله اخترع بقدرته الكائنات وعم بأحسانه جميع المخلوقات ووفق من أحبه للقيام بمرضاته وأجرى على يديه الصدقة الجارية على مرّ الأزمنة والأوقاف أحده على ما ألهم من فعل الخيرات وفضل المثوبات وأثره على نعماء التي لا تحصى ولا تزال متواصلات وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له مضاعف الحسنات وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صاحب الآيات الباهرات والمعجزات الظاهرات صلى الله عليه وآله وأصحابه أئمة الدين صلاة دائماً ما دامت الأرض والسموات أما بعد فلما كان انفع ما يقدم المرء بين يديه ويعود نفعه عليه يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات الصدقة الجارية والوقف المؤبد على اختلاف الجهات وقد جاء في الحديث الشريف عن سيد العرب والعجم إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث وعدّها منها الصدقات الجاريات وكان من أفضل القربات الوقف وقال صلى الله عليه وسلم إنما الأعمال بالنيات رغب في هذه المثوبة ووثب لها على قدم سابق إلى الفوز بمرضات الله تعالى ودخول الجنات المولى الأجل فخر الشجرة الزكية ونخبة العصاة الهاشمية السيد خالد بن السيد الحاج سليم حمود ابن المرحوم السيد محمد ابن السيد حسين ابن السيد زين ابن السيد علي البيروقي نقيب السادة الأشراف وأشهد على نفسه الرضوية وذاته الرضوية في مجلس الشريعة الغراء لدى متولية

فخر قضاة الاسلام محرر القضاة والأحكام الحاكم الشرعي الموقع بخط يده
وخته اعلاه بأنه قد وقف وأبد وحبس وتصدق بطيب نفس ونشراح
صدرونية صالحة تقربا الى الله الكريم وخوفا من عقابه الأليم يوم يجزي الله
التصدقين ولا يضيع أجر الحسنين ما هو له وبيده وملكه وتحت طلق تصرفه
النافذ شرعا الى حين صدور هذا الوقف منه وذلك جميع البستان الشهير
بيستان الخياط المشتمل على أشجار توت وتين وليمون ومشمش وغير ذلك من
الأشجار وعلى بئر ماء وناعورة وبركة لجمع الماء وعلى بيت مسقوف بالألواح
والأخشاب مع الأرض السليخ الذي هي فوق البئر والبركة لحد الطريق مع
الجورة التي هي قبل البستان المرقوم المشتمل على شجرتين يحده قبلة أرض
بركة غزالة وشرقا الطريق السالك وشمالا ملك محمد البتكجي وحاكورة بيت
جمال وغربا قطعة الأرض المطبوعة من البستان المذكور وجميع ربع بستان
النواعير شركة السيد مصطفى افندي ابن الشيخ عبدالله افندي وممرت ابن
الكلبان وجميع الثلاث أرباع القبور المعقودين بالمؤن والأحجار الكائنين في
حارة مصبنة بني حشيشو سفلى ودكاكين الكلبان شركة السيد خالد الواقف
وأخوته بالربع الباقي وجميع الدكان الكائنة قرب المصلية لصيق باب دار
الزعتري وجميع القبور المسقوف بالمؤن والأحجار الكائن في حارة السبيل داخل
دار بيت رجو المشتمل على تحت ومنافع سكن محمد الحلاق بن الحاج حسين
المصري وجميع سبعة قراريط من أصل أربعة وعشرين قيراطا في جميع الدكان
الكائنة في سوق اللحامين شركة مصطفى المزوق وبيت بابا ناصر بالباقي بجميع
حدود ذلك كله ورسومه ومنافعه وما يعرف به وينسب اليه وقفا صحيحا
شرعيا لا شطط فيه ولا فساد مخلدا ومؤبدا مرعيا لا يباع ولا يوهب ولا يورث
ولا يملك ولا يقايض ولا يعطى لذي شوكة ولا ينقل الى ملك احد بل كلما مر
بهذا الوقف زمن أكده وكلما أتى عليه عصر واوان ايده فهو محرم بحرمان الله
تعالى الأكيدة ومدفوعات الله السديدة لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر
ويعلم انه الى ربه الكريم صاير نقض هذا الوقف ولا تعطيله ولا تبديله فمن
بدله بعدما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم جعل الواقف
المذكور ضاعف الله له الأجور وقفه هذا ان يكون صدقة جارية على نفسه مدة

حياته ابدا ما عاش ودائما ما بقي لا يعارضه معارض ولا ينتزعه منازع ثم من بعده يكون نصف كامل هذا الوقف المذكور موقوفا على الجامع المعمور بذكر الله تعالى جامع بطاح الكائن في رأس سوق المصلية وذلك لأجل لوازم الجامع المزبور ومصالحه من شراء حصر وزيت وعبارة له وغير ذلك والنصف الثاني على قراء القرآن العظيم الكائنين في مدينة صيدا المحروسة وذلك بأن يأخذ كل سنة نصف ريع هذا الوقف بالغاً ما بلغ ويفرق عليهم بالسوية ثمن خبز عن روح الواقف المذكور لأجل أن لا ينسوه من القرائه وشرط الواقف المذكور ضاعف الله له الأجور في وقفه هذا أن يبدأ أولاً في عبارته وترميمه وما فيه بتأمينه وأن لا (غير مقروءة) من ثلاث سنين ولا لتغلب ولا لذي شوكة ولا لمن هو عسر الخلاص ولا للمتولي ولو كانت باجرة المثل وأن تكون التولية عليه لنفسه مدة حياته دائماً ما بقي وعاش ثم من بعده تكون الى ابن بنته السيد محمد ابن الحاج شاهر القواص ثم من بعده على أولاده الأرشد فالأرشد ثم على أولاده دائماً ما بقوا وإن لم يكن له أولاد ولا أولاد عادت تولية هذا الوقف على من كان متولياً وقتئذ على الجامع المذكور وأن يكون المتولي المذكور مراعيًا عامة ما عينه هذا الوقف المرقوم من الشروط والتعيينات مسالكها فيها مسالك تقوي رب البريات فإن غير أو بدل أو حرف أو أخرج الشروط عن مواضعها فالله حسيبه وربيّه ويخاصمه الواقف بين يدي الجبار يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم فمن بدله بعدما سمعه فإنما أثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم وشرط الواقف المذكور ايضا ان لا يحكر وقفه هذا ولا يجعل عليه كاديك ولا يغير عن شروطه وتعييناته التي عينها الواقف المرقوم وأن يدفع كل سنة من ريع هذا الوقف للمتولي عليه عشرين قرش لا غير اجرة نظارته وتوليته ثم لما تم الوقف المذكور على النمط المسطور قام الواقف المسفور على وقفه هذا ناظرا لأجل الحكم فيه واللزوم فخر السادة الأشراف السيد عبدالفتاح ابن المرحوم السيد محمد نصار وسلمه اياه التسليم الشرعي ثم عن له ان يرجع عن وقفه متمسكا بقول الإمام الأعظم والهامم المقدم ابي حنيفة النعمان عليه غزائر الرحمة والرضوان فعارضه الناظر المرقوم بالصحة واللزوم تثبيتا بقول الامامين الجليلين ابي يوسف يعقوب

الإمام الثاني والإمام الأول محمد بن الحسن الشيباني ثم ترافعا لدى مولانا الحاكم الشرعي الموقع خطه وختمه اعلاه دام فضله وزاد علاه ونظر في كلام كل منهما غب الخاصة والمنازعة الشرعية ثم استخار الله تعالى كثيرا واتخذ هاديا ونصيرا وحكم ايد الله أحكامه بصحة هذا الوقف ولزومه في سائر خصوصه وعمومه عالما مسائل الخلف والاختلاف الجارية في حال الأوقاف وأشهد على نفسه الكريمة بذلك عامة من حضر مجلسه ممن ستذكر أسماؤهم وغيرهم حكما وأشهدا صحيحين لازمين ماضيين ثم منع الواقف المذكور عن الرجوع فيه منعا شرعيا أوقفه في وجهه ايقافا مرعيا ثم لما انبرم الحال على هذا المنوال عزل الواقف الناظر المحرر عنه وقفه ورد التولية الى نفسه مدة حياته ثم من بعده على ما شرطه اعلاه غب اعتبار ما وجب اعتباره شرعا تحريرا اليوم السابع والعشرين من شهر ربيع الثاني الجاري في سنة خمسين ومائتين بعد تمام الألف .

شهود الحال

فخر الاشراف السيد	فخر الخطباء الكرام	فخر الأشراف السيد	فخر الأشراف السيد
محمد متوق الصلح	الشيخ ابراهيم نصار	الحاج حسن المصري	عبدالقادر البركة
السيد محمد النعماني	السيد مصطفى ابن السيد علم	فاطمة المعصراي	ناظر وقف خيرى بني

قطيش

ابراهيم اعفارة	فخر الاغوات الكرام	السيد مصطفى المغربي	السيد احمد القباي
فخر الأشراف السيد	السيد مصطفى اغا	فخر الأماثل السيد	ابن محمد القباي العكي
عبد الوهاب	ارملي طبجي باشا بمدينة صيدا	صالح حلي الرحاني	
	فخر العلماء الاعلام		

مولانا السيد يونس اقندي

يزري زاده نائب صيدا

سابقا عني عنه .



صفحة ثمانية

ظہر ورقہ غرہ استعارہ مطالبہ می توسیع برآورد.

طابق رقم (●)

١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨	١٩	٢٠	٢١	٢٢	٢٣	٢٤	٢٥	٢٦	٢٧	٢٨	٢٩	٣٠	٣١	٣٢	٣٣	٣٤	٣٥	٣٦	٣٧	٣٨	٣٩	٤٠	٤١	٤٢	٤٣	٤٤	٤٥	٤٦	٤٧	٤٨	٤٩	٥٠	٥١	٥٢	٥٣	٥٤	٥٥	٥٦	٥٧	٥٨	٥٩	٦٠	٦١	٦٢	٦٣	٦٤	٦٥	٦٦	٦٧	٦٨	٦٩	٧٠	٧١	٧٢	٧٣	٧٤	٧٥	٧٦	٧٧	٧٨	٧٩	٨٠	٨١	٨٢	٨٣	٨٤	٨٥	٨٦	٨٧	٨٨	٨٩	٩٠	٩١	٩٢	٩٣	٩٤	٩٥	٩٦	٩٧	٩٨	٩٩	١٠٠
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨	١٩	٢٠	٢١	٢٢	٢٣	٢٤	٢٥	٢٦	٢٧	٢٨	٢٩	٣٠	٣١	٣٢	٣٣	٣٤	٣٥	٣٦	٣٧	٣٨	٣٩	٤٠	٤١	٤٢	٤٣	٤٤	٤٥	٤٦	٤٧	٤٨	٤٩	٥٠	٥١	٥٢	٥٣	٥٤	٥٥	٥٦	٥٧	٥٨	٥٩	٦٠	٦١	٦٢	٦٣	٦٤	٦٥	٦٦	٦٧	٦٨	٦٩	٧٠	٧١	٧٢	٧٣	٧٤	٧٥	٧٦	٧٧	٧٨	٧٩	٨٠	٨١	٨٢	٨٣	٨٤	٨٥	٨٦	٨٧	٨٨	٨٩	٩٠	٩١	٩٢	٩٣	٩٤	٩٥	٩٦	٩٧	٩٨	٩٩	١٠٠

هذا هو المبلغ الذي دفعه السيد ... في تاريخ ...

١٠٠ ٩٩ ٩٨ ٩٧ ٩٦ ٩٥ ٩٤ ٩٣ ٩٢ ٩١ ٩٠ ٨٩ ٨٨ ٨٧ ٨٦ ٨٥ ٨٤ ٨٣ ٨٢ ٨١ ٨٠ ٧٩ ٧٨ ٧٧ ٧٦ ٧٥ ٧٤ ٧٣ ٧٢ ٧١ ٧٠ ٦٩ ٦٨ ٦٧ ٦٦ ٦٥ ٦٤ ٦٣ ٦٢ ٦١ ٦٠ ٥٩ ٥٨ ٥٧ ٥٦ ٥٥ ٥٤ ٥٣ ٥٢ ٥١ ٥٠ ٤٩ ٤٨ ٤٧ ٤٦ ٤٥ ٤٤ ٤٣ ٤٢ ٤١ ٤٠ ٣٩ ٣٨ ٣٧ ٣٦ ٣٥ ٣٤ ٣٣ ٣٢ ٣١ ٣٠ ٢٩ ٢٨ ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٠

هذا هو المبلغ الذي دفعه السيد ... في تاريخ ...

١٠٠ ٩٩ ٩٨ ٩٧ ٩٦ ٩٥ ٩٤ ٩٣ ٩٢ ٩١ ٩٠ ٨٩ ٨٨ ٨٧ ٨٦ ٨٥ ٨٤ ٨٣ ٨٢ ٨١ ٨٠ ٧٩ ٧٨ ٧٧ ٧٦ ٧٥ ٧٤ ٧٣ ٧٢ ٧١ ٧٠ ٦٩ ٦٨ ٦٧ ٦٦ ٦٥ ٦٤ ٦٣ ٦٢ ٦١ ٦٠ ٥٩ ٥٨ ٥٧ ٥٦ ٥٥ ٥٤ ٥٣ ٥٢ ٥١ ٥٠ ٤٩ ٤٨ ٤٧ ٤٦ ٤٥ ٤٤ ٤٣ ٤٢ ٤١ ٤٠ ٣٩ ٣٨ ٣٧ ٣٦ ٣٥ ٣٤ ٣٣ ٣٢ ٣١ ٣٠ ٢٩ ٢٨ ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٠

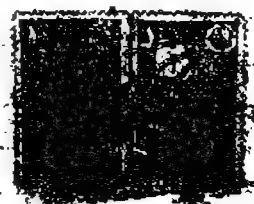
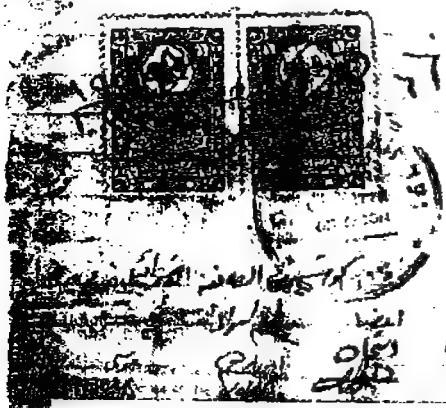
هذا هو المبلغ الذي دفعه السيد ... في تاريخ ...

١٠٠ ٩٩ ٩٨ ٩٧ ٩٦ ٩٥ ٩٤ ٩٣ ٩٢ ٩١ ٩٠ ٨٩ ٨٨ ٨٧ ٨٦ ٨٥ ٨٤ ٨٣ ٨٢ ٨١ ٨٠ ٧٩ ٧٨ ٧٧ ٧٦ ٧٥ ٧٤ ٧٣ ٧٢ ٧١ ٧٠ ٦٩ ٦٨ ٦٧ ٦٦ ٦٥ ٦٤ ٦٣ ٦٢ ٦١ ٦٠ ٥٩ ٥٨ ٥٧ ٥٦ ٥٥ ٥٤ ٥٣ ٥٢ ٥١ ٥٠ ٤٩ ٤٨ ٤٧ ٤٦ ٤٥ ٤٤ ٤٣ ٤٢ ٤١ ٤٠ ٣٩ ٣٨ ٣٧ ٣٦ ٣٥ ٣٤ ٣٣ ٣٢ ٣١ ٣٠ ٢٩ ٢٨ ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٠

بمقر القراوات التي أصدرتها بلدية حيد السنة ١٣٢٥ هـ
 المصدر: سجلات البلدية - حيد
 طبع رقم (١٠)

أدركته به مائة ليرة في الحساب المصنف الذي يليه من هادي صيدا قد توفي بتاريخ ٢١
 أول كانون الثاني ١٢٠٠ (الغنية) وقد أقيم على ربه القصار وصبا ليدرسهم
 وقد أخرجوا ربه بذهبه مائة ليرة مائة وواحدة الذلر مائة وواحدة قاصد ربه
 الرشد واربعم واربعم قاصد ربه مائة واربعم واربعم واربعم واربعم واربعم
 وهم هادون برصا به والذين هم على الذلر واربعم واربعم واربعم واربعم واربعم

هذه الشهادة بالصورة الواضحة



شهادة حصارها أصدرها فوسيون الطائفة اليهودية في صيدا .
 المصدر : المحكمة الشرعية - صيدا
 ملحق رقم (٩)

جدول بالسنوات الهجرية وما يوافقها في التاريخ الميلادي خلال الفترة من ١٨٤٠-١٩١٤

السنة الهجرية	بدايتها بالتاريخ الميلادي	السنة الهجرية	بدايتها بالتاريخ الميلادي
١٢٥٦	٥ اذار ١٨٤٠	١٢٩٦	٢٦ كانون اول ١٨٧٨
١٢٥٧	٢٢ شباط ١٨٤١	١٢٩٧	١٥ كانون اول ١٨٧٩
١٢٥٨	١٢ شباط ١٨٤٢	١٢٩٨	٤ كانون الاول ١٨٨٠
١٢٥٩	١ شباط ١٨٤٣	١٢٩٩	٢٣ تشرين ثاني ١٨٨١
١٢٦٠	٢٢ كانون ثاني ١٨٤٤	١٣٠٠	١٢ تشرين ثاني ١٨٨٢
١٢٦١	١٠ كانون ثاني ١٨٤٥	١٣٠١	٢ تشرين ثاني ١٨٨٣
١٢٦٢	٣٠ كانون اول ١٨٤٥	١٣٠٢	٢١ تشرين اول ١٨٨٤
١٢٦٣	٢٠ كانون اول ١٨٤٦	١٣٠٣	١٠ تشرين اول ١٨٨٥
١٢٦٤	٩ كانون اول ١٨٤٧	١٣٠٤	٣٠ ايلول ١٨٨٦
١٢٦٥	٢٧ تشرين ثاني ١٨٤٨	١٣٠٥	١٩ ايلول ١٨٨٧
١٢٦٦	١٧ تشرين ثاني ١٨٤٩	١٣٠٦	٧ ايلول ١٨٨٨
١٢٦٧	٦ تشرين ثاني ١٨٥٠	١٣٠٧	٢٨ آب ١٨٨٩
١٢٦٨	٢٧ تشرين اول ١٨٥١	١٣٠٨	١٧ آب ١٨٩٠
١٢٦٩	١٥ تشرين اول ١٨٥٢	١٣٠٩	٧ آب ١٨٩١
١٢٧٠	٤ تشرين اول ١٨٥٣	١٣١٠	٢٦ تموز ١٨٩٢
١٢٧١	٢٤ ايلول ١٨٥٤	١٣١١	١٥ تموز ١٨٩٣
١٢٧٢	١٣ ايلول ١٨٥٥	١٣١٢	٥ تموز ١٨٩٤
١٢٧٣	١ ايلول ١٨٥٦	١٣١٣	٢٤ حزيران ١٨٩٥
١٢٧٤	٢٢ آب ١٨٥٧	١٣١٤	١٢ حزيران ١٨٩٦
١٢٧٥	١١ آب ١٨٥٨	١٣١٥	٢ حزيران ١٨٩٧
١٢٧٦	٣١ تموز ١٨٥٩	١٣١٦	٢٢ ايار ١٨٩٨
١٢٧٧	٢٠ تموز ١٨٦٠	١٣١٧	١٢ ايار ١٨٩٩
١٢٧٨	٩ تموز ١٨٦١	١٣١٨	١ ايار ١٩٠٠
١٢٧٩	٢٩ حزيران ١٨٦٢	١٣١٩	٢٠ نيسان ١٩٠١
١٢٨٠	١٨ حزيران ١٨٦٣	١٣٢٠	١٠ نيسان ١٩٠٢
١٢٨١	٦ حزيران ١٨٦٤	١٣٢١	٣٠ اذار ١٩٠٣
١٢٨٢	٢٧ ايار ١٨٦٥	١٣٢٢	١٨ اذار ١٩٠٤
١٢٨٣	١٦ ايار ١٨٦٦	١٣٢٣	٨ اذار ١٩٠٥
١٢٨٤	٥ ايار ١٨٦٧	١٣٢٤	٢٥ شباط ١٩٠٦
١٢٨٥	٢٤ نيسان ١٨٦٨	١٣٢٥	١٤ شباط ١٩٠٧
١٢٨٦	١٢ نيسان ١٨٦٩	١٣٢٦	٤ شباط ١٩٠٨
١٢٨٧	٣ نيسان ١٨٧٠	١٣٢٧	٢٣ كانون ثاني ١٩٠٩
١٢٨٨	٢٣ اذار ١٨٧١	١٣٢٨	١٣ كانون ثاني ١٩١٠
١٢٨٩	١١ اذار ١٨٧٢	١٣٢٩	٢ كانون ثاني ١٩١١
١٢٩٠	١ اذار ١٨٧٣	١٣٣٠	٢٢ كانون اول ١٩١١
١٢٩١	١٨ شباط ١٨٧٤	١٣٣١	١١ كانون اول ١٩١٢
١٢٩٢	٧ شباط ١٨٧٥	١٣٣٢	٣٠ تشرين ثاني ١٩١٣
١٢٩٣	٢٨ كانون ثاني ١٨٧٦	١٣٣٣	١٩ تشرين ثاني ١٩١٤
١٢٩٤	١٦ كانون ثاني ١٨٧٧	١٣٣٤	٩ تشرين ثاني ١٩١٥
١٢٩٥	٥ كانون ثاني ١٨٧٨		

جدول (١)

سلاطين آل عثمان

خلال الفترة من ١٨٤٠ - ١٩١٤

١٨٣٩ - ١٨٦١	السلطان عبد المجيد الأول
١٨٦١ - ١٨٧٦	السلطان عبد العزيز
١٨٧٦	السلطان مراد الخامس
١٨٧٦ - ١٩٠٩	السلطان عبد الحميد الثاني
١٩٠٩ - ١٩١٨	السلطان محمد رشاد الخامس

جدول (٢)

حكام جبل لبنان

خلال الفترة من ١٨٤٠ - ١٩١٤

١٨٤٠ - ١٨٤٢	الأمير بشير الشهابي الثالث	(من الأسرة الشهابية)
١٨٤٢	عمر باشا النمساوي	(الحكم التركي المباشر)

عهد القائم مقاميتين

قائم مقام الدروز	قائم مقام النصارى
أحمد أرسلان	١٨٤٢ - ١٨٤٥
أمين أرسلان	١٨٤٥ - ١٨٥٩
محمد أرسلان	١٨٥٩ - ١٨٦٠
	حيدر أبي اللمع ١٨٤٢ - ١٨٥٤
	بشير أحمد أبي اللمع ١٨٥٤ - ١٨٦٠

عهد المتصرفية

١٨٦٨ - ١٨٦١	داوود باشا
١٨٧٣ - ١٨٦٨	فرانكو باشا
١٨٨٣ - ١٨٧٣	رستم باشا
١٨٩٢ - ١٨٨٣	واصا باشا
١٩٠٢ - ١٨٩٢	نعوم باشا
١٩٠٧ - ١٩٠٢	مظفر باشا
١٩١٢ - ١٩٠٧	يوسف فرانكو باشا
١٩١٥ - ١٩١٢	اوهانس باشا

جدول (٣)

جدول ولاية ايلالة صيدا في الفترة من ١٨٤٠ - ١٨٦٤

١٨٤٠	عزة محمد باشا
١٨٤٠	زكريا باشا
١٨٤١	سليم محمد باشا
١٨٤١	إبراهيم ادهم افندي
١٨٤٢	اسعد مخلص باشا
١٨٤٥	محمد فايق افندي
١٨٤٥	نوري افندي
١٨٤٥	وجيه باشا
١٨٤٥	محمد كامل باشا
١٨٤٦	مصطفى افندي
١٨٤٦	عبد الله باشا

١٨٤٦	مصطفى رضا افندي
١٨٤٦	مصطفى شريف باشا
١٨٤٦	عزمي افندي
١٨٤٦	محمد هدايت افندي
١٨٤٧	واصف صالح باشا
١٨٤٨	محمد أمين مخلص باشا
١٨٤٨	عبد الوهاب افندي
١٨٤٩	شاكر افندي
١٨٥٠	محمد أمين باشا
١٨٥١	هاشم بك
١٨٥١	أمين بك
١٨٥١	صالح وامق باشا
١٨٥٤	محمود نديم باشا
١٨٥٥	صالح واصف باشا
١٨٥٦	خورشيد باشا
١٨٥٨	مصطفى عارف افندي
١٨٥٩	فؤاد باشا
١٨٦٠	مصطفى باشا
١٨٦٠	أحمد باشا القيصري
١٨٦١ متصرفا	أدهم باشا
١٨٦١ متصرفا	ابراهيم باشا
١٨٦٢ والياً	قبولي محمد باشا
١٨٦٤ والياً	محمد خورشيد باشا

ثم الغيت ايالة صيدا، في هذه السنة وأصبحت تتبع ولاية دمشق

جدول (٤)

ولاية ايلة دمشق عندما كانت صيدا تابعة لها :

١٨٦٥	نجيب أفندي
١٨٦٦	ابراهيم باشا
١٨٦٦	محمد رشيد باشا
١٨٧١	عبد الله صاحبي باشا
١٨٧١	صبحي باشا
١٨٧٢	محمد خالد باشا
١٨٧٥	أسعد باشا
١٨٧٥	أحمد حدي باشا
١٨٧٦	رشيد نجد باشا
١٨٧٦	ضيا باشا
١٨٧٧	عمر فوزي باشا
١٨٧٨	أحمد جودت باشا
١٨٧٨	مدحت باشا
١٨٧٨	أحمد حدي باشا
١٨٨٣	رشيد نجد باشا
١٨٨٦	ناقد باشا
١٨٨٧	مصطفى عاصم باشا

جدول (٥)

جدول ولاية بيروت

من ١٨٨٨ - ١٩١٨

١٨٨٨	علي باشا
١٨٨٨	حسين رضا أفندي
١٨٨٨	حسين فوزي باشا

١٨٨٩	رؤوف باشا
١٨٨٩	أحمد عزيز باشا
١٨٩٠	أحمد انوري باشا
١٨٩١	اسماعيل كمال باشا
١٨٩٢	خالد بك
١٨٩٤	نصوحى بك
١٨٩٦ (وكالة)	حسين باشا
١٨٩٦	ناظم حسين باشا
١٨٩٧	رشيد بك
١٨٩٨	رضا بك
١٨٩٩	خليل بك
١٩٠١	ادهم بك
١٩٠١	خليل باشا
١٩٠١	رشيد بك
١٩٠٣	خليل باشا
١٩٠٨	ناظم باشا
١٩٠٨ (وكالة)	شكري باشا
١٩٠٨ (استمرت ولايته ١٤ يوماً فقط)	محمد علي بك
١٩٠٨ (استمرت ولايته ٣ أيام فقط)	علي أكرم بك
١٩٠٨ (استمرت ولايته ١٤ يوماً فقط)	فريد باشا
١٩٠٩	نور الدين بك
١٩١١	حازم بك
١٩١٢	أدهم بك
١٩١٣	بكر سامي بك
١٩١٣	حازم بك
١٩١٥	عزمي بك
١٩١٧	اسماعيل حقي بك

جدول (٦)

قائمقامو صيدا

١٨٦١	اسماعيل بك الصغير
١٨٦٥	نجيب افندي
١٨٦٧	جعفر الطيار
١٨٦٨	محمد بك
١٨٦٨	علي بك
١٨٦٩	صالح بك
١٨٦٩	مصطفى افندي
١٨٧٠	شاكر بك
١٨٧٤	رفيق بك
١٨٧٤	رفعت بك
١٨٧٥	شاكر بك
١٨٧٦	أحمد افندي
١٨٧٦	جمال افندي
١٨٧٦	عبد الله الأدلي
١٨٧٦	صادق بك
١٨٧٨	احسان بك
١٨٨١	أحمد شكري
١٨٨٣	محمود بك
١٨٨٤	صادق بك
١٨٨٤	جمال بك
١٨٨٥	حسن فهمي بك
١٨٨٥ (وكالة)	أحمد نسيبه
١٨٨٥	محمود بك اليوسف

١٨٨٦	عبد الغني افندي
١٨٨٨	مصطفى حكمت القنواقي
١٨٨٩ (وكالة)	ابراهيم أغا الجوهري
١٨٨٩	محمود بك
١٨٩٠	احسان بك
١٨٩٥	بكر سامي افندي
١٨٩٥ (ثانية)	أحمد شكري
١٨٩٧ (وكالة)	يحيى افندي
١٨٩٨ (وكالة)	ابراهيم اغا الجوهري
١٨٩٨	رضا الصلح
١٩٠٠ (وكالة)	أحمد جيل افندي
١٩٠٠ (وكالة)	عبد القادر الدنا
١٩٠١ (وكالة)	أحمد جيل افندي
١٩٠١	ابراهيم بك
١٩٠١	محمود ماهر بك
١٩٠١	عبد اللطيف افندي
١٩٠٣ (وكالة)	ابراهيم الجوهري
١٩٠٣	كامل بك
١٩٠٤	ماهر بك
١٩٠٥	محمود جمال بك
١٩٠٦	عبد الحليم افندي
١٩٠٨	سعد الدين رمضان
١٩٠٨	خالد بك
١٩٠٩	سعيد بك
١٩٠٩ (ثانية)	محمود جمال بك
١٩١٤	شيلي حادة
١٩١٦	أحمد بك

جدول (٧)

القضاة الشرعيون في صيدا

من ١٨٤٠ - ١٩١٤

١٨٤٢	محمد سعيد افندي
١٨٦٠	احمد افندي
١٨٦٢	حسن شكري
١٨٦٢	سعيد منلا
١٨٦٨	محمد سعد الدين لطفي
١٨٧٣	محمد نشأت
١٨٧٧	مصطفى عزت
١٨٨٠	علي نائلي
١٨٨١	مصطفى عاصم افندي
١٨٨٥	سليمان سري
١٨٨٦	اسماعيل حقي السيروزي
١٨٨٨	عبدالمجيد هاشم
١٨٩٠	بكر سامي
١٨٩٢	عبد الجليل افندي
١٨٩٤	محمد فوزي
١٨٩٥	محمد راغب
١٨٩٧	محمد رفعت
١٨٩٩	احمد جميل الاستنبولي
١٩٠٢	محمد جميل نحولي
١٩٠٥	محمد راغب التميمي
١٩٠٦	محمد امين كرامة

١٩٠٧	احمد عمري
١٩١١	حسن سامي
١٩١٢	عبدالله حلمي الراجحي
١٩١٣	حسين سامي البستاني
١٩١٥	هاشم البزري

جدول (٨)

المفتون في صيدا

١٨٦٠	الشيخ مصطفى المغربي
١٨٧٥	الشيخ محمد البزري
١٨٧٧	الحاج عثمان الزين
١٨٧٩	محمد نائلي افندي
١٨٨٤	الحاج عثمان الزين
١٩٠٢	الشيخ مصطفى المجدوب الملا
١٩٠٦	محمد بهاء الدين الزين
١٩١٤	الشيخ كمال المغربي

جدول (٩)

رؤساء الطوائف المسيحية في صيدا

مطارنة الزوم الارثوذكس

١٨٦٤ - ١٨٥٠	جراسيموس فرح
١٨٦٧ - ١٨٦٥	جراسيموس طراد
١٩٠٦ - ١٨٦٧	ميخائيل استبريان
١٩١٤ - ١٩٠٩	ايليا ديب

مطارنة الروم الكاثوليك

١٨٨٦ - ١٨٣٦ تاودوسيوس قيوجي

١٩١٦ - ١٨٨٦ باسيليوس حجار

رعاة الكنيسة البروتستانتية

١٩٠٥ - ١٨٦١ القسيسان فورد وادي الاميركيان

١٩١٢ - ١٩٠٥ القس خليل الراسي

١٩١٥ - ١٩١٢ القس رشيد فواز

مطارنة الطائفة المارونية

بدأ مطارنة الموارنة في صيدا سنة ١٩١٩ بالطران اوغسطين البستاني وكان
كرسي المطرانية في دير القمر.

جدول (١٠)

رؤساء البلدية في صيدا

منذ تأسيسها حتى سنة ١٩١٤

١٨٧٧ ابراهيم آغا الجوهري

١٨٧٨ الحاج محمود افندي

١٩٠٨ - ١٨٧٩ ابراهيم آغا الجوهري

١٩١٠ - ١٩٠٨ محمد جيل البزري

١٩١٤ - ١٩١٠ الحاج مصباح البزري

١٩١٦ - ١٩١٤ محمود كالو

اولا - وثائق غير منشورة:

أ - باللغة العربية

- اوقاف صيدا:

□ سجل أنواع الأحكار العائدة لأوقاف صيدا.

□ حجج ووثائق من ملفات دائرة الاوقاف

- بلدية صيدا:

□ سجل المصروفات (١٣٠٣ - ١٣٣٠)

□ سجل الواردات والتفقات ١٣٢٩ مالية حتى ١٩٢٤ ميلادية.

□ وثائق مختلفة في ارشيف البلدية ومستودعها.

- الدائرة العقارية في صيدا:

□ سجل رقم ١ صكوك الاجارة من ١٨٩١ - ١٩٠٤.

- دير المخلص:

□ حجج شرعية وسندات ووصايا ووثائق مختلفة في ارشيف منظم جيدا،

يزيد عمر بعضها عن اربعمائة سنة، وهي بحالة جيدة، وقد جرى ترميم بعضها.

- المحكمة الشرعية في صيدا:

□ سجل ١ ابتداءه ٧ جمادي الآخر سنة ١٢٨٥ وانهائه ربيع الآخر

١٢٨٦ في عهد القاضي لطفي زادة محمد سعد الدين الخلوقي الحسيني.

□ سجل ٢ للسنة ١٢٩٠ هـ. والقاضي محمد نشأت افندي

□ سجل ٣ ابتداءه غرة ذى القعدة سنة ١٣٠٠ وانهائه ٢٤ رمضان

١٣٠٣ هـ.

□ سجل ٤ ابتداءه ٢٧ رمضان ١٣٠٣ ونهايته ٢٩ ذى القعدة ١٣٠٤ والقاضي اسماعيل حقي .

□ سجل ٥ ابتداءه غرة محرم سنة ١٣٠٤ وانتهاءه جمادي الآخرة ١٣٠٦ تذكر فيه « الوقائع والاقضية » الصادرة بمدة مولانا الحاكم صاحب الفضيلة السيد اسماعيل افندي حقي السيروزي بلدا ، اعتبارا من ضبطه غرة ذى الحجة الحرام سنة ثلثية واربع بعد الالف من هجرة من له العز والشرف صلى الله عليه وسلم .

□ سجل ٦ دفتر تذاكر القسام الصادرة بمدة صاحب الفضيلة هاشم زادة عبد المجيد افندي اعتبارا من غرة ذى الحجة الحرام سنة ١٣٠٦ هـ .
□ سجل ٧ دفتر ضبط ابتداءه ١٧ محرم ١٣٠٨ ونهايته ٥ جمادي الاولى ١٣٠٨ ، ويحتوي على ٧٦ صفحة .

□ سجل ٨ ابتداءه ١٧ محرم ١٣٠٩ ونهايته شعبان ١٣٠٩
□ سجل ٩ تسجيل التحريرات الصادرة والواردة بمدة صاحب الفضيلة السيد محمد رفعت افندي النائب بصيدا حالا ، وابتداءه ١٩ رجب ١٣١٥ هـ .
وبعض صفحاته بالتركية .

□ سجل ١٠ سجل الوقوعات الصادرة بمدة صاحب الفضيلة السيد محمد رفعت النائب بصيدا ، كما يضم سجلا للوقوعات بعد الانقلاب ابتداءه ١٣١٥ وانتهاءه ١٣١٧ هـ . وبعد صفحة ٨٩ من هذا السجل يبدأ ترقيم جديد للصفحات يبدأ من ١ الى ١٢٦ يتضمن وقائع للسنة المالية ١٣٣٤ .
□ سجل ١١ سجل الوقوعات الصادرة بمدة صاحب الفضيلة السيد احمد جيل افندي الاستنبولي المولى خلافة صيدا عفي عنه ، ابتداءه ٢٥ شوال ١٣١٧ وانتهاءه ٢٨ صفر ١٣١٩ هـ .

□ سجل ١٢ ضبط الوكالات الصادرة بمدة نايب صيدا فضيلتو السيد احمد افندي جيل الدبار بكري الرفاعي سبا في ٢ ذى القعدة ١٣١٧ هـ .
وهو يضم ٧٥ صفحة .

□ سجل ١٣ سجل الوقوعات الشرعية الصادرة بمدة فضيلتو احمد جيل

افندي الديار بكري المولى خلافة صيدا ابتداءً ١٩ صفر و انتهاءً ٢٧ ذى الحجة ١٣١٩ هـ .

□ سجل ١٤ سجل الرسوم ابتداءً اغسطس ١٣١٨ مالية و انتهاءً ١٣٢٥ مالية .

□ سجل ١٥ سجل الوقوعات ابتداءً ٢٥ رجب ١٣٢٢ و ٢١ ايلول ١٣٢٠ مالية و انتهاءً ١٦ رمضان ١٣٢٣ هـ . و ١٣٢٢ مالية .

□ سجل ١٦ سجل الاوامر الصادرة للمحكمة الشرعية لسنة ١٣٢٥ هـ .
□ سجل ١٧ ابتداءً تسجيل الوكالات من تاريخ ٢٥ محرم ١٣٢٤ بمدة صاحب الفضيلة السيد محمد راغب التميمي نائب قضاء صيدا حالا عفي عنه أمين .

□ سجل ١٨ هذا دفتر واردات ومصارفات و تحقيق المرحوم الحاج مصطفى اغا حود اعتباراً من سنة ثلاثمائة و اربعة و عشرين هجرية الموافقة لسنة ١٣٣٢ مالية ، تحت نظارة و تولية الفقير اليه تعالى عز شأنه السيد احمد بن محمد حود .
□ سجل ١٩ لسنة ١٣٢٥ هـ . من الصفحة ١ - ١١٥ ثم يبدأ ترقيم جديد للصفحات ، في عهد صاحب الفضيلة عمري زادة السيد احمد افندي ، ابتداءً من غرة ذى القعدة سنة ١٣٢٧ هـ .

□ سجل ٢٠ التوكيل بخارج المحكمة الشرعية ضمنه التوكيل الصادر بعد الانقلاب لسنة ١٣٣٩ هـ . و بعد الصفحة ٢٩ يبدأ عنوان جديد : هذا ضبط الوكالات تابع ضبط زمن صاحب الفضيلة فضيلتو احمد جودت افندي قاضي صيدا حالا تابع سنة ستة و ثلاثين و ثلاثمائة بعد الالف هجرية الموافق سنة ثلاث و ثلاثين و ثلاثمائة بعد الالف مالية . و من الصفحة ٥٧ تبدأ الوكالات بعد الانقلاب ، و من الصفحة ٨٦ تبدأ قضايا سنة ١٩٢٤ .

□ سجل ٢١ جريدة ضبط التقارير الصادرة في مدة صاحب الفضيلة عبد الله حلمي افندي سنة ٣٣٠ هـ . الموافق ٣٢٨ مالية .

□ سجل ٢٢ خاص بالسنة ١٣٣١ هـ .

□ سجل ٢٣ بوصلات التقسيم لسنة ١٣٢٣ مقدم اولئان استد عالي نك تاريخي دفتر يدر ١٣٢٨ و ١٣٢٥ .

ومن صفحة ٢٦ من هذا السجل قيد المحررات الواردة من سائر الدوائر الرسمية اعتباراً من ٢٩ نيسان ١٣٢٩ الموافق ٦ جمادى الآخر ١٣٣١ هـ ثم المذكرات الخارجة من المحكمة الشرعية في صيدا بعد الانقلاب من صفر الخير ١٣٣٧ هـ. ٩ تشرين الثاني ١٣٣٤ مالية.

□ سجل ٢٤ ضبط دعاوي ثاني في مدة قاضي صيدا فضيلتو السيد حسين سامي افندي البستاني في ٨ جمادى الثاني ١٣٣٢ هـ.

□ سجل ٢٥ هذا دفتر واردات ومصارفات وقف جدنا الحاج مصطفى اغا جود بصيدا تحت نظارتنا وتوليتنا ابتداء من سنة ١٣٣٤ مالية الموافق ١٣٣٦ هجرية.

□ سجل ٢٦ دفتر مختص فيه هاشم البزري بالاجال، ابتداء محرم ١٣٣٤ هـ.

□ سجل ٢٧ دفتر الاستدعاءات الواردة الى محكمة شرعية صيدا اعتباراً من مارت ١٣٣٠ و ١٣٣١، ابتداءه ٢٦ شعبان ١٣٣٥ هـ. و ٣ ايلول ١٣٣٤.

□ سجل ٢٨ سجل الوكالات لسنة ١٣٢٥ هـ. ومن صفحة ٢ - ١٦ ومن رقم ١٨ - ٦٠١ ضبط تقارير سنة ١٣٣٦ هـ و ١٣٣٤ مالية حتى نهاية ايلول. ان سجلات المحكمة الشرعية غير مرقمة ارقاما متسلسلة بل مغنونة حسب العناوين التي ذكرت آنفاً، والتي آثرت نقلها بنصها الأصلي بتعبيراتها المصطلح عليها آنذاك، وارقام السجلات من ١ - ٢٨ من وضعي، بعد ان اتخذت من سجل سنة ١٢٨٥ هـ. (وهو اقدم سجلات المحكمة الشرعية) الرقم واحد وتابعت ترقيمها حسب تسلسلها الزمني، وهذه السجلات بحالة جيدة عموماً، وقد قمت بلصق اوراق بعضها وترميمه، وجميعها مكتوبة بالحبر الاسود بالقلم القصب.

- مطرانية الروم الكاثوليك في صيدا:

يضم ارشيفها، بالإضافة الى سجلات العماد والاكاليل، وغيرها، وثائق مختلفة من مراسلات وسندات وحجج شرعية، مكتوبة بأنواع مختلفة من الحبر وبخطوط عدة وعلى ورق متنوع.

ب - باللغة الانجليزية:

- مكتب السجلات العامة Public Record Office

في لندن، الذي يتضمن النسخ الاصلية للتقارير القنصلية والديبلوماسية التي يبعث بها رجال السلك الدبلوماسي البريطاني في الحاء العالم وهو مختصر بالحرفين ف. و.(F.O.) وهما اختصار لكلمتي مكتب الشؤون الخارجية «FOREIGN OFFICE».

ولقد استفدت من السجلات المختصة بالسنوات ١٨٣٩ - ١٩٠١ ودونت بعض المعلومات، وصوّرت بعضها الآخر، وحصلت في قسم ثالث منها على وثائق مصورة على ١٤ مايكروفيلم، وذلك خلال رحلتي الى لندن سنّي ١٩٧٥ و١٩٧٨. واللغة السائدة في الوثائق هي الانجليزية، كما انها تضم مجموعة من الوثائق الاصلية بالعربية، بالاضافة الى قلة من الوثائق بالفرنسية والتركية.

- تقارير القنصلية الاميركية العامة في بيروت خلال الفترة من ١٨٣٦ - ١٩٠٦، وهي مصورة على ٢٣ مايكروفيلم، بعنوان Dispatches of the United States Consuls in Beirut, from 1836 - 1906, under the number T- 367

عن التقارير القنصلية المحفوظة في الارشيف الوطني في واشنطن National Archive - Washington

وقد احتوت معلومات مهمة خصوصا في الناحية الاقتصادية وتضمنت، احيانا، وثائق باللغة العربية.

ثانيا - المخطوطات:

- رسم، اسد:

بعض وثائق تاريخية تتعلق بتاريخ سوريا ولبنان عن الحاكم الشرعية في طرابلس وحلب ودمشق، جمعها بطلب من الجامعة الاميركية، بيروت، ١٩٢٧. - سلام، سليم علي:

مذكرات مخطوطة، محفوظة على مايكروفيلم في مكتبة الجامعة الاميركية، في بيروت، تتضمن ٥٢ ورقة.

- مشاققة، ميخائيل:

تاريخ حوادث جرت بالشام وساحل بر الشام من ١٨٠٠ - ١٨٨٨ ،
مخطوط بالجامعة الاميركية في بيروت.

ثالثا - المصادر:

أ - العربية:

- ابو حلقة، فضل الله فارس:

مختصر في الجغرافية، مطبعة جريدة بيروت ١٨٩٠ .

- الأنسي، عبد الباسط:

دليل بيروت وتقويم الاقبال لسنة ١٩٠٩ - ١٩١٠ ، مطبعة الاقبال،
بيروت، ١٣٢٦ هـ .

- باز، رستم:

مذكرات، تحقيق فؤاد افرام البستاني، منشورات الجامعة اللبنانية،
المطبعة الكاثوليكية، ط ٢، ١٩٦٨ .

- البستاني، بطرس:

اعمال الجمعية السورية، بيروت، ١٨٥٢ .

- البستاني، سليمان:

عبرة وذكرى، او الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده، القاهرة، مطبعة
الاخبار، ١٩٠٨ .

- تامر، جرجي:

الهدية الوطنية في نظمات لبنان والآثار الدستورية، مطبعة متصرفية
جبل لبنان، ١٣٢٥ هـ .

- التميمي (رفيق) وبهجت (محمد):

ولاية بيروت، جزءان، ط ٢، دار لحد خاطر، بيروت ١٩٧٩ ، وكانت
طبعته الاولى سنة ١٩١٦ .

- الحكيم، يوسف:

سوريا والعهد العثماني، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٦٦ .

- الحموي، ياقوت بن عبدالله:
معجم البلدان، ج ٣، دار صادر، بيروت ١٩٥٧.
- رستم، اسد:
الاصول العربية لتاريخ سوريا في عهد محمد علي باشا، ٥ أجزاء،
منشورات الجامعة الأميركية في بيروت.
- الزين، احمد عارف:
تاريخ صيدا، مطبعة العرفان صيدا، ١٣٣٠ هـ.
- سالتنامة ولاية بيروت:
حولية سنوية رسمية لولاية بيروت، السنوات ١٨٩٣ - ١٩١٢.
- سالتنامة ولاية سوريا:
حولية سنوية رسمية لولاية سوريا، السنوات ١٨٧٥ - ١٨٩٠.
- سالتنامة دولت عليّة عثمانية:
حولية سنوية رسمية للدولة العثمانية، السنوات ١٨٧٢ - ١٩١٤.
- سالتنامة نظارت معارف عمومي:
حولية وزارة المعارف العامة، السنوات ١٨٩٩ - ١٩٠٠.
- القاياتي، الشيخ محمد عبد الجواد:
نفحة البشام في رحلة الشام، مطبعة جريدة الاسلام، مصر، ١٣١٩ هـ
(وقد قام برحلته حوالي سنة ١٨٨٣)
- القباني، عبدالقادر:
الفجر الصادق لجمعية المقاصد الخيرية الاسلامية في بيروت، اعمال السنة
الاولى، مطبعة ثمرات الفنون، بيروت، ١٢٩٧ هـ.
- كوثراني، وجيه:
وثائق المؤتمر العربي الاول ١٩١٣، دار الحداثة، بيروت، ١٩٨٠.
- لبنان: مباحث علمية واجتماعية:
نشرته لجنة من الادباء بهمة اسماعيل حقي بك متصرف جبل لبنان سنة
١٣٣٤ هـ. نظر فيه ووضع مقدمته وفهارسه الدكتور فؤاد افرام البستاني،

منشورات الجامعة اللبنانية، جزءان، ١٩٦٩ و ١٩٧٠.

- معلوف، عيسى اسكندر:

دواني القطوف في تاريخ بني المعلوف، المطبعة العثمانية بعبدا، ١٩٠٧.

- النابلسي، عبد الغني:

التعفة النابلسية في الرحلة الطرابلسية، حققه وقدم له هريبرت بوسه
VON HERIBERT BUSSE نشره المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، المطبعة
الكاثوليكية بيروت، ١٩٧١.

ب - المعربة عن اللغات الاجنبية:

- الدستور الجديد:

اصل وترجمة قانون ونظامنا مه الاراضي مع بعض مواد مهمة اخرى،
النص بالتركية والعربية، ترجمة نقولا النقاش، مطبعة الآباء اليسوعيين،
بيروت ١٢٩٠ هـ (١٨٧٣)

- روبنسون، ادوار:

يوميات في لبنان، تعريب اسد شيخاني، ٣ أجزاء، منشورات وزارة
التربية الوطنية، مطابع نصار، بيروت، ١٩٤٩. وكانت طبعته الاولى
بالانجليزية، صدرت سنة ١٨٦٠.

- غيز، هنري:

بيروت ولبنان منذ قرن ونصف القرن، تعريب مارون عبود، جزءان
منشورات وزارة التربية الوطنية، بيروت، ١٩٤٩، وكانت طبعته الاولى
صدرت في باريس سنة ١٨٤٧.

- كارن، جون:

رحلة في لبنان في الثلث الاول من القرن التاسع عشر، تعريب رثيف
خوري، منشورات وزارة التربية الوطنية، ٣ أجزاء، ١٩٤٨، وكانت طبعته
الاولى صدرت في لندن سنة ١٨٣٦.

- لورته، لويس:

مشاهدات في لبنان، تعريب كرم البستاني، مطابع الاتحاد، بيروت،

١٩٥١ . وكانت طبعته الاولى صدرت في باريس سنة ١٨٨٤ .

- مجموعة قوانين:

تتضمن بعض القوانين العثمانية باللغتين العربية والتركية،

- نوفل، نوفل نعمة الله:

مجموعة التنظيمات العثمانية، ترجم معظمها للعربية، عدا بعض الفصول،
نوفل نعمة الله نوفل، باشكاتب كمارك عربستان سابقا، مراجعة وتدقيق خليل
الخوري، ٣ اجزاء، المطبعة الادبية، بيروت، ١٣٠١ هـ.
وأشرت اليها «بالدستور» اختصارا.

ج- الاجنبية:

BAEDEKER, KARL

**Palestine and syria, Handbook for Travellers, second
edition, Leipsig, 1894.**

- **BOWRING, JOHN:**

**Report on the Commercial Statistics of Syria, Presented
to both Houses of Parliaments, London, 1840**

- **CURTIS, WILLIAM ELEROY:**

Today in Syria and Palestine, 1903

- **FARLEY, J. LEWIS:**

Two Years in Syria, second edition, London, 1859.

- **GREAT BRITAIN, NAVAL STAFF:**

Intelligence department:

**A Handbook of s yria (including Palestine), Official copy,
London, first edition 1910, second edition 1919.**

- **ISMAIL, ADEL:**

**Documents diplomatiques et Consulaires relatifs a
l'histoire du Liban, consulat de Seyde, Tome 1, Beyrouth
1975, CONSULAT DE Beyrouth, Tome 10, 14, Beyrouth,
1978.**

- **JESSUP, HENRY HARRIS:**

Fifty Three Years in Syria, N. Y. 1910, 2 vol.

- LANE POOLE, STANLEY:

Turkey, first edition 1908, Second edition, Khayats, Beirut, 1966.

- MURRAY, JOHN:

A Handbook for Travellers in Syria and Palestine, 2vol., London, 1868.

- PEARS, EDWIN:

Turkey and its People, Second edition, London, 1912.

رابعا - المراجع:

أ- العربية:

- ابو عز الدين، سليمان:

إبراهيم باشا في سوريا، مطبعة صادر، بيروت، ١٩٢٩.

ابو النصر، عادل:

زراعة الاكيدنيا وانواعها في صيدا، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت ١٩٥٨.

- ابو رزق، يوسف:

تاريخ مدرسة الفنون الانجيلية الوطنية، مؤسسة البيادر للطباعة، مزرعة الضهر (الشوف)، ١٩٨١.

- ايوي، جهينة:

جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية في بيروت، اطروحة استاذ علوم في التربية، الجامعة الاميركية، ١٩٦٦.

- جحا، شفيق:

حركة الاصلاح في الامبراطورية العثمانية، مجلة الابحاث المجلد ١٨، الجزء ٢٢، حزيران ١٩٦٥.

- الحامي، راتب:

تجارة بيروت ومحل بيهم التجاري منذ نحو مائة عام ١٨٢٨
١٨٥٦، رسالة استاذ علوم، الجامعة الاميركية في بيروت، ١٩٤٢.

- الحني، علي:

تاريخ سوريا الاقتصادي، دمشق، ١٣٤٢هـ.

- حمادة، سعيد:

النظام الاقتصادي في سوريا ولبنان، المطبعة الامريكانية، بيروت،
١٩٣٦.

- الحصري، ساطع:

البلاد العربية والدولة العثمانية، ط٣، دار العلم للملايين، بيروت،
١٩٦٥.

- حنا، عبد الله:

القضية الزراعية والحركات الفلاحية في سوريا ولبنان (١٨٢٠-
١٩٢٠)، القسم الاول، دار الفارابي، بيروت ١٩٧٥.

- خاطر، محمد:

العادات والتقاليد اللبنانية، جزءان، بيروت، ١٩٧٧.

- الخوري، منير:

صيدا عبر حقب التاريخ، المكتب التجاري، بيروت، ١٩٦٦.

- الخوري، يوسف قزما:

الدكتور كرنيلوس فان ديك ونهضة الديار الشامية في القرن
التاسع عشر، رسالة استاذ علوم في التاريخ، الجامعة الاميركية، بيروت،
١٩٦٥.

- رستم، اسد:

آراء وابحاث، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت ١٩٦٧.

- رستم ، اسد:

لبنان في عهد المتصرفية، دار النهار، بيروت، ١٩٧٧.

- زيادة، نقولا:

ابعاد التاريخ اللبناني الحديث، معهد البحوث والدراسات العربية
العالية بجامعة الدول العربية، القاهرة، ١٩٧٢.

- زين ، زين نور الدين:

نشوء القومية العربية مع دراسة تاريخية في العلاقات العربية
التركية، ط٣، دار النهار، بيروت، ١٩٦٨.

سالم، عبد العزيز:

دراسة في تاريخ مدينة صيدا في العصر الاسلامي، جامعة بيروت
العربية، بيروت، ١٩٧٠.

- السباعي، بدر الدين:

اضواء على الرأسمال الاجنبي في سوريا ١٨٥٠ - ١٩٥٠، دار
الجمهورية، دمشق، ١٩٦٧.

- سراج الدين، احمد:

الحركة التربوية وتطورها في سوريا ولبنان خلال القرن التاسع
عشر، مجلة الابحاث، جلد ٤، ج٣، ايلول ١٩٥١.

- الصليبي، كمال:

تاريخ لبنان الحديث، دار النهار، ط٣، بيروت، ١٩٧٢.

- ضاهر، مسعود:

تاريخ لبنان الاجتماعي ١٩١٤ - ١٩٢٦، دار الفارابي، بيروت،
١٩٧٤.

- عانسوتي، اسامة:

الحركة الادبية في بلاد الشام خلال القرن الثامن عشر، المطبعة

- غرايبة، عبد الكريم:

سوريا في القرن التاسع عشر ١٨٤٠ - ١٨٧٦، معهد الدراسات العربية العالية بجامعة الدول العربية، القاهرة، ١٩٦٢.

- غربال، محمد شفيق:

منهاج مفصل لدروس في العوامل التاريخية في بناء الامة العربية على ما هي عليه اليوم، مطبعة نهضة مصر، القاهرة ١٩٦١.

- فرحات، اديب:

لبنان وسوريا، المرقان، صيدا، ١٣٤٢.

- كرد علي، محمد:

خطط الشام، ٥ أجزاء، مطبعة الترقى، دمشق ١٩٢٥ - ١٩٢٨.

- كنعان، داود:

بيروت في التاريخ، جزءان، مطبعة عون، بيروت ١٩٦٣.

- كوثراني، وجيه:

الاتجاهات الاجتماعية والسياسية في جبل لبنان والشرق العربي ١٨٦٠ - ١٩٢٠، معهد الانماء العربي، بيروت، ١٩٧٦.

- كوثراني، وجيه:

بلاد الشام: السكان، الاقتصاد، السياسة الفرنسية في مطلع القرن العشرين، قراءة في الوثائق، معهد الانماء العربي، بيروت، ١٩٨٠.

- لوقا، اسكندر:

الحركة الادبية في دمشق ١٨٠٠ - ١٩١٨، مطابع القباء، دمشق،

١٩٧٦.

- مالك، حنا:

الاحوال الشخصية، ومحاكمها للطوائف المسيحية في سورية

- ولبنان، دار النهار، بيروت، ١٩٧٢.
- المملوف، عيسى اسكندر:
تاريخ الامير فخر الدين المعني الثاني، ط٢، المطبعة الكاثوليكية،
بيروت، ١٩٦٦.
- الهشّي، سليم:
يوميات لبناني في ايام المتصرفية، المديرية العامة للآثار، بيروت،
١٩٧٣.
- وزارة الاشغال العامة:
المديرية العامة للتنظيم المدني، مخطط مدينة صيدا، ١٩٧٩.
- ب- المعربة عن اللغات الاجنبية:
- انطونيوس، جورج:
يقظة العرب، عربها عن الانجليزية ناصر الدين الاسد واحسان
عباس، ط٥، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٨.
- باشا، اوغست اديب:
لبنان بعد الحرب، ترجمه عن الفرنسية الشيخ فريد حبش، مطبعة
المعارف، مصر، ١٩١٩.
- بوون (هارولد)، جب (هاملتون):
المجتمع الاسلامي والغرب، تعريب احمد عبد الرحيم مصطفى،
جزءان، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧١.
- حادة، سعيد:
النظام النقدي والصرافي في سوريا، نقله عن الانجليزية شبل
دموس، المطبعة الاميركانية، بيروت، ١٩٣٥.
- سميليانسكايا، أ.:
- الحركات الفلاحية في لبنان في النصف الاول من القرن التاسع

عشر، تعريب عدنان جاموس، بيروت ١٩٧٢.

- لوتسكي، فلاديمير:

تاريخ الاقطار العربية الحديث، تعريب عفيفة البستاني، دار
التقدم، موسكو، ١٩٧٥.

- ليخين، ز. ل.:

الفكر الاجتماعي والسياسي الحديث في سوريا ولبنان ومصر،
تعريب بشير السباعي، دار ابن خلدون، بيروت ١٩٧٨.

ج- باللغات الاجنبية:

- عميد، حسن:

فرهنگ عميد، چاپ ششم، سازمان جاويدان علمي، تهران ١٣٥١ هـ.
شمسي (١٩٧٢).

- LEWIS, BERNARD:

The Emergence of Modern Turkey, Oxford University
Press, 1961.

- DAVISON, RODERIC:

Reforms in the Ottoman Empire, 1856 - 1876, New
Jersey, 1963.

- LINDSAY, RAO HUMPHERYS:

Nineteenth Century American Schools in the Levant,
University of Michigan, 1965.

- TIBAWI, A. L.:

American Interests in Syria, 1800 - 1901, Clarendon
Oxford Press, 1966.

خامسا - الدوريات:

- الابحاث:

مجلة فصلية، الجامعة الاميركية في بيروت،

- الاتحاد العثماني:

جريدة يومية سياسية ادبية، اصدرها احمد حسن طيارة سنة ١٩٠٨، بيروت.

- الاصلاح:

جريدة سياسية ادبية، بيروت، السنة ١٩١٣.

- الاقبال:

جريدة علمية تاريخية اخبارية اصدرها عبد الباسط الانسي سنة ١٩٠٢، بيروت.

- اوراق لبنانية:

مجلة شهرية تعنى بتاريخ لبنان، اصدرها يوسف يزبك سنة ١٩٥٥، بيروت، مجلدات ١٩٥٥ - ١٩٥٧.

-- البسرق:

جريدة ادبية سياسية، اسبوعية، اصدرها بشاره عبد الله الخوري سنة ١٩٠٨، بيروت.

- بيروت ولايت غزته سي:

جريدة ولاية بيروت الرسمية، بالتركية والعربية، صدرت اسبوعية ثم يومية، اعداد السنوات ١٣٣١ - ١٣٣٤ هـ.

- تقويم البشر:

تقويم سنوي اسمه الاب دامياني اليسوعي سنة ١٨٦٦، بيروت. اعداد السنوات ١٨٨٦، ١٨٩٣، ١٩٠١، ١٩٠٢، ١٩٠٧، ١٩٠٨، ١٩١٤.

- ثمرات الفنون:

جريدة اسبوعية سياسية تجارية فنية، اصدرها عبد القادر قباني سنة ١٨٧٥، بيروت.

- الحقائق:

مجلة شهرية اصدرتها مدرسة القنون الانجيلية للصبيان في صيدا سنة ١٨٨٨.

- الرسالة المخلصية:

مجلة تاريخية دينية، اصدرها دير الخلص سنة ١٩٣٤،

- صدى المفيد:

صدرت عند تعطيل المفيد، بيروت، السنة ١٩١٢.

- العرفان:

مجلة شهرية ادبية تاريخية جامعة، اصدرها الشيخ احمد عارف الزين، صيدا ١٩٠٩.

- العربي:

مجلة شهرية جامعة، الكويت، العدد ٣٧، كانون اول ١٩٦١.

- الفقه العربي:

صدرت بدل المفيد، بيروت اعداد السنة ١٩١٢.

- لسان الحال:

جريدة يومية اخبارية ادبية، أسسها خليل سركيس سنة ١٨٧٧، بيروت.

المفيد:

جريدة ادبية اخبارية اصدرها عبد الغني العريسي وفؤاد خنتس، بيروت.

- المشرق:

مجلة نصف شهرية علمية ادبية، دينية، اصدرتها جامعة القديس يوسف منذ ١٨٩٨، بيروت.

- المقتطف:

مجلة شهرية علمية، طبية، صناعية، زراعية، اصدرها يعقوب
صروف وفارس نمر بالقاهرة سنة ١٨٧٥.

- المسرة:

مجلة نصف شهرية دينية، علمية، تاريخية، اخبارية، اصدرتها
بطريركية الروم الكاثوليك في بيروت سنة ١٩١٠.

- المحبة:

مجلة اسبوعية، ادبية، علمية، اخبارية، اسسها فضل الله فارس ابو
حلقة في بيروت سنة ١٨٩٩.

- النشرة الاسبوعية:

مجلة دينية، تاريخية، اسبوعية، صدرت سنة ١٨٧١، بيروت.

- النعمة:

مجلة شهرية دينية تاريخية اصدرتها البطريركية الانطاكية
الارثوذكسية في دمشق سنة ١٩٠٩.

سادسا - مقابلات شخصية:

وردت اسماء الاشخاص الذين قابلتهم في هوامش الفصول.

الإهداء.....	٣
التقديم.....	٤
المقدمة.....	٧
تمهيد في موقع صيدا.....	١١

الفصل الأول

الإدارة والقضاء.....	١٩
أولاً - الإدارة.	
أ - صيدا والتقسيمات الادارية.....	١٩
ب - الجهاز الإداري.....	٣٠
ج - المجالس الإدارية.....	٣٦
د - الصيдаويون والرتب والألقاب.....	٣٩
هـ- التقويم والتوقيت.....	٤١
ثانياً - القضاء.....	٤٣
أ - القضاء الشرعي.....	٤٤
(١) القاضي (٢) النائب (٣) المفتي.....	٤٥
ب - القضاء النظامي.....	٥١
محكم التجارة.....	٥٥

الفصل الثاني

الجيش والأمن.....	٦٠
أولاً: الجيش.....	٦٠
١ - التشكيلات.....	٦٠
٢ - التجنيد.....	٦٠

٦٦.....	٣ - البديل العسكري
٧٢.....	٤ - التجهيزات والمعدات
٧٤.....	ثانياً: الأمن
٧٤.....	الدرك - الشرطة - المفتشون
٧٨.....	حالة الأمن

الفصل الثالث

٨٦.....	الأراضي والزراعة
٨٦.....	أولاً - الأراضي
٩٥.....	ب - الأوقاف
١٠٠.....	ثانياً: الزراعة
١٠٠.....	الملكية الزراعية
١٠٢.....	تحسين واصلاح الزراعة
١٠٦.....	الري
١٠٨.....	الاستثمار الزراعي
١٠٩.....	المزروعات

الفصل الرابع

١١٥.....	الضرائب والرسوم
١١٥.....	أ - فئات الضرائب والرسوم
١١٥.....	١ - الأعشار
١١٧.....	٢ - الويركو
١٢٣.....	٣ - ضريبة المسقات
١٢٤.....	٤ - ضريبة المعارف
١٢٤.....	٥ - ضريبة البديل العسكري
١٢٥.....	٦ - ضريبة بدل الطريق
١٢٥.....	٧ - رسوم المواشي
١٢٦.....	٨ - رسوم المسكرات

- ٩ - ضرائب ورسوم مختلفة ١٢٧.
- ١٠ - الجمارك ١٢٩.
- ب - الحماية والتحصيل ١٣٣.

الفصل الخامس

- النظام المالي ١٣٩.
- أ - الادارة المالية ١٣٩.
- ب - ديوان المحاسبات ١٤٢.
- ج - الديون العمومية ١٤٣.
- د - البنوك والصارفة ١٤٤.
- هـ - النقود الرائجة ١٤٦.
- ١ - العملة الذهبية العثمانية ١٤٧.
- ٢ - العملة الفضية العثمانية ١٤٧.
- ٣ - العملة المعدنية العثمانية ١٤٩.
- ٤ - النقد الورقي العثماني ١٤٩.
- ٥ - النقد الأجنبي ١٥١.
- ٦ - المشاكل النقدية ١٥٢.

الفصل السادس

- التجارة والصناعة والحرف ١٦٢.
- أولاً: التجارة ١٦٢.
- ١ - التاجر المحلي والأجنبي ١٦٣.
- ٢ - المحلات التجارية والأسواق ١٦٧.
- ٣ - الموازين والمكاييل والمقاييس ١٧٢.
- ٤ - الأسعار ومخالفات التسعيرة ١٧٧.
- ٥ - طرق النقل التجاري ١٨٦.
- ٦ - الصادرات والواردات ١٨٩.

١٩٨.....	ثانياً: الصناعات والحرف
٢٠٠.....	١ - تقاليد حرفية
٢٠٥.....	٢ - الصناعة

الفصل السابع

٢١٣.....	المواصلات
٢١٣.....	١ - القوافل وسيلة نقل وانتقال
٢١٥.....	٢ - الطرق المعبدة
٢١٦.....	أ - طريق صيدا - دمشق
٢١٧.....	ب - طريق صيدا - بيروت
٢١٩.....	ج - طريق صيدا - صور - عكا
٢١٩.....	د - طريق صيدا - مرجعيون
٢١٩.....	٣ - العربات
٢٢٣.....	٤ - مشاكل السير
٢٢٤.....	٥ - السيارات
٢٢٨.....	٦ - النقل البحري
٢٣٣.....	٧ - البرق والبريد والهاتف

الفصل الثامن

٢٤٤.....	العمران
٢٤٤.....	أ - الأحياء والحارات
٢٤٦.....	ب - الطرقات والأزقة
٢٥١.....	ج - الدور والقصور
٢٦٠.....	د - المياه والانارة
٢٦٥.....	هـ - منشآت ومؤسسات عامة
٢٦٦.....	١ - البلدية
٢٨١.....	٢ - الفنادق والحمامات
٢٨٣.....	٣ - الأماكن الدينية

الفصل التاسع

التعليم والثقافة.....	٢٩٩
أولاً: التعليم.....	٢٩٩
أ - تطور التعليم.....	٢٩٩
ب - المدارس الرسمية.....	٣٠٤
ج - المدارس الخاصة.....	٣١٥
١ - المدارس الأهلية.....	٣١٥
٢ - مدارس الارشاليات الأجنبية.....	٣٢٥
ثانياً: الثقافة.....	٣٣٣
١ - المطابع.....	٣٣٣
٢ - الصحف والمجلات.....	٣٣٤
٣ - الجمعيات الأدبية والعلمية.....	٣٣٥

الفصل العاشر

السكان.....	٣٤٣
أ - التطور السكاني.....	٣٤٣
ب - التوزيع الطائفي.....	٣٤٥
ج - موقف الادارة العثمانية من غير المسلمين.....	٣٤٩
د - العائلات.....	٣٦٠
١ - التوزيع الطائفي والمواطن الأصلية.....	٣٦٠
٢ - معاني أسماء العائلات.....	٣٧١

الفصل الحادي عشر

الحياة الاجتماعية.....	٣٧٧
أ - الحياة العائلية.....	٣٧٧
١ - الزواج والطلاق.....	٣٧٧
٢ - الارث والوصية.....	٣٨٧
٣ - الولادة والوفاة.....	٣٩٠

- ٤ - أسماء الصبيان والبنات ودلالاتها ٣٩٤
- ٥ - الخدم والرقائق ٣٩٦
- ب - اثاث المنزل ٣٩٨
- ج - الزي ٤٠٣
- د - وسائل التسلية والترفيه ٤٠٩
- ١ - المقهى ٤١٠
- ٢ - الحكواتي ٤١٢
- ٣ - خيال الظل ٤١٣
- ٤ - صندوق الفرجة ٤١٤
- ٥ - المسرح ٤١٥
- ٦ - الأعياد والمناسبات الدينية والوطنية ٤١٦

- ملحق (١) رسالة المطران باسيلوس حجار إلى والي بيروت ٤٢٣
ملحق (٢) تعليمات ضبط الحراسة في مدينة صيدا ٤٢٤
ملحق (٣) صورة الحجة الشرعية بوقف بستان الخياط ٤٢٥
ملحق (٤) نصّ الحجة الشرعية بوقف بستان الخياط ٤٢٦
ملحق (٥) سند طاووس بملكية بستان ٤٣٠
ملحق (٦) صورة عن بعض قرارات مجلس بلدية صيدا ٤٣١
ملحق (٧) اعلان حول شروط الزواج والطلاق ٤٣٢
ملحق (٨) لائحة أسعار في أسواق صيدا ٤٣٣
ملحق (٩) شهادة حصر ارض للطائفة اليهودية ٤٣٤
ملحق (١٠) جدول بالسنين الهجرية وما يقابلها بالميلادية ٤٣٥

المداول

٤٣٦.....	جدول (١) سلاطين آل عثمان
٤٣٦.....	جدول (٢) حكام جبل لبنان
٤٣٧.....	جدول (٣) ولاية ايلالة صيدا
٤٣٩.....	جدول (٤) ولاية ايلالة دمشق
٤٣٩.....	جدول (٥) ولاية بيروت
٤٤١.....	جدول (٦) قائمقامو صيدا
٤٤٣.....	جدول (٧) قضاة الشرع في صيدا
٤٤٤.....	جدول (٨) المفتون في صيدا
٤٤٤.....	جدول (٩) رؤساء الطوائف المسيحية في صيدا
٤٤٥.....	جدول (١٠) رؤساء البلدية في صيدا
٤٤٧.....	المصادر والمراجع